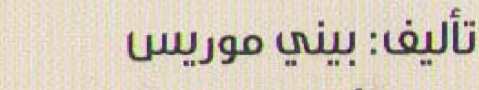
عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

الجزء الأول



تأليف: بيني موريس
ترجمة: أ. د. عماد عواد





عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

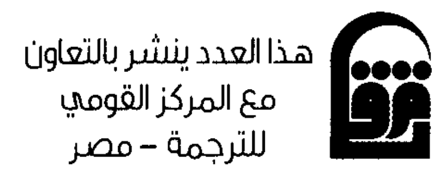
صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود فؤاد زكريا (1927-2010)

مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين

الجزء الأول

تأليف: بيني موريس
ترجمة: أ. د. عماد عواد





هذا العدد ينشر بالتعاون
مع المركز القومي
للترجمة - مصر

نوفمبر 2013
406

ترسل الاقتراحات على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص . ب : 28613 - الصفاة

الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

تليفون : 22431704 (965)

فاكس : 22431229 (965)

www.kuwaitculture.org.kw

التنضيد والإخراج والتنفيذ

وحدة الإنتاج في المجلس الوطني

ISBN 978 - 99906 - 0 - 402 - 3

رقم الإيداع (2013/542)

العنوان الأصلي للكتاب

The Birth of the Palestinian Refugee Problem Revisited

By

Benny Morris

Cambridge University Press, UK 2004

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

ذو الحجة 1434 هـ ـ نوفمبر 2013

المحتوى

مقدمة للقارئ العربي

«أرجو أن يحظى (الكتاب) باهتمام النخب السياسية في العالم العربي، وأن يثير اهتمام الباحثين العرب بشكل فردي أو جماعي... لتقديم رواية موازية لما جرى من أحداث على أرض فلسطين خلال الفترة ذاتها، وتوضيح الأسباب الكامنة وراء النزوح الجماعي للفلسطينيين»

المترجم

يسعدني أن أقدم للقارئ العربي هذه الترجمة لكتاب «مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين: نسخة منقحة» للكاتب الإسرائيلي بيني موريس، وهو الكتاب الذي أثار وقت صدوره ضجة كبيرة داخل إسرائيل، لما تضمنه من حقائق صدمت العديد، أما فيما يخص القارئ العربي فإن هذا العمل يكتسب أهمية بالغة لمجموعة من الاعتبارات يأتي في مقدمتها موضوعه وانتماءات كاتبه فضلا عما احتواه من مضمون.

الكتاب، كما يتضح من عنوانه، يتناول إحدى القضايا المحورية في الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، في دائرته الضيقة، والعربي - الإسرائيلي، في نطاقه الأوسع، التي وقفت عقبةً كأداء أمام المساعي الرامية للوصول إلى تسويته بالطرق السلمية، فعلى الرغم من أن قرار مجلس الأمن رقم 242 لعام 1967 قد تضمن النص على «إيجاد

تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين»، وأن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 191 أكد على حقهم في العودة أو التعويض، لم تتمكن الأطراف المعنية - خاصة الفلسطينية والإسرائيلية - خلال مفاوضاتها المتعاقبة، بدءا باتفاق أوسلو، ومرورا بقمة كامب ديفيد الثانية ومؤتمر أنابوليس، من التوصل إلى صيغة متفق عليها لتسوية هذا الملف، حيث تمسك كل طرف بموقف يتعارض مع طرح الطرف الآخر، فعلى حين رفض الموقف الإسرائيلي الرسمي فكرة العودة لأسباب أمنية وتاريخية، أصر الطرف الفلسطيني عليها باعتبارها «حقا»، وهنا تبرز أهمية الكتاب موضع الترجمة الذي يتناول نشأة هذه المشكلة، بما يعنيه ذلك من محاولة تحديد الطرف المسؤول عن نشأتها بعيدا عن المواقف الرسمية للأطراف، واستنادا إلى ما اطلع عليه من وثائق يهودية وإسرائيلية، خاصة في أرشيف الهاغاناه وجيش الدفاع الإسرائيلي الذي حل محلها منذ إعلان استقلال دولة إسرائيل في مايو 1948، وإذا كان المؤلف قد سعى إلى إلقاء الضوء - انطلاقا من قراءته للوثائق المتاحة - على الدوافع والأسباب الكامنة وراء ظهور مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، فإننا ننقلها إلى القارئ العربي تاركين له حرية تقييمها والحكم عليها بشكل موضوعي.

سطر صفحات هذا الكتاب الضخم، الواقع في ستمائة وأربعين صفحة، الكاتب الإسرائيلي بيني موريس الذي كان أول من أطلق مصطلح «المؤرخون الجدد» في العام 1988، ليعبر عن تيار فكري قاده عدد من المؤرخين الإسرائيليين سعى إلى إعادة كتابة التاريخ الإسرائيلي، وضم هذا التيار في صفوفه، إلى جانب موريس، شخصيات أخرى من قبيل: إيلان بابي وآفي شلايم، وشولومو ساند وغيرهم. وفي هذا السياق تحديدا تبرز الأهمية الخاصة للكتاب موضع الترجمة باعتباره يعبر عن مدرسة فكرية إسرائيلية جديدة من جانب، ويمثل محاولة لإعادة كتابة التاريخ فيما يتصل بقضية مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين من جانب آخر، بعيدا عن كل من الرؤيتين المتعارضتين الإسرائيلية والعربية.

في هذا الصدد، قد تكون من المفيد الإشارة إلى ما كتبه نيل كابلان(*)، واصفا كتابات وأسلوب بني موريس، حيث قال: «إن دراساته المنشورة عن الموضوعات الصعبة تعكس التزاما مهنيا ونظاما صارما يسمي الأشياء بأسمائها، ولا يتردد في القيام بنقد لاذع

(*) Niel Caplan, The Israel-Palestine Conflict, Wiley Blackwell, 2010, UK:

استنادا إلى قراءته، ونشير هنا إلى نتائج أبحاثه التي نُشرت العام 1988 حول طرد وهروب اللاجئين الفلسطينيين، والتي استند فيها أساسا على المصادر الأولية الصهيونية والإسرائيلية، وكان من شأن ذلك أن زلزل الأرض وفتح الأعين، وتلقى موريس كلا من المدح والنقد على عمله الذي تضمن العديد من الأحكام القاسية التي تحدت عددا من الأساطير لدى اليهود والإسرائيليين حول الخروج الطوعي المزعوم للفلسطينيين، وسلوك الميليشيا الصهيونية والمقاتلين الإسرائيليين خلال 1947 - 1949».

خلال قيامه بعرض نقدي لكتاب نشره زميل من «المؤرخين الجدد»، قدم بيني موريس وصفا للمعاناة التي يواجهها للالتزام بالموضوعية وتحييد آرائه الشخصية عند كتابته أبحاثَه ودراساته، حيث كتب: «في حين أن المؤرخين ـ بوصفهم مواطنين لديهم وجهة نظرهم وأهدافهم السياسية ـ فإن عملهم الأكاديمي يتمثل في محاولة الوصول إلى الحقيقة حول الحدث أو العملية التاريخية لإلقاء الضوء على الماضي بموضوعية ودقة على قدر الإمكان، أعتقد أن هناك شيئا اسمه الحقيقة التاريخية توجد مستقلة عن الباحثين، ويمكن فصلها عن شخوصهم، وأن واجب المؤرخ محاولة الوصول إليها باستخدام أكبر قدر من المصادر المتاحة، وعلى المؤرخ عند كتابته التاريخ أن يتجاهل السياسة المعاصرة، ويحيد توجهاته السياسية وميوله الشخصية، في الوقت الذي يسعى فيه إلى اختراق ظلمة الماضي».

لم يكن مضمون الكتاب موضع الترجمة جديدا بالنسبة إلى المؤلف، حيث سبق له أن أصدر النسخة الأولى منه العام 1988، ليخرج علينا بعد قرابة الخمسة عشر عاما بنسخة منقحة جاءت أكثر شمولية، سواء من حيث التفاصيل أو تداركها بعض النواقص أو تضمنها ردودا على عدد من الانتقادات التي تم توجيهها إلى النسخة الأولى، فضلا عن استعانتها بمواد أرشيفية جديدة دعمت من عرضه التاريخي، وأضفت عليه طابعا وثائقيا يسعى - على قدر الإمكان ـ إلى طرح صورة واضحة لمجريات الأحداث في بقاع فلسطين المختلفة وتطورات الصراع على أراضيها والأسباب التي دفعت «عرب فلسطين» إلى الفرار أو النزوح الجماعي خلال الفترة الممتدة من الربع الأخير للعام 1947 وحتى ما بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، كذلك حملت النسخة المنقحة في طياتها تفاصيل جديدة كشفت عنها الوثائق التي تم رفع درجة السرية عنها في الفترة التي تلت صدور النسخة الأولى، مما مكن المؤلف من تقديم صورة أشمل للتطورات الميدانية في مختلف

الجبهات، وعرضا مفصلا للطرق المختلفة التي تعاملت بها قوات الهاغاناه وغيرها من التنظيمات المسلحة (خاصة الإرغون وشترن) مع «العرب الفلسطينيين».

وفرت النسخة المنقحة فرصة للمؤلف للرد على العديد من الانتقادات التي تعرض لها بعد صدور النسخة الأولى لكتابه، سواء فيما يتصل بعدم تناوله لـ «الفظائع» التي ارتكبها العرب ضد اليهود في فلسطين، أو اقتصاره على سرد تلك التي اقترفها اليهود - خاصة في دير ياسين - وما كان لها من أثر كبير في الإسراع بوتيرة النزوح الجماعي الفلسطيني لما مثلته من هاجس أمني وما حملته في طياتها من مخاوف من تكرار ارتكاب الفظائع ضد المدنيين في أماكن أخرى حال استمرارهم في البقاء. كذلك قدمت النسخة المنقحة مجالا أسهب من خلاله الكاتب في عرضه لفكرة «الترانسفير» (المقصود «النقل» أو «التهجير القسري»)، حيث تتبع جذور هذه الفكرة في الأيديولوجية الصهيونية، وعلى الرغم من تأكيده على أن اليشوف (الجماعة اليهودية في فلسطين) لم يدخل الحرب بخطة ممنهجة لتحقيق «الترانسفير»، فإنه ذكر أن الفكرة كانت حاضرة في ذهن الجميع سواء على مستوى القيادة السياسة أو العسكرية، وأن الجميع كان مقتنعا بمقولة أن إسرائيل بأقلية عربية ضئيلة ستكون أفضل حالا منها بأقلية كبيرة أو أكثرية عربية.

خلال استعراض القارئ العربي فصول هذا الكتاب وغوصه في تفاصيلها ستتكشف أمام عينيه مجموعة من النقاط الإضافية التي تضاعف من أهميته في تقديم فهم أكثر عمقا لحقيقة ما حدث، ولعل من بين أبرز هذه النقاط ما يلي:

1 - يعيد الكتاب إلى الأذهان أسماء قرى فلسطينية تلاشت من الذاكرة إثر تسويتها بالأرض على يد القوات الإسرائيلية، ثم بناء مستوطنات جديدة امتلأت بالمهاجرين اليهود الذين تدفقوا على «أرض الأجداد» على مر العقود.

2 - يبرز الكتاب كيفية تعامل كل من الطرفين العربي واليهودي مع أحداث مهمة في تاريخ المواجهات على الأراضي الفلسطينية ومحطات تاريخية مهمة من قبيل النزوح الجماعي من يافا وحيفا واللد والرملة والأسباب التي وقفت وراء سقوط القرى والمدن الواحدة تلو الأخرى كقطع «الدومينو».

3 - يكشف الكتاب - من خلال الوثائق اليهودية والإسرائيلية - عن كيفية تعاطي كل من القيادة السياسية والعسكرية اليهودية مع ظاهرة الفرار والنزوح

الجماعي الفلسطيني، سواء من خلال تشجيعها أو السعي إلى الإسراع من حدوثها باستخدام وسائل الضغط النفسي على المناطق المقرر اجتياحها، وفي هذا الخصوص يجدر التركيز على ما أظهره المؤلف من وجود درجة من درجات الغموض المتعمد أو الإغفال في الوثائق الرسمية حول كيفية التعامل مع المدنيين في المناطق التي يتم الاستيلاء عليها.

4 - انطلاقا من الوثائق الرسمية، يركز المؤلف الضوء على بعض الفظائع التي ارتكبتها التشكيلات العسكرية اليهودية منذ شهر نوفمبر 1947، ويوضح كيفية تعامل القيادة السياسية والعسكرية مع مرتكبي مثل هذه الفظائع، الذين ظلوا بعيدا عن طائلة العقاب الرادع الذي يتناسب مع ما أقدموا عليه من أفعال، مما يعكس درجة من درجات الموافقة الضمنية على اقتراف هذه الأفعال بهدف الوصول إلى تحقيق هدف «الدولة اليهودية» أو الدولة الإسرائيلية التي تتضمن أقل عدد من العرب الفلسطينيين.

5 - يتكشف من خلال سطور الكتاب الدور الذي مارسه العديد من الشخصيات اليهودية المدنية والعسكرية في الضغط من أجل «تطهير» قرى ومدن من سكانها الأصليين، وإحلال مهاجرين يهود قادمين من أوروبا الشرقية محلهم، وتتركز الأضواء بشكل صارخ على شخصية يوسف ويتز - مسؤول صندوق التمويل الوطني اليهودي - الذي ترك بصمات واضحة سواء في ملف شراء الأراضي الفلسطينية، أو في تشكيل لجنة لـ «الترانسفير» التي قامت بالفعل بممارسة عملها على أرض الواقع سواء بطرد السكان أو هدم القرى المهجورة من دون أن تكون في حوزته موافقة مكتوبة من رئيس الحكومة آنذاك ديفيد بن غوريون.

6 - يفرد المؤلف فصلا كاملا لعرض الجهود التي بُذلت خلال العام 1949 لحل مشكلة اللاجئين من خلال مؤتمر لوزان، وتكشف سطور هذا الفصل عن طريقة التفكير الإسرائيلية في التعامل مع هذا الملف ومحاولتها استثماره آنذاك، كما يخصص المؤلف ملحقا يتناول فيه خلاف الطرفين حول تحديد عدد اللاجئين آنذاك والدوافع وراء ذلك، ولعلنا نجد في هذا مؤشرا ظهر بشكل مبكر حول مدى صعوبة التعامل مع الملف وتعقيداته خاصة بعد مرور عقود، ارتفع

خلالها عدد اللاجئين ليصل إلى الملايين بدلا من مئات الألوف في وقت تلاشت فيه الديار في قرى الأجداد والآباء لتحل محلها مستوطنات يهودية تقطنها أجيال مختلفة من اليهود.

أخيرا، فإنني إذ أشرُف بتقديم هذا الكتاب المهم للقارئ العربي لأرجو أن يحظى باهتمام النخب السياسية في العالم العربي، وأن يثير اهتمام الباحثين العرب بشكل فردي أو جماعي - تحت مظلة جامعة الدول العربية - لتقديم رواية موازية لما جرى من أحداث على أرض فلسطين خلال الفترة ذاتها وتوضيح الأسباب الكامنة وراء النزوح الجماعي للفلسطينيين، استنادا إلى الوثائق المتناثرة في الدول العربية المعنية، فضلا عن تلك التي قد تكون في حوزة السلطات الفلسطينية ومراكز الأبحاث العربية، خاصة أن مؤلف الكتاب حرص في مقدمته على التركيز على الافتقار إلى دراسة عربية شاملة - تستند إلى الوثائق - تتناول هذا الملف بشكل موضوعي. وإذا كان بعض المفكرين العرب قد رأوا في بروز المؤرخين الجدد في إسرائيل اعترافا متأخرا بعدم إمكانية الدفاع عن «التاريخ الرسمي القديم والمشوه» للصهيونية وإسرائيل، وبرهانا على صحة وحقيقة روايتهم كضحية على يد الاستعمار الصهيوني(*)، فإن الأمر قد يتطلب بذل الجهد لتقديم الرواية العربية الصحيحة من دون أن ننتظر أن يتقدم الآخر بالتصحيح الذي قد يكون منقوصا أو لا يعكس بدقة حقيقة ما جرى، فضلا عن أن مواقف الأشخاص قد تتبدل وتتغير من آن إلى آخر حتى إن تعلق الأمر بمؤرخين جدد.

عماد عواد

(*) على سبيل المثال كتب الشاعر الفلسطيني زكريا محمد: «إن الحاجة إلى مؤرخين إسرائيليين جدد نبعت من وجود تاريخ لا يمكن أن يقف أمام النقد الجاد. وبعد كل شيء... من هو المؤرخ الجاد الذي يمكنه أن يصف الحركة الصهيونية بأنها حركة تحرر وطني؟ الفلسطينيون يرون المؤرخ الإسرائيلي الجديد كنادم وتائب أكثر مما هو مؤرخ جديد، فالتاريخ الذي يقدمه ليس إلا اعترافا أمام كاهن التاريخ، هذا اعتراف بالذنب وليس أكثر، وعلى الجانب الآخر، فإن المؤرخ الفلسطيني لا يمكن أن يكون نادما لأنه ليس لديه ما يعترف به لكاهن التاريخ» [المترجم].

شكر وتقدير

كُتبت النسخة الأصلية لهذا الكتاب في الفترة من 1982 إلى 1986، واقتصر الدعم المالي المخصص لها آنذاك على ما حصلت عليه من المركز البريطاني، فقد ساعدتني المنحة التي تلقيتها منه على القيام بالبحث في الأرشيف البريطاني، وفي مرحلة لاحقة تمكنت من إلقاء محاضرة في إطار حلقة نقاشية حول مشكلة اللاجئين في جامعة أكسفورد، ومن ثم أتوجه بالشكر لكل من المركز والجامعة على ذلك، كذلك أتوجه بشكري إلى كل من روبرت أوين الذي كان آنذاك زميل كلية سانت أنطونيو في أكسفورد، الذي يشغل خاليا منصب أستاذ التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط بجامعة هارفارد، والأستاذ يهشوا بورات، مؤرخ الشرق الأوسط والأستاذ الفخري بالجامعة العبرية في القدس، على تعاطفهما ومساعدتهما طوال فكرة إعداد هذا الكتاب؛ حيث أدين لهما بدين

كبير، كذلك فإن عضويتي كمشـارك رفيع في كلية سـانت أنتوني - والتي حصلت عليها بمسـاعدة البروفسـور أوين والحاصلين على الزمالة في الكلية - سهلت مهمتي البحثية. وأود أن أشـير إلى أنني كثيرا مـا لاحقت الراحل ياكوف شـاموني - خبير قضايا الشرق الأوسـط والمسـؤول في وزارة الخارجية الإسرائيلية - باستفسـاراتي، مما يتطلب توجيه شـكر خاص له على ما أبداه من صبر وقدمه من عون. وفضلا عما تقدم أود أن أتوجه بالشكر إلى البروفيسور ياؤوف غلبير بجامعة حيفا الذي لم يبخل عليّ بوقته ومعرفته.

منذ العام 1997 أعمل عضوا بهيئة تدريس في جامعة بن غوريون في بيرشـافا (بئر السبع) بإسرائيل، حيث استمتعت على مدار أعوام طويلة بصداقة ومساعدة البروفسور جيمي وينبلات، العميد السـابق لكلية العلوم الاجتماعية والإنسانية الذي يشغل حاليا منصب رئيس الجامعة، وهو الشـخص الذي أشـعر تجاهه بدين كبير، وينطبق الشيء نفسـه على صديقي جيف أبل، الذي ساعدني إلى أقصى مدى على مدار سنوات طويلة فيما يتصل بالأساليب الخاصة باستخدام الحاسب وغيرها للانتهاء من عمل هذا الكتاب.

لا يفوتني كذلك أن أشكر العاملين في أقسام الأرشيف المختلفة الذين لجأت إليهم في أوقات عديدة خلال عملية إعداد النسـخة الأولى من هذا الكتاب فضلا عن النسخة المعدلة للحصول على المعلومات، ويشمل ذلك كلا من: يهشوا فريتدليش وميما روزنتال في أرشـيف دولة إسرائيل؛ ودورون أفياد في أرشيف وزارة الدفاع؛ والعاملين في أرشيف الهاغاناه؛ ومكتب السـجلات العامة؛ والأرشـيف الوطني للولايات المتحدة، وأرشـيف الأمم المتحدة، وأرشيف مركز الشرق الأوسط في كلية سانت أنتوني بأكسفورد؛ والأرشيف المركزي الصهيوني؛ وأرشـيف هاشومير؛ وأرشيف هاشومير هتزائير؛ وأرشيف كيبوتز عين هارود، وأرشـيف حزب العمل، وأرشـيف الهستدروت، وأرشـيف معهد جابوتنسكي، وأرشـيف ديفيد بن غوريون، وأرشيف بلدية كل من حيفا وطبريا؛ والأرشيفات الخاصة بعدد من تجمعات الكيبوتسات خاصة مشمار هعيمك وهازور ومعنيت.

وبالتأكيـد فإن ديني الأكبر هو لأسرتي - زوجتي ليا، وأطفالي إيريل وياغي وأوران، الذيـن تحملـوا التزامي عبر سـنوات بالانتهاء مـن إعداد كل من النسـختين الأصلية والمنقحة من هذا العمل.

مقدمة للنسخة المنقحة

«لم أبدأ هـذا البحث بناءً على التزام أيديولوجـي أو اهتمام سـياسي، بل سعيت ببساطة إلى معرفة ما حدث»

المؤلف

في عـام 1988 نُشرت الطبعـة الأولى من هـذا الكتاب، الـذي سـعى إلى وصف ميلاد مشـكلة اللاجئين الفلسـطينيين، التي كانت بالتوازي مـع قيام دولـة إسرائيـل، النتيجة السياسـية الرئيسـية لحرب عام 1948. وقد بحثـت الدراسـة في كيفية وأسـباب قيام ما يقارب من سـتمائة ألف إلى سبعمائة وستين ألف فلسـطيني بترك ديارهـم والانتقال إلى مناطـق أخرى من فلسـطين (الضفة الغربية وقطاع غزة) أو خارجها وبشـكل أسـاسي في الأردن، وسـورية، ولبنـان[1]. ويوجـد اليوم على كشـوف الأمم المتحدة مـا يقارب أربعة ملايين لاجئ فلسـطيني (يلاحظ أن السـلطة الفلسـطينية تحدد العدد بخمسـة ملايين)، يعيـش مـا يقارب الثلـث فيما يطلـق عليه «مخيمات» اللاجئين، والتي هي في واقع الأمر

أجزاء مبنية في ضواحي المدن (من قبيل نابلس، غزة، رام الله، بيروت، دمشــق، عمان... الخ).

بشــكل مثير للاســتغراب لم ينتج إلا عدد قليل جدا من الدراسات التاريخية حــول هذا الموضوع ســواء خلال العقود الأربعة التي ســبقت إصدار النســخة الأصليــة لهذا الكتاب أو حتى بعد صدورها، حول كيفية وأســباب تحول هؤلاء الفلسطينيين إلى لاجئين؛ ففي أعقاب عام 1948 مباشرة تم نشر التأريخ للأحداث بواسطة قبل المُبعدين الفلسطينيين، ومن بينهم عارف العارف («النكبة: 1947-1952»)[2] والحــاج محمــد نمر الخطيب («من آثار النكبــة»)[3]، وبعد مرور ما يقــرب من عقد من الحرب، نشر الباحث الفلســطيني وليد الخالدي دراســتين أكاديميتين: «ســقوط حيفا»[4]، و«لماذا غادر الفلســطينيون؟»[5]، مما ألقى ضوءا جديدا على بعض جوانب الموضوع. وتعد رســالة الدكتوراه التي أعدها الباحث الإسرائيلي روني غاباى تحت عنوان: «دراســة سياســية للصراع العربي- اليهودي: دراســة حالة مشــكلة اللاجئين»[6]، التي تم نشرها عــام 1959 أول ورقة بحثية رئيســية حول أصل مشــكلة اللاجئين اعتمدت على وثائق الأمم المتحدة المتاحة والصحــف. وبعد مــرور عقدين على ذلك، نشر الباحث الفلســطيني نافذ نزال دراســته تحت عنوان: «النزوح الجماعي الفلسطيني من الجليل 1948»[7]، التي اعتمدت بشــكل شبه كامل على مقابلات أجريت بداية السبعينيات في مخيمات اللاجئــين بمنطقة بيروت، وبعد مرور عدة ســنوات قام الباحث الإسرائيلي باروخ كيميرلنــغ بنشر مؤلــف بعنوان «الصهيونيــة والأرض: الأبعاد النفســية المتصلة بالأرض في السياسات الصهيونية»[8]، الذي ساهم في فهم ماذا حدث.

على مر العقود التي أعقبت عام 1948 نشر عدد من الإسرائيليين والفلسطينيين دراسات وقصصا جادة ألقت الضوء على هذا النزوح الجماعي استناداً إلى تجميع شــخصي للوقائع وتحليل موضوعي، ومــن أبرزها ما نشره إبراهام كليمان تحت عنوان: «كيربت كيزا وذكريات أخرى غير ســارة»[9]، وأس ايزهار («قصة كيربت كيزا»)[10]، وإلياس شــوفانى («سقوط قرية»)[11]، إلا أنها عانت جميعا من نقص نســبي في المعلومات المستقاة من الأرشــيف. وفى الأعوام الأخيرة قام عدد من الباحثين الإسرائيليين الشــبان بإعداد رســائل ماجســتير ودكتوراه ونشر مقالات

حول الهجرة الجماعية في مناطق محددة من فلسـطين، وقام ياؤوف غيلبر بنشر مؤلف تحت عنوان «فلسـطين 1948: حرب، هروب، ونشـوء مشـكلة اللاجئين الفلسطينيين»[12]، يعالج في جزء منه المشكلة محل النقاش في هذا الكتاب.

إن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وتداعياتها قد هزت منطقة الشرق الأوسط وأزعجت العالم لأكثر من خمسـة عقود، كما أن أعمال العصابات والغارات التي تمـت داخل إسرائيل من قبل هؤلاء اللاجئين سـاعدت على إشـعال فتيل ثلاث حـروب عربية - إسرائيلية تقليدية على الأقل (أعـوام 1956، و1967، و1982)، كذلك فإن الإرهاب الفلسـطيني، خاصة الاعتداء على ركاب الخطوط الجوية أو اختطاف الطائرات خلال فترة السـبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، أفضى إلى حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار في العالم أجمع، وأخيرا - منذ عام 2000 - ابتلع التمرد الفلسطيني (الانتفاضة الثانية) والذي تمت تغذيته بشكل كبير من مخيمات اللاجئين، عملية السلام العربية - الإسرائيلية وأدى إلى زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط.

اتضحت محورية مشـكلة اللاجئين الفلسطينيين في الصراع خلال المفاوضات الإسرائيلية – الفلسـطينية - الأمريكية التي جرت في الفترة من يوليو 2000 حتى ينايـر 2001 (خلال قمة كامب ديفيد ومـا أعقبها)؛ حيث برزت قضية اللاجئين باعتبارهـا أكثر القضايـا أهمية وصعوبة في التناول؛ ففي حـين أكد العرب على حقهم في «العودة» إلى ديارهـم وأراضيهم الذين فقدوها، رفضت إسرائيل هذا المطلب معللة موقفها بأن تطبيق ذلك سـيؤدى إلى زوال الدولة اليهودية، ومنذ ذلك الحين أضحى السؤال حول سبب تحويل مئات الآلاف من الفلسطينيين إلى لاجئين عام 1948 موضوعاً رئيسـيا للدعاية مـن جانب كل من إسرائيل والدول العربية، وتمثلت الشـكوى العربية بشـكل عام في أن اليهـود أقدموا على طرد الفلسـطينيين بتعمد وتخطيط مسـبق، وهو ما تم توظيفه - كجزء من مخطط سـياسي - عسـكري ممنهج - لتأكيد التصويـر العربي لإسرائيـل باعتبارها دولة سـارقة شريرة لا أخلاق لها، وفى المقابل فإن الرواية الإسرائيلية الرسـمية القائلة إن الفلسـطينيين قـد فروا «طواعيـة» (بمعنى أن فرارهم لم يـأت نتيجة لإكراه مارسه اليهود) أو أنه قد طلب إليهم أو تم توجيه الأوامر إليهم بالفرار سواء من

قبل قادتهم أو قادة الدول العربية، قد ساعدت في الحفاظ على صورة الدولة اليهودية سليمة كملاذ للشعب الأكثر تعرضا للاضطهاد في العالم، وأمة أكثر عدلاً تستحق التعاطف والمساندة من الغرب أكثر من البحر المحيط بها من مجتمعات عربية رجعية، شبه إقطاعية وديكتاتورية.

أثار نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 1988 الكثير من الغضب والجدل؛ وبدت النتائج التي توصلت إليها أنها لا ترضي أحداً (باستثناء القليلين الذين يحبون تاريخهم معقداً ودقيقا)، ولم يذهب الكتاب إلى تبني أي من الرواية الرسمية الفلسطينية أو الإسرائيلية، بل إنه كان يميل حقاً إلى أن يقوض كلتيهما. لقد تم الحط من قدري من خلال أوصاف من قبيل «رجل دعاية لمنظمة التحرير الفلسطينية» أو «رجل دعاية صهيوني معقد»، كما أنه، وفى حالات قليلة، استخدم وصف «مؤرخ سيئ».

لم أبدأ هذا البحث بناء على التزام إيديولوجي أو اهتمام سياسي؛ بل سعيت ببساطة إلى معرفة ما حدث، وغالبا ما يجد الصحافي نفسه مدفوعا لتأليف كتاب في مرحلة معينة من عمله المهني، ومن جانبي كنت قد قررت أن أكتب عن تاريخ بالماخ، القوة الضاربة للهاغاناه التي كانت القوة الرئيسية للمجتمع اليهودي في فلسطين، وفى مرحلة لاحقة لجيش الدفاع الإسرائيلي في عام 1948. كنت على الدوام راغبا في الكتابة عن التاريخ العسكري الذي لم يكتب شيء جاد بخصوصه، وفى نهاية عام 1982 حصلت من قبل مؤسسة قدامى محاربي بالماخ (دور هابالما) على ميزة الاطلاع على الوثائق كانت لا تزال سرية عن مركز قيادة الهاغاناه، إلا أنه بعد مرور شهور قليلة - وربما بسبب الشعور بالخوف من أن يؤدي ذلك إلى مشاكل - تم وضع نهاية لهذا التصريح بشكل فجائي، وعلمت أنني لن أتمكن من كتابة التاريخ على النحو الذي كنت أخطط له، ومع ذلك فإنني كنت قد قرأت مجموعة من المستندات - حملت في أغلبها تصنيف «سرى للغاية» - ألقت الضوء على نشأة قضية اللاجئين، وهو ما ولد الشعور لدي بأنه قد يكون من الممكن كتابة شيء جيد حول هذا الموضوع. ومن المصادفات الكاشفة في هذا الخصوص أن اهتمامي بالملف كان قد بدأ يتعاظم قبل ذلك بأسابيع قليلة حينما تم إيفادي مراسلا لتغطية الغزو

والاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان. فهناك - في شهر يونيو 1982- بين حطام مخيم الرشيدية للاجئين خارج بلدة صور، كانت المرة الأولى التي ألتقي وأتحاور فيها مع لاجئين قادمين أصلاً من منطقة البصة في الجليل.

وكما هي الحال بالنسبة إلى الجنرالات، فإن المؤرخين يحتاجون إلى الحظ، وقد كان عام 1982 محورياً فيما يتصل بالأرشيف الإسرائيلي؛ حيث بدأت الحكومة في كشف كميات كبيرة من مستندات عام 1948 المتاحة في أرشيف دولة إسرائيل، وبالتزامن مع ذلك، بدأت أرشيفات الأحزاب والمحليات في تنظيم وإتاحة العديد من المستندات، وكان من شأن إضافة كل ذلك إلى ما تمكنت من الاطلاع عليه في أرشيف بالماخ، أن أصبح متوافرا لدي أساس صلب من المستندات يمكن معه كتابة دراسة متأنية.

بالرغم من ذلك، مثلت الوثائق العربية مشكلة رئيسية، فلسوء الحظ فشل الفلسطينيون في تقديم والحفاظ على "مستندات دولة" عن الفترة من 1947 حتى 1949، وفيما يتصل بالدول العربية، التي خضعت جميعها بشكل أو آخر من أشكال الديكتاتوريات (سواء كان ذلك في شكل حكم عسكري أو ملكيات مطلقة أو غيرها)، فقد منعت واستمرت في منع الوصول إلى مستنداتهم منذ حرب عام 1948، والتي اعتبروها، ولا يزالون، كارثة مهينة. وخلال البحث والكتابة قمت ببذل قصارى جهدي لإيضاح هذه «المنطقة الغامضة» من خلال غربلة وتنقية وثائق الاستخبارات اليهودية أو الإسرائيلية وكذلك المراسلات الدبلوماسية البريطانية والأمريكية التي اتصلت بالعالم العربي، وعلى وجه التحديد بمشكلة اللاجئين الناشئة، فمصادر الدبلوماسيين وأجهزة الاستخبارات مكنت إلى حد ما من ملء الفراغ في فهم ما كان يحدث بالميدان في قرى ومدن فلسطين عام 1948، وإن كانت أقل فائدة فيما يتصل باتخاذ القرارات السياسية في العواصم ومقار القيادة العسكرية العربية. وبالنظر إلى الفوضى والتخبط والغياب العام لسياسة واضحة في تلك العواصم فيما يتصل بالمشكلة الناشئة خلال الفترة من نوفمبر 1947 حتى يونيو 1948، فإن هذه الندرة في المعلومات كانت أقل أهمية مما بدت عليه في البداية، فكما ثبت في النهاية، لم تكن هناك إلا صلة ضئيلة بين ما كان يناقش واتخاذ القرارات بصدده من قبل القادة العرب داخل أو خارج فلسطين، وما كان يحدث بالفعل في الميدان.

استعانت الدراسة كذلك باليوميات والمذكرات والكتب العربية التي استندت إلى مقابـلات، رغبة مني في اسـتكمال الصورة. وقد أنبني عدد من المسـتشرقين الاسرائيليين، (وليس العرب أنفسـهم بشكل يثير الاستغراب)، على فشل كتابي في تنقية وغربلة الذكريات العربية بشكل أكثر شمولاً، وفي المقابل فإن أحداً لم يكن في اسـتطاعته إظهار إلى أي مدى كان لاسـتخدام هذه المواد المهملة حتى ذلك الوقت أن يسـاعد بشـكل جوهري، أو هامشي، في تغيير أو تدعيم الصورة التي تمكنت من رسمها استنادا إلى الوثائق الإسرائيلية والغربية.

بعد تفكير متأن أمسـكت تقريبا بشكل تام عن استخدام أسلوب المقابلات والحوارات، سـواء مع اليهود أو العرب، كمصادر للمعلومات الملموسـة، فخبرتي القصـيرة في هذا المجال أقنعتني بأنه من غير المرغوب فيه الاعتماد على الذاكرة البشريـة لإلقـاء المزيد من الضوء عـلى الحدث بعد انقضاء مـا بين أربعين إلى خمسين عاماً على وقوعه. ولقد جاء العامل الحاسم في هذا الصدد حينما توجهت بالسـؤال إلى يغائيل يادين (الأسـتاذ الشـهير في مجال الآثار الذي خدم في العام 1948 كرئيـس عمليات جيش دفاع الهاغاناه، وغالبا كرئيس للأركان كأمر واقع) حـول طرد العرب مـن مدن اللد والرملة (والذي مثـل أكبر حالات الطرد خلال الحـرب)، فكان رده بالتسـاؤل: أي طرد؟! وعلى الرغم مـن أنه لم يُنكر حدوث عملية طرد، فإنه ذكر ببساطة أنه لا يستطيع أن يتذكر.

في المقابـل، آمنـت بقيمة الوثائـق، فبالرغم من أن الوثائـق المعاصرة ربما قـد تعطي معلومات مُضللـة أو تتضمن تحريفاً أو حذفا أو كذبـا، فإنها، وفقا لخـبرتي المحدودة، أقل بكثير في هذا المجـال من اللقاءات والحوارات التي تدور حول موضوعات خلافية ترجع إلى أربعين أو خمسـين عامـاً، فقد أظهرت هذه الخـبرة القصيرة في اللقاءات فجوات ضخمـة بالذاكرة ووجود ثوابت وانتماءات إيديولوجية وأجندات سياسـية، ولقد وجـدت أن اللجوء إلى اللقاءات من وقت لآخـر يمكن أن يسـاعد على إضفاء «لون» وفي رسـم صورة للظروف والمشـاعر السائدة، ولكن ليس لإيضاح «الحقائق».

إن قيمة الشهادات الشفهية حول العام 1948 قد تلاشت بعد مرور عشرين عامـاً على بدايتي في البحث حول مولد مشـكلة اللاجئين الفلسـطينيين؛ حيث

بهتت الذكريات الماضية أكثر واكتسبت ذكريات جديدة ومنطلقات إيديولوجية وطغت الأجندات السياسية، ولم تقدم الانتفاضات والانتفاضات المضادة شيئا في مجال إنقاذ الحقيقة التاريخية.

كان من أسـباب سـعادتي ما أسفرت عنه سياسـات الأرشيف الإسرائيلي من إزالة صفة السرية عن كميات ضخمة من المواد الأرشـيفية التي كانت محظورة وقـت كتابتي للنسـخة الأولى من هذه الدراسـة، وعلى وجـه التحديد أتيحت أغلبيـة اتفاقيات المجلس الـوزاري عن الفترة من 1948 إلى 1949، كذلك رفعت وزارة الدفاع الإسرائيلية الحظر عن مئات الآلاف من الوثائق الخاصة بقوة الدفاع الإسرائيليـة وأرشـيف الهاغاناه، وكان كلاهما محظوراً على أي شـخص لا يعمل في وزارة الدفـاع، الأمر الذي كان بمنزلة هدية كبيرة للمؤرخين. وفي حين اسـتمر أرشـيف قوات الدفاع الإسرائيلية وأرشـيف دولة إسرائيـل في إبقاء السرية على عدد من الوثائق الحساسة، تم رفع السرية عن الكثير من الوثائق التي أصبحت متاحـة أخيرا، (بما في ذلك الكثـير، إن لم يكن أغلب وثائق عمليات قوات الدفاع الإسرائيلية والاسـتخبارات منذ العام 1948) بشـكل يكفل تقديم نظرة جديدة على الأوضاع التي ولدت مشكلة اللاجئين.

لا يساورني شك في أن رفع السرية المحتمل عن الوثائق التي مازالت محظورة أو تـم تصنيفها عـلى أنها "سرية" حديثـا من قبل المسـؤولين في وزارة الدفاع، وكذلـك الوثائق التي مازالت تقبع في مخازن أرشـيف الاسـتخبارات الإسرائيلية في غليلوت، سيسـفر عن المزيد من الاكتشافات والتعمق، وبالرغم من ذلك فإن الكثـير الذي أتاحته سـمح بتكوين فكـرة جيدة عما حدث؛ حيـث إن الوثائق التـي تم توفيرها مؤخرا تسـاعد على إيضـاح الصورة والفهم لمـا وقع في أجزاء مختلفة من فلسطين خلال العام 1948 - وما حدث أسبوعا تلو آخر، وشهرا تلو آخـر في يافا وحيفا والقـدس، وكذلك في المناطق الريفية؛ ومن جانب آخر (وهو مـا يمثل مفارقة لا تتماشى مع مواقف رجال الدعاية الإسرائيليين والفلسـطينيين على السـواء أو المؤرخين الذين يميلون إلى القطـع في الأمور)، فإن هذه الوثائق تعزز بشكل جوهري كلا من المسؤولية الإسرائيلية والفلسطينية في خلق مشكلة اللاجئين، فالوثائق الجديدة تكشف عن أنه كان هناك المزيد من عمليات الطرد

والفظاعات ارتكبتها القوات الإسرائيلية أكثر مما تم رصده في النسخة الأولى لهذا الكتـاب، وفي الوقت ذاته كان هناك المزيد من الأوامر والتوجيهات تم نقلها إلى المناطق المختلفة من قبل الرسميين العرب والضباط لمغادرة قراهم أو على الأقل إبعاد النســاء والأطفال والشيوخ، الأمر الذي أشعل الرحيل الجماعي، وقد قمت بإضافــة العديد من الفقرات في هذا الخصوص اســتناداً إلى المصادر الجديدة في هذه النسخة المنقحة.

يتمثــل التجديد الآخــر في هذه النســخة، في إضافة فصل جديــد عن الفكر الصهيوني المتصل بما يطلق عليه "الهجرة القسرية" أو الترانســفير Transfer - أي الاتفــاق المتبادل للانتقال المنظــم الذي يتم التعويض عنــه، أو الطرد من جانب واحد للمجتمعات العربية خارج فلســطين - وهو الموضوع الذي تم تناوله فقط في أربــع صفحات بالنســخة الأولى التي نُشرت في العــام 1988. ولقد توصلت إلى نتيجة مفادها أنه طوال فترة التدخل فإن فكرة «الترانسفير» السابقة للعام 1948 كان لهــا تأثــير أكبر على ما حدث في عام 1948 مما ســبق أن عرضته في النســخة الأولى، وبالتالي فإنها تســتحق معالجة أكثر عمقا ومساحة أكبر من الشرح. وفضلا عــن ذلك فإن النقد الذي تعرضت له طريقة معالجتي لهذه النقطة في النســخة الأولى، من قبل كل من الباحثين العرب واليهود، شــكل سببا إضافيا لهذه المعالجة الجديــدة؛ فعلى ســبيل المثال ذهب المؤرخ العربي نور مصالحــة[13] إلى القول إن التفكير المتصل بـ «الترانســفير» مثل أحد أســس الإيديولوجيــة الصهيونية وكان بمنزلة خطة رئيســية تم تطبيقها بشــكل منهجي عام 1948؛ وكان مصالحة تواقاً لأن يُثبت أن الصهيونية أيديولوجية تقوم على اللصوصية والسرقة، وأن إسرائيل في أســاس تكوينها هي دولة سارقة توسعية. وعلى الجانب الإسرائيلي، ذهب كل من شابتاي تيفث[14] (الذي كتب السيرة الذاتية لبن غوريون) وأنيتا شابيرا[15] (مؤرخة للصهيونية)، إلى أن القيادة الصهيونية، بمن في ذلك بن غوريون، لم تتقبل أبدا فكرة «الترانســفير»، ولم تأخذها إطلاقا على محمل الجد، ومن ثم فإنه لم تكن هناك أي علاقة بين الترويج بين الفينة والأخرى لهذه الفكرة خلال الثلاثينيات والأربعينيات وما حدث للفلسطينيين منذ 1947 حتى 1949، وقد كان كل من الكاتبين مدفوعا بالرغبة في تبرئة إسرائيل من الاتهام بتعمد ما أصاب عرب فلسطين.

وكما سيلاحظ قراء الفصل الجديد، فإن الدليل على وجود تأييد صهيوني قبيل العام 1948 لفكرة «الترانسفير» واضح، لكن الصلة بين هذا التأييد وما حدث بالفعل خلال الحرب أكثر ضآلة مما تقدمه الدعاية العربية.

لقد حرصت خلال مراجعتي للنسخة الأصلية على إضافة النظريات المتروية والأدلة التي قام بنشرها عدد من المؤرخين الإسرائيليين خلال الخمسة عشر عاما الماضية، ولسوء الحظ فإنه لا توجد دراسة تاريخية ذات شأن قام فلسطينيون بتقديمها، بالمقارنة، على سبيل المثال، بتلك التي أعدها يوري ميلستاين أو ياؤوف غيلبر، وذلك بالرغم من أنني أشرت من وقت لآخر إلى «سلسلة القرية» التي أصدرتها جامعة بيرزيت خلال العقدين الأخيرين، والتي تتصل أساسا بعلم أصول الجنس البشرى.

حدث النزوح الجماعي من المناطق التي أضحت الدولة اليهودية في نهاية حرب استمرت على مدار عشرين شهراً منذ نهاية نوفمبر 1947 حتى يوليو 1949، فضلا عن العديد من الأحداث المتصلة بها خلال الشهور والأعوام التالية عليها. وجرى هذا النزوح في خضم حرب وفى ظروف اختلفت بشكل جذري بمناطق متعددة من البلاد، فهجرة الأغنياء من يافا وحيفا خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 اختلفت تماما عن الفرار الكثيف من المناطق الحضرية في شهر إبريل وبداية شهر مايو، كذلك فإن الفرار الذي شمل شرائح متعددة من يافا كان مختلفا بشكل واضح عما جرى عليه الحال في حيفا، وكلاهما كانت تجمعهما أشياء قليلة مشتركة مع الطرد أو الفرار من اللد والرملة (خلال شهر يوليو) أو من عيلبون والدوايمة وكفر برعم (في أكتوبر-نوفمبر 1948). وبغية توصيف وشرح النزوح الجماعي كان لزاما علي أن أصف وأشرح الأحداث والظروف خلال المراحل المختلفة للحرب في مناطق متعددة، وعندما كانت هناك ضرورة قمت بعرض الكثير من التفاصيل، وهو ما يجعل من هذه النسخة أكثر دقة من سابقتها. ولحسن الحظ أو لسوئه فإن «الشيطان يكمن في التفاصيل»، والمؤرخ لا يمكنه أن ينأى بنفسه عن «الشيطان».

تتبع الدراسة، بشكل عام، التسلسل الزمني للوقائع بدءا من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181 بتاريخ 29 نوفمبر 1947 والخاص بالتقسيم، حتى انهيار مؤتمر السلام الذي عُقد في لوزان في سبتمبر في العام 1949.

وخلال بحثها في النزوح الجماعي، تســتعرض الدراسة المناطق الجغرافية وتنتقل مــن منطقة إلى أخــرى، وعلى الرغم من ذلك فإن التسلســل الزمني - الجغرافي تعترضــه خلال البحث فصول طولية تتناول موضوعات محددة (ومن أمثلة ذلك «الترانسفير» وإعاقة عودة اللاجئين).

تمثلــت بعض الانتقــادات الجوهرية لنســخة عــام 1988، خاصة من قبل الإسرائيليين، في أن الكتاب افتقر إلى التعامل مع السياق التاريخي، وأنني لم أعط وزنا كافيا للمحرقة أو الهولوكوســت، الذي انتهى فقط قبيل أقل من ثلاثة أعوام من الأحداث التي تناولتها، كذلك - وهو الأكثر أهمية - أنني لم أول اهتماما كافيا لأحــداث الحرب ذاتها والتي ســاهمت بطرق كثيرة في تشــكيل وصياغة عملية صنع القرار لإسرائيل وتصرفاتها على المســتويات المحلية والقومية. وذهب بعض الناقديــن إلى القــول إنني لم أفرد مســاحة كافية لوصف المذابــح التي قام بها العــرب ضد اليهود خلال عام 1948 (كان هناك ثلاث مذابح)؛ ويتمثل ردي على هذه الانتقادات في نقطتين رئيســيتين. أولاً: أن الأمر لا يتعلق بتاريخ حرب العام 1948 أو تاريخ ما فعله العرب باليهود، لكن بتاريخ بروز ونشــأة قضية اللاجئين الفلســطينيين، وفى هذا السياق فإن ما فعله اليهود بالعرب - بما في ذلك المذابح - كان لــه دور في حــين أن ما فعله العرب باليهود يعتبر غير ذي صلة. ثانيا: أنني حاولت قدر الإمكان شرح الســياق الــذي دارت في إطاره المواجهات (من خلال التعرض لبعض المعارك) والتي أدت إلى فرار الفلســطينيين أو طردهم، وعلى أي حال، فقد قمت في هذه النسخة بتوسيع طفيف للنقاش حول السياقات والأطر المختلفة التي خلقت قضية اللاجئين الفلسطينيين في إطارها.

بشــكل عام يلزم التأكيد بقوة على أنه، عــلى الرغم من أن الأمر لا يتعلق بالتاريخ العســكري، فإن الأحداث التي تتناولها الدراســة بالوصف ســاهمت بشكل تراكمي في إحداث النزوح الجماعي للفلســطينيين العرب خلال الحرب، بل أن ذلك النزوح لم يكن ســوى نتاج - مباشر أو غير مباشر- للحرب التي بدأها الفلسطينيون. فالتهديد بالمعركة والإقدام عليها شكلا خلفية للعديد من مكونات النزوح الجماعي.

على امتداد فصول هذا الكتاب يلزم على القارئ أن يتذكر، ونحن ندرس ماذا حدث، الإطار الأوســع للأحداث، ونقصد بذلك الصدام المســلح بين الميليشيات

العربية واليهودية في فلســطين، وما تلاه من صدامات بين جيوش الدول العربية وإسرائيل، كذلك نوايا القيادة الفلسطينية ومعظم قادة الدول العربية وجيوشها خلال شــنها للهجوم في مايو خلال العام 1948 من أجل تدمير الدولة اليهودية، وربما كذلك اليشوف (الجماعة اليهودية في فلسطين) نفسه، وقد تمثلت مخاوف اليشوف في أن الفلسطينيين والدول العربية - إذا ما سنحت لهم الفرصة - يمكنهم القيام بتقديم نســخة شرق أوسطية للهولوكوست، فضلا عن التفاوت الضخم في الرقعة الجغرافية والوزن البشري للجماعة اليهودية في فلسطين (650 ألفا) مقارنة بما تمتع به العرب الفلسطينيون (1.25 مليون) والعمق العربي الضخم الذي ضم عــشرات الملايين من البــشر. وفى الوقت ذاته، فإنه من المفيــد التذكير بأنه منذ نهايــة يوليو 1948 كان من الواضح لقادة الجماعة اليهودية في فلســطين (وعلى الأرجح لأغلب القادة العرب) أن إسرائيل قد كسبت حربها من أجل البقاء، على الأقل في المدى القصير، وأن الهجمات التالية التي قام بها جيش الدفاع الإسرائيلي كانت بهدف تأمين المســتقبل السياسي - العسكري للدولة اليهودية في ظل بيئة جيوبولتيكية عدائية وغير مريحة، وأيضا بهدف رسم حدودها بشكل متكامل.

وفى تقديري فإن هذه النســخة المعدلة تضيف بشكل رئيسي إلى معرفتنا بما حــدث في العــام 1948، وكذلك لإدراكنا الجذور العميقة للعــداوة الإسرائيلية - العربية في وقتنا الحالي.

I

خلفية تاريخية مختصرة

نشــأت الحركة الصهيونية الحديثة نتيجة لكتابات تضمنت نبــوءة وبرنامجا لتحقيقها، لكل من موسى هيس ويهودا الكالاي وتسيفي هيرش كليشر وتيــودور هيرتزل، وقد صاحب ذلك هجرة يهود من روسيا إلى فلسطين تحت الحكــم العثماني بــدءا من ثمانينيــات القرن التاسع عشر، كرسوا أنفسهم لإعادة بناء وطن قومي للشــعب اليهودي على أرضه القديمة، أرض إسرائيــل، وفقــا للخطــاب الصهيــوني، ولم يكــن المهاجرون مدفوعين فقط بالشــق الإيجــابي للفكــرة، لكن أيضا بالخبرة الســيئة لعمليــات القمع التي تعرضوا لهــا في أوروبا الشرقية، وموجة المذابح المنظمة التي غمرت روسيا في أعقاب اغتيال القيصر الكسندر الثاني في مارس 1881.

«كان التبايــن التنظيمــي بــين المجتمعــين (العــربي واليهــودي) قبل العــام 1948 واضحا في المجال العســكري، شــأنه في ذلــك شــأن المجالات الأخرى وربما بدرجة أكبر»

المؤلف

بالتزامن مع هذا، بدأ المثقفون العرب في سورية ولبنان ومصر، في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، في تبني مشروع إحياء الثقافة العربية وثقافة الاستقلال عن الإمبراطورية العثمانية، ومع بداية القرن العشرين وانتشار الروح القومية في المنطقة، شرعوا في التفكير والحديث عن تحويل الإدارة العثمانية إلى نظام اللامركزية - وبشكل أقل صراحة - إلى إمكانية تحقيق التحرر السياسي وتأسيس دولة عربية مستقلة.

أدى انتشار الاستيطان اليهودي في فلسطين إلى وقوع احتكاكات بين المجتمعات العربية واليهودية المتجاورة، حيث بدأ سكان المدن والقرى يشعرون بالاستياء من تدفق الملحدين و الروس والمتحدثين باللغة اليديشية[*]، وبدأت المخاوف تساورهم من حدوث تحريف ثقافي وديني وتشويه أسلوبهم في الحياة في ضوء التجاوزات الملموسة التي تم رصدها، بل وصل الأمر إلى الخوف من أن ينتهي المطاف بأن يحل القادمون الجدد محلهم في البلاد[1].

تمثلت إحدى نتائج الحرب العالمية الأولى - التي قضت على الإمبراطورية العثمانية - في تعظيم كل من الآمال والمخاوف القومية الإقليمية فضلا عن تغيير معالم الشر ق الأوسط، حيث ألهبت فكرة تقرير المصير التي رددها الحلفاء المنتصرون خيال المثقفين في جميع المستعمرات حول العالم. يذكر أن بريطانيا استولت على فلسطين في الفترة من 1917 إلى 1918 وأقرت عصبة الأمم نظام الانتداب البريطاني فيها (فضلا عن شرق الأردن والعراق)، في حين تم إقرار الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، وتمثلت مهمة قوى الانتداب في تأهيل وإعداد السكان المحليين للحكم الذاتي. وفيما يتصل بفلسطين، أصدرت بريطانيا تصريح بلفور متعهدة بالعمل على إقامة «وطن قومي للشعب اليهودي»، في وقت وعدت فيه بالحفاظ على «الحقوق المدنية والدينية» للأغلبية العربية من السكان، ومن جانبها أكدت وثيقة الانتداب - التي تم إقرارها العام 1923- على الصلة التاريخية للشعب اليهودي بأرض إسرائيل[2].

(*) اللغة اليديشية هي لغة جرمانية يتكلمها ما يقارب 3 ملايين شخص حول العالم أغلبهم يهود أشكناز، وقد كانت في البداية لهجة ألمانية خاصة باليهود في أوروبا في القرن العاشر الميلادي، نحو 80 في المائة من كلماتها تعود إلى اللغة الألمانية، بالإضافة إلى بعض الكلمات العبرية والسلافية، وعادة ما تكتب هذه اللغة بالحروف العبرية [المترجم].

وقد دفعت الاضطرابات التي سادت أوروبا الشرقية في أعقاب الحرب العالمية من جانب، والمزايا التي اتسمت بها الإدارة البريطانية في فلسطين من جانب آخر، بموجات جديدة من الهجرة اليهودية، في وقت بات فيه التناقض الذي تضمنه التعهد البريطاني المزدوج (بدعم تقرير المصير لليهود والمحافظة على الحقوق العربية) جليا، وأضحى الصدام بين الطموحات القومية العربية واليهودية أمرا محتوما.

توافرت مجموعة من العوامل أدت إلى «يقظة» القومية الفلسطينية العربية آنذاك من بينها: التقدم المطرد في تحقيق تقرير المصير بين الشعوب العربية في الشرق، واقع الحكم الأجنبي الإمبراطوري المسيحي (حتى وإن كان محمودا وبناء)، الفصل السياسي بين فلسطين وكل من لبنان وسورية اللتين تم وضعهما تحت الانتداب الفرنسي، تدفق المهاجرين الصهاينة المدفوعين بتطلعات قومية راسخة. إلا أن الحركة الوطنية الفلسطينية العربية غلبت عليها منذ بدايتها وضعية الانقسام بين معسكرين ظلت حالة الاستقطاب بينهما الصفة الرئيسية لسياسات عرب فلسطين في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. وفيما يتصل بالمعسكر الأول فإنه التف حول عشيرة الحسيني وعلى وجه التحديد الحاج محمد أمين الحسيني الذي شغل منصب مفتي القدس في الفترة من 1921 حتى 1922، فضلا عن رئاسته للمجلس الأعلى الإسلامي، وتولى منذ العام 1936 رئاسة اللجنة العربية العليا، وقد طالب هذا المعسكر بإنهاء فوري للانتداب وإيقاف الهجرة اليهودية وإقامة دولة عربية على كل أرض فلسطين، مع تقديمه لوعد غامض باحترام الحقوق المدنية والدينية لليهود الموجودين في البلاد. وعلى الجانب الآخر، كان المعسكر «المعارض» الذي قادته عشيرة النشاشيبي، المنتمية كذلك إلى الطبقة الأرستقراطية في البلاد، وعرفت بأنها أكثر اعتدالا بشكل عام، وأقل إلحاحا على مسألة الاستقلال الفوري وتنتهج مقتربا متسامحا، على الأقل في نبرته، في التعامل مع الجماعة اليهودية في فلسطين (اليشوف)، (ومن ذلك القبول بين الفينة والأخرى برشى من الوكالة اليهودية في مقابل تخفيف حدة النقد للصهيونية). وعلى الرغم من أن «المعارضة» لم توافق مطلقا على فكرة إقامة دولة يهودية على كل فلسطين أو جزء منها، فإنها كانت على استعداد، في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين للقبول - على الأقل بصفة مؤقتة - بدولة كونفيدرالية مع شرق الأردن، بيد أنه في واقع الأمر كانت عشيرة الحسيني هي التي تضع بشكل عام أسس السياسات الفلسطينية العربية تجاه

كل من الصهيونية وبريطانيا ومملكة شرق الأردن، ومع حلول منتصف الثلاثينيات هيمنت بشكل واضح على الحركة الوطنية الفلسطينية.

أوضحت حالات الشغب والمذابح التي أقدم عليها العرب ضد اليهود في مدن فلسطين خلال العامين 1920 و1921 وكذلك خلال العام 1929 الكراهية المتصاعدة من قبل الجماهير الفلسطينية - مدفوعة بخليط من المظالم الملموسة أو المتصورة ذات الطابع الديني والقومي، فضلا عن الخطاب الإسلامي - ضد الوجود الصهيوني الذي ينمو ويزدهر بوتيرة سريعة. ومن الأحداث الفريدة في هذا الخصوص المذبحة التي راح ضحيتها 66 من المتدينين المتشددين اليهود (غير الصهاينة) في مدينة الخليل، والتي أقدم على ارتكابها جيرانهم العرب والقرويون الزائرون للمدينة في أغسطس 1929. فقد راودت العرب مخاوف جادة من إمكانية ترحيلهم في ضوء موجة الهجرة اليهودية الضخمة من أوروبا منتصف الثلاثينيات (التي أشعل فتيلها صعود النازية وعودة معاداة السامية في أوروبا إلى الظهور)، فضلا عن قيام اليهود بشراء أراض جديدة للاستيطان، وقد تولد عن ذلك إدراك أن العنف قد يؤثر على موقف البريطانيين، مما أدى إلى اندلاع الثورة العربية في الفترة من 1936 حتى 1939.

بدأت الثورة بأعمال عنف متقطعة وإضراب عام شمل كافة أرجاء البلاد. وقد كانت موجهة في المقام الأول ضد البريطانيين، ومن اعتبروهم أذناب صهاينة لهم في المقام الثاني. وسرعان ما امتدت الثورة من المدن إلى ضواحي البلاد وأكسبت عائلة الحسيني وحلفاءها القيادة المطلقة للحركة الوطنية. منذ منتصف العام 1937 أصبحت العائلات المعارضة هدفا لعمليات إرهاب وقمع من قبل عائلة الحسيني، وفي واقع الأمر فقد تعاونت عائلة النشاشيبي مع البريطانيين (والصهاينة) للعمل على القضاء على الثورة، إلا أنه بحلول ربيع العام 1939 تلاشى أثر المعارضة كقوة سياسية يعتد بها، وإجمالا أدى سحق الثورة إلى إضعاف المجتمع الفلسطيني بشكل كبير، سواء كان ذلك عسكريا أو سياسيا، كما مهد الطريق لهزيمته عام 1948.

في المقابل، أقنعت الثورة الحكومة البريطانية - التي ساورتها المخاوف آنذاك من احتمالات اندلاع حرب متعددة الجبهات مع ألمانيا واليابان وإيطاليا - بأهمية الحفاظ على الاستقرار في الشرق الأوسط. ومن هذا المنطلق، كانت تأمل أن يحظى إرسال اللجنة الملكية لتقصي الحقائق في فلسطين التي ترأسها اللورد بيل في نوفمبر

1936 باستحسان العرب. قدم اللورد بيل في يوليو في العام 1937 تقريره متضمنا اقتراح تقسيم البلاد إلى دولتين إحداهما يهودية (على 20 في المائة من أراضيها) والثانية عربية (على أكثر من 70 في المائة من مساحة البلاد) يتم ضمها إلى إمارة شرق الأردن. كما تضمن المقترح تخصيص قطاع من الأرض يضم القدس وبيت لحم وله منفذ على البحر المتوسط في يافا ليكون تحت حكم بريطاني مستمر. وعلى حين قبلت الحركة الصهيونية - بألم كبير - بمبدأ التقسيم، رفضت اللجنة العربية العليا المقترح على الفور، مما أدى إلى تجدد الثورة في سبتمبر 1937. وإزاء ذلك الموقف تراجعت بريطانيا سريعا عن فكرة التقسيم في الوقت الذي قمعت فيه الثورة (في رسالة واضحة للعرب مفادها أنه لا يمكن العبث مع بريطانيا)، وأقدمت على اتخاذ خطوات قوية لتهدئة الفلسطينيين ومن خلالهم العالم العربي بشكل عام.

تمثلت الخطوة الرئيسية في إصدار الحكومة البريطانية تقريرا جديدا في مايو 1939 ارتقى إلى مستوى التبرؤ من وعد بلفور الذي مثل - بشكل أو آخر - الخط الرئيسي الذي سارت عليه السياسة البريطانية منذ العام 1917. وقد تضمن التقرير الجديد كبح جماح الهجرة اليهودية تاركا، في واقع الأمر، الملايين من اليهود في أوروبا دونما وسيلة للرحيل وعلى وشك السقوط ضحايا لآلة الإبادة النازية، وفضلا عن ذلك نص التقرير على المنع شبه التام لشراء اليهود للأراضي في فلسطين. كما وعد العرب - الذين سيظلون الأغلبية في البلاد - بالاستقلال خلال فترة عشرة أعوام. غير أن اندلاع الحرب العالمية الثانية أدى إلى تأجيل أي تحرك في اتجاه تحقيق هذا الاستقلال، في حين أضفى إقدام هتلر على تدمير الشعب اليهودي في أوروبا زخما كبيرا وشعورا بالعجلة وضغطا سياسيا متواصلا للاستجابة لمطلب الدولة اليهودية على بعض أو كل أراضى فلسطين. فأعلنت الحركة الصهيونية صراحة وللمرة الأولى في «برنامج بلتمور» (مايو 1942) أن هدفها يتمثل في إقامة دولة يهودية بشكل فوري. وأدى الكشف التدريجي عن معاناة الشعب اليهودي خلال الحرب إلى تعبئة الرأي العام الغربي - وتدريجيا الحكومات- لمصلحة فتح أبواب فلسطين أمام هجرة اليهود، وفي نهاية المطاف إقامة الدولة اليهودية.

أضرت الحرب العالمية الثانية بالقضية العربية الفلسطينية، فعلى حين أبرزت الضعف الأساسي لقوى الانتداب (بريطانيا وفرنسا) مما أدى إلى تنشيط القوميات

المحلية، ومكن في النهاية كلا من مصر والعراق وسـورية وإمارة شرق الأردن ولبنان مـن الحصول على اسـتقلالها، فـإن الفلسـطينيين المتمردين - الذين تم سـحقهم قبيل اندلاع الحرب - تبنوا مواقف المحور، فقد سـبق لهم أن حصلوا على نوع من المسـاندة المالية والسياسـية من قبل دول المحور إبان تمردهم قبيل الحرب، وساند الحسيني وأتباعه اندلاع ثورة موالية للمحور في العراق العام 1941، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى برلين للعمل لمصلحة النظام النازي، وقام الحاج الحسـيني شـخصيا بنشر دعايـة مؤيدة للنازي، كما عمل على تجنيد مسـلمين في البلقان للعمل في الأجهزة الأمنية الألمانية. وبنهاية الحرب وجهت إليه لجنة يوغسـلافية تهمة «مجرم حرب»، مما اضطره إلى الفرار إلى مصر[3].

من جانبهم، سارع يهود فلسطينيون للحاق بصفوف الحلفاء وقاتلوا إلى جانبهم في معاركهم ضد العدو النازي المشـترك. وقد كانت الخبرة العسـكرية التي اكتسبها المتطوعون اليهود من فلسطين - الذين بلغ عددهم ثمانية وعشرين ألفا - سندا قويا خلال اختبار القوة الذي شهده العام 1948. على صعيد آخر، تحول اقتصاد اليشوف (الجماعة اليهودية في فلسـطين) خلال السـنوات الأولى للحرب إلى ورشـة ضخمة لخدمة الجيش البريطاني، وهنا أيضا كانت المهارات الفنية والصناعية المكتسـبة وما رافقهـا من بنيـة تحتية ذات أهمية كبرى في العام 1948. وبشـكل عام، اسـتثمر اليشـوف فترة الانقطاع في القتال بين العرب واليهود للاستعداد للمواجهة القادمة، في حين لم يقدم الفلسطينيون والدول العربية (باستثناء شرق الأردن) على القيام بأي استعدادات في هذا الاتجاه.

تضافرت مجموعـة من العوامل أقنعت الحكومة البريطانية في مسـتهل العام 1947، بأن رفع أيديها عن القضية الفلسطينية ونقلها إلى الأمم المتحدة يمثل أفضل الخيـارات المتاحة، وقد تمثلت هذه العوامل فيما يلي: الصدمة التي أحدثتها الثورة وتزايـد أعمال العنف العربية، الارتفاع في وتيرة الإرهـاب اليهودي ضد البريطانيين - الـذي قادته الحركة التصحيحية (أرغون زفاي ليمي: التنظيم الوطني العسـكري أو إرجـون) وجماعة سـترن (محاربي الحريـة لإسرائيل) - العاقـد العزم على طرد البريطانيـين والحصول على الاسـتقلال، الحملـة المعنوية والسياسـية المربكة التي قادتهـا بريطانيا أثناء وبعيد الحـرب مباشرة لمنع الهجرة غـير الشرعية لليهود إلى

فلسطين، الضغط المعنوي السياسي الذي ولدته المحرقة اليهودية، التدخل الأمريكي المتزايد لصلاح الصهيونية، فضلا عن التكلفة الاقتصادية الكبيرة لاحتلال فلسطين ومقاتلة الإرهابيين اليهود.

قامت لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين، المشكلة في أبريل 1947، بدراسة الموقف وأوصت في سبتمبر من العام نفسه بتسوية تقوم على أساس تقسيم البلاد إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية، وفي التاسع والعشرين من نوفمبر 1947 أصدرت الجمعية العامة للمنظمة الدولية قرارا - بأغلبية 33 صوتا ومعارضة 13 وامتناع 10 عن التصويت - تبنى مبدأ التقسيم الذي حصل بمقتضاه اليهود على 55 في المائة من البلاد (أغلبها من المناطق الجرداء) والعرب على 40 في المائة، وفيما يتصل بالقدس وبيت لحم، وفي ضوء أهميتهما الدينية متعددة الأبعاد، تضمن القرار وضعهما ككيان مستقل تحت إدارة دولية. وفي حين رحب اليشوف بالقرار وعبر عن سعادته بصدوره وسارع قادته المنتخبون إلى الإعلان عن موافقتهم عليه، رفضه القادة الفلسطينيون العرب، وفي مقدمتهم رئيس اللجنة العربية العليا - الحسيني - الذي تواجد آنذاك في المنفى، وأطلقوا العنان لإضراب عام استمر لمدة ثلاثة أيام رافقته موجة من الإرهاب الموجه ضد اليهود في المدن وعلى الطرق. ومن جانبها، تبنت الدول العربية موقف الحسيني رافضة التقسيم وقامت بإرسال متطوعين، تجمع أغلبهم تحت لواء جيش الإنقاذ، أما اليهود في فلسطين فقد تلقوا دعما ماليا وسياسيا وانضم إلى صفوفهم - في ذلك الحين - عدد محدود من المتطوعين من المهجر.

خلال أسابيع نمت عمليات العنف المتقطعة ككرة الثلج لتتطور إلى حرب أهلية بين مجتمعين، في وقت تبنى فيه البريطانيون موقفا محايدا، معلنين نيتهم إنهاء انتدابهم والانسحاب من البلاد بحلول الخامس عشر من مايو 1948. وفي حين سعوا، على الأقل في البداية، لتحقيق نقل منظم للسلطة فإن أعمالهم خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مايو 1948 اتجهت بشكل أساسي إلى تأمين انسحاب هادئ وبأقل الخسائر يحافظ على موقعهم وهيبتهم في العالم العربي، وعلى الرغم من ذلك فقد كان من المحتم أن يتهمهم كل من اليهود والعرب - في فترات مختلفة - بالانحياز إلى طرف على حساب الآخر.

لم يكن واضحا خلال الأسـابيع الأولى من الصراع أن المجتمعين يتجهان حقا إلى الحرب، بل بدا الأمر للأغلبية أنهما منخرطان بالكاد في موجة جديدة من الشـغب على غرار ما حدث عامي 1929 و1936. وقد التزمت الهاغاناه في ذلك الحين بموقف دفاعـي لرغبتها في عدم مضايقة البريطانيين، في الوقت الذي اسـتمرت فيه بعملية إعادة التنظيم والتسليح لمواجهة احتمال الحرب، حيث قدرت الهاغاناه أن التحدي الحقيقي لم يتمثل في الفلسطينيين لكن في جيوش الدول المحيطة. وحتى نهاية شهر ينايـر 1948 لم يكـن لأي من الطرفين الغلبة المطلقة عـلى الأوضاع. لكن، في فبراير ومـارس أوقعت الكمائن التي نصبها العرب على الطرق خسـائر ضخمة في مواكب الهاغاناه، خاصة على الطريق الذي يربط بين تل أبيب والقدس. وبدا لقادة المجتمع اليهودي (اليشوف) أن القدس اليهودية - المحاصرة، والتي ضمت مائة ألف نسمة - يمكن أن تسقط، في الوقت الذي ظهرت فيه مخاوف مماثلة حول مصير العديد من التجمعات الاسـتيطانية الريفية المحيطة بالقـدس والجليل الغربي، الأمر الذي دفع الجماعة اليهودية إلى إعادة النظر في إستراتيجيتها.

ومع بداية شـهر إبريل، انتقلت الهاغاناه إلى وضعية الهجوم، وشـنت سلسلة من الهجمات المضادة، في وقت كانت فيه عملية انسحاب الجيش البريطاني في حالة متقدمـة، مما عزز من اعتقاد بـن غوريون وكبار ضباط الهاغاناه أن البريطانيين لن يقدمـوا على التدخل. فضـلا عن ذلك، كان هناك الإطار السـياسي الذي دارت فيه الأحداث وشـجع عـلى هذا التحول: ففـي النصف الثاني من شـهر مارس اقترحت الولايـات المتحدة الأمريكية قيام الأمم المتحدة بفرض وصايتها على فلسـطين، مما أشـار إلى إمكانية التراجع عن تأييد فكرة التقسـيم. وقد خشي بن غوريون من أن تؤدي الهزائم العسـكرية المسـتمرة إلى المزيد من التقويـض للتأييد لفكرة الدولة اليهوديـة، ويضـاف إلى ذلـك أن بدء وصول الأسـلحة من تشيكوسـلوفاكيا جعل من الممكن الـشروع في العمليات الهجومية. وأخيرا كان بـن غوريون وكبار ضباط الهاغاناه منزعجين من التهديد بالغزو الذي لوحت به الدول العربية المجاورة، ومن ثـم اتفق الجميع حول ضرورة تثبيـت أركان الدولة اليهودية بحلول الخامس عشر من مايو، سـواء من خلال تأمين حدودها وطرق اتصالاتها الدولية أو عبر تحييد أو سحق أعدائها الفلسطينيين «في الداخل»، لتتفرغ القوات المسلحة للمواجهة المقبلة،

وساد الاقتناع بأنه إذا لم يتم القيام بذلك فإن أعداء الدولة ربما يحققون النصر. وفي هذا السياق شعرت الهاغاناه بأنها في سباق مع الزمن.

منيت المليشيات الفلسطينية (المدعومة من جيش الإنقاذ) بهزائم قاسية بدءا بعملية نهشون في منطقة القدس ومعركة مشمار هعيمك خلال النصف الأول من أبريل. وتدريجيا تمكنت قوات الهاغاناه من الاستيلاء على الأجزاء العربية من طبريا وحيفا وصفد ومدن بيسان وعكا فضلا عن منطقتي الجليل الشرقية والغربية، وساعد على ذلك افتقار العرب إلى التنظيم وضعف التعاون الإقليمي، فاستطاعت الهاغاناه بمفردها الاستيلاء، بشكل مذهل، على المدن والأقاليم الواحد تلو الآخر. أما الفلسطينيون فإنهم لم يعودوا إلى الظهور على الساحة كلاعب سياسي وعسكري إلا منتصف الستينيات.

المجتمع اليهودي الفلسطيني

تمثلت مفاتيح نصر اليشوف في امتلاكه نظام تعبئة أكثر كفاءة، واقتصادا أقوى، وتسليحا أكثر تفوقا، وتنظيما إداريا وعسكريا أفضل.

كما تميز بالتفوق النوعي لعناصره البشرية (مستوى تعليم وخبرة عسكرية أفضل)، ففي اليشوف - الذي بلغ عدد سكانه العام 1948 نحو 650 ألف فرد - هيمنت أحزاب ليبرالية واشتراكية على المسرح السياسي منذ بداية الانتداب البريطاني. كان المجتمع منظما ومعبأ إيديولوجيا، ورغم الاختلافات السياسية والاجتماعية المتعددة، كان الجميع مدفوعا بالرغبة في إقامة دولة يهودية بشكل فوري، وهو الدافع الذي تزايدت قوته خلال الثلاثينيات والأربعينيات مع بداية ظهور عمليات القمع ضد السامية في أوروبا الشرقية والوسطى والمحرقة التي تلتها، مما جعل إقامة ملاذ آمن، في شكل كيان سياسي يهودي مستقل، أمرا عاجلا ليهود العالم المهددين غير المرغوب فيهم.

تمكن قادة اليشوف وأحزابه السياسية على مر السنين، من امتلاك الأدوات المؤسسية التي تمكنهم من إقامة الدولة والحفاظ عليها. ظهرت «المؤسسات الوطنية» منذ البداية بهدف تحويلها إلى مؤسسات دولة [4]، وبحلول شهر مايو عام 1948 كانت هناك حكومة جاهزة لتولي مقاليد السلطة لديها أغلب مؤسسات الدولة الجاهزة (وفي بعض المجالات، من قبيل الزراعة والاستيطان، كانت المؤسسات

المتاحــة تفوق الحاجــة) لتولي مســؤولياتها. فالوكالة اليهوديــة، بإداراتها المختلفة (السياســة والماليــة وتلــك المتولية عملية الاســتيطان والهجرة) شــكلت الحكومة المؤقتــة، وتحولت إداراتهــا تدريجيا إلى وزارت، في حين أصبحــت اللجنة التنفيذية للوكالة (التي سميت فيما بعد إدارة الشعبْ) مجلس الوزراء، وتحولت الهاغاناه إلى قوات الدفاع الإسرائيلية. وحقيقة الأمر أنه بحلول العام 1948 كان اليشــوف - من العديد من الجوانب - بمنزلة دولة داخل الدولة: فالمجلس الوطني والوكالة اليهودية والمحليات ومجالســها والهســتدروت (اتحاد نقابات العمال) قامت، بالتنسيق مع إدارات حكومة الانتداب، بتزويد اليشــوف بالخدمات الضرورية (الصحة، التعليم، الرعاية الاجتماعية، التنمية الصناعية).

أقدم اليشــوف على فــرض الضرائب الذاتيــة، ووجهت الأمــوال المحصلة لتمويــل الخدمات والأهداف المختلفة، فقامت الهســتدروت بفرض الضرائب على أعضائه من أجل تزويدهم بالخدمات الصحية وتمويل التعويضات الخاصة بالبطالة، ومن جانبه قــام الصندوق الوطني اليهودي بجباية ضرائب من أجل التشــجير وتوفير البنية التحتية للاســتيطان، كما فرضــت ضرائب خاصة لشراء الســلاح وتغطية نفقات اســتيعاب المهاجرين، وفضلا عن ذلك، تلقى اليشوف مســاعدات مالية مســتمرة من المهجر وأخرى في أوقات الطوارئ خاصة خلال الفترة 1947 - 1949.

بحلــول عــام 1948 أضحى في حــوزة مجتمع اليشــوف الأدوات التي تمكنه من الانتقــال إلى وضعية الدولة خلال أيام أو أســابيع، ويضاف إلى ذلك أن ســنوات من التمــرس العمــلي على الحكــم الــذاتي والتجهيز للدولــة، بالرغم مــن احتوائها على الصراعات المعتادة على السلطة بين الأحزاب أو داخلها، قد دفعت إلى المقدمة بقيادة ذات مواهــب خاصــة وملتزمة وعلى اســتعداد للتضحية بنفســها، وتمتلك الخبرة في مجالات السياسة والاقتصاد والدفاع. وقد تزعم هذه القيادة منذ الثلاثينيات فصاعدا ديفيــد بن غوريــون - وحزبه ماباي (حــزب العمال في أرض إسرائيــل) - الذي أدار الــصراع من أجل إقامة الدولة، وإلى جانب ذلك كان هناك الجناح اليميني المتمثل في «التصحيحيين» (الذين ســعوا إلى إقامة سيادة يهودية على كل أراضي فلسطين وشرق الأردن)، فضلا عن الأحزاب الدينية المختلفة التي لم تحصل على الإطلاق إلا على أقلية

مــن الأصوات المؤيدة لهــا. وكان بن غوريون كبراغماتي مســتعدا، على الأقل ظاهريا بــدءا من عام 1937، لقبول التقســيم وإقامة دولة يهودية فقط على جزء من أراضي فلســطين، وإن ظل مؤيدا، من الناحية الواقعية، للرؤية المطالبة بالســيادة اليهودية على جميــع أرجاء البلاد باعتبار ذلك الهدف النهــائي للصهيونية الذي يمكن الوصول إليــه على مراحل. ومع ذلك، فإنه كان عليه خلال الفترة من 1947 - 1948 أن يروض نفسه على فكرة السيادة اليهودية فقط على جزء من فلسطين.

انعكســت النوعيــة المتميــزة للقيــادة الوطنية بصــدق على مســتوى الإدارة والحكومات المحلية، في الكيبوتزات (المستوطنات الجماعية) والموشافيم (المستوطنات التعاونية)، وكذلك الهاغاناه. فالمســتوطنات الريفيــة، وأغلبها من الكيبوتزات، كان يســكنها أكثر عناصر الشــعب تقدما من حيث الوعي والالتزام الســياسي، وقدمت الجانب الأكبر من القيادات السياســية والعســكرية للجماعة اليهودية (اليشوف). وفي ضوء تميزها بالروح الريادية وقيامها برسم الحدود الجغرافية الخارجية للجماعة اليهوديــة في البلاد، وســابق تعرضها لهجمات من قبل العرب عــبر العقود، تم بناء الكيبوتزات بطريقة تســمح بالدفاع عنها، حيث تأسســت على مســاحات واسعة مجهــزة بنقاط دفاعية وغرف محصنة تحت الأرض وملاجئ، كما أن ســكانها كانوا مهيئين من الناحية النفسية لمواجهة الهجمات. وخلال عملية الغزو العربي لإسرائيل الذي أعقب الانســحاب البريطاني ســقطت فقط حفنة من الكيبوتزات أمام هجوم الجيوش العربية في حين لم يتم التخلي عن أي منها من قبل قاطنيها. وكما كان الحال بالنســبة إلى أغلب الكيبوتزات، نظر اليشــوف بأكمله لنفســه على أنه ليس أمامه خيار، حيث تعلق الأمر إما بإقامة دولة أو الإخفاق التام، وقد حمل الاحتمال الأخير في طياتــه - في ضوء عمق العداوة العربية للصهيونية- إمكانية استنســاخ المحرقة، وإن كان على نطاق أصغر.

الاستعدادات العسكرية

في أعقاب عمليات الشغب والمذابح التي شهدتها أعوام 1920 - 1921 و1922، والثورة في 1936 - 1939، أقدم اليشــوف على تشكيل ميلشيا وطنية سرية ومنظمة عــلى درجة عالية عرفت باســم الهاغاناه، وقد قاد بن غوريــون، بعد توليه القيادة

السياسية للمنظمة العام 1946، حملة سرية لمواجهة الهجمات من كل من الفلسطينيين العرب والدول العربية المحيطة، كما تمكنت الجماعة اليهودية من الحصول على كميات هائلة من السلاح، وبحلول سبتمبر 1947 كان بحوزة الهاغاناه 10,489 بندقية، 702 رشاش خفيف، 2666 رشاشا آليا، 186 رشاشا متوسطا، 672 مدفع هاون 2 بوصة، 92 مدفع هاون 3 بوصات (ولم يكن في حوزة الهاغاناه طائرات أو دبابات أو مدفعية ثقيلة في بداية حرب 1848). كما تم شراء المزيد من الأسلحة أو سرقتها من القوات البريطانية المنسحبة خلال الأشهر الأولى من القتال. وفضلا عن ذلك، توافرت لدى الجماعة اليهودية القدرة العالية على إنتاج الأسلحة، ففي الفترة ما بين أكتوبر 1947 ويوليو 1948 قامت مصانع السلاح التابعة للهاغاناه بإنتاج ثلاثة ملايين طلقة 9 ملليمتر، و150000 قنبلة يدوية، و16000 سلاح رشاش، و210 مدافع هاون 3 بوصات[5].

منذ شهر نوفمبر 1947 بدأت الهاغاناه - التي ضمنت آنذاك 35 ألف عنصر من بينهم نسبة من النساء - في التحول من مليشيا إلى جيش نظامي. وعلى الرغم من أنه باستثناء حفنة من «الفرق القتالية» (بالماخ، التي تم تشكيلها بمساعدة البريطانيين عام 1941 وتراوح عددها بين 2000 و3000 عنصر)، لم يكن هناك حتى ديسمبر 1947 إلا القليل من الوحدات المدربة تدريبا جيدا، وخلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مايو 1948 تم الانتهاء من تعبئة جميع العناصر وارتدائها الزي العسكري بشكل دائم، وكان يتم تدريب منتسبي الهاغاناه ثلاثة إلى أربعة أيام شهريا وما عدا ذلك كانوا يمارسون دورهم كمدنيين، كما كان لدى المنظمة عدد كبير من المدربين ذوي الخبرة كانوا يعملون سابقا في الجيش البريطاني، فضلا عن عدد كبير من الضباط المخلصين الذين سبق تدريبهم. بحلول مارس - أبريل 1948 بدأ الزج إلى الميدان بكتائب ولواءات وإن لم تكن مسلحة تسليحا جيدا بعد، وبعد مرور شهرين (يونيو 1948) تحولت المنظمة إلى قوات الدفاع الإسرائيلية التي كانت بمنزلة جيش يضم ما يتراوح بين 11 و 12 لواء مسلحة بالمدفعية وقوات مدرعة، فضلا عن قوة بحرية وجوية في مرحلة التطوير[6]. وبحلول شهر مايو 1948 قامت الهاغاناه بتعبئة ونشر قوات بلغ قوامها 35780 جنديا (وهو ما يزيد بخمسة إلى عشرة آلاف عنصر عن مجموع قوات الجيوش العربية النظامية التي غزت فلسطين في الخامس والسادس

عشر من الشـــهر نفســه، على الرغم من أن الغزاة كانوا أفضل تسليحا ومن المفترض نظريـــا على الأقل أن يكونوا أفضل تدريبا[7]. وبحلول يوليو 1948 كان لقوات الدفاع الإسرائيلية التي حلت محل الهاغاناه 63000 عنصر تحت السلاح[8].

بالإضافــة إلى العامل الخاص بالأعداد، التي كانت تشـير إلى أنــه بحلول يوليو 1948 كان شــخصا مــن بــين كل عشرة أشــخاص (بمعدل واحــد إلى كل من 2 - 3 ذكــر بالغ) خاضعا للتعبئــة، كان هناك عامل آخر ربما أكــثر أهمية تمثل في الصفة التنظيميــة للهاغاناه بدءا بقيادتها ذات المواهب المتميزة، ورئاســة أركانها المركزية بفروعها الميدانية والاستخباراتية واللوجســتية، مرورا بتشكيلات الألوية والكتائب. فخــلال إبريل - مايو كانت الهاغاناه قادرة على شــن هجمات على مســتوى لواء، وبحلول شــهر يوليو تمكنت من استخدام أكثر من لواء في عملياتها، وتحول الأمر في أكتوبر إلى مســتوى أكبر وعلى جبهات متعددة. وبمنتصف شهر مايو 1949، تمكنت من إيقاع الهزيمة بالمليشيات الفلسطينية ومسانديها الأجانب، وفي الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر ألحقت الهزيمة بالجيوش العربية.

المجتمع العربي الفلسطيني

رجعت هزيمة الفلسطينيين العرب بشكل كبير إلى نقائص مجتمعهم وانقساماته، فقــد كان المجتمع الفلســطيني فقيرا يعتمد على الزراعة وتســوده الأمية بشــكل كبــير[9]، وفي حالة بدائية مــن النواحي الاجتماعية والسياســية، وغير منظم ويعج بالانقســامات العميقة، واتســمت التصدعات داخله (بين المدينة والقرية، وعائلتي الحسيني والنشاشيبي، والمسلمين والمسيحيين، والبدو والمجتمعات المستقرة) بعمق جذورها التاريخية.

أدت التطورات الاقتصادية والإصلاحات التي أدخلتها الدولة العثمانية منتصف القــرن التاســع عشر إلى بــدء مرحلة من التحضر وانتقال الســكان مــن القرى إلى المــدن، وبدأت المدن الفلســطينية بنهاية القرن التاســع عــشر والعقود الأولى من القــرن العشريــن - التي ظلت لعقود مــن الزمان أكبر بقليل مــن القرى الكبيرة - في النمــو، حيث غادر الفلاحون الفقــراء ومنعدمو الملكية الزراعية قراهم[10] جزئيا نتيجــة لعوامل الجذب والمزايا الاقتصادية التي جلبتها الروابط التجارية التي بدأت

آنذاك مع أوروبا عبر ميناءي يافا وحيفا، كذلك كانت الضرائب الباهظة التي فرضها العثمانيون آنذاك دافعا قويا لمثل هذه الهجرة، بالإضافة إلى إقبال طبقة «الأفندية» (التي ضمت الكثيرين ممن جاءوا من خارج فلسطين) والصهاينة على شراء الأراضي الزراعية. وبشكل عام فإن هذه العملية ربما تكون قد ساعدت على إرخاء قبضة الفلسطينيين على الأرض وارتباطهم بها قبيل نزوحهم الجماعي عام 1948[11].

في المقابل، قد يكون من المفيد التذكير بعملية أخرى جرت بالتوازي خلال القرن التاسع عشر، ونقصد بذلك هجرة عشرات الآلاف إلى فلسطين من المغرب العربي (شمال أفريقيا) والفلاحين المصريين والبوسنيين والأكراد والقوقازيين فضلا عن القبائل البدوية سواء من تلقاء أنفسهم أو تنفيذا لمخططات عثمانية. وقد قام العديد من هؤلاء المهاجرين بإنشاء قرى جديدة خاصة في المناطق المنخفضة قليلة السكان في الجليل والسهل الساحلي، وعبرت أسماء تلك القرى تركيبة موجات الهجرة، وعلى سبيل المثال كان هناك عدد من القرى تحت مسمى كفر مصر، وقريتان باسم كراد (في إشارة إلى الأصل الكردي لقاطنيها)(*). ولاحقا أدت حالة الرخاء النسبي والنظام التي سادت فلسطين تحت الانتداب إلى جذب آلاف المهاجرين العرب الجدد من الدول المجاورة، وبصفة خاصة إلى المدن الكبرى[12]، ونتيجة لكل من التأثير البريطاني من جانب، ووجود مجتمع يهودي مزدهر في الجوار من جانب آخر، اكتسبت عملية انتقال مراكز الثقل من القرى إلى المدن قوة كبيرة خلال القرن العشرين[13].

على الرغم من وجود مكون حضري نام ومتسع الرقعة، ظلت فلسطين العربية عام 1947 وبشكل أساسي مجتمعا قرويا، امتلك فيه عدد محدود من الملاك ما يقارب نصف الأرض العربية، وامتلك الباقي، الذي عمل فيه المزارعون المستأجرون، كبار الملاك الذين عاشوا في المدن، والعديد منهم في لبنان ومصر وسورية. وكان ما يقارب 50 في المائة من مساحة الأراضي الفلسطينية- وأغلبها في النقب، أرضا مملوكة للدولة في حين امتلكت المنظمات الصهيونية واليهود بشكل فردى نسبة تتراوح بين 6 و7 في المائة منها.

في نهاية العام 1947، كان هناك مليون وربع المليون عربي (1.1 مليون مسلم و150.000 مسيحي) عاش ما بين 65 و70 في المائة منهم فيما يقرب من 800 إلى

(*) القريتان هما كراد البقارة التي تقع على بعد 11 كيلومترا شمال شرق مدينة صفد وكراد الغنامة المجاورة لها. [المحررة].

850 قريــة، في حين قطــن الثلاثون بالمائة الباقون المــدن، وتركز حوالي 70000 من البدو أساســا في النقب الشمالي، وتضاءل عددهم بشكل مطرد نتيجة استقرارهم في القرى والمدن، وفي حين شــكل الفلاحون بالقرى الأغلبية العظمى من القوة العاملة، فإن جزءا رئيسيا من سكان المدن أيضا كان يعمل في الزراعة[14].

عــلى حين ظلت الأغلبية الريفيــة واقتصادها القائم عــلى الزراعة بدائية وغير فعالة بشــكل كبــير، كانت هناك بدايــات للتجديد والتحديث خاصــة في المناطق الساحلية، وذلك تحت تأثير النموذج اليهودي المجاور فضلا عن تشجيع البريطانيين والأوروبيــين. ففي العام 1922، كان هنــاك 22000 دونم من الأراضي العربية ينتج محاصيــل حمضية (الليمون، البرتقال... إلخ)، وقد تزايدت تلك المســاحة لتصل إلى 140000 دونم العام 1940 كانت محاصيلها موجهه بشــكل أساسي للتصدير. كذلك تزايدت مساحة الأراضي المخصصة لزراعة التفاح والزيتون من 332000 دونم العام 1931 إلى 832000 العام 1942، وإجمالا ظلت الزراعة في فلســطين العربية متلائمة مع الاستهلاك المحلى، ولم يكن في متناول الفلاحين العام 1947 غالبا آلات ميكانيكية زراعية، وإنما اســتخدموا وســائل بدائية لحرث الأرض، ودورة زراعية بســيطة من دون وســائل ري أو أســمدة. من جانبهم عــبر القادة السياســيون اليهود ومشرفو المســتوطنات، بدرجــات متفاوتة من الصدق، خلال الثلاثينيــات والأربعينيات عن رغبتهم في المســاعدة في إصلاح القطاع الزراعي العربي لزيادة إنتاجيته، مما يساعد بدوره على تحقيق الازدهار للشــعبين العربي واليهودي وتعايشــهما بسلام في أرض ضيقة نسبيا.

تركزت الحركة الوطنية الفلســطينية بشــكل رئيسي في صفوف النخبة والطبقات الوسطى في المدن، وخلال عقود الحكم البريطاني، الذي تزايدت فيها مستويات التعليم وانخفضت معدلات الأمية، بدأت الفكرة الوطنية تمتد إلى المناطق الريفية وجماهيرها. حقيقــة إن كل جولة من أحداث الشــغب المناهضة للصهيونية (وكذلك للبريطانيين) خــلال فترة الانتــداب (1920، 1921، 1929، 1936 - 1939) كانت أكثر اتســاعا من سابقتها عكست بوضوح نمو وانتشار الوعي السياسي بين الجماهير خلال هذه الفترة. فبســبب تحســن مســتويات التعليم في فترة الانتداب البريطاني، وتســييس النخب الحضرية والطبقة الوســطى المتناميــة، وخطر المشروع الصهيــوني، أصبح القرويون

مسيسين على نحو متزايد. وعلى عكس شهادة هنري قطان(*) أمام لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية عام 1946، التي ذهبت إلى أنه لم يحدث أي تغيير في هذا الشأن خلال الفترة من 1920 إلى 1946، كانت هناك درجة من التغيير في مستوى الوعي السياسي. ومع ذلك احتفظ القروي - بشكل عام - بولائه الرئيسي للعائلة، العشيرة والقرية، التي كانت في قلب اهتماماته، فقد استند المجتمع القروي إلى القرية أكثر منه على الحي أو الدولة. وكانت خبرة أعوام 1936 - 1939 التي تم خلالها اجتياح قرى بكاملها من قبل الثورة وتدميرها كافية للقضاء على أي نشاط سياسي[15]. وحتى الأربعينيات من القرن الماضي، كانت القضايا السياسية والنضال الوطني أمورا بعيدة عن دائرة اهتمام القرويين الذين نظروا إليها باعتبارها عمليات معقدة خاصة فئة قاطني المدن، وقد ذهب أحد مؤرخي قرية معليا في الجليل إلى القول إن «عالم السكان كان ينحصر في القرية (الأرض والناس) وكانت القضايا ذات الطابع الوطني أو الإقليمي موضع اهتمام شخص أو شخصين فقط في القرية بأكملها»[16].

ضمت أغلب القرى عشيرتين أو ثلاثا يترأسهم الأعيان الذين يمتلكون الثروة، وكان رئيس القرية (المختار) عادة رئيس العشيرة الرئيسة فيها. كانت ملكية الأرض هي المعيار الرئيس الذي يحدد قوة العشيرة. وفي العديد من القرى كانت الأرض مملوكة بشكل جماعي، وكانت العديد من العشائر منتشرة ولها نفوذ واسع جغرافيا من خلال مجموعات من عناصرها مبعثره في عدة قرى متجاورة. وكنتيجة للظروف الإقطاعية أو الاقتصادية كونت العديد من القرى، عبر العقود، قرى صغيرة تابعة لها (خراب) على بعد عدة كيلومترات منها، فالكثير من قرى التلال كانت لها توابع في السهول، وفي بعض المناطق كانت هناك كتل أو تحالفات من القرى استنادا إلى واقع العشائر التي تقطن أكثر من قرية أو التحالفات القائمة على أساس التزاوج بين العشائر أو غير ذلك من الأسباب (على سبيل المثال التحالف بين قرى الزعبية في الجليل الأدنى وبني حسن بالقرب من القدس)[17].

كانت القرى تميل إلى أن تكون منغلقة على نفسها سياسيا واجتماعيا، فضلا عن اكتفائها ذاتيا اقتصاديا بدرجة كبيرة. كان من النادر أن يقوم القروي بزيارة المدن الكبرى من قبيل حيفا ويافا والقدس أو المدينة القريبة (اللد، الرملة، عكا، الناصرة،

(*) هنري قطان (1906 - 1992)، فقيه قانوني من مواليد مدينة القدس، له العديد من المؤلفات القانونية في القضايا المتعلقة بالشأن الفلسطيني. [المحررة].

صفد، بيســان)، أو يطلع على الصحف، فقد كان من يجيدون القراءة والكتابة بينهم قليلــين، وفي أغلــب الأحيان كان هناك جهاز راديو واحد عــادة في منزل المختار أو في مقهى القريــة حيث اعتاد الرجال الاجتماع بعيد الظهيرة وفي المســاء للعب الطاولة وتجاذب أطراف الحديث. وبصفة عامة اتســم القرويون بالجهل في مجال السياســة، فواقع الإدارة البريطانية منذ عام 1917 حتى 1948، والغياب شبه الكامل للمؤسسات الوطنية السياسية والإدارية الفلسطينية، كانا يعنيان أن المجتمع القروي الفلسطيني- باســتثناء التنظيــم الخاص بالقرية - بعيــدا إلى حد كبير عن المســائل ذات الطبيعة الوطنية وغير ممثل فيها. وقد مثل الوضع في مناطق يهودا والسامرة (الضفة الغربية) استثناء من ذلك، حيث شارك قادتها في المؤتمرات الفلسطينية التي عقدت في السنوات الأولى للانتداب[18]، وانخرط العديد من شبابها في صفوف التمرد (1936 – 1939)، أما القرى في الســهل الســاحلي وكل من مرج ابن عامر ووادي الأردن فلم تكن ممثلة في تلك المؤتمرات، كما أن مشاركتها كانت محدودة في التمرد.

بصفة عامــة، كانت تمثل مصالح المناطق الريفية مــن خلال عائلات النخبة في المــدن، التي جاء البعض منهم من أصول تنتمي إلى تلك المناطق وامتلك الكثير من الأراضي المنزرعة فيها. ومارس كبار ملاك الأراضي درجة عالية من النفوذ والســلطة على كل من الفلاحين وقاطني المدن على حد سواء.

عاش ثلث عرب فلســطين تقريبا في المدن، حيث وجدت ســبع عشرة مدينة عربية: بئر سبع، خان يونس، غزة، مجدل (عسقلان)، الرملة، اللد، الخليل، بيت لحم، بيت جالا، رام الله، طولكرم، نابلس (شيكم)، جنين، شفا عمرو (شفارام)، عكا، بيسان (بيت شيان)، والناصرة. وبعض تلك المدن (مثل: طولكرم وجنين، وبيســان، ومجدل وشفا عمرو) كان بمنزلة قرى نمت بشــكل كبير وأضحت مراكز تجاريــة ومحطات خدمة للمناطق النائية المحيطة بها. وفضلا عن ذلك كان هناك خمس مدن ضمت خليطا من الســكان العرب واليهود وهي: القدس، وحيفا، وطبريا (بأغلبية يهودية)، وصفد ويافا (بأغلبية عربية).

خلال الســنوات الأولى للانتداب لم يكن الســكان العرب يمتلكون أي ســيارات بمحرك، وبحلول عام 1945 كان هناك أكثر من ثلاثة آلاف سيارة، وما يلزم لذلك من بنية تحتية ســواء تعلق الأمر بالورش أو مراكز إنتــاج قطع الغيار. وقد كان للنمو الكبــير في مجال النقل أثر كبير عــلى الزراعة والصناعة والتجــارة، كما أن الروابط

التجاريـــة مع أوروبا كانت تتم خلال غرف تجارة وتطورت شـبكة بنكية فعالة في المــدن مع نهاية الحرب العالمية الثانية، التي كانت حاســمة في هذا القطاع حيث زاد الرصيــد الدائن في أكبر البنوك العربيــة «البنك العربي» في الفترة من 1941 إلى 1945 نحــو 18 مرة، وحجم الودائع بعشرين مرة، كـما بدأت الصناعة بدورها في التطور والنمو [19].

بلغت نسـبة قاطني المدن من العــرب العاملين في قطــاع الصناعات الخفيفة والحــرف والبنــاء 30 - 35 في المائة، في حين عمل حــوالي 15 إلى 17 في المائة بالنقل ومن 20 إلى 23 في المائة بالتجارة، ومن 5 إلى 8 في المائة في المهن المختلفة. ونســبة 5 - 7 في المائــة في الخدمات العامة ومــن 6 - 9 في المائة بالخدمات المختلفة، ومع نهاية الأربعينيات كان المجتمع العربي الفلسطيني يمر بمخاض العمرانية المتسارعة، فقــد بدأ الحكم البريطــاني، خاصة بداية الحــرب العالمية الثانية، في إرســاء درجة محدودة من التصنيع. رصدت أجهزة استخبارات اليشوف بدايات تحول في المجتمع الفلســطيني من اقتصاد قائم عــلى «ورش العمل البدائيــة التقليدية» إلى اقتصاد في طريق التحديث، حيث تم إنشــاء مصانع للشــيكولاته والحلوى، وثلاث مصانع للزجــاج، وأقيم مصنع حديث للســجائر في حيفا [20]، ومع حلــول نهاية الانتداب كان هناك في فلســطين العربية ما يقارب 1500 ورشــة صناعية ومصنع صغير عمل بها 9000 عامل بمتوســط خمســة إلى ستة عمال في كل ورشة (في المقابل كان هناك 1900 ورشــة عمل ومصنعا صغيرا في فلســطين اليهودية بقوة عاملة بلغت 38000 أي بمتوسط 19 - 21 عاملا في كل ورشة). وقد اشتغل بعض العرب في مصانع يملكها يهود، وآخرون في خدمات ومصانع يديرها بريطانيون. وبلغ مجموع الأيدي العاملة العربية 35000، تم توظيف خمســة آلاف من بينهم من قبل شركات بترول وثمانية آلاف في خدمات الســكك الحديدية الحكومية. وخلال الحرب، تم توظيف عشرات الآلاف من قبل الحكومة في الأعمال العامة، في حين عمل ثلاثون ألفا في معســكرات الجيش البريطاني (ومع ذلك تم الاستغناء عن أغلبهم مباشرة بعد انتهاء الحرب) [21].

قاد المجتمع الفلســطيني العربي عدة عائلات عاشت في المدن: نسيبة، الخطيب، الخالدى، النشاشـيبى والحســيني (القدس)، وعمرو، التميمي، والجعبري (الخليل)، السعيد، البيطار، والدجاني (يافا)، والشوا، الحسيني (غزة)، والتاجي الفاروقي، غصين

(الرملـة)، وطوقان، عبدالهادي، النابلسي، الشـكعة، والتميمي (نابلس)، عبدالهادي وأبو شـيش (جنين)، الخليل، شـكري، طه، خياط، ومهدي (حيفا)، الشقيرى وخليفة (عكا)، الفاهوم، الظاهر والزعبي (النـاصرة)، الطبري (طبريا)، الكرداس (صفد) [22]. وخــرج من بين صفوف هــذه العائلات (التي عرفت مجتمعـة بالأعيان) كبار ملاك الأرض الزراعية، والسياسيين، والقضاة، والتجار، والعمد، وكبار الموظفين المدنيين، كبار رجال الدين، الأطباء، المحامون والمثقفون. وغالبا ما توافرت جميع هذه التخصصات في كل عائلة، حيث كان هناك القاضي والعمدة والتاجر وغيرهم، ويلاحظ أن نفوذهم وقوتهم وصلاتهم كان لها الطابع المحلي وليس الوطني. وكان التزامهم وولاؤهم تجاه عائلاتهـم والخاضعين لولايتهم والحي والمدينة على التـوالي، وقد تعلق الأمر بهيكل إقليمي أوليغاركي مارسـت فيه النخبة نفوذها وسـلطتها على سكان الريف والحضر من خلال وسائل اقتصادية ودينية مباشرة أو غير مباشرة، وأبقت النخبة على مسافة بينهـا وبين الفلاحين والعمال، وسـادت العلاقات الاجتماعيـة والاقتصادية حالة من الامتعاض والشك المتبادل.

خـلال فـترة الانتداب ظهـرت طبقة متوسـطة صغيرة ضمت أصحـاب المهن والموظفـين ومالكي الحوانيت الذين جاء جزء منهم من الطبقات العاملة سـواء في الريـف أو الحـضر، وعلى حين طمحت هـذه الطبقة إلى اللحـاق اجتماعيا بركب النخب، والسعي للتزاوج معهم، ظلت الطبقة الوسطى صغيرة جدا، واستمر الهيكل النخبـوي على قوته بما لا يسـمح بإدخال البورجوازية إليه بشـكل قد يمثل تحديا للسلطة السياسية والاقتصادية «للأعيان».

في نهايـة الأربعينيـات، كان 28 عضوا من إجـمالي 32 في اللجنة العربية العليا مـن «الأعيان»، وأربعة فقط من البرجوازيـة، ولم يكن هناك أحد من فئة الفلاحين أو العـمال. جاء 24 من المدن وفقط أربعة أو خمسـة أعضـاء من الضواحي. وقد كانت الهوة الواسعة من الشك والإقصاء بين المناطق الحضرية والريفية في فلسطين العربية سـببا رئيسـيا وراء الافتقار إلى التنسـيق بين المدن وعمقهـا الريفي خلال العمليات القتالية. فعائلات النخبة لم يكن لديها تقليد أو نزعة للخدمة الوطنية ولم يؤد أفرادها الخدمة العسـكرية مع الأتراك أو البريطانيين أو حتى في جيوش الدول المجاورة. ولم يكن أحد من القادة العسـكريين لتمرد 1936 - 1939 من «الأعيان»،

حيث تعلق الأمر بتمرد قروي، اقتصر فيه دور سـكان المدن لفترة قصيرة وبشـكل كبير على الاحتجاج المدني (مظاهرات، أعمال شعب، إضراب عام)، وفي مرحلة لاحقة انخرطوا في أعمال عنف بين الطوائف المختلفة [23].

انقسم «الأعيان» منذ بداية العشرينيات إلى معسكرين رئيسيين: «المجلسيون» و«المعارضـون»، وضم المعسـكر الأول أولئك الذيـن كانوا يؤيدون «الحسـيني»، والمجلس الأعلى الإسـلامي (المجلس) الذي سيطر عليه «الحسيني»، وكذلك اللجنة التنفيذيـة العربية العليا (التي سـبقت اللجنة العربية العليا)، أما المعسـكر الثاني فضم المعارضين لهم بقيادة النشاشـيبي. لم تنقسم المدن والضواحي حول توجهات أيديولوجيـة، ولكن وفقا لولاءات عائلية وانتـماءات محلية، ودار الصراع بين عائلة الحسـيني ومعارضيها بالأساس حول السلطة ومكاسـبها الاقتصادية، في حين كانت الخلافات السياسـية والأيديولوجية أمرا ثانويا، على الرغم من أن عائلة النشاشيبي وحلفاءهم في القرى بمناطق الخليل ونابلس والناصرة كانوا يميلون إلى تبني مواقف أكـثر اعتدالا تجـاه الصهيونية والانتداب، حيث كان أعيـان العائلة يلتقون - عادة بشـكل سري - مـع الممثلين اليهود، ويتحدثـون في اللقاءات الخاصـة معهم بنبرة توافقية. وقد كان التنافس بين المعسـكرين هو السمة الرئيسية للسياسات العربية حتى العام 1948، مما أدى إلى تشـتيت القوة الفلسـطينية في مرحلة حاسمة بما في ذلك الفترة من العام 1937 حتى العام 1939، عندما أقدمت عائلة الحسـيني على اغتيال بعض مناوئيها، كذلك خلال الفترة من العام 1947 حتى العام 1948[24].

أقدمت نخب العائلات خلال الثلاثينيات على تأسـيس أحزاب سياسية رسمية. ففي العام 1935، أسسـت عائلة الحسيني الحزب العربي الفلسطيني، الذي أضحى المنظمة السياسـية العربية الرئيسـية. وقبيل ذلك، في العام 1934، أسسـت عائلة النشاشيبي حزب الدفاع الوطني، وفي العام 1932 أسس عوني عبدالهادي من السامرة حزب الاسـتقلال الذي تبنى أيديولوجية وحدوية عربية، كما أسس حسين الخالدي عمـدة القدس، العام 1935 حزب الإصلاح. كذلك شـهدت بدايات الثلاثينيات قيام يعقوب الغصين بتأسـيس حزب مؤتمر الشـباب، وحزب الكتلة الوطنية الذي اتخذ مركـزا له في مدينة نابلس، وكان من شـأن تعدد الأحـزاب على هذا النحو إضعاف قوة المعارضة. ويلاحظ أن الأحزاب قد وجدت فقط على الأوراق من دون أن تكون

لهـا قوة حقيقية على أرض الواقع، فجميعها عارضت الصهيونية وبدرجات متفاوتة الانتـداب البريطاني، وهدفت إلى إقامة دولة عربية على كل أراضي فلسـطين، (على الرغم من أن حزب الاستقلال لم يتبن فكرة دولة فلسطينية منفصلة). ولم تكن هناك انتخابـات داخل الأحزاب التي افتقرت كذلك إلى مؤسسـات على الطراز الغربي، أو اشتراكات يسددها الأعضاء، وإنما قامت على الانتماءات والولاءات العائلية والمحلية. فالعائلات، والعشائر، والقرى كانوا هم أعضاء الأحزاب وليس الأفراد، بما يعنيه ذلك من روابط شـبه إقطاعية وتبعية وولاء كمحددات للارتباط، ولقد تمكن القليل من «الأعيان» من البقاء على الحياد في الصراع بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي[25].

أجمعـت كل الأحزاب العام 1936، والممثلة للفصيلـين المتصارعين، على قضية واحدة تمثلت في مسـاندة وقيادة الثورة. وفي هذا السـياق تمـت تنحية الخلافات جانبا، وشـكل ممثلون عـن كل من الأحزاب السـتة، في الخامـس والعشرين من أبريل العام 1936، اللجنة العربية العليا لتنسـيق الكفاح على المستوى القومي. أما على الصعيد المحلي، فقد تم تأسـيس لجان وطنية في كل مدينة تولت مهمة إدارة الإضراب وغيره من الأنشطة السياسـية الأخرى، وعندما بدأ الإضراب يفسح المجال لموجة عنف واسـعة النطاق، عادت العداوات العائلية لتطفو على السـطح نتيجة ظهور عائلة النشاشيبي وحلفائها كقوة معارضة، حيث قامت بتمثيل وتأييد العرب الذين رأوا أنه لا جدوى من تلك الثورة، وكان من شـأن رد عائلة الحسـيني (الذي شمل الترهيب والاغتيال) أن يصفي الجانب الأعظم من المعارضة. ومن جانب آخر أدت عمليات الإرهاب والابتزاز والسـلب والنهب وقطع الطرق من قبل العصابات المسـلحة وحملات البحث عن المتمردين التي قام بهـا الجيش البريطاني، إلى تنفير القرويـين وقاطني المدن. ومع نهاية العام 1938 وبداية العام 1939 سـاد شـعور بالسـأم من القتال، فانقلبت القرى ضد المتمردين، وتم تشكيل «جماعات السلام» للتصدي للمتمردين بدعم من المعارضة والاستخبارات البريطانية.

وباسـتثناء المكاسب السياسية التي تمخض عنها التمرد وتضمنها الكتاب الأبيض الصادر العام 1939[*]، تمثلت النتيجة الرئيسـية له في التسبب في مقتل عدة آلاف مـن العرب، وفرار عشرات الآلاف من البلاد، في حين انسـحب الكثيرون من النخبة

(*) يعرف كذلك بكتاب مكدونالد الأبيض، نسبة إلى وزير المستعمرات البريطاني مالكوم مكدونالد [المحررة].

والطبقة الوسـطى من المعترك السـياسي لشعورهم بالاشـمئزاز. وأضحت إمكانية حدوث مصالحة بين عائلتي الحسيني والنشاشيبي أمرا لا يمكن حتى تصوره، حيث تولدت ضغائن ورغبة في الثأر كان لها تأثير كبير للغاية على تسوية 1947 -1948.

خلال قمعهم للتمرد، حظر البريطانيون اللجنة العربية العليا وألقوا القبض على عـدد من قادتها وتم نفي البعض الآخر، في حين فر عدد منهم إلى ألمانيا للعمل مع المحور خلال الحرب العالمية الثانية، وبشـكل رئيسي ظل الفلسـطينيين غير نشطين أثناء سـنوات الحرب، ولم تتمكن الأحزاب والفصائل من إعادة تشـكيل أنفسها إلا عامي 1944 - 1945، كما عـادت اللجنة العربية العليا للظهور تحت هيمنة عائلة الحسـيني، ومجددا شـهد مطلع العام 1946 عودة الانقسامات وتدخلت الجامعة العربية في مارس من العام نفسه من خلال تعيينها لجنة عربية عليا جديدة مكونة فقط من المنتمين إلى عائلة الحسيني وحلفائهم، ومن أبرزهم أمين الحسيني (رئيسا للجنة)، وجمال الحسـيني (نائبا)، وحسـين الخالدي (سكرتير)، وأحمد حلمي باشا، وإميل خوري، في حين تم استبعاد المعارضة من عضوية اللجنة.

أسـفر تحييد الفلسـطينيين العـام 1939 وخـلال الحرب، عن تقسـيم فريد للسـلطة والتمثيل، قامت فيه الدول العربية بتمثيل الفلسطينيين وطرح قضيتهم عـلى البريطانيـين وباقي العالم، في حين احتفظ الحسـيني بسـلطة تحديد ما هو مقبول ومعارضة (عادة) كل حل وسـط، في وقت توارت فيه عائلة النشاشيبي بعد هزيمتها عن المسرح السـياسي. ولم تسـفر الجهود الصهيونية المبذولة خلال الفترة مـن العام 1942 إلى العام 1947 لإحياء المعسـكر المعتـدل (الذي لطالما اعتقدت المنظمـة اليهودية أنه يمثل أغلبية الرأي العام الفلسـطيني) عن أي نتيجة، وحتى يناير - فبراير 1948 ظل كبار المسئولين في الإدارة السياسية للوكالة اليهودية وجهاز اسـتخبارات الهاغاناه (من قبيل: غاد ماكنس وعيزرا دانين والياس ساسون) يأملون أن تسـتأنف المعارضة نشـاطها وتحد من التوجه العربي للقتال وتنتزع مسـاندة الجماهير من عائلة الحسـيني. بيد أن الخبراء العرب داخل اليشـوف أكدوا بشكل عام أن مثل هذا الاحتمال غير مرجح إلا في حالة تعرض عائلة الحسيني إلى هزيمة عسـكرية ضخمة وقيـام الملك عبدالله في شرق الأردن بدعـم المعارضة وتزويدها بالسلاح والمال[26].

تماشى الانقسام بين عائلة الحسيني والمعارضة بشكل نسبي مع التقسيم الجغرافي والعشائري في البلاد، مما دعم من فكرة «الإقليمية» التي اتسم بها المجتمع والسياسات الفلسطينية عبر عقود. فعلى حين تركزت قوة الحسيني في القدس والقرى المحيطة بها، فضلا عن المناطق الريفية في السامرة وغزة، كانت المعارضة قوية في الخليل، الجليل، طبريا، بيسان، نابلس، جنين وحيفا.

وكان من شأن صفة الإقليمية أن تؤدي إلى وجود مقاومة دائمة في حيفا، ونابلس والخليل لوضعية القدس المتفوقة في الحياة الفلسطينية، وازدراء قاطني المناطق المرتفعة في السامرة ويهودا (الاسم العبري للضفة الغربية) لأولئك المقيمين في السهل الساحلي.

مثل الانقسام بين المسلمين والمسيحيين عنصرا حاسما آخر داخل المجتمع الفلسطيني. فالمسيحيون - الذين تركزوا في المدن - كانوا غالبا أكثر ثروة وتعليما من المسلمين، وازدهرت أحوالهم خلال فترة الانتداب. وسادت في صفوف المسلمين شكوك من أن يقدم المسيحيون على «الخيانة» لمصلحة البريطانيين (رفقاء في الديانة المسيحية)، أو أن يتحالفوا مع اليهود (رفقاء في وضعية الأقلية). وفي واقع الأمر لم يشارك المسيحيون في تمرد 1936 - 1939. وفي مرحلة ما بين عامي 1946 و1947 وضع جهاز استخبارات الهاغانا قائمة بالشخصيات المسيحية البارزة «التي لها ميل إلى التعاون مع اليهود»، وتمت الإشارة إلى أن «هناك القليلين من هذا القبيل بين المسلمين، والعديد بين المسيحيين».

> *السبب وراء ذلك هو أن المسيحيين عانوا كثيرا تحت حكم المسلمين ونظروا إلى الهجرة اليهودية للبلاد وإلى الشرق الأوسط كافة على أنها نعمة... بيد أن القليل منهم كان على استعداد للتعبير عن رأيه علانية خشية ردود أفعال المسلمين*[27].

في ضوء ما تقدم، رافقت الثورة درجة من العنف الموجه ضد المسيحيين، وشهدت الأعوام التي سبقت مباشرة في العام 1948 شيوع تعبيرات عن العداوة المسيحية - الإسلامية، وفي بعض الأحيان وصلت إلى العنف. وقد وفرت قصة جورج خوري بخيت من مدينة شفا عمرو (وهي مدينة صغيرة بالقرب من يافا قطنها مسيحيون ودروز

مســلمون) مؤشرا مهما في هذا الخصوص؛ إذ أطلق رجل مســلم مسلح النار على جورج خوري في الثامن من فبراير 1947مما أسفر عن وفاته بعد مرور ثلاثة أيام. وفي حين ذهب «أعيان» المســلمين، بمن في ذلك الحاج أمين الحســيني الذي كان موجودا آنذاك في مصر، إلى أن حادث القتل ربما كان يتصل «بدوافع شــخصية»، أكد المســيحيون في شــفا عمرو أن الاغتيال نُفذ على أيدي «مأجورين مســلمين»[28]. ووفقا لأحــد تقارير الهاغاناه، فإن «كل طفل في شــفا عمرو يعلم أن جورج قُتل لأنه كان يعمل سمســار أراضٍ لليهود»[29]، وفي الوقت الذي طالب فيه المســيحيون بتســليم القاتل الذي اختبأ، مهددين بالثأر، دعا الحسيني رئيس الأسقفية الكاثوليكية اليونانية، جورج حكيم، إلى زيارته في مصر لمناقشة الأمــر[30]. وأوضــح للأخير خلال اللقاء أنه «لا يوجد مكان في الوقت الحالي للشــقاق بين المسيحيين والمســلمين»[31]. وعلى الرغم من ذلك وصلت العلاقات بين الجماعتين في شفا عمرو إلى أدنى مســتوياتها: «فالمقاطعة المتبادلة (بين المســيحيين والمسلمين) كانت أقوى من تلك الواقعة بين العرب واليهود، ومن ثم فكر المسيحيون في مغادرة البلدة وبناء قرية جديدة لأنفسهم»[32]، في حين ذهب البعض الآخر إلى البحث في فكرة الرحيل إلى حيفا.

في نهايــة المطاف خفّت حدة الضجيج، وإن اســتمرت الحادثــة وتبعاتها تلقي بظلالها على طبيعة العلاقات الهشــة بين المجتمعات العربية. وفيما يتصل بالموقف في يافا فقد كان أقل توترا ولكن من دون اختلاف، ووفقا لجهاز استخبارات الهاغاناه:

> *لم تكــن العلاقات بــين الجماعتين جيدة على الرغم مــن أنه كان يُحافظ ظاهريا على ملامح صداقة اضطرارية. والعلاقة بين الطبقتين الدنيا والوســطى كانــت أســوأ مما هي بــين الأثرياء. وفي واقــع الأمر، لم يكن هنــاك اتصالات (باســتثناء المعاملات التجارية) بين المجتمعات... لقد شــارك المســيحيون في اضطرابات العامين 1936 و1937 تحت الإكراه وبسبب الخوف من المسلمين، فقلوب المسيحيين الآن وبشكل عام ليست مع أعمال الشغب حيث إن أغلبهم يعمل بالتجارة ويمكن أن يصيبه الأذى...*[33].

وقبيل شــهر من صدور قرار التقســيم عن الأمم المتحدة، تمخض اجتماع لنبلاء مدينة حيفا المسيحيين عن ضرورة تشكيل مليشيا مسيحية بهدف:

> *حمايــة الأرواح والممتلكات المســيحية. ومن الناحيــة الظاهرية بدا أن الدعوة إلى التجنيد في هذه المليشــيا يقصد منه الاســتعداد لمواجهة هجمات*

من اليهود، بيد أن حقيقة الأمر هي أن المسـيحيين أرادوا الدفاع عن أنفسهم ضد الهجمات التي ربما يشـنها المسلمون ضدهم في خضم حالة الفوضى التي سادت إبان عملية انسحاب الجيش البريطاني»[34].

شهدت بدايات شهر نوفمبر في العام 1947 - وفقا لجهاز استخبارات الهاغاناه - محاولة بعض المسيحيين «الفرار من البلاد». وكان السبب وراء ذلك هو:

إن المسـيحيين في النـاصرة، ومـن بينهم أغلب كبـار الموظفين في إدارة الحي، عاشـوا في حالة خوف على ممتلكاتهـم وأرواحهم (بهذا الترتيب) من المسلمين. فقد تزايد إرهاب آل الحسيني بشكل كبير وسُلبت مبالغ كبيرة من المال من المسيحيين»[35].

فضل أغلبية المسيحيين على الأرجح استمرار الانتداب البريطاني على الحصول على الاسـتقلال تحت سلطة الحسيني، بل وربما يكون بعضهم قد فضل الحكم اليهودي. فالجميع كان يدرك مغزى المقولة الشـعبية الإسـلامية: «بعد السبت يأتي الأحد». (المقصود أنه بعد التعامل مع اليهود سـيأتي دور المسيحيين). ومن أجـل إحداث نوع مـن التوازن، بذل قادة المجتمع المسـيحي قصارى جهدهم وبشـكل متكرر للتعبير عن ولائهم للقضية الوطنية، وخلال عقد السـبعينيات كان المسـيحيون مـن بـين الأعضاء البارزيـن في المنظمات الفلسـطينية الأكثر راديكالية (من قبيل الجبهة الشـعبية لتحرير فلسـطين والتي كانت رائدة على المسـتوى العالمي في عمليات اختطاف الطائرات). كما توقع المسـلمون، كشف العام 1848 أن قادة المجتمع المسيحي، خصوصا في حيفا ويافا، كانوا بشكل عام أقل ولعا بالقتال من أقرانهم المسلمين. وعلى الرغم من المحاولات المتكررة التي أقدم عليها القادة الصهاينة لاستثمار ذلك الانقسام، فإنه في اللحظة الأخيرة كان المسـيحيون دائما يتجنبون الانتقال من مستوى التأكيدات التصالحية في الخفاء إلى العمل الفعلي بشـكل معلن. ومع ذلك، شهدت الأسابيع الأولى من الحرب، تدهورا في العلاقات بين المسـلمين والمسـيحيين على خلفية العنف المتبادل بين العرب واليهود، والشـكوك التي راودت المسـلمين من أن المسيحيين يتعاونون مـع اليهود، وفي هذا الصدد كتب ضابط جهاز اسـتخبارات الهاغاناه في القدس ما يلي:

استـمر المسيحيون في الشكوى من سلوك العرب السيئ تجاههم، ورغب العديـد منهم في تـرك ديارهم، فقـد هدد أعضـاء العصابـات (العرب غير النظاميين) بقتلهم بعد الانتهاء من التعامل مع اليهود[36].

وفضلا على ذلك اشـتكى المسـيحيون من أن المسـلمين كانوا «غير قادرين على أي شـكل من أشكال التنظيم، وأن أي نشاط قاموا به انتهى به المطاف إلى الفشل، في حين أن الأشـخاص القادرين على التنظيم كانوا المسـيحيين، ومع ذلك لم يسـمح لهم بتولي مناصب ذات سلطة[37].

كان هنـاك صـدع آخر في المجتمع الفلسـطيني بين المجتمعات المسـتقرة من جانـب، والبدو من جانب آخر، فكل مـن الطرفين كان يزدري الآخر، وكان المجتمع القـروي يخشى البدو على خلفية عقود سـادت فيها عمليات السـلب التي قامت بها القبائل البدوية. وقد كان البدو أكثر شرائح المجتمع العربي بعدا عن السياسـة، وراودتهم الشكوك في محاولات الحسيني للتلاعب بهم، وعشية الحرب، في الخامس والعشريـن من نوفمـبر 1947، نُظم اجتماع سري بين شـيوخ البدو في بئر السـبع وشيوخ من قبائل طه وسنا وتوصل إلى ما يلي:

إن بدو النقب يمثلون شريحة مسـتقلة (من السكان) ولا يرتبط شيوخهم بأي روابط سياسية مع قطاعات أخرى، وسيحدد البدو بأنفسهم مواقفهم من تطورات الأحداث في فلسطين، ولن يتلقوا أوامر فوقية[38].

وقد حمل هذا الموقف رسالة واضحة للجنة العربية العليا.

قـدم افتقار العرب إلى مؤسسـات الحكم الذاتي بمفاهيمهـا وتقاليدها الدليل الرئيسي على الضعف الفلسطيني العربي، فالمجتمع العربي كان منقسما إلى قطاعات تتسم بالمحدودية والضيق، كما أنه كان متخلفا، غير موحد، وغالبا يتصف باللامبالاة، وإجمالا كان بمنزلة جماعة بدأت لتوها في الدخول إلى العصر الحديث سواء كان ذلك سياسـيا أو إداريا. وفي بعض الميادين (من قبيل شراء الأراضي أو تنظيم المليشـيا...) حاول قادته نقل النموذج الصهيوني، بيد أن الاختلافات الشاسعة في صفات كل من الشـعبين والتباين في مسـتويات الوعي والالتزام والقدرة على التعلُم جعل العرب في موقـف ضعيف للغاية بالمقارنـة بالمجتمع اليهودي، وفي اللحظة التي وصل فيها اليشوف إلى وضع متقدم، كانت النتيجة اللاحقة أمرا محتوما.

يمكن القول إنه على أقصى تقدير كان لدى الكثيرين من السكان العرب قبيل العام 1948 مجرد فكرة غامضة عن هدف وطني يتصل بإنشـاء دولة، وفي المقابل كان هناك وضوح حول أمر واحد فقط: اليهود يسـعون إلى طردهم، الأمر الذي يسـتلزم إحباط مخططاتهـم ودفعهم إلى خـارج البلاد. وفي المقابل فإنهم كانوا أقل تحمسـا أو اتحادا حول هدف طـرد البريطانيين. وإجمالا، وباسـتثناء دائرة صغيرة محـدودة العدد من النخبة، لم يكن الفلسطينيون مسـتعدين لحمل الرسالة الوطنية أو لتحقيق المتطلبات الواجـب توافرها لتحقيق الذات الوطنية، سـواء كان ذلك خـلال الفترة من 1936 إلى 1939 أو - وبشـكل أكثر وضوحا - في الفترة 1947 - 1948؛ فالالتزام والاسـتعداد لدفع الثمن يفترض وجود مفهوم واضح للأمة والانتماء الوطني، وهو ما افتقده العرب نتيجة لحالة الانغلاق على العشـيرة، أو القرية، أو في أقصى تقدير الاقتصار على نظرة إقليمية محدودة. وبنهاية الأربعينيات كان الجانب الأكبر منهم لايزال يفتقر إلى الشعور بهوية مسـتقلة سـواء كانت وطنية أو ثقافية تميزهم عن العرب الآخرين، على سـبيل المثال في سـورية. وعلى الرغم من أن مثل هذا الشـعور بدأ في النضـج خلال فترة الانتداب، نتيجة لانتشار التعليم، والإلمام بالقراءة والكتابة، وشيوع الصحف والمذياع، فإن عملية النضج ذاتها كانت بطيئة وفشلت في مسايرة الحقائق على أرض الواقع والمتطلبات التي تفرضها التغيرات المفاجئة والسريعة. فبالنسـبة إلى الجماهير الفلسـطينية كان الصراع من أجل إقامة دولة مسألة بعيدة.

فسر الافتقار إلى الوعي السياسي والالتزام (فضلا عن عدم توافر الأشخاص المتعلمين) جزئيا الفشـل في إقامة مؤسسـات حكم ذاتي. حتى في المجـال الوحيد الذي كان لدى العرب فيه مؤسسـات «حكم ذاتي» تقوم على شـكل ما من أشكال الانتخابات، (حتى وان كانت تتم بشـكل غير منتظـم: 1926، 1934، 1946 وتقـصر حق التصويت على الأعيان)، والمقصود بذلك البلديات، عجزت تلك المؤسسـات عن العمل بنفس الكفاءة التي اتسمت بها المؤسسات المشابهة في اليشوف. ولعل البحث في مجال الميزانية يقدم مثـلا واضحا على ذلك. فقد بلغت ميزانية مدينة الرملة العربية بسـكانها العشرين في عـام 1941 6,317 جنيها إسـترلينيا. ومدينـة جنين الأكثر صغرا بكثـير كانت ميزانيتها 2,320 جنيها، وبيت لحم (التي قطنها ما يزيد على عشرة آلاف نسـمة) 3,245 جنيها، ونابلس (التي بلغ عدد سـكانها في العام 1942 ما يقرب من 30,000) 17,223 جنيها،

ويافا (ذات الأغلبية العربية الساحقة بما يقدر بـ 70 ألفا في العام 1942) 90,967 جنيها، وبالمقارنة بمدينة بتاح تكفا اليهودية والبالغ عدد سكانها 30 ألف نسمة والتي بلغت ميزانيتها في العام 1941 39,463 جنيها، وتل أبيب وعدد سكانها 200 ألفا في العام 1942 بميزانية 779,589 جنيها.

تمثلت المؤسسة الوطنية الوحيدة التي كانت تعمل خلال فترة الانتداب في اللجنة الإسلامية التي ترأسها حتى العام 1937 الحسيني، وظلت تحت سيطرته حتى العام 1948. وكانت مختصة بإدارة الأوقاف (الجهة الإسلامية المسؤولة عن الأماكن المقدسة) والمحاكم الإسلامية (الشريعة) وصيانة المساجد وتعيين المسؤولين الدينيين (الأئمة والخطباء)، فضلا عن إدارة عدد من الخدمات التعليمية والاجتماعية (مثل المدارس ودور الأيتام)، وكان يتم تعيين أعضاء هذه المؤسسة من قبل الحكومة. خلال العشرينيات والثلاثينيات استغل الحسيني النفوذ المالي للمؤسسة، الذي أتى بشكل أساسي من الحكومة، لحشد التأييد ضد النشاشيبي، وفي الوقت نفسه وُقف التمويل المخصص للمناطق التي مثلت مراكز للمعارضة مثل مدينة الخليل. وفي منتصف الثلاثينيات أصبح دور المنظمات المحلية هامشيا بعد تأسيس اللجنة العربية العليا، وكذلك بعد نفي الحاج أمين الحسيني خارج البلاد.

كانت اللجنة العربية العليا بمنزلة الجهاز الوحيد الذي اقترب من شكل الحكومة (كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى الوكالة اليهودية)، غير أنها عملت بشكل متقطع في الفترة من 1936 حتى 1939 وكذلك من 1946 حتى 1948، وباشر أعضاؤها (مجلس وزراء فلسطين العربية) أعمالهم من خارج البلاد خلال الفترة من 1937 حتى 1948. وقد كان المفتي هو الرئيس الاسمي في حين تولى ابن عمه جمال الحسيني تسيير الأمور اليومية. وخلال الفترة من 1947 حتى 1948 كان لدى اللجنة ست إدارات غطت من الناحية النظرية ملفات متنوعة من العمل السياسي: إدارة الأرض (على رأسها مصطفى الحسيني) وكانت مسؤولة عن شراء الأراضي ومنع اليهود من القيام بذلك؛ الإدارة المالية (برئاسة عزام طنوس) وكانت مسؤولة عن النفقات والسعي وراء الحصول على التمويل؛ والإدارة الاقتصادية (وعلى رأسها ياسين الخالدي) والتي تولت مسؤولية العمليات التجارية والتصدير والاستيراد؛ ولجنة المقاطعة (برئاسة رشيد الخطيب) التي أشرفت على مقاطعة البضائع والخدمات اليهودية؛ وإدارة

التنظيم الوطني (وعلى رأسها رفيق تميمي) وكانت مسؤولة عن الاتحادات الرياضية واتحادات الشباب؛ وإدارة السجناء والخسائر البشرية (برئاسة محمد سعيد غريبة وصالح ريماوي) التي أوكلت إليها مهمة رعاية أسر الذين قتلوا أو جرحوا أو سجنوا في أثناء قيامهم بخدمة الوطن وأسرهم؛ فضلا عن إدارة الصحافة (برئاسة محمود شركس) وكانت بمنزلة جهاز إعلام أو دعاية يشرف على التغطية الإعلامية والعلاقات مع الصحافيين. ومع ذلك فشل ذلك التشكيل في تغطية قطاعات مهمة أخرى تدخل في نطاق عمل الحكومات (الخدمات الصحية، التعليم، النقل، العلاقات الخارجية، الدفاع)، أما الميادين التي شملها فقد تم التعاطي معها بطريقة متواضعة. وفي نهاية يناير 1948 لم تكن هناك إلا إدارة واحدة تعمل وهي إدارة الخزانة[39]، وفي هذا الخصوص ذكر جهاز استخبارات الهاغاناه:

> *في حقيقة الأمر، سادت حالة من الفوضى في الإدارات وكانت الحدود بين اختصاصاتها مشوشة بوجه عام. وتدخل كل موظف في اختصاصات زميله، وكان هناك قدر قليل من تحمل المسؤولية مما زاد من ضخامة الانتقادات من قبل العامة، في حين كان يُختار المسؤولون ورؤساء الإدارات بطرق غير نظيفة، حيث ساد الفساد ومحاباة الأقارب.*

في واقع الأمر ظل الفلسطينيون يعتمدون في أغلب القطاعات على إدارة الانتداب، وبالتالي عندما بدأت الأخيرة في الانهيار (شتاء 1947 - ربيع 1948)، وعم القتال المدن والقرى والطرق، انزلقت فلسطين العربية، خصوصا المدن، نحو الفوضى، وسادت حالة الاضطراب تداول المواد الغذائية وتقديم الخدمات الصحية والنقل العام والاتصالات في حين تلاشى الأمن والنظام. وفي المقابل، تمكن اليشوف من التأقلم مع ظروف الحرب والحصار نفسها، وبعدد أقل من القوى العاملة، وعلى الرغم من افتقاره إلى مساندة دول مجاورة صديقة.

الاستعدادات العسكرية

كان التباين التنظيمي بين المجتمعين (العربي واليهودي) قبل 1948 واضحا في المجال العسكري شأنه في ذلك شأن المجالات الأخرى وربما بدرجة أكبر. فعلى الرغم من أن

العرب بدأوا في الاستعداد للحرب في مطلع الثلاثينيات، فإن النتائج التي تم التوصل إليها كانت هزيلة، وجاءت الضغائن السياسية الداخلية لتضعف من أهمية تلك الإنجازات.

تم تأسيس ثلاث مؤسسات قتالية جهادية: «الكف الخضراء» في منطقة الخليل، و«الجهاد المقدس» في منطقة القدس، وقادها عبد القادر الحسيني - ابن أخ المفتي - و«الشباب الثائر» في منطقة طولكرم - قلقيلية، وقامت التشكيلات الثلاث بتخطيط وتنفيذ هجمات ضد البريطانيين وإن كانت محدودة. وكانت الأنشطة التي قادها الشيخ عزالدين القسام في محيط مدينة يافا وشمال السامرة أكثر إثارة وخطورة. فبعد قيام فرقته بقتل عدد من المستوطنين ورجل شرطة، تعرضت للحصار والتصفية من قبل البريطانيين أواخر العام 1935.

كان لقرار الحسيني الخاص بتأسيس جماعات الشباب «الفتوة» وقع أكثر أهمية في تجييش فلسطين العربية؛ والتي قامت بالتدريب العسكري على استخدام السلاح للطلبة صغار السن، وذلك على غرار نموذج منظمات الشباب النازية[40]. وقد أفرزت هذه التنظيمات بعض الكوادر السياسية التي نظمت الإضراب العام في 1936، وما تلاه من أعمال عنف خلال فترة التمرد؛ وقد جرت عملية إعادة تأسيس «الفتوة» في أعقاب الحرب العالمية الثانية، غير أن أعضاءها لم يتجاوزوا على الإطلاق مئات عدة من الشباب الحاملين للسلاح.

بناء على مبادرة من المعارضة - التي كان مركزها في مدينة «يافا» - تأسست منظمة أكبر تحت مسمى «النجادة» في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وبحلول صيف العام 1946 تراوح عدد أعضائها ما بين 2000 و3000 فرد بقيادة محمد نمر الهواري، وكان ضباطها من الفلسطينيين العرب الذين خدموا في الجيش البريطاني. بيد أنه خلال محاولة الحسيني السيطرة عليها قُضي عليها[41]، وترتب على كل ذلك أن الفلسطينيين دخلوا الحرب من دون أي مليشيا وطنية.

استندت القوة العسكرية الفلسطينية خلال حرب 1948 إلى عدد محدود من الجماعات (أو العصابات) المسلحة ضمت كل منها مئات عدة من الأفراد غير النظاميين، بالإضافة إلى المليشيات التي شُكلت في كل مدينة وقرية على حدة.

وقد كانت الجماعات المسلحة غير النظامية - ومن أبرزها «جيش الجهاد المقدس» بقيادة عبد القادر الحسيني في منطقة المرتفعات المحيطة بالقدس، وجماعة حسن سلامة في الضواحي بالقرب من اللد والرملة - ليست سوى إعادة

تشكيل للجماعات التي كانت نشطة في الفترة من 1936 حتى 1939. وكانت مسلحة بأسـلحة خفيفة وتعتمد على خطـوط إمداد (غير مضمونة غالبـا) للذخيرة خارج فلسطين. كما أنها لم تتمتع بتنظيم لوجيستكي، وإنما كانت تنتقل من قرية إلى أخرى وتفرض وجودها على السـكان الممانعين لذلك. وكان أغلبية عناصرها من منتسـبي اللجنة العربية العليا وغالبا ما كانوا على خلاف مع مليشـيات المدن المجاورة التي قادتها عادة شـخصيات من المعارضة وقـوات جيش الإنقاذ. وخلال نصبهم لكمائن للقوافل التابعة لليشـوف أو مهاجمتهم لمسـتوطناته، كانت عناصر من المليشيات المحليـة تنضم إليهم، مما أسـفر عن نشر حالة «فزعـة» (أو إنذار كما كانت عليه الحال في «كونكورد» و«ليكسنغتن» في بداية الثورة الأمريكية). وبنهاية اليوم كانت عناصر المليشـيا تتفرق لتعود إلى ديارها. وبصفة عامة فإن حالات «الفزعة» كانت معتادة بدءا من شـهر يناير حتى شهر مارس على طول الطريق المؤدية من القدس إلى تـل أبيب، ولكن بقيت كل مليشـيا متمركزة في قريتهـا بهدف الدفاع عنها ضد الهجمات اليهودية.

كانت المليشـيات المنفصلة في كل قرية تضم عشرات عدة من الرجال يفتقرون إلى التدريب العسكري، وإن كان في حوزتهم بنادق تفاوتت درجة حداثتها وأعيرتها. وفي بعض الأحيـان توفر لدى القرية مدفعا أو مدفعين متوسـطين وعددا محدودا من المسدسـات، وعادة كان هناك نقص في الذخيرة وانعدام للتنظيم اللوجسـتيكي الواجب توافره للقيام بعمل قوي ومستمر خارج القرية.

عـلى الرغم من عـدم توافر أرقـام نهائية عن حجم مخزون السـلاح لدى تلك المنظمات البدائية، فإنه يمكن تكوين فكرة عن القوة العسـكرية لعرب فلسطين من خلال الأرقام الخاصة بتسـليح كل قرية على حدة، فقرية غوير أبو شوشـة بالقرب من بحر الجليل والبالغ عدد سـكانها 1240 نسـمة في أبريل 1948، كان لديها وفقا للتقاريـر مليشـيا مكونة من 48 فـردا في حوزتهم مـن 35 إلى 40 بندقية من أنواع مختلفة، وذخيرة تكفي للاسـتخدام مـا بين 20 و50 مرة لكل فرد. أما بالنسـبة إلى قريـة عـين الزيتون بالقـرب من صفد - والتـي قطنها 800 شـخص - فقد توافرت مليشـيا ضمت من 50 إلى 60 فردا بحوزتهـم من 40 إلى 50 بندقية متنوعة ومدفع أو مدفعين، وبذخيرة تكفي لما بين 25 إلى 30 مرة اسـتخدام لكل بندقية. وفي مدينة

صفد التي سـكنها 9500 نسمة وُجدت مليشيا مكونة من 200 - 250 فردا مسلحين بذخيرة تكفي لاستخدام البندقية من 35 - 50 مرة، وفي مدينة الخليصة في سهل الجليل البالغ عدد سكانها 1840 نسمة كانت هناك مليشيا ضمت 35 - 40 رجلا مسلحا بذخيرة تكفي لاستخدام البندقية من 50 - 70 مرة [42]. وفي يناير 1948، وطبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه، كان في حوزة قرية الطيرة جنوبي حيفا 40 مسدسا و64 بندقية و4 مدافع خفيفة و3 مدافع ثقيلة ولكن من دون ذخيرة، وفي عين غزال القريبة والتي قطنها 3000 نسمة توافر في منتصف العام 1947 83 سلاحا، من بينها 23 مسدسا و45 بندقية عتيقة الطراز[43]. وفي المدن الكبرى لم يكن الموقف أفضل[44].

إن نظرة عن قرب على الأحداث خلال شهر مارس 1948 في منطقة لم تصبها الحرب، ومن قبل مسؤول أو ضابط طبيب بريطاني غير معلوم الاسم، تعطي فكرة سريعة حول طبيعة مجرى الأمور:

> *لقد قضيت الفترة من بعد ظهر السبت حتى صباح الأحد في قرية الرأس الأحمر في شمالي الجليل... لم تكن هذه القرية بطبيعة الحال ذات أهمية كبيرة، ولكنها أعطت مؤشرا على أنه إذا كانت الحال في القرى كافة كما رأيت فإن العرب لن يذهبوا بعيدا في القتال. فلم تتوافر أي أطقم طبية أو أي فرد لديه فهم بالعمل الطبي، وكانت لديهم ذخيرة تكفي لهجوم واحد من دون أي احتياطي أو قيادة يعتد بها.*

وعندما توجهت إليهم بالسؤال حول المكان الذي وضعوا فيه الهاون والمدافع أجابوا بأن الحسيني سيرسلها في الوقت المناسب، كما أنه سيزودهم بكل ما يحتاجون إليه، فهناك قدر كاف من الأسلحة في نابلس والخليل كما قالوا.

> *وبشكل عام فإن رجال هذه القرية (الموالية للحسيني) تصرفوا كمجموعة من طلبة المدارس، مظهرين أسلحتهم في نوع من الاستعراض ليظهروا لي مدى خشونتهم واستعدادهم لمحاربة اليهود، وكذلك أسفهم لعدم وجود يهود في الجوار لقتلهم*[45].

اعتمد الفلسطينيون خلال فترة الانتداب على أطباء الحكومة (أغلبهم من اليهود) ومؤسساتها الطبية، وقد كان الافتقار إلى الخدمات الطبية مصدر إزعاج شديد للفلسطينيين خلال الحرب التالية[46].

وعلى صعيد آخر ساهمت مجموعة من العوامل في إعاقة الجهود التي بُذلت للحصول على أسـلحة خلال الأشهر الأخيرة للعام 1947، ومن بينها الانقسام بين الحسيني والنشاشيبي، والفقر، وعدم توافر الإرادة في مساندة القضية الوطنية، وهو ما عكس المستوى المنخفض للوعي السياسي والالتزام. ومنذ منتصف العام 1947، واقـتراب صـدور قرار الأمم المتحدة، بدأ القادة الفلسـطينيون في فرض ضرائب وجمع التبرعات لتمويل الحرب وشيكة الوقوع؛ حيث فُرضت الضرائب على السـجائر (واحد في الألف من سـعر العلبة) وتذاكر الحافلات (خمسة في الألف من سـعر الرحلـة). ولكن كان من الواضح أن العامة لم تشـارك في هذا العمـل بحماس، فبحلـول الأول من نوفمبر في العـام 1947 بلغت قيمة المبلغ الذي جُمّع 25,000 جنيه إسترليني، وكان من الواضح أن مثل هذا المبلغ لا يمكن أن يكفي لتمويل أنشـطة اللجنة العربية العليا التي تزايدت بشكل مطرد»[47]. وخلال الشـهر الأول من الحرب، أشـار تقرير لجهاز اسـتخبارات الهاغاناه إلى العـشرات من الحالات التي ناشـد فيها القـادة العرب المحليـون والجماعات العسـكرية الجماهير تقديم المسـاهمات، وهو ما قُوبل بعـدم توافر الإرادة. وعلى سبيل المثال تواترت معلومات عن قيام نبلاء قريتي عرب السطرية ويبنى في السـهل السـاحلي الجنوبي بتحصيل مبلغ 25 جنيها إسـترلينيا من كل فرد - تحـت وقع الضغط والتهديـد- لتمويل عملية شراء الأسـلحة[48]. لم يكن لدى الفلسطينيين العرب قدرة على تصنيعها.

عـلى الرغم من وصـول عدد صغير من الوحـدات غير النظاميـة من الخارج، فإن الأمور لم تتحسـن بشـكل كبير خلال الأشـهر الأولى للحرب، فقد أوضح تقرير استخباري صادر في دمشق أواخر شهر مارس في العام 1948 أن مليشيات المدن:

> *لم يكـن في حوزتهـا إلا القليـل مـن البنـادق القديمة وعـدد محدود من الرشاشـات والقنابـل اليدوية... وقدرة هذه القوات عـلى أن تصد اليهود، الذين كانوا متفوقين في العدد والعتاد، كانت موضع شك*[49].

فيما يتصل بوحدة القيادة والسـيطرة للقوات المسـلحة خصوصا في المدن، كان العرب بشكل كبير في وضع غير موات، وهو ما تبين بشكل صارخ خلال الشهور الأولى للحرب. ففي خلفية الأحداث كان هناك دائما الانقسـام بين الحسيني والنشاشيبي

الـذي عاد للظهور إلى السـطح خلال العامـين 1946 - 1947 حيث انبعثت اللجنة العربية العليا مجددا وأعادت فرض سلطتها. وخلال الفترة ما بين شهر أبريل 1946 حتـى 1947 انطلقت حملة إرهاب حقيقية (عـلى غرار ما حدث في العامين 1937 - 1938) ضـد رموز المعارضة ومن حامتَ حولهم شـبهات التعـاون مع الصهاينة: ففـي الثالث والعشرين من نوفمـبر في العام 1946 اُغتيل فوزي درويش المرتد عن عشـيرة الحسيني، وهُوجم أعضاء من عشـيرة أبو غوش في الخامس والعشرين من ديسمبر من العام نفسه، وشهد شهر فبراير 1947 اغتيال علي شاهين في يافا، وجرت محاولات خلال شهر أبريل لاغتيال كل من محمد ياسين ونمر أرسان وزكي سفاريني ومحمد يونس الحسـيني. ووصفت صحيفة فلسطين الصادرة في يافا آنذاك محاولة اغتيـال الأخير على أنها عودة إلى أحـداث 1937 - 1939 وضربة للوحدة الوطنية، وعلى الرغم من قيام المعارضة بعمليات انتقامية، فإنها لم ترق إلى المسـتوى نفسه، وانتهى الأمر في نوفمبر 1947 بإسكاتها تماما[50].

وفرت سيطرة الحسيني على المشهد السياسي مظهرا خارجيا للوحدة في بداية القتـال؛ حيث دُفنت الخلافات مؤقتا وشُـكلت لجان وطنيـة، كما كانت عليه الحـال في العـام 1936، في كل مدينـة وفي بعض القرى. غـير أن الاختلافات في التوجهـات السياسـية والمصالح الاقتصادية سرعان من بـدأت في الظهور. فعلى المسـتوى القومي كانت هناك مليشيات تخضع لسيطرة أجهزة مختلفة (اللجنة العربية العليا، المعارضة، اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، جيش التحرير العربي، الحكومة الأردنية، الإخوان المسـلمين في مصر)، وفي بعض المدن مثل يافا وُجدت مليشـيات عدة دانت كل منها بالولاء لسـيد مختلـف وفر لها الأموال والسلاح والتعزيزات، وعلى المستوى المحلي، في بعض المناطق مثل الأراضي النائية في القدس كانت هيمنة الحسيني عليها تعني إستراتيجية عدائية وهجومية ضد اليهود، وفي المناطق الأخرى التي ضعفت فيها سـلطة الحسيني وسادت مصالح الطبقتين العليا والمتوسـطة - كما كانت عليـه الحال في يافا وحيفا - كُبح جماح عدوانية الحسـيني بشـكل متقطع. وفي كل أرجاء البلاد سـاد انعدام التنسيق والتعـاون بين اللجنة العربيـة العليا واللجان الوطنية خصوصـا في كل من يافا وحيفا. وعلى الرغم من جهود اللجنة العربية العليا لتدعيم سـيطرتها من خلال

الاتصالات المباشرة مع مؤيدها (أئمة، موظفي المحليات، قادة المليشيات المحلية) متجاوزة اللجان الوطنية، فإن نجاحها في ذلك لم يكن إلا جزئيا[51].

مثلت حيفا ويافا نموذجين لمشكلة أكثر عمومية أثرت في الأداء الفلسطيني في الحرب، فالمليشيات في كل منطقة ومدينة عملت إلى حد كبير في معزل عن السيطرة السياسية، وقد كان هذا واضحا خصوصا في المدن التي وُجدت بها قوات كبيرة من القوات النظامية غير المحلية، ومن بينها يافا. فالمليشيات في يافا وحيفا وأيضا القدس تجاهلت أو تحدت بشكل كبير التعليمات الصادرة من لجانها الوطنية، ومن وقت إلى آخر تلك الصادرة من اللجنة العربية العليا، أو اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية. في نهاية يناير العام 1948 اشتكى قائد اللجنة الوطنية في القدس عضو اللجنة العربية حسين الخالدي للمفتي من أن القوات غير النظامية التابعة لعبد القادر الحسيني كانت تتجاهل أوامره بشكل عام وتتصرف من دون أي تنسيق، وذهب الخالدي إلى القول إن ذلك أدى إلى سيادة «تشويش لا يمكن وصفه»[52]. دفع ذلك بالسلطات البريطانية إلى التوصل إلى نتيجة مفادها أن اللجان الوطنية واللجنة العربية العليا نجحت فقط في ممارسة «سلطة نسبية واهية» على المليشيات في المدن[53].

فيما يتصل بالريف، اتجهت كل قرية إلى اتخاذ قراراتها والتصرف بشكل منفرد، مما أدى إلى دخولها الحرب، وانهزامها، بمفردها. وبين الفينة والأخرى ساند أفراد المليشيات في قرية أو أكثر، جماعة من القوات غير النظامية، بمهاجمة مستوطنة أو قافلة يهودية، غير أن النسق العام تمثل في اتخاذ مواقف دفاعية نتيجة سيادة قدر كبير من الاعتقاد في القدر. وفضلا على ذلك، لم تكن القرى مصممة لحالة الحرب؛ حيث افتقرت إلى الخنادق والتحصينات، كما أن سكانها لم تتوافر لديهم - على عكس ما كانت عليه الحال بالنسبة إلى قاطني الكيبوتسات - الاستعداد النفسي لمقاومة الهجمات عليهم، والتي اتسمت غالبا في العام 1948 بإطلاق وابل من قذائف الهاون وفي بعض الأحيان غارات جوية خفيفة. وهكذا فإن ميل القرى إلى أن تتعامل بشكل منفرد مع الموقف وعدم استعدادها للقتال أسفرا عن نتائج كارثية؛ حيث كانت باستطاعة الهاغاناه السيطرة على القرى الواحدة تلو الأخرى من دون أن تتعرض لدفاعات متناغمة عبر الأقاليم، وفي كثير من المناطق لم يكن هناك حتى

تعاون في العملية الدفاعية بين القرى المتجاورة نتيجة للغيوم التي لبدت سماء العلاقات بينها، والتي نتجت عن الضغائن والتنافس على الأرض أو غيرها.

بشكل عام تكونت لدى الفلسطينيين في نهاية العام 1947 صورة مضخمة وبالتالي مُحبطة حول قوة اليشوف العسكرية. وقد تضمن تقرير من مصدر استخباراتي يهودي في أكتوبر العام 1947 وصفا للموقف في الريف على النحو التالي:

> *إن الفلاح خائف من الإرهابيين اليهود... الذين يمكن أن يقذفوا قريته بالمدافع ويدمروا ممتلكاته... وساكن المدينة اعترف بأن قوته غير كافية لمحاربة القوة اليهودية وتطلع إلى الإنقاذ من الخارج [المقصود من قبل الدول العربية]، وفي الوقت نفسه، كانت الأغلبية المعتدلة... في حالة ارتباك وذعر... حيث كدست المواد التموينية...وكان يتم إكراههم والضغط عليهم من قبل المتطرفين...وكان السلام والهدوء هو كل ما يريدونه*[54].

توقع الفلسطينيون أنهم سيخسرون المعركة، ولكن وفي ضوء رؤيتهم للصراع على أنه سيستمر لعقود أو قرون فإنهم اعتقدوا أن اليهود، شأنهم في ذلك شأن الملوك الصليبيين في القرون الوسطى، سينتهي بهم المطاف إلى الهزيمة على أيدي العالم العربي[55].

تضمن تقييم للاستخبارات الحربية البريطانية في يوليو العام 1947 تقديرا بأن الدولة اليهودية طور التكوين يمكنها أن تهزم العرب الفلسطينيين حتى لو سُوندوا بطريقة سرية من قبل دولة أو دولتين عربيتين[56]. وقد توصلت اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، ومقرها في دمشق، في أكتوبر العام 1947 إلى نتائج مماثلة:

أ - أن الصهيونيين في فلسطين (منظمات وأحزابا، سياسيا وعسكريا وإداريا) على مستوى عال من التنظيم، وهذه المؤسسات يمكنها أن تتحول بشكل فوري إلى حكومة صهيونية تمتلك الوسائل اللازمة كافة للحكم.

ب - يمتلك اليهود اليوم قوات ضخمة، سواء من حيث العناصر البشرية أو التسليح أو المعدات.

ج - اليهود لديهم موارد اقتصادية هائلة داخل البلاد وخارجها.

د - اليهـود لديهم قدرة كبيرة على الحصول على دعم ومعدات من وراء البحار بكميات ضخمة.

وفيما يتعلق بالعرب الفلسطينيين أوضحت النتائج ما يلي:

أ - ليس في حوزة الفلسطينيين العرب حاليا قوات كافية (بشرية، أسلحة، معدات) تمكنهم من التصدي (بطريقة مقبولة) للمنظمات الصهيونية.

ب - في المناطق ذات الأغلبية اليهودية يعيش الآن 350 ألف عربي في قرى منعزلة وتكتلات مهددة بالتدمير حال شن الصهاينة عمليات حربية واسعة.

بعد مرور شهر على هذا التقييم، وقبيل صدور قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم بيومين، أوضح اللواء العراقي إسماعيل صفوت، الذي شغل آنذاك منصب رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، لرئيس أركان القوات المسلحة العراقية أن «أغلب الفلسطينيين العرب لا يمكنهم الآن بأي طريقة من الطرق صد القوات الصهيونية، وذلك على الرغم من تفوقهم العددي...»[57]. وهكذا اتفق المراقبون كافة (يهودا - بريطانيين- فلسطينيين عربا - وعربا من خارج البلاد) عشية الحرب على أن الفلسطينيين غير قادرين على هزيمة الصهاينة أو صد أي هجوم من قبلهم؛ لأنهم كانوا ببساطة شديدي الضعف.

شهدت فلسطين في الفترة ما بين ديسمبر 1947 ومنتصف مايو 1948 صراعا ضاريا تضمن مظاهر حرب عصابات وإرهاب بين مجتمعين متداخلين بشكل كبير. فقد كانت هناك مناطق متجاورة مختلطة - في القدس وحيفا- وكذلك مدن بها خليط من مناطق منفصلة عربية ويهودية - القدس وحيفا وصفد وطبريا - ، ووجدت في كل حي ريفي وعلى امتداد أغلب الطرق قرى يهودية وعربية متداخلة. وقد كان الاستثناء على ذلك فقط في، مناطق التلال المركزية في يهودا خصوصا السامرة، التي عرفت فيما بعد باسم الضفة الغربية؛ حيث كان السكان بشكل شبه حصري من العرب.

دارت الحرب الأهلية بين المجتمعين بشكل رئيسي في المدن والمناطق الريفية ذات الطبيعة المختلطة، وغالبا في السهول، حيث كان اليهود يمثلون عامة الأغلبية الديموغرافية المهيمنة. وقد عمل كل طرف على عزل ومحاصرة الطرف الآخر ومدنه وقراه ومواقعه المتقدمة. وكان اليهود (نصف سكان القدس ويافا) والعرب

(نصف سـكان حيفـا) أكثر تأثرا في هذا المجال، غير أنـه في نهاية المطاف لم يتمكن الفلسطينيون وجيش التحرير العربي من الاستيلاء على مستوطنة يهودية واحدة، في حين تمكن اليهود، بحلول منتصف مايو، من الاستيلاء على 200 قرية ومدينة عربية، بما في ذلك يافا، بيسـان، صفـد، حيفا العربية، وطبريا العربيـة. وحقيقة الأمر فإن الافتقار الفلسـطيني إلى السـلاح والعناصر البشرية المدربة، فضلا على تعدد مراكز القوى وعدم التنظيم وسـيادة الارتباك، كلها عوامل عكسـت عـدم توافر الإعداد المناسب في الفترة السابقة للعام 1948.

العالم العربي

اعتقد الفلسـطينيون العرب أن النجدة ستأتي من العالم العربي المحيط بهم، بيد أن الانقسامات داخل المجتمع الفلسطيني تماشت مع الانقسامات بين الفلسطينيين أنفسـهم وأولئك الذين جاءوا لمسـاعدتهم. فاليشوف تلقى مسـاعدات مالية من الغرب، وأساسا من الشعب اليهودي في أمريكا، أما العرب الفلسطينيون، فإنهم على الرغم من مسـاعيهم المستمرة، لم يتمتعوا بالقدر نفسـه من المساعدات المنتظمة التي يمكن الاعتماد عليها من الدول العربية أو العالم الإسلامي. وفي الواقع فإن رفض الحكومات والجيوش العربية، في نهاية 1947 وبداية 1948، لمطالب الفلسـطينيين بتزويدهـم بالمال والعتاد والتعزيزات لم يكن إلا اسـتمرارا لما كان عليه الوضع من قبل. وقد ترتب على ذلك، بشـكل تراكمي، أن تولد بين الفلسطينيين شعور بالتخلي عنهم، وهو ما شكل مصدرا رئيسيا لتملك اليأس منهم في العام 1948.

بحلـول شـهر مارس 1948 وصل إلى فلسـطين إجمالا ما يقارب خمسـة آلاف متطـوع عـربي، جاء أغلبهم مـن المناطق المدنيـة الفقيرة وممن ألفـوا العيش في السـجون من العراق. وسـورية ولبنان، ونُظموا تحت مسمى جيش التحرير العربي تحت قيادة فوزي القاوقجي، ومن الناحية العسكرية فإنهم كانوا غير مجديين بكل معنى الكلمة، وطوال فترة بقائهم في فلسـطين كانوا دائما على خلاف مع المليشيات المحلية والسـكان. وقد رفض جيش التحرير العربي سلطة اللجنة العربية العليا (أي الحسيني)، وفشل بشكل عام في تنسيق عملياته مع الجماعات والمليشيات المحلية.

فيما يتصل بالدول العربية، كان كل منها يجذب في اتجاه مختلف وله اهتماماته

الخاصة في مناطق معينة في فلسطين، وساند بعض الجماعات (على سبيل المثال ساندت مصر متطوعي الإخوان المسلمين في الجنوب) ولم تكن على مستوى كبير من الكرم في استجابتها للاحتياجات الفلسطينية من المال والسلاح. ونظر معظم الزعماء العرب إلى الحاج أمين الحسيني بكراهية، وكان لهم أجنداتهم الخاصة.

أفسحت الحرب الأهلية الطريق للحرب بين إسرائيل والعرب. ففي الرابع عشر من شهر مايو أُعلن عن إقامة دولة إسرائيل وغادر البريطانيون البلاد. وفي الخامس عشر والسادس عشر قامت جيوش كل من الأردن، وسورية، ومصر بغزو فلسطين؛ حيث كان الهدف المُعلن هو مساعدة الفلسطينيين، وإن أمكن، الحيلولة دون إقامة الدولة اليهودية واحتلال كل من الجزء العربي واليهودي من فلسطين. ومن جانبه تحدث الأمين العام لجامعة الدول العربية عزام باشا عن مذبحة لليهود مماثلة لما قام به المغول في بغداد في القرن الثالث عشر، أما فيما يخص الأردن، فقد تمثل الهدف الرئيسي من الغزو في احتلال أكبر قدر ممكن من فلسطين العربية بغية ضمه إليها.

استغرقت الحرب بين إسرائيل والدول العربية فترة طويلة وكانت دامية (نحو أربعة آلاف من ستة آلاف قتيل من اليشوف سقطوا بعد 14 مايو) واعترف قادة اليشوف بأنهم يواجهون خطرا مميتا، ففي الثاني عشر من مايو، أي ثلاثة أيام قبيل الغزو، أُخطر بن غوريون بواسطة كبير مستشاريه العسكريين (الذي غالى في تقدير حجم الجيوش العربية وإعداد وكفاءة القوات التي يمكن إرسالها لفلسطين، تماما كما كانت الحال بالنسبة إلى الجنرالات العرب الذين مالوا إلى المغالاة في تقدير قوة القوات اليهودية) أن «فرص» النصر كانت «متعادلة تقريبا»[58]. وحقيقة، فإن فترة الثلاثة أو الأربعة أسابيع الأولى للقتال بدت خطيرة، من منظور اليشوف، فخلال الفترة من 15 - 18 مايو انتشر الجيش الأردني «الجيش العربي» في منطقة المرتفعات الآهلة بالسكان العرب في يهودا والسامرة متجنبا القتال مع اليهود، لكن وقعت اشتباكات حول القدس، وتركزت على المدينة نفسها، وحصن الشرطة وتقاطع الطرق في اللطرون غربا والذي كان يتحكم في طريق تل أبيب - القدس، وعبرت القوات السورية والعراقية والمصرية الحدود الدولية وهاجمت المستوطنات اليهودية في المناطق التي خُصصت لليهود وفقا لقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة، كما قصف سلاح الطيران المصري مدينة تل أبيب.

تمتعت الجيوش العربية في البداية بميزة المفاجأة التكتيكية والمبادرة، فضلا على استخدام الأسلحة الثقيلة بما في ذلك الدبابات والمدفعية والطائرات المقاتلة. ولكن كل الجيوش العربية، باستثناء الجيش العربي[*] الذي قادة وسلحه ودربه البريطانيون، فشلت في الاستعداد بشكل مناسب وطُوقت سريعا من قبل الهاغاناه. وبحلول شهر يوليو انتقل زمام المبادرة إلى أيدي قوات الدفاع الإسرائيلية، واتسمت الحرب بموجات متتالية من الهجمات الإسرائيلية (تخللتها فترات من الهدنة المفروضة من قبل الأمم المتحدة). ومع بدء نفاد مخزون الذخيرة لدى العرب (أوقفت كل من بريطانيا وفرنسا شحنات الأسلحة تنفيذا لقرار الحظر المفروض من الأمم المتحدة على الأطراف المتحاربة)، وتدفق الأسلحة والذخيرة إلى إسرائيل عبر تجار السلاح ومن تشيكوسلوفاكيا (التي لم تحترم القرار الصادر عن الأمم المتحدة)، أضحت قوات الدفاع الإسرائيلية في موقع الهجوم، وخلال شهري ديسمبر 1948 ويناير 1949 تمكنت من تحييد القوات السورية والأردنية والعراقية، في حين سُحق الجيش المصري. وانتهى المطاف إلى موافقة الحكومات العربية على التوالي على توقيع اتفاقيات هدنة خلال الفترة من فبراير حتى يوليو 1949. ومع انتهاء الحرب، خرج الإسرائيليون رابحين، حيث سيطروا على أربعة أخماس فلسطين، في حين بقي الفلسطينيون، الذين خسروا، من دون دولة، وخضعوا للسيطرة الإسرائيلية والأردنية والمصرية. وكانت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين التعبير الرئيسي عن هذه الهزيمة.

(*) الجيش العربي هو اسم يطلق على القوات المسلحة الأردنية التي أسستها الإدارة البريطانية [المحررة].

2

«الترانسفير» في التفكير الصهيوني قبل 1948

«لم يكن الناشطون الصهاينة والرسميون البريطانيون فقط هم من تتأرجح مواقفهم في منتصف الأربعينيات حول قول التقسيم الذي يلازمه نقل للعرب خارج الدولة اليهودية المزمعة إقامتها، بل تعلق الأمر كذلك بسياسيين عرب كبار»

المؤلف

في وقت كانت فيه الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى في منتصفها، كتب إرنست بيفن، وزير الخارجية البريطاني، في يوليو: «من وجهة النظر بعيدة المدى... ربما يكون هناك شيء يمكن قوله حول تبادل السكان بين المناطق المخصصة لكل من العرب واليهود على التوالي،»[1] وقد أسهب في هذه النقطة بعد ذلك بعدة أيام بالكلمات التالية:

> *يمكن المجادلة بأن هروب أعداد كبيرة من العرب من الأراضي التي كانت تحت إدارة يهودية قد سهل من مهمة التوصل إلى تسوية دائمة في فلسطين؛ حيث تبدو بعض عمليات «نقل» السكان شرطا ضروريا لمثل تلك التسوية.*

بيـد أن الوزيـر البريطاني تدارك بقوله إنه مادام لا يوجـد إلا حفنة من اليهود يقطنون الأراضي التي خُصصت للسـيادة العربية في فلسطين، فإنه لا يوجد «أساس لتبادل عادل للسكان»، وبالتالي يجب أن تستمر بريطانيا في السعي مع وسيط الأمم المتحدة نحو إمكانية عودة المبعدين الفلسطينيين إلى ديارهم [2]. وقد بلغ عددهم في ذلك الوقت ما بين 400 ألف و500 ألف (في مقابل أقل من خمسة آلاف يهودي مُبعدين خلال القتال).

كان المنطـق الذي اسـتند إليه تفكير بيفين، قبل أن يـترك الحكم، مقنعا إلى حـد كبير: فنقل الأغلبية العربيـة خارج مناطق الدولة اليهوديـة (وأيضا الأقلية الضئيلة اليهودية خارج المناطق المخصصة للعرب) كان من شأنه أن يحل مشكلة أقليات أساسية لا يمكن التغلب عليها، وتحمل في طياتها إمكانية تدمير أي تسوية سياسـية. وقد وجد المنطق ذاته في التحليل الذي قدمه، بعد مرور شـهر، مكتب القاهـرة التابع لمركز لندن للاسـتخبارات الخاص بمنطقة الشرق الأوسـط والذي تضمن ما يلي:

> *إن فـرار العـرب من المناطق التـي احتلها اليهود في فلسـطين، نتيجة ذعرهم، مثل مشـكلة فورية على درجة كبيرة من الخطورة، ولكنه ربما أشار إلى الطريق للتوصل إلى تسـوية على المدى البعيد لواحدة من أكثر العقبات ضخامـة في طريق تطبيق مُرضٍ للتقسـيم، ويُقصد بذلك قيام دولة يهودية تضم مجتمعا عربيا يقارب بشكل كبير من حيث العدد السكان اليهود.*
>
> *إن الدراسـات السابقة للمشكلة قادت على الدوام إلى رفض فكرة نقل السـكان بوصفه حلا، انطلاقا من حقيقـة أن عدد العرب الذين يلزم نقلهم من الدولة اليهودية يفوق أربعين مرة حجم أولئك اليهود الذين يلزم نقلهم من الدولة العربية، ولكن هذا التباين في الإعداد قد تضاءل في الوقت الحالي نتيجة لفرار العرب من الدولة اليهودية...*
>
> *الآن، وبعدما ذُللت الصعوبة الرئيسية، المتمثلة في إقناع عرب فلسطين بـترك منازلهم، نتيجة للإرهاب اليهودي وحالـة الذعر التي أصابت العرب، فإنـه من الممكن أن يكون الحـل في نقلهم إلى العراق وسـورية... إن هذا المـشروع (توطين اللاجئـين في البلاد العربية) يجـب أن يتم إطلاقه بحرص*

> *شــديد؛ حيث إنــه إذا ما وُضع موضــع التنفيذ في المرحلــة الحالية فإن رد الفعل الفوري في العقول العربية ســيذهب إلى أنــه كان يجري التجهيز له منذ البداية. ولكن إذا ما أصبح جليا أنه نتيجة عدم استعداد أي من الطرفين (العرب أو اليهود) لا توجد إلا فرصة ضئيلة - أو لا توجد فرصة على الإطلاق - لإعادة اللاجئين إلى ديارهم، فربما يمكن طرح هذا المشروع حلا للمشــكلة كما ستبدو آنذاك* [3].

بنهاية الحرب شــاعت افتراضات مشــابهة في الفكر الأمريكي؛ حيث كتب وليام بيرديــت جــي آر القنصل العام الأمريــكي في القدس - والذي لم يكــن من أصدقاء الصهيونية- لرئاسته في فبراير 1949 مُقدما النصح على النحو التالي:

> *على الرغم من المعاناة التي ترافق ذلك... هناك شعور بأن قضية الأمن ســتُخدم بشــكل أفضل على المدى الطويل إذا ما بقــي اللاجئون في الدول العربية وفلسطين العربية بدلا من عودتهم إلى إسرائيل. وحيث إن الولايات المتحدة أيدت قيام دولــة يهودية، فإنه يلزم عليها أن تحرص وتصر على أن تكــون تلك الدولة متناســقة في تكوينها، الأمر الذي يوفــر لها أفضل فرص الاستقرار. فعودة اللاجئين سوف تخلق «مشكلة أقليات» مستمرة، وستكون مصــدرا دائمــا للحث على الانتفاضــة الداخلية أو التدخل مــن قبل الدول العربية المجاورة* [4].

كان هذا هو التفكير الذي ساد الدوائر الرسمية البريطانية (والأمريكية) في النصف الثــاني من عام 1948 في وقت كانــت فيه قضية اللاجئين في مرحلة التبلور. وقد ســاد المنطــق المُقنع نفســه، منذ فــترة تعود إلى ما قبــل بداية القــرن، في بدايات المشروع الصهيوني. فقــد كان الكثيرون من بين الصهيونيين أو مُحبي الصهيونية ممن يعتقدون، أو على الأقل يجادلون، أن فلســطين كانت «أرضا خالية» انتظرت بولع وصول موجات المســتوطنين اليهود[5]. ولكن الحقيقة أنه عشية التدفق الصهيوني على البلاد كان هناك ســكان بلغ عددهم 450 ألف عربي (فضلا عن 20 ألف يهودي) ســكن أغلبهم المناطق الأكثر خصوبة في النصف الشــمالي من البلاد. فكيف كان من الممكن أن تحول الحركة الصهيونية فلســطين إلى «دولة يهودية» إذا ما كانت الأغلبية الســاحقة للســكان من العرب؟ وإذا ما تمكن اليهود، على مدار الأعوام من خلال موجات الهجرة الضخمة، من

أن يمثلوا أغلبية السكان، كيف يمكن إقامة كيان سياسي يكون حقا «يهوديا» ومستقرا في وقت يضم فيه أقلية عربية ضخمة، وربما تكون مستاءة من الوضع، ويزيد معدل المواليد لديها عما هي الحال بالنسبة إلى اليهود[6]؟

تمثلت الإجابة المنطقية والواضحة في نزوح العرب أو «نقلهم»، وهو ما يمكن أن يتم بأسلوبين: أولهما استخدام القوة (الطرد على سبيل المثال)؛ وثانيهما التخطيط لأن يبدو ذلك طوعيا بشكل يرحل معه «المنقولون» بموافقتهم، كما يمكن اللجوء إلى مزيج من الأسلوبين، فعلى سبيل المثال يمكن حث وتشجيع العرب على الرحيل بواسطة الإرهاق المالي (بالضرائب مثلا) وتقديم الحوافز (في حالة الرحيل). وقد كان ذلك ـ حقا ـ مضمونَ المذكرات اليومية لـ «نبي» الصهيونية ومؤسسها تيودور هيرتزل، حيث كتب في الثاني عشر من يونيو 1895:

> *يلزم علينا أن نجردهم من الأرض بلطف... يجب أن نشجع السكان الفقراء على عبور الحدود من خلال تأمين عمل لهم في بلاد العبور، في الوقت الذي نمنعهم فيه من الحصول على أي عمل في بلادنا... إن كلا من عملية التجريد من الملكية والتخلص من الفقراء يجب أن يتم بشكل منفصل وبحذر شديد*[7].

كان ما سبق يوميات هيرتزل الوحيدة حول هذه النقطة، ونادرا ما تناول هذا الموضوع في موقع آخر، فلم يظهر على الإطلاق في مؤلفيه الرئيسين عن الصهيونية: «الدولة اليهودية» و«الأرض القديمة الجديدة»، كما أنه لم يظهر في كتابات أغلب القادة الصهاينة الذين عاصروا هيرتزل أو جاءوا بعده. الجميع أدركوا ضرورة الالتزام بالكتمان والحذر. فالحديث عن نقل العرب، حتى بموافقة الفلسطينيين والقادة العرب في الخارج، سوف يضعهم في حالة استنفار وخصومة، كما أنه سيؤدى إلى حالة خصام - غير مطلوبة - مع العثمانيين، الذين تجمعهم الديانة مع العرب، وحكموا البلاد حتى 1917- 1918.

أما في اللقاءات الشخصية فإن القادة الصهاينة كانوا أكثر استعدادا لتبادل المعلومات في هذا الصدد، ففي عام 1911 اقترح آرثر روبين (رئيس مكتب فلسطين في المنظمة الصهيونية) عملية «نقل محدودة» للفلاحين إلى سورية،

وبعد مرور عام ذكر ليون متزكين (أحد مؤسسي المنظمة) أن: «حقيقة الأمر أن فلسطين محاطة بمساحات واسعة، وسيكون من السهل على العرب أن يستقروا هناك بالأموال التي سيتلقونها من اليهود»[8]. وعلى مدار السنين، استمر المؤيدون للصهيونية والمؤلفون في التسويق لحل «الترانسفير» لتسوية المشكلة العربية:

> *لا يمكن لنا السماح للعرب بإعاقة إعادة بناء قطعة تاريخية مهمة للغاية... ومن ثم يجب علينا أن نقنعهم برفق بأن يغادروا، فهم على الرغم من كل شيء لديهم الجزيرة العربية التي تضم ملايين الأميال... ولا يوجد أي سبب خاص للعرب للتشبث بهذه الكيلومترات القليلة. ولما كانت عادتهم المشهورة هي «طي الخيام، والذهاب بعيدًا» فليضربوا المثل على ذلك الآن*[9].

غير أن معظم المنادين بـ «الترانسفير» احتفظوا بأفكارهم لأنفسهم، أو اقتصروا في تداولها على الخطابات الشخصية والمناقشات داخل الدوائر الصهيونية، وقد كان ذلك هو الموقفَ في أيام ضعف الحكم العثماني، وظل كذلك خلال العقدين الأول والثاني للحكم البريطاني، فالحديث عن «النقل» أو «الترانسفير» كان سيؤدي - بشكل غير مرغوب فيه - إلى تنفير أو على الأقل تعقيد أمور الحكام الجدد في فلسطين، وربما يُبعد كذلك مؤيدين يهودا محتملين للصهيونية.

لا ريب في أن التطبيقات العملية للصهيونية اتسمت، منذ البداية، بتتابع من «الترانسفير» الصغير أو المحدود؛ فشراء الأراضي وبناء كل مستوطنة (موشافا بالعبرية، ومعناها الحرفي مستعمرة) قد صاحبه (وإن كان بشكل قانوني ومن خلال دفع تعويضات) «نقل» أو «ترانسفير» للبدو الأصليين أو المجتمعات الزراعية المستقرة. وكان يتم التوطين في جزء آخر من المناطق الريفية في فلسطين أو في المدن المزدهرة، على الرغم من أن بعضهم عبر نهر الأردن تاركا البلاد. وقد عمد حاييم مارغاليوت (خبير صهيوني في المسائل العربية وأحد كبار مشتري الأرض في فلسطين) إلى وصف وتقديم صورة لعملية الإبعاد على النحو التالي:

لقد تكشفت المسألة العربية بكل جديتها أمامي منذ المرة الأولى التي قمت فيها بشراء أرض هنا، عندما رأيت لأول مرة عملية إخراج العرب من أراضيهم لإفساح المجال لتوطين أشقائنا. ولفترة طويلة بعد ذلك لم أتوقف عن سماع هذا اللحن الحزين الذي ردده البدو (نساء ورجالا) الذين تجمعوا في خيمة شيخ القبيلة ذلك المساء قبل مغادرتهم قرية شماسين القريبة من ياما والتي أصحبت تحمل اليوم أسم يافينيل (في الجليل الشرقي). لقد كنت أجلس في الخيمة لأنهي التفاوض مع الشيخ فاضل من دلكا، ونساء البدو ورجالهم مجتمعون حول النار يعدون القهوة لي ولبقية المدعوين. وفي الوقت نفسه كانوا يتغنون بأغان حزينة يندبون فيها حظهم السيئ الذي اضطرهم إلى ترك مهدهم وديارهم، تلك الأغاني مست قلبي، وأدركت آنذاك مدى قوة الروابط بين البدوي وأرضه[10].

وبطبيعة الحال لم يكن هيرتزل ومتزكين وروبين وزانغويل يفكرون في مثل هذه العمليات الصغيرة، بل في الإبعاد «الجماعي» «الاستراتيجي». ولكن على الرغم من أن الفكرة مغرية على المستوى العملي، فقد مسها في أذهان أغلب الصهاينة قدر من الشكوك الأخلاقية. وفي المقابل، إذا ما عدنا إلى العشرينيات والثلاثينيات، لم يكن عرب فلسطين ينظرون إلى أنفسهم، ولم يكن أي شخص آخر يعتبرهم، كـ «شعب» مميز، بل كـ «عرب» أو بشكل أكثر تحديا «عرب جنوب سورية». وبناء عليه فإن نقلهم من نابلس أو الخليل إلى شرق الأردن، أو سورية أو حتى العراق - خاصة إذا ما عُوِّضوا بشكل مناسب - لم يكن ليعادل النفي من البلاد، بل تحرك «عرب» من منطقة عربية إلى أخرى.

وفضلا عن ذلك فإن «نقل» أو «ترحيل» الأقليات العرقية إلى قلب منطقتهم الوطنية كان ينظر إليه خلال النصف الأول من القرن العشرين على أنه مقبول أخلاقيا، وربما حتى مرغوب فيه. كما بدا منطقيا من الناحية السياسية. لقد أكدت الخبرة التاريخية في أجزاء مختلفة من العالم خلال العشرينيات والأربعينيات هذه النظرة. فالنقل القسري المزدوج الذي شمل المسلمين الأتراك إلى خارج المناطق ذات الأغلبية اليونانية في تراقيا وجزر بحر إيجه، وذلك الذي شمل المسيحيين اليونان من آسيا الوسطى التركية في بدايات العشرينيات، والذي كان نتيجة

ثانوية للمعارك التركية - اليونانية، بدا وكأنه قد وضع تسوية لمشاكل أقليات مستمرة و«غير قابلة للحل»، مما يجعل مستقبل العلاقات اليونانية - التركية أكثر منطقية وسلمية. كما شهدت الفترة 1947 – 1948 عمليات «ترانسفير» أوسع، وأكثر دموية، بين الهند وباكستان، وشملت المسلمين والهندوس مع مولد هاتين الدولتين من رحم التاريخ[11]. وقد شاهد العالم هذا الوضع من دون أن يدين أو يظهر تأثراً. كذلك كانت عملية «نقل» جماعات الأقلية الألمانية من الأراضي الحدودية غربي بولندا والتشيك إلى ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية محل ثناء من أغلب عواصم الحلفاء. وقد نُظر إلى ذلك سواء في الغرب أو المعسكر الشيوعي على أنه أمر عادل وضروري سياسيا. فقد ساعدت تلك الأقليات على إفساد النظام الأوروبي، وكتلة من الدول القومية في وسط وغرب أوروبا، بقدر لا يقبله العقل من المعاناة والتضحية بالأرواح والأملاك، فكان من العدل والمناسب اقتلاعهم من أماكنهم وإعادتهم إلى ألمانيا، كعقاب، وأيضا من أجل تجنب أن يحدثوا مشاكل في المستقبل.

ومع ذلك، ظل مفهوم «الترانسفير» في أعين الصهاينة - حتى عندما عرض قادتهم الأمثلة التاريخية السالفة الإشارة إليها - مثيرا للجدل أخلاقيا. فجميعهم تبنى المُثل الليبرالية والكثير منهم كان ينتمي إلى مدرسة اشتراكية أو أخرى، وكان الهدف النهائي لأيديولوجيتهم الصهيونية هو عودة شعب إلى أرضه. كان اقتلاع العائلات العربية من ديارها وأراضيها، حتى إن كان ذلك مقابل تعويض وإعادة توطين منظمة بين العرب خارج فلسطين، يخالف ميلهم الفطري. وقد تضخمت المعضلة الأخلاقية بشكل كبير خلال الثلاثينيات والأربعينيات مع بداية إقرار العديد من القادة الصهاينة، بما في ذلك بن غوريون وزيف جابوتنسكي (قائد الحركة التصحيحية اليمينية)، بأن عرب فلسطين قد أفرزوا قومية جديدة مميزة (على الرغم من أنها مازالت عربية) وهوية وطنية؛ ومن ثم فإن الفلسطينيين الذين يُنقلون ربما لا يشعرون بأنهم في دارهم في شرق الأردن أو العراق. ولهذه الأسباب كان من الأفضل تجنب الحديث عن مفهوم «الترانسفير» على الملأ في خطابات عامة أو مناظرات، وعدم التفكير به على الإطلاق. قد تتطلب الصهيونية ترحيل الفلسطينيين، ولكن لماذا يجب أن يزعج المرء ضميره بذلك ويتوقف عنده طويلا؟

الواقع أن التعاليم الصهيونية الشـفهية منذ نهاية القرن (التاسع عشر) وحتى الأربعينيـات (من القـرن العشرين) ظلت تكرر أن هناك مكانا كافيا في فلسـطين لكلا الشعبين، ولا يحتاج الأمر إلى طرد العرب لإيجاد متسع من الأرض للمهاجرين الصهاينة أو للدولة اليهودية. وأنه ليسـت هنـاك حاجة إلى نقل العرب، ولا يجوز بـأي حال من الأحـوال إدماج هذه الفكـرة في البرنامج السـياسي - الأيديولوجي للحركة الصهيونية.

بيـد أن المنطق الـذي تضمنه حل «الترانسـفير» للمشـكلة العربية ظل من المتعـذر تجنبـه؛ فمن دون نوع ما من الاسـتبعاد الجماعي للعـرب من المنطقة التـي سـتقام عليها الدولة اليهوديـة، لم يكن من الممكن إقامـة دولة «يهودية» قابلة للحيـاة. ولقد أضحت الحاجة إلى «الترانسـفير» حادة مـع تزايد المعارضة العربية العنيفة للمـشروع الصهيوني خلال العشرينيات والثلاثينيات. حيث أظهر ذلك العنف أن أغلبية عربية ساخطة وعدائية، أو أقلية كبيرة ستقوم بالنضال ضد مجرد وجود دولة يهودية وستكرس جهودها كعامل مخرب ومدمر لاستقرارها منذ البداية. وفضلا عن ذلك فـإن الموجات المتوالية من العنف العربي ضد الصهيونية (1920، 1921، 1929 و1936 - 1939) قد أكره البريطانيين على كبح جماح الهجرة اليهوديـة بشـكل دوري. الأمر الذي عنى أن العنف العـربي كان يؤشر إلى إمكان منـع تكويـن أغلبية يهودية. وقـد كان هذا مغزى الكتاب الأبيـض الذي أصدره البريطانيـون في مايـو 1939 كرد فعـل على الثورة العربيـة في الفترة من 1936 - 1939، أكبر انفجار للعنف العربي خلال الانتداب. كفل هذا الكتاب للعرب (الذين قـارب عددهم آنذاك المليون في مقابل 450 ألف يهودي) وضعية الأغلبية الدائمة (من خلال تقييد الهجرة اليهودية لتصبح 75 ألفا خلال الأعوام الخمسـة التالية)، كما وعد هذه الأغلبية بـ «الاسـتقلال» خلال عشرة أعوام؛ لتصبح فلسـطين دولة عربية ذات أقلية يهودية كبيرة (الذين سيتحدد وضعهم المستقبلي وحقوقهم من خلال القادة العرب الجدد).

بنـاء على ما تقدم، فإنه إذا كانت الدعوة الصهيونية للنقل أو«الترانسـفير» خـلال العقـود الأخيرة من القرن التاسـع عشر والأولى من القـرن العشرين قد اتسمت بكونها ثانوية وغير ملحة، فإنه منذ بدايات الثلاثينيات بدأت في الظهور

دعوات عالية، تقارب الإجماع، مؤيدة للفكرة بين قادة الحركة. حيث أشعلت كل نوبـة كبيرة من العنف العربي اهتماما صهيونيا متجددا بحل «الترانسـفير»، كما كانت الحال في أعمال الشـغب في العام 1929. وفي مايو 1930 اقترح الكولونيل أف. أتـش. كيـش، مدير الإدارة السياسـية للوكالـة اليهودية، ورئيـس الجهاز التنفيذي للوكالة في فلسـطين، على حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية، أن تقوم الوكالة بالضغط على البريطانيين لتشـجيع هجرة الفلسـطينيين العرب إلى العراق الذي هو في حاجة ماسة إلى المزارعين.

> *لـن يكـون من المسـتحيل التوصل إلى اتفـاق مع [الملـك] فيصل [في العـراق]، ليقدم مبادرة بعـرض فرص جيدة للعرب المهاجريـن... ولا بد أن تكون هناك دعاية جيدة تجذب المهاجرين العرب إلى تلك الدولة التي تحتاج بالفعل إليهم - كما يجب أن تكون هناك تسـهيلات منظمة ومُعلنة للسـفر. وبالطبع فإننا بالتأكيد يجب ألا نَظهر [بوصفنا طرفا مشـجعا لذلك]، ولكنني لا أرى أي سـبب يمنع اهتمام حكومة جلالة الملكة بذلك... ومن غير المتصور أن تكون هناك مشقة لدى الفلسطينيين العرب - الذين هم في الأساس شعب بدوي أو شـبه بدوي - في الانتقـال إلى دولة عربية أخرى يجدون فيها فرصة أفضل للحياة الزراعية - كما كانت الحال بالنسبة إلى المهاجرين الزراعيين من بريطانيا إلى كندا* [12].

وقبل ذلك بأسابيع قليلة اقترح وايزمان نفسه على اللورد باسفيلد، وزير المستعمرات البريطاني، أن حلاً للاضطرابات التي يُحدثها الفلسطينيون يمكن أن يكون عبر نهر الأردن: الفلسطينيون محدثو الاضطرابات يمكن نقلهم إلى الجانب الآخر من النهر.

> *أجاب اللورد باسـفيلد معبرا عن اقتناعه بضرورة البحث عن حل في هذا الاتجاه، ولكن العراق يطرح بعض المشاكل... وأنهم [العراقيين] شعب صعب. فأجبـت بالقول: «بالطبع الأمر ليس سـهلا، ولكن هـذه البلاد [شرق الأردن والعراق] يجب تنميتها»... وقد رأى اللورد باسـفيلد في ذلك نظرة استشرافية واسعة يلزم أخذها في الاعتبار بجدية كبيرة. وعندئذ قلت، مفترضا أننا سنقيم شركة تنمية يمكن أن تحصل على مليون دونم من الأرض في شرق الأردن، بأن هذا يمكن أن يمثل بديلاً ويريح فلسطين من الضغط...* [13].

أثار الكولونيل كيش الموضوع مرة ثانية بعد مرور عام، موضحا أنه يلزم على الحركة أن تتبنى سياسة واضحة في هذا الخصوص. وردًا على ذلك كتب ياكوف ثون، المسؤول الصهيوني المخضرم، أنه من وجهة نظر الحركة يتمثل الحل المثالي في نقل العرب الفلسطينيين عبر الأردن. مضيفا أن المتحدثين باسم الحركة لا يمكنهم قول ذلك علنًا[14]. وقد أورد وايزمان كلاما مشابها مع دروموند شيلز، نائب وزير المستعمرات البريطانية: نقل العرب خارج فلسطين سيكون «محاولة شجاعة على مستوى رجل الدولة للتعامل مع مشكلة كان يتم تناولها حتى اليوم بطريقة فاترة... البعض [من الفلسطينيين العرب] يمكن أن يتدفق على الدول المجاورة، ومثل هذا التبادل للسكان يمكن دعمه وتشجيعه»[15].

قبيل العام 1936 كان الحديث والتفكير المتقطع حول «الترانسفير» محصورا فقط في المقابلات المباشرة وراء الأبواب المغلقة والمذكرات الصادرة داخل الإدارات، غير أن اندلاع الثورة العربية عام 1936 قد فتح الأبواب على مصاريعها. فقد حملت الثورة في طياتها، من وجهة نظر العرب، مفهوم أنه ليس هناك حل وسط، وأنهم لن يقبلوا على الإطلاق العيش داخل (أو في جوار) دولة يهودية. والأكثر من ذلك، فقد عقدوا العزم على إرغام البريطانيين على إيقاف الهجرة اليهودية، في وقت كان فيه النازيون يتوعدون يهود أوروبا بمستقبل مُرعب لا يمكن تصوره. ومن ثم كانت هناك حاجة ملحة إلى ملاذ آمن في فلسطين أكثر من أي وقت مضى.

ظل القادة الصهاينة يرددون في العلن المقولات نفسها الذاهبة إلى أن هناك مكانا كافيا في البلاد لشعبين، وأن الهجرة الصهيونية لا تتطلب إبعاد العرب. وعلى الرغم من تأييد قائد الحركة التصحيحية اليمينية، جابوتنسكي، بشكل عام لفكرة «الترانسفير»[16]، فإنه قال في العام 1931: «إننا لا نريد طرد عربي واحد من الضفة اليمنى أو اليسرى لنهر الأردن، نحن نريدهم أن يزدهروا اقتصاديا وثقافيا»[17]، وبعد مرور ستة أشهر تضمنت شهادته أمام لجنة بيل أن «موضوع طرد العرب لم يكن واردا على الإطلاق، بل على العكس تمثلت الفكرة الرئيسية في أن أرض إسرائيل على جانبي نهر الأردن (فلسطين وشرق الأردن) ستضم (في نهاية المطاف) عربا... وملايين اليهود...»، مع اعترافه بأن العرب يمكن أن يصيروا «أقلية»[18].

بحلول العام 1936 أصبح الاتجاه السائد للقادة الصهاينة أكثر صراحة في تأييد فكرة «الترانسـفير». ففي يوليو عمد كل من بن غوريـون (رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية، والرئيس الفعلي لليشـوف) ونائبه موشى شيرتوك (شاريت، مدير الإدارة السياسـية للوكالة)، إلى لقاء المفوض السـامي البريطاني، للدفاع عن الهجرة الصهيونية التي كانت سلطة الانتداب تدرس تعليقها:

سـأل بن غوريون عما إذا كانت الحكومة ستجعل من الممكن للمزارعين العرب الذين شُـتتوا نتيجة لشراء اليهود أراضيهم بالاستقرار في شرق الأردن؛ حيث إنه إذا كانت منطقة شرق الأردن، في الوقت الحالي، مغلقة أمام اليهود [بمعنى الاسـتيطان اليهودي]، فإنها بالتأكيد لا يمكن أن تكون كذلك بالنسبة إلى العرب.

وقد رأى المفوض السامي في ذلك فكرة جيدة... وسأل عما إذا كان اليهود مسـتبعدين لإنفاق المـال لتحقيق مثل هذا التوطين للفلسـطينيين في شرق الأردن. وكانت إجابة بن غوريون أن الأمر يمكن بحثه.

ومن جانبه، أشار شيرتوك إلى أن وكالات الاستيطان اليهودي كانت في كل الأحوال تنفق أموالا لتزويد مسـتأجري الأرض أو زارعيها الذين رُحلوا نتيجة لشراء اليهـود للأرضي، وذلك إما بدفع تعويضـات، وإما من خلال تزويدهم بـأرض بديله. وأنهم سـيكونون سـعداء بإنفاق هذا المال عـلى توطين هذا الشعب في شرق الأردن[19].

ناقشـت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية هذه الفكرة بعد مرور ثلاثة أشهر. وفي هذا الصدد قال بن غوريون:

لمـاذا لا يمكننا الحصـول على أرض هنـاك للعرب الذيـن يرغبون في الاسـتقرار في شرق الأردن؟ فإذا كان من المسموح به نقل عربي من الجليل إلى يهـودا فلماذا يكون من غير الممكن نقله مـن منطقة الخليل إلى شرق الأردن والتـي هي أكـثر قرباً؟ ...إن هناك متسـعا هائلا من الأرض، ونحن (في فلسـطين) مكتظـون بالسـكان... إننا نريد الآن إقامـة مناطق مكثفة للاسـتيطان اليهودي (في فلسـطين)، ويمكننا حل مشـكلة هذا التكتل من

خلال نقل العـرب الذين يبيعون أراضيهم إلى شرق الأردن... حتى المفوض السـامي يوافق على «الترانسـفير» إلى شرق الأردن إذا مـا زودنا الفلاحين بالأرض والمال[20].

وعد البريطانيون في مايو 1936 بإرسـال لجنة ملكية للتحقيق تكون مهمتها تحديد أسـباب التمرد واقتراح الحلول - وذلك عندما يوقف العرب إطلاق النار. وبحلول شـهر أكتوبر كانت عصابات التمرد في حالة إنهاك كبير، وسـأم السكان بشكل عام من التمرد. ومع تعليق الحاج أمين الحسيني الأعمال القتالية وصلت لجنة بيل إلى فلسطين. وطافت بالبلاد والتقت بالقادة العرب في الخارج واستمتعت إلى شهادات من المسؤولين البريطانيين، والصهاينة، والعرب الفلسطينيين، قبل أن تقـدم وتنـشر تقريرها في بداية يوليـو 1937. ولقد أوصت لجنة بيل بتقسـيم فلسـطين إلى دولة يهودية تضـم 20 في المائة من البـلاد، ودولة «شرق أردنية» على أغلب الجزء المتبقي (باسـتثناء مسـاحة أقل من 10 في المائة تضم القدس وبيت لحم تظل تحت السـيطرة البريطانية). ولكن حتى ذلك فشـل في أن يحل المشـكلة الديموغرافية المسـتمرة: حيث إنه حتى في نسـبة الـ 20 في المائة التي تمركز فيها اليهود وتم تخصيصها لتكون تحت السيادة اليهودية (السهل الساحلي و«الجليل») كان العرب يمثلون ما يزيد على خمسي عدد السـكان. ولذلك أوصى بيل بنقل كل أو معظم السكان العرب خارج هذه المناطق.

إن وجـود هذه الأقليـات (العربية واليهوديـة) في المناطق التي تضم أغلبية من كل منهما يمثل بشـكل واضح أكثر العوائق خطورة لإتمام عملية التقسـيم بشكل سـلس وناجح... وإذا كان للتسـوية أن تكون خالية من الغبـار ونهائية، فإنه يلزم مواجهة مسـألة الأقليات بشـجاعة وأن يُتعامَل معها بحزم.

وأشـارت اللجنة إلى السـابقة اليونانية - التركية التي حدث بموجبها التبادل الجبري ونقل 1.3 مليون يوناني و400 ألف تركي في النصف الأول من عشرينيات القرن العشرين. «قبل إتمام هذه العملية كانت الأقليات اليونانية والتركية مصدر إزعاج وقلق مسـتمرين، وبعد إزالة التقرح أضحت العلاقات اليونانية - التركية

ودية أكثر من أي وقت مضى». وبشكل رسمي لم تتحدث اللجنة عن «الترانسفير»، ولكن عن «تبادل للسكان» يتضمن تحويل 1.25 مليون يهودي من المناطق ذات الكثافة السكانية العربية إلى ما هو مقرر أن يكون الدولة اليهودية، وتحويل 225 ألف عربي خارج أراضي تلك الدولة إلى المناطق العربية. وفي الحقيقة فإن ما كان مقررا لم يكن عملية تبادل عادل، بل نقلا للعرب يصاحبه نقل عدد قليل جدا من اليهود كورقة «توت» للتمويه على الأمر. ولقد فضلت اللجنة أن ينتقل العرب بشكل اختياري ومقابل تعويضات - ولكنها شددت على أهمية الموضوع، وعلى أنه في حال رفض العرب لـ «الترانسفير» فإنه يجب أن يكون إجباريا، بمعنى أن يتم تنفيذه بالقوة، وإلا فإن التسوية القائمة على التقسيم لا يمكن لها أن تصمد[21].

أسعدت التوصيات، خاصة تلك المتصلة بـ «النقل»، العديد من القادة الصهاينة ومن بينهم بن غوريون، وإذا كان من الصحيح أن اليهود مُنحوا جزءا صغيرا من إرثهم، فإنهم يستطيعون استخدام هذه الدولة الصغيرة كقاعدة أو رأس جسر للغزو والاستيلاء على باقي فلسطين (وربما أيضا شرق الأردن). وقد كان هذا، على الأقل، ما قاله بن غوريون ليبرر جزئيا موافقته على الحصول على حصة صغيرة من الأرض[22]. بيد أنه كان لديه سبب آخر لذلك: «النقل الإجباري للعرب من الأودية المخصصة للدولة اليهودية المقترحة يمكن أن يقدم لنا شيئا لم نحظ به قط، حتى عندما كنا مستقلين أيام المعبد الأول والثاني...»، كما أفصح بن غوريون في يومياته. «لقد مُنحنا فرصةً لم نجرؤ حتى على أن نحلم بها في مخيلتنا. فالأمر أكثر من دولة أو حكومة أو سيادة؟ بل اندماج وطني في وطن قومي». وقد رأى بن غوريون في توصية النقل أو «الترانسفير» أنها:

> *نقطة مركزية تفوق أهميتها كل النقاط الإيجابية الأخرى وتعوض كل نقائص التقرير وعوائقه... يجب علينا أن نتمسك بقوة بهذه النتيجة (التوصية) كما تمسكنا بوعد بلفور، بل كما تمسكنا بقوةٍ بالصهيونية ذاتها... لأنه من بين كل النتائج التي توصلت إليها اللجنة، هذه النتيجة وحدها هي التي تقدم بعض التعويض للذين يُنتزَعون من أجزاء أخرى من الدولة (وتعطيه للعرب)... فالشيء الذي لا يمكن تصوره في الأوقات*

العادية ممكن التحقيق في اللحظات الثورية... إن أي شك من جانبنا حول ضرورة هذا «الترانسفير»، وأي شك يمكن أن نثيره حول إمكانية تنفيذه، وأي تردد من جانبنا فيما يتصل بعدالته، يمكن أن يفقدنا فرصة تاريخية قد لا تتكرر... إذا لم ننجح في إزاحة العرب من بيننا، في الوقت الذي تقترح فيه لجنة ملكية ذلك لبريطانيا، وننقلهم إلى المنطقة العربية، فإن ذلك لن يمكن تحقيقه بسهولة (وربما على الإطلاق) بعد تأسيس الدولة اليهودية... يجب القيام بذلك الآن، والخطوة الأولى، وربما الأكثر أهمية، هي أن نلزم أنفسنا بتنفيذه[23].

أضفى تقرير بيل، للمرة الأولى، على فكرة «الترانسفير» قبولا معنويا دوليا، وفي الوقت ذاته أثار نشره نقاشا عميقا ومستمرا داخل القيادة الصهيونية: هل يجب على الحركة أن تتخلى عن مطالبتها التاريخية بكل أراضي فلسطين، وتقبل بمبدأ التقسيم ونسبة الـ 20 في المائة من الأرض المقترحة؟ وقد قسم الجدل حول هذه النقطة صفوف الأحزاب، بما في ذلك حزب ماباي الذي تزعمه بن غوريون والذي انقسم على نفسه. وبالنسبة إلى اليمين التصحيحي لم تكن هناك أي مشكلة؛ حيث طالب بشرق الأردن بالإضافة إلى كل فلسطين، ومن ثم لم يكن التقسيم بالنسبة إليه بداية يعتد بها. أما فيما يخص اليسار- الذي مثله بريت شالوم وهاشومير هاتزائير- فإن مقترحات بيل لم تكن ذات صلة بالموضوع؛ حيث كان اليسار يفضل دولة مزدوجة القومية (عربية - يهودية) وليس التقسيم. وفيما يتصل باليسار المعتدل والوسط (والذي مثل جوهر الحركة وتيارها الرئيسي) مثل الأمر معضلة كبيرة. وقد حدثت المناقشة النهائية والحاسمة خلال المؤتمر العشرين للكونغرس الصهيوني في زيورخ خلال شهر أغسطس 1937 والذي دُعي لعقده خصيصا لمناقشة هذا الموضوع (ولم تحضره الحركة التصحيحية).

وقد استغل بن غوريون مقترح لجنة بيل حول «النقل» للتعبئة لتأييد قبول فكرة التقسيم:

يجب علينا أن ننظر بعناية إلى مسألة ما إذا كان «الترانسفير» ممكنا، ضروريا، أخلاقيا، ومفيدا. نحن لا نريد طرد ولكن نقل سكان كما حدث من قبل، في مرج ابن عامر وفي شارون (في الوادي الساحلي) وأماكن

أخرى... أنتم بلا شك على دراية بأنشطة الصندوق الوطني اليهودي في هذا الصـدد. الآن يجب أن يحدث نقل يختلف مداه بشـكل تام. ففي العديد مـن مناطق البلاد لن يكون مـن الممكن إقامة اسـتيطان جديد من دون نقـل الفلاحين العرب... مـن المهم أن تأتي هذه الخطة مـن اللجنة وليس من جانبنا... «النقل» أو «الترانسـفير» هو الذي سيجعل من الممكن تنفيذ برنامج اسـتيطان شـامل. ولحسـن الحظ أن العرب لديهم مناطق واسعة خالية. إن القوة اليهودية، التي تتزايد بشكل مطرد، ستزيد من فرص تنفيذ «النقل» على نطاق واسـع. عليكم أن تتذكروا أن هذا النظام يتضمن فكرة إنسانية وصهيونية مهمة، نقل قطاعات من الشعب (الفلسطينيين العرب) إلى بلادهم (مثل شرق الأردن والعراق) وتعمير الأراضي الخالية...

خـلال الاجتماع، بدا بن غوريون وكأنه يقترح أن يكون النقل إجباريا، وأن يتم تنفيذه بواسـطة القوات اليهودية وليـس البريطانية. وقد تكلم متحدثون آخرون، بمـا في ذلك وايزمـان وروبين، في الاتجاه ذاتـه، وإن كان الجميع قـد فضل النقل الطوعي المتفق عليه، وإن شكك البعض، مثل يوسيشكين، في أن تكون الفكرة قابلة للتنفيـذ؛ البريطانيون لن ينفذوها كما أنهم سـيمنعون اليهـود من تنفيذها. وقد عارض العديد من المشـاركين، بمن فيهم بيرل كاتزنيلسـون - القائد الثاني في حزب ماباي - جوهر الصفقة الشاملة التي قدمها تقرير بيل، والمتصلة بالتقسيم. (في حين ساندوا نظريا النقل)[24].

في نهايـة المطاف، وبعد نقاش حامي الوطيس، أقر المؤتمر - بشـكل غير قاطع وبتصويت 299 ضد 160 - توصيات بيل كأساس للمزيد من المفاوضات. وقد أظهر التصويـت إقرارا لمفهوم التقسـيم من حيـث المبدأ. ولم يتضمن القرار أي إشـارة خاصـة للمقترح الخاص بالنقل أو «الترانسـفير» على الرغم مـن قبوله ضمنا كجزء من الصفقة التي يسعى الصهاينة إلى التفاوض على شروطها الخاصة بالأرض (حيث أرادوا الحصول على أكثر من نسبة الـ 20 في المائة التي تضمنتها)[25].

وعلى الرغم من ذلك، دخلت توصيات بيل خلال أسـابيع في حالة جمود قاتل؛ حيث جدد العرب غير الراضين عنها ثورتهم، وقام البريطانيون، الذين أصابهم الذعر، بالتصويت سراً في الثامن من ديسمبر 1937 ضد التقسيم وتعيين لجنة (فنية) هدفها

الظاهـر النظر في إمكانية تطبيق مقترحات بيـل، وإن كان هدفها واقعيا هو دفنَها نهائيـا. وقد قدمت لجنة وودهيد التي شُـكلت في مارس 1938 تقريرها في شـهر نوفمبر. حيث اقترحت تقسـيما ضئيلا مُعدِلا يتضمـن قيام دولة يهودية أصغر من تلك التي اقترحتها لجنة بيل، تمتد من تل أبيب إلى زخرون ياكوف على 10 في المائة مـن إجمالي أرض فلسـطين (وهو ما كان غير مقبول للصهاينة بشـكل واضح)، كما رفضـت اللجنة مقترح بيل الخـاص بالنقل الإجباري بوصفه أمرا غير وارد، ورأت أن النقل الاختياري «من المستحيل افتراضه»، مما حداها على الانتهاء إلى أن قيام دولة يهوديـة تضم أقلية عربية كبيرة سـيكون معيبا، ومن ثم فإن التقسـيم لا يمكن أن يحل المشكلة.

بيد أنه خلال الشـهور التي أجـرت فيها لجنة وودهيـد مداولاتها، بادرت القيـادة الصهيونيـة - والتـي لم يكن لديهـا علم عن قرار لنـدن السري برفض التقسـيم - ببحث ونقاش عميق لمقترحات بيل والطرق العملية لتنفيذها. وكان موضوع «النقل» محل دراسة شاملة؛ حيث شُكلت «لجنة النقل» من خبراء على رأسـهم ثون - الذي شـغل آنذاك منصب رئيس شركة تطوير أراضي فلسـطين - لبحث وسـائل وطرق تنفيذ «الترانسفير» - كم عدد العرب الذين يجب أو يمكن نقلهـم؟ ومن هم؟ وإلى أين؟ وما التعويضات التـي يمكن تقديمها لهم؟ - ولقد كانت المشـكلة كبيرة والظروف المحيطة متغيرة (ثورة عربية مسـتمرة، حكومة بريطانيـة غير مؤكد تأييدهـا لتوصيات بيل، عالم يتجه نحو حرب شـاملة، مما يعنى بالتأكيد تنحية المشكلة الفلسطينية جانبا). وتفرقت اللجنة في يونيو 1938 دونما التوصل إلى تقرير نهائي[26].

بالتوازي مع ذلك ناقشت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (حكومة اليشوف) «النقل». وفي السـابع من يونيو 1938 أعلن بن غوريون، مقترحا بخطوط إرشـادية لسياسة صهيونية في هذا الخصوص: «أن الدولة اليهودية ستناقش مع الدول العربية المجـاورة موضوع النقل الاختياري للمزارعين المسـتأجرين، والعمال، والفلاحين من الدولـة اليهودية إلى الدول العربية المجـاورة». وكعادته، أقر بن غوريون في الوقت ذاته مسـاواة تامة وحقوقا مدنية للعرب الذين يعيشون في الدولة اليهودية، ونظر

بعض أعضاء «الحكومة» إلى هذا الإقرار على أنه وعد كلامي كاذب للتسـجيل فقط أمام الأجيال المقبلة)[27]. وبعد مرور خمسـة أيام كشف بن غوريون - بشكل غير مقصـود - عن نواياه: «أؤيد النقل الإجبـاري. ولا أرى فيه أي شيء غير أخلاقي»، وحـذا «يوسيشـكين» حذوه قائلاً: لا يوجد أي شيء غـير أخلاقي في نقل 60 ألف عائلة عربية،

> *فـلا يمكننا أن نبدأ دولة يهودية وبداخلها... نصف السـكان عرب... مثل هـذه الدولـة لا يمكنها أن تصمد حتى نصف سـاعة... «النقل» هو أفضل ما يمكننا فعله أخلاقيا... وأنا مستعد للدفاع عن ذلك أمام الرب...*

ذهب ورنر ديفيد سـيناتور، صاحب الأفكار الليبرالية، الذي شـغل منصب مديـر الجامعة العبرية، والمتحدر من أصول ألمانيـة، إلى المناداة بـ «أقصى حد للترانسـفير». ومن جانبه قال يهشوا سوبرسكي، عضو لجنة التنفيذ الصهيونية، إنه على اليشـوف أن يتنبه إلى «عدم خلق تشيكوسلوفاكيا جديدة هنا، ويمكن ضـمان ذلك من خلال الهجـرة التدريجية من قِبل العرب»، مشـيرا بذلك إلى تقويـض جمهورية تشيكوسـلوفاكيا بوجـود أقلية ألمانيـة. واتفق كل من بن غوريون ويوسيشكين وكاتزنيلسون على أن البريطانيين، وليس اليشوف، هم من يجب عليهم تنفيذ «الترانسـفير». وأعلن كاتزنيلسون: أن «المبدأ هو أنه يجب أن يكون هناك "نقل" واسع متفق عليه». ومن جانبه قال روبين: «أنا لا أومن بنقـل أفراد، ولكن بنقل قرى كاملـة». أما إليعازر كابلان - المدير المالي للوكالة اليهوديـة - فقـد ذهب إلى أنه مع وجـود إغراء مالي مناسـب، وإذا ما تُركوا في حالة فقـر مدقع داخل الدولة اليهودية الوليدة، فـإن العرب ربما يوافقون عـلى «رحيل اختياري». واقترح إلياهو بيرلين - قائـد حزب يسرائيل الديني في الكنيسـت - «زيادة الضرائب لدفع العـرب إلى الفرار من جراء ذلك». وهكذا كان هنـاك توافـق فعلي مؤيد لـ «الترانسـفير» بين أعضاء اللجنـة التنفيذية للوكالة اليهودية: الجميع فضلوا «النقل الطوعي»، غير أن أغلبهم وافقوا كذلك عـلى «نـقل إجباري»، مفضلـين بالتأكيد أن تقـوم بريطانيـا وليس اليشـوف بتنفيذ ذلك[28].

بشــكل أو بآخر كانت التعبيرات الصهيونية المؤيدة للنقل خلال عام 1936 و 1937 والنصــف الأول من عــام 1938 مرتبطة بعمل لجنــة بيل وتوصياتها. ولكن لم ينطبق ذلك على مخطط بن غوريون الجديد لـ «الترانسفير» مع بداية ديســمبر 1938. مات اقتراح بيل ودُفن. وفي ألمانيــا بدأ النازي في إطلاق العنان للمذبحة الجماعية في «ليلة الكريســتال»، وفي فلسطين ولندن كان البريطانيون والعرب والقادة الصهاينة يستعدون لمؤتمر سان جيمس الذي كان على وشك أن يفتــح أبوابه في العاصمة البريطانية. وكانت القيادة الصهيونية في أشــد الحاجة إلى إيجاد ملاذ آمن ليهود أوروبا وتفريغ فلسطين استعدادا لوصولهم. وقد كتب بــن غوريون على عَجل في يومياته: «ســنعرض على العــراق عشرة ملايين جنيه فلســطيني لنقل مائــة ألف عائلة عربية من فلســطين إلى هناك». وفي الحادي عشر من ديســمبر طرح هذه الفكرة على المجلس التنفيــذي للوكالة اليهودية. ووفقــا له فإن العراقيين كانوا في حاجة ماســة إلى الأيدي العاملة لملء أراضيهم الخالية وتنمية بلادهم. غير أن بن غوريون لم يكن متفائلا؛ حيث توقع معارضة من قِبل المملكة العربية الســعودية ومــصر، وكان مدفوعا بهاجس داخلي من كارثة غير مسبوقة:

> *إن المســألة اليهوديــة لم تعــد كمــا كانــت عليه حتــى الآن ... ملايين اليهــود مهــددون بالتصــفيــة الجسديــة... والصهيونية ذاتها في خطر... نحن في حاجــة الآن، خــلال هــذه النكبـة التي حلت على الشــعــب اليهودي، إلى كــل فلسطـــين... وإلى هجــرة ضخـمة»*[29].

بيد أن هذه المداولات والخطط لم تســفر عن شيء. وفي نوفمبر استبعدت لجنة وودهيد أي إمكان لإقرار أي من التقسيم أو النقل؛ ووصل مؤتمر سان جيمس الذي عقد في فبراير 1939 إلى طريق مسدود، وفي مايو أصدرت الحكومة البريطانية كتابا أبيض تنصلــت فيه من التزامها تجاه الصهيونية، ومؤيــدة من حيث الواقع أغلبية عربية مستمرة ودائمة وحكما عربيا في فلسطين خلال عشرة أعوام.

ظلت فكرة «الترانسفير»، باعتبارها الحل الذهبي للمشكلة العربية، تسيطر على الخيال الصهيوني. وخلال مناقشتهم للفكرة في أواخر الثلاثينيات اتجه المسؤولون في

اللجنة التنفيذية الصهيونية إلى التفكير سواء من منظور «النقل التام» الذي من شأنه أن يترك فلسطين خالية من العرب، أو، إذا ما اتضح أن ذلك غير ممكن، من زاوية نقل فئات محددة من العرب، حيث دار الحديث عادة عن الفلاحين والمستأجرين الزراعيين، ربما لأن نقلهم يتضمن توفير المزيد من الأرض للمؤسسات الصهيونية. وفضلا عن ذلك فإن المزارعين كان ينظر إليهم على أنهم «قابلون جدا للنقل»، لأن إعادة توطينهم في أرض شرق الأردن أو العراق لا تتطلب إعادة تأهيل مهني أو تأقلم ثقافي عميق. وفي المقابل فإن تحريك الجانب الأكبر من قاطني المدن سيمنح المشروع الصهيوني فائدة ضئيلة (فقط تحسنا في ديموغرافية فلسطين)، وسيكون أكثر صعوبة في مجال الاستيعاب.

في ظل غياب اتفاق بريطاني- عربي - صهيوني حول نقل شامل، برزت على السطح من وقت إلى آخر مقترحات تتصل بنقل انتقائي لهذه المجموعة الدينية أو العرقية أو تلك. ففي مارس 1939 اقترح سلطان الأطرش، زعيم الدروز في سورية، أن يشتري اليشوف محاصيل القرى الدرزية النائية في فلسطين، وأن يتم نقل سكانها الخمسة عشر ألفا إلى جبل الدروز في جنوبي سورية. وقد أوضح الأطرش أن مثل هذا النقل يمكن أن يفيد كلا من الدروز واليهود، ويمكن أن يصبح نموذجا للمزيد من نقل السكان من فلسطين. وقد استجاب وايزمان بحماسة لذلك، وبدأ سلسلة من المشاورات مع القادة الصهيونية في أمريكا وضباط ومسؤولين من الجيش الفرنسي، وأوضح أن الفرنسيين - الذين حكموا سورية - كانوا مؤيدين، ولكن شيرتوك - في تل أبيب - كان متشككا حول مدى استعداد دروز فلسطين للانتقال، وأن يقوموا في النهاية بإنهاء التفاوض، ويبدو أن الأمر توقف هنا [30].

كان من الواضح أن فكرة ما ترسخت في ذهن بن غوريون، الذي صاغ في أكتوبر 1941 برنامج عمل للسياسة الصهيونية في المستقبل أسهب فيه حول إمكانيات النقل، وكتب أن مجموعات متعددة من الفلسطينيين العرب مستعدة للنقل:

> *الدروز، العديد من القبائل البدوية في وادي الأردن وفي الجنوب، الشركس، وربما كذلك المتولي (شيعة يعيشون في شمالي الجليل) ربما لا يمانعون أن يُنقَلوا، في ظل ظروف مُشجعة، إلى دول مجاورة.*

كـما أوضح بن غوريون أن المزارعين المسـتأجرين والعمال الذين لا يملكون أرضا يمكن على الأرجح نقلهم أيضا بسهولة نسبية. ومع ذلك فإن نقل عدد كبير من الفلسـطينيين العرب يتطلب، على الأرجح، استخدام «قوة متحجرة القلب». واستطرد بن غوريون في كتابته قائلا إن التاريخ الأوروبي الحديث أثبت أن النقل الإجباري للسـكان أمر ممكن. كذلك فإن الحرب العالميـة الدائرة تؤكد ضرورة وعمليـة النقل الجماعي لحل المشـاكل الصعبة التي تمثلها الأقليات. واسـتنتج أنه سـتكون هناك انتقالات واسـعة للسكان كجزء من تسـوية ما بعد الحرب. ومع ذلـك فإن الحركة الصهيونية يجب أن تكون حـذرة من الدعوة علانية إلى نقل إجباري للعرب، لأن ذلك سـيكون تصرفا أخرقَ، كما أنه يمكن أن يثير عداء العديد في الغرب. وفي الوقت ذاته فإن الصهيونيين يجب ألا يُقدِموا على أي شيء من شـأنه الإضرار بأولئك الذين يتبنون في الغرب «الترانسفير» كعنصر رئيسي في تسوية المشكلة الفلسطينية[31].

كان بـن غوريون يشـير بشـكل غير مبـاشر إلى المقترح الـذي قدمه هاري سـان جون فيلبي، مسـتشرق ومستشار الملك بن سـعود في المملكة السعودية، والخاص بإقامة «اتحاد فدرالي» لدول شرق أوسطية في نهاية الحرب، يحكمه بن سـعود. وقد تضمنت الخطة كذلك قيام دولة يهودية في فلسـطين، ونقل أغلب الفلسـطينيين العرب إلى خـارج البلاد مع قيام المملكـة بدفـع 20 مليون جنيه إسـترليني. وقـد كـان كـل مـن وايزمـان وشـيرتوك متحمسا للغاية في البداية لهذا المقترح[32].

خلال أعوام الحرب، ظل كل من شيرتوك ووايزمان على تأييدهم المستمر لسياسة «النقل» عاملَين على تسـويق الفكرة لكل من يريد أن يسـمع، ومن بين المتحدثين مع وايزمان كان السفير السوفييتي في لندن، إيفان مايسكي، حيث التقى الرجلان في لندن في أواخر يناير من العام 1941. في البداية تحدث وايزمان عن إمكانية تصدير البرتقال إلى روسـيا، الأمر الذي لم يلقَ اهتماما خاصا من السـفير، وانتقل الحديث بعد ذلك إلى مناقشـة موضوع تحقيق تسوية في فلسطين بعد انتهاء الحرب، ووفقا لوايزمان ذكر مايسكي:

أنه يجب أن يكون هناك تبادل في السكان. قال د. وايزمان بأنه إذا ما نُقل نصف مليون عربي فإنه يمكن وضع مليونين من اليهود مكانهم. وسيكون ذلك بالطبع بمثابة الجزء الأول أما ما يمكن أن يحدث بعد ذلك فهو موضوع متروك للتاريخ. وقد علق مايسكي على ذلك بالقول إنهم في روسيا عليهم أيضا أن يتعاملوا مع مسألة تبادل السكان. فذكر وايزمان أن المسافة التي سيجري النقل خلالها ستكون في حالتهم قصيرة، حيث سينقل العرب فقط إلى العراق أو شرق الأردن. استفسر مايسكي حول ما إذا كانت هناك صعوبات يمكن أن تنبع من نقل سكان من بلاد تسودها المرتفعات إلى السهول، فرد وايزمان بأن البداية يجب أن تشمل عرب وادي الأردن، وأنه في كل الأحوال فإن شرق الأردن ليست مختلفة تماما عن مرتفعات فلسطين... وشرح د. وايزمان أنهم (الصهاينة) غير قادرين على التعامل مع العرب كما يمكن أن يكون عليه الحال، على سبيل المثال، في تعامل السلطات الروسية مع عنصر متخلف من سكانها في الاتحاد السوفييتي. كما أنه ليس لديهم الرغبة في القيام بذلك[33].

تضمن تقرير مايسكي عن اللقاء عددا من الاختلافات؛ حيث كتب أن وايزمان هو الذي أثار موضوع «النقل»، واقترح «نقل مليون من العرب... إلى العراق، وتوطين أربعة أو خمسة ملايين يهودي قادمين من بولندا وغيرها من البلاد في الأراضي التي كان يقيم فيها العرب». وقد عبر السفير الروسي عن دهشته إزاء توقعات وايزمان إمكانية إحلال أربعة أو خمسة ملايين يهودي في أراضي سكنها فقط مليون عربي، ووفقا لمايسكي رد وايزمان بالقول:

لا تنزعج من ذلك... عادة ما يوصف العربي بأنه ابن الصحراء، ولكن قد يكون من الأصح تسميته أب الصحراء. فكسله وبدائيته تحول الحديقة المثمرة إلى صحراء. أعطني الأرض التي يشغلها مليون عربي وسيمكنني بسهولة أن أُوطِن فيها خمسة أضعاف هذا الرقم من اليهود[34].

وبعد مرور عدة أشهر دار تقريبا حديث مطابق بين شيرتوك، الذي كان في زيارة للقاهرة، ووالتر سمارت - سكرتير الشؤون العربية في المفوضية البريطانية بمصر - وتعلق الأمر بهجرة ضخمة لليهود البولنديين إلى فلسطين.

قلت [شـيرتوك] إن أرض إسرائيل يمكن أن تستقبل على الأقل خمسة ملايين، واستفسر سمارت «ولكن كم منهم يهود؟».

أجبت: ثلاثة ملايين يهود ومليونـان عرب. إن العرب يتزايدون بفضل الهجـرة اليهودية (التي تؤدي إلى ازدهار الاقتصاد مما يسـهل اسـتيعاب العرب)، ولكن إذا ما طردنا العرب فسيكون هناك مساحة لمزيد من اليهود؛ وهذا سيفيد العرب أيضا.

وهنا سأل سمارت: ماذا ستفعلون معهم؟

أجبت: هل سورية، على سبيل المثال، يمكن أن تنمو بهذا العدد الضئيل من السـكان ومسـاحاتها الخالية؟ إذا ما نُقل عدة مئات الآلاف من أرض إسرائيل إليها، ووفر الشعب اليهودي الأموال، فإن العائد على البلاد سيكون كبيرا، وهو ما ينطبق كذلك على العراق.

في أثناء نفس الزيارة ردد شـيرتوك كلـمات مماثلة في لقائه مع الوزير الأمريكي الكسندر كيرك[35].

على الرغم من أن تلك اللقاءات لم تتمخض عن شيء، فإنها تكشـف عن حجم اليـأس الذي قد يصل إلى حد التهور والذي شـعرت به القيادة الصهيونية بشـكل متزايـد مع بدء تسرب الأخبار حول المصير المـروع ليهود أوروبا، وكذلك الإجراءات التي كانوا على استعداد للتفكير فيها واقتراحها لإنقاذ شعبهم.

لم يكـن هذا النـوع من التفكير قـاصرا فقط على القيادة السياسـية، بل امتد إلى العديد من المسـؤولين الذين أداروا مؤسسـات اليشـوف أو «الدولة داخل الدولة». فعلى سبيل المثال يوسف ويتز، الذي شغل منصب مدير إدارة الأراضي في الخزانة اليهودية الوطنية وأحد الشخصيات الرئيسية في مجال شراء الأراضي وتنفيـذ الاسـتيطان، والمعروف بصراحته وفظاظتـه، كتب في يومياته بتاريخ 20 ديسـمبر 1940: «مـن الضروري أن يكون واضحـا انه ليس هناك مكان في البلاد للشعبين».

إذا ما غادر العرب فإن البلاد ستصبح واسعة ورحبة لنا... إن الحل الوحيد (بعد انتهاء الحـرب العالمية الثانية) يتمثل في توفير أرض لإسرائيل، على الأقل أرض غربية لإسرائيل (المقصود فلسـطين) من دون عرب. ولا يوجد مجال هنا

للحلول الوسـط... لا يوجد وسيلة أخرى سـوى نقل العرب من هنا إلى البلاد المجاورة، ترحيلهم جميعا ربما باستثناء المدن التي يقطنها بشكل رئيسي العرب المسـيحيون: بيت لحم والناصرة والقدس القديمـة. ولا يجب ترك أي قرية أو أي قبيلـة بدوية. إن الترحيل يجب أن يكون باتجاه العراق، وسـورية، وشرق الأردن. ولتحقيـق هـذه الأهداف سـتوفَر الأموال ... وفقط بعـد هذا النقل ستكون البلاد قادرة على استيعاب ملايين من أشقائنا وستنتهي مشكلة اليهود [في أوروبا]. ولا يوجد حل آخر[36].

إلا أن حل المشـكلة اليهودية أو مسألة فلسطين لم يكونا على أولويات قادة التحالـف وجنرالاته خلال الحرب؛ حيث كان لديهم مشـاكل أكثر إلحاحا. فنقل العرب لإفسـاح المجـال لليهود مثّل بالـكاد اقتراحا ضروريـا أو مثيرا للاهتمام. ومـع ذلـك، فإن الأخبار التي تـم تناقلها خلال النصف الثـاني من الحرب حول الهولوكوسـت الذي يرتكبـه النازي في أوروبا المحتلة أحدثـت بالتأكيد وخزا في ضمير السياسيين والمسؤولين الغربيين وأبرزت ضرورة إيجاد حل عاجل للمشكلة اليهوديـة في أوروبا من خلال توفير ملاذ آمن في فلسـطين. لقد تعززت التيارات المؤيـدة للصهيونية. وأقرت اللجنة التنفيذية لحـزب العمال البريطاني في إبريل 1944 برنامـج عمـل يُقر هجرة يهودية ضخمة، إلى أغلبية يهودية في فلسـطين ونقل العرب منها كجزء من تسوية سلمية في الشرق الأوسط. ... وقد نص القرار الذي نُشر في مجلد حزب العمال تحت عنوان: «التسوية الدولية بعد الحرب»[37] على ما يلي: «بالتأكيد توجد في فلسـطين حالة نقل سـكان على خلفية إنسانية وللتوصل إلى تسـوية مسـتقرة. لنشـجع العرب على التحرك إلى الخارج وينتقل اليهـود إلى الداخل. لنتركهم يحصلون على التعويضات السـخية مقابل أراضيهم ويسـتقرون في مكان آخر بشكل منظم جيدا وتمويل ضخم». لقد أدى نشر هذا القرار إلى إثارة نقاش في السـابع من مايو في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية - ليس حول مفهوم النقل (حيث اتفق الجميع على مزاياه إن لم يكن حول طبيعته العملية) ولكن حول كيفية قيام القيادة الصهيونية بالرد. وفي هذا الخصوص قال شـيرتوك، الذي أضحى فيما بعد أول وزير خارجية، وثاني رئيس وزراء لإسرائيل: «النقـل يمكن أن يكون الحجـر الرئيسي، والمرحلة النهائية في التطور السـياسي،

ولكن ليـــس بأي حال من الأحوال نقطة البدايـــة. فبالقيام بذلك (الحديث قبل الأوان عـــن النقل) نقوم بتعبئة قوى هائلة ضد الفكرة ونخربها (المقصود عملية التنفيذ) مســبقا». وتابع الحديث قائلا بطريقة تشــبه النبوءة: «الذي سيحدث عندمــا تقــام الدولــة اليهودية - من الممكــن كثيرا أن تكــون النتيجة هي نقل العرب»، وقد انضم بن غوريون إلى هذا الرأي:

عندما سمعت عن هذه الأشياء (قرار اللجنة التنفيذية لحزب العمال) فكــرت بجديــة... ولكنني وصلــت إلى نتيجة مفادها أنــه من الأفضل أن يبقــى ذلك القرار «كجزء من البرنامج الســياسي للحزب».. وإذا ما سُــئلنا عن مضمون برنامجنا، فانه لا يتصور أن أقول «النقل»... لأن الحديث عن هذا الموضــوع ربما يُحدث الضرر بطريقتــين: الأولى، ربما يحدث لنا ضررا في الــرأي العــام العالمي؛ حيث إنه قد يعطي الانطبــاع أنه لا يوجد مكان (ليهود أكثر) في فلسطين من دون طرد العرب؛ وثانيا، إن مثل هذا التصريح المؤيــد للنقل قد يؤدي إلى وضــع العرب في موقف تحفز، واســتطرد بن غوريــون قائلا: ومع ذلك فإن نقل العرب هو أســهل من أي نوع آخر من أنواع النقل؛ فتوجد دول عربية في المنطقة... ومن الواضح انه إذا ما أُرسل العرب (عرب فلسطين) إلى البلاد العربية فإن ذلك سيحسن من أوضاعهم وليس العكس...

وقــد اتخذ باقي أعضاء اللجنة الموقف نفســه؛ حيث أعلن إســحاق غروينبوم، الذي أصبح فيما بعد أول وزير داخلية لدولة إسرائيل:

في رأيي أن هناك بُعدا عربيا لصالح النقل، ويتمثل في زيادة سكان العراق بعــرب [إضافيين]. إنها وظيفة اليهود أحيانــا أن يفتحوا أعين غير اليهود على أشــياء لم يدركوها بعد. وإذا كان من الممكن على سبيل المثال اصطناع ظروف في العــراق يمكنهــا أن تجذب عرب فلســطين للهجرة إليهــا، فإنني لا أرى أي خطيئة أو جريمة في ذلك.

من جانبه، قال إلياهو دوبكين، مدير إدارة الهجرة في الوكالة اليهودية: «سيكون في البلاد أقلية عربية كبيرة ويلزم طردها؛ حيث لا يوجد مكان لمشاعرنا الداخلية في هــذا الخصوص»، وذهب إليعازر كابلان، الذي أصبح أول وزير مالية لإسرائيل، إلى

القول: «فيما يتصل بموضوع النقل لدي فقط طلب واحد، هو ألا نبدأ بالجدل بين بعضنا البعض. إن ذلك سيوقع بنا أكبر الضرر خارجيا». وقد قاطعه دوف جوزيف، المستشار القانوني للوكالة اليهودية الذي أصبح بعد ذلك وزير العدل في إسرائيل، ليعبر عن اتفاقه معه في الرأي. ومن جانبه قال وارنر ديفيد سيناتور: «أنا لا أنظر إلى مسألة النقل على أنها مشكلة أخلاقية أو غير أخلاقية... فهي ليست مسألة أرفض بحثها»[38].

عاد بن غوريون مجددا، خلال الشهر التالي، لتناول موضوع النقل حينما اقترح بشكل غير واقعي جلب مليون مهاجر يهودي إلى فلسطين «على الفور». وفي هذا الخصوص ذكر موشي حاييم شابيرا، قائد حزب مزراحي الديني. إن ذلك سوف يمكن أن يُجبر اليشوف على بحث مسألة نقل العرب، وتمثل رد بن غوريون فيما يلي:

> *أنا أعارض أي مقترح للنقل قد يأتي من طرفنا، ولكني لا أرفض النقل لاعتبارات أخلاقية أو سياسية، وإذا كانت هناك فرصة لنجاحه، فيما يتعلق بالدروز، فإنني أؤيده، فمن الممكن نقل كل الدروز بشكل طوعي إلى جبل الدروز [بسورية]. أما بالنسبة إلى باقي العرب فلست أدري. ولكن لا يجب بأي حال أن يكون مقترحا يهوديا* [39].

إذا كانت الحرب العالمية الثانية والهولوكوست قد عجلا من اهتمام الصهيونية بالنقل، فقد أحييا كذلك لفترة التأييد البريطاني لتسوية تقوم على التقسيم وقيام دولة يهودية على جزء من فلسطين. ففي عام 1943 قدمت لجنة وزارية بريطانية مقترحا يستند إلى التقسيم، وأقر مجلس الوزراء البريطاني الفكرة بالإجماع، في يناير 1944، مع ترك التنفيذ إلى فترة ما بعد الحرب. وبدوره جدد ذلك الدفاع عن النقل في الدوائر الرسمية البريطانية، وربما، بشكل متناقض ظاهريا، العربية.

في يناير 1943، اقترح دوق ديفنشير - الذي شغل آنذاك منصبا رفيعا في وزارة المستعمرات البريطانية- المقايضة التالية: أن يقيم البريطانيون دولة عربية في ليبيا التي تم الاستيلاء عليها أخيرا من الإيطاليين، في مقابل الموافقة على قيام دولة يهودية

في فلسطين. وبالنسبة إليه «من غير الصحيح أن الصهاينة قد قاموا بطرد العرب من فلسطين على مر السنين. ولكن في كل الأحوال يلزم التعامل مع السكان العرب في فلسطين من خلال عرض المساعدة للهجرة إلى ليبيا لتلك الأسر التي ترى أن الظروف السائدة في فلسطين غير محتملة [40].

مع قرب نهاية الحرب العالمية الثانية أصبح الجنرال المُستعرب جون غلوب قائد جيش شرق الأردن، الفيلق العربي، من المؤيدين البارزين لفكرة النقل (جنبا إلى جنب مع تقسيم فلسطين بين دولة يهودية وشرق الأردن). ففي يوليو 1946 كتب مذكرة تحت عنوان «مذكرة حول التقسيم بوصفه حلا للمشكلة الفلسطينية»، أوصى فيها بالتقسيم «لأنه لا يوجد أي حل آخر يتضمن إمكانية النجاح»، وقد تصور جون غلوب دولة يهودية تضم السهل الساحلي، وسهل زرعين ووادي الأردن الأدنى. وإن لم يكن متأكدا حول طريقة حل مشكلة يافا - المدينة العربية الكبرى وسط المنطقة الساحلية اليهودية. وفي هذا الخصوص كتب قائلا: «أحد الاحتمالات يتمثل في نقل سكانها إلى «مكان آخر» لمدة 10-15 عاما، وفيما يتصل بالعرب الآخرين في المناطق التي ستكون دولة يهودية أوصى جون غلوب (مترددا) بالنقل:

> *ستكون أفضل الطرق على الأرجح هي السماح بفترة زمنية يمكن خلالها للأفراد الذين يوجدون في دولة أو أخرى على غير إرادتهم أن يختاروا جنسية الدولة الأخرى... وبالتأكيد ربما يختار البعض الجنسية من دون أن تكون لديهم الرغبة في الانتقال إليها والعيش فيها... ومع ذلك فإن الأغلبية العظمى سترغب على الأرجح في الانتقال... إن نسبة صغيرة من الأقليات يمكن أن تتحرك من خلال التبادل المباشر... ولكن... سيستمر وجود وزن عربي كبير داخل الدولة اليهودية. وسيرغب اليهود في التخلص منهم، وسيجدون سريعا الوسائل لدفعهم إلى الرغبة في الرحيل... وبالتأكيد ليس المقصود تحريك العرب بالقوة، ولكن فقط الترتيب لكي يشعر العرب الذين تركوا في الدولة اليهودية بأن آفاق الوظائف المجزية الراتب مفتوحة أمامهم في دولة عربية*[41].

بدا غلوب وكأنه يتحدث عن انتقال «طوعي» تدعمه مجموعة من المحفزات المغرية. ولكن في مذكرة متابعة كُتبت بشكل واضح بعد عدة أسابيع، بدا كأنه انتقل إلى قبول بعض إجراءات النقل الإجباري أيضا.

عندما تُنظَف المناطق المخصصة بشكل واضح للعرب واليهود من كل عناصر الجماعة الأخرى، يجب أن يبدأ العمل لوضع الحدود... وفي الحزام الحدودي يلزم بذل كل الجهود لترتيب تبادل الأرض والسكان بهدف ترك أقل عدد ممكن من الناس يُعوَضوا ماديا [42].

في يناير 1947، ومع اقتراب صدور قرار التقسيم من الأمم المتحدة، أدخل جون غلوب بعض التعديلات على برنامجه حيث كتب أن العرب في المناطق المخصصة لليهود «يلزم تعويضهم وتوطينهم في مكان آخر»، إلا أنه عاد ليضيف:

إن مقترح التقسيم الذي عُرض في المذكرة السابقة لا يتضمن النقل القسري لأي من الأفراد (أولئك الذين يرغبون في الانتقال إلى دولة أخرى سيعوَضوا)... ولن تكون قوات حكومة جلالة الملكة معنية بنقل أي شخص - وبالتأكيد بطرده بالقوة من دياره، فمن غير الوارد أن تُستخدم القوات البريطانية لطرد العرب من ديارهم، فمثل هذه الأمور يمكن أن يقوم بها الألمان أو الروس... إن القوات البريطانية لا يمكنها أن تكون مخيفة بما فيه الكفاية... ولكن محاولة تنفيذ نقل كتل واسعة من العرب باستخدام القوات اليهودية ربما قد يقود إلى حرب أهلية، كما أن قوات الدول العربية ربما ترفض القيام بذلك. وتتمثل النتيجة المحتومة في أن التكتلات الكبيرة من السكان لا يمكن تحريكها، ومن ثم فإن الحدود التي يمكن وضعها عمليا هي تلك التي تسير بشكل تقريبي مع الخطوط الديموغرافية الفاصلة والقائمة فعلا... [43].

في الواقع فإن ما قاله غلوب كان يعني أن التقسيم، بين دولة يهودية وشرق الأردن، هو الحل الوحيد؛ وأنه لكي ينجح لا بد من أن يكون هناك نقل للعرب خارج الدولة اليهودية (كما هو الحال بالنسبة إلى عدد أكثر قلة من اليهود في المناطق العربية)، على أن يكون النقل طوعيا ويُعوَضوا عنه؛ حيث إن النقل القسري، بواسطة القوات البريطانية أو اليهودية أو العربية، لا يمكن تصوره وسيؤدي فحسب إلى اندلاع عمليات قتالية واسعة المدى.

ولم يكن فقط الناشطون الصهاينة والرسميون البريطانيون هم من تتأرجح مواقفهم في منتصف الأربعينيات حول قول التقسيم الذي يلازمه نقل للعرب خارج

الدولــة اليهودية المُزمعة إقامتها، وإنما تعلق الأمر كذلك بسياســيين عرب كبار- أو عــلى الأقل هذا ما أفصحــت عنه مصادر بريطانية موثوق فيهــا عما قالوه في ذلك الوقت. ففي ديســمبر 1944 أخبر نوري السعيد، ســياسي كبير شغل لبعض الوقت منصب رئيس وزراء، مصدرا بريطانيا أنه إذا ما فُرض التقسيم على العرب، فستكون هنــاك «حاجة لنقل العــرب من الدولة اليهودية وهو ما يمكــن أن يتم عن طريق التبادل...». وقد افترض السعيد أن التسوية لن تؤدي إلى إثارة رد فعل عربي عنيف، وأيد الفكرة - دولة يهودية صغيرة مصحوبة بعملية النقل - فقط إذا كان من شأنها أن تضع نهاية للمشكلة. وفي نقاش لاحق سمع المسؤول البريطاني أشياء مشابهة من وزير خارجية العراق أرشــد العمري: «كرر أرشــد ما ســبق أن قاله السعيد... حول ردود الفعــل العربية المحتملة وكذلك ضرورة نقل العرب من الدولة اليهودية»[44]. وقد أكد نوري الســعيد موقفه بشــكل أكثر وضوحا خلال لقائه مع أليك كيركبرايد، الممثل البريطاني المقيم في عمان:

> *بشرط أن يُنفذ التقســيم على أســس عادلة، فإنه ربما يكون من الأفضل فقدان جزء من فلسطين لكي نحصر الخطر الصهيوني داخل حدود دائمة.* وذكر، *نوري باشا، أن الأساس العادل الوحيد هو التخلي عن المناطق التي يشكل فيها اليهود أغلبية... في حين يُدمج القسم العربي من فلسطين مع شرق الأردن*[45].

وفي عمّان سادت حالة من التعاطف المفهوم مع تقسيم فلسطين بين اليهود وشرق الأردن، وكان مــن الطبيعــي أن يقــود ذلك إلى قبول النقــل الذي يلازم التقســيم. ففي لقاء جرى بالقدس في فبراير 1944 جمع سير هارولد مكمايكل، المفوض الســامي، واللورد موين، الوزير المقيم في الشرق الأوســط، وكيرك برايد، والجنرال أدوارد ســبيرس، رئيس البعثة السياســية البريطانية في ســورية ولبنان، كان هنــاك اتفاق عام على أن «التقســيم يمثل الأمل الوحيد لتســوية نهائية في فلسطين». وطبقا لموين، يعترف كل من رئيس الوزراء الأردني، توفيق أبو الهدى، ورئيس الوزراء المصري، مصطفى النحاس باشــا، على أن «التسوية النهائية يمكن الوصول إليها فقط بواســطة التقسيم» (هذا على الرغم من أن القادة العرب لم يصرحوا بذلك علنا)[46].

قـام أبو الهدى بإبلاغ كيركبرايد مباشرة بموقفه في لقاءين، في 3 ديسـمبر 1943 و16 ينايـر 1944، وفي اللقاء الثاني ذكر أبو الهدى (وفقا لما أورده مكمايكل) أنه «لا يرى أي بديل للتقسـيم...»[47]. وبعد مرور عامين، في يوليو 1947، أرسـل كيركبرايد برقيـة إلى لندن حول اللقـاءات التي عقدها مع الملك عبدالله ورئيس وزراء الأردن الجديد إبراهيم باشا هاشم:

> *يؤيد عبدالله التقسـيم ويشعر أن القادة العرب الآخرين يمكن أن يقبلوا بذلك الحل على الرغم من أنه لا يمكنهم الموافقة عليه علنا... وذكر هاشـم أن الحـل العادل والدائم الوحيد يكمن في التقسـيم الكامل مع تبادل السـكان، فترك اليهود في دولة عربية أو العرب في دولة يهودية سيقود بشكل حتمي إلى اضطرابات جديدة بين الشعبين، وقد أقر إبراهيم باشا أنه لا يمكنه التعبير عن هذه الفكرة في العلن خشـية أن يوصف بالخائـن، مضيفا أن الممثلين العرب الآخرين في المناقشات سينقسمون إلى فريقين: الأول مثله لا يجرؤ على التعبير عن أرائه الحقيقية، والثاني من المتطرفين الذين سيطلبون المستحيل*[48].

وبعد مرور شهر علق كيركبرايد بقوله:

> *إن كلا مـن الملـك عبدالله ورئيـس وزراء الأردن يـرى أن الحل العملي الوحيد لمشـكلة فلسـطين يتمثل في التقسـيم الذي يتبعه تبادل للسكان [بما يعنيه ذلك من نقل العرب خارج الدولة اليهودية المُزمعة إقامتها] ولكنهما غير قادرين على التعبير عن رأيهما بشكل علني...*[49].

يبرز من العرض السـابق أن القادة الصهاينة، منذ بداية تشكيل الحركة، نظروا إلى فكـرة نقـل «العرب» أو عدد كبير منهم خارج فلسـطين، أو أي جزء منها يمكن أن يصبح يهوديا، بوصفها وسـيلة لحل المشـكلة التي فرضها وجود أغلبية عربية أو فيما بعـد أقلية عربية كبيرة تعـارض وجود دولة يهوديـة أو العيش فيها. وحيث إن المعارضـة العربية، المتضمنة مقاومة عنيفـة، للصهيونية تنامت في العشرينيات والثلاثينيات، كما أنه نتج عنها تشدد دوري من قبل بريطانيا إزاء الهجرة اليهودية، فقد تشـكل توافق أو شـبه توافق بين القادة الصهاينة حول فكرة النقل باعتبارها الحـل الطبيعي والفعال وحتى الأخلاقي للمعضلة الديموغرافية. ولم يكن من شـأن

مقترحـات لجنة بيل المتضمنة التقسـيم والنقل إلا أن تقوي مـن التأييد الصهيوني للفكرة. فقد أدرك الجميع أنه لا توجد وسـيلة لتصميم أو نحت فلسـطين لا تترك في المنطقـة المخصصـة لليهود أقلية كبيرة عربية (أو أغلبيـة عربية) - وأنه لا يمكن تحقيق تسـوية تقوم على التقسيم انطلاقا من هذه القاعدة الديموغرافية. ضاعف انـدلاع الحرب العالمية الثانية وما تخللها مـن المحرقة من يأس الصهاينة الذي بلغ حد التهور للحصول على ملاذ آمن في فلسطين ليهود أوروبا المضطهدين - وعزز من اسـتعدادهم لتبني «الترانسـفير» أو «النقل» بوصفه وسيلة تؤدي بشكل فوري إلى إفراغ الأرض بما يمكن من استيعاب اللاجئين المتوقعين القادمين من أوروبا.

لم تأت جولات التفكير الصهيوني حول «النقل» من فراغ، وإنما كرد فعل لعوامل أو مبادرات خارجية: ففي بدايات الثلاثينيات جاء تأمل الصهاينة في التنقل كنتيجة للعنف العربي ولفشـل الجهود المبذولة لإقناع البريطانيين بالسـماح بتوطين اليهود في شرق الأردن، وفي نهايـة الثلاثينيات أطلقته الثورة العربية وتوصية لجنة بيل بأن يُنقل السـكان العرب من المنطقة المحددة لقيام دولة يهودية؛ وخلال الأربعينيات جاء التفكير حول «النقل» متأثرا بمقترحات سـان جون فيلبي حول «اتحاد فيدرالي» في الشرق الأوسط، والحاجة الماسة إلى ملاذ آمن خالٍ (نسبيا) ليهود أوروبا المهددين بالهلاك؛ وخلال عامي 1944-1945 انطلق الحديث عن هذا الملف من قرار اللجنة التنفيذيـة لحزب العمل البريطاني والذي ضمن «النقـل» في برنامج عمله من أجل تسوية للمسألة الفلسطينية.

بحلـول منتصـف الأربعينيات أصبح منطـق «النقل» وضرورته أمـرا مقبولا لدى العديد من المسؤولين البريطانيين وعدد من القادة العرب، بما في ذلك ملك الأردن الملك عبدالله، ورئيس وزرائه إبراهيم باشـا هاشـم، فضلا عن نوري السعيد في العراق. ليس لأن المحرقة كانت تحتل الأولوية في أذهانهم، ولكنهم كانوا مدفوعين بشـكل أسـاسي بالحسـابات التي تقول إن التقسـيم هو الحل الوحيد الأكثر معقولية وقابلية للتطبيق والعادل نسبيا للمشكلة الفلسطينية المُحيرة، كما أن تسوية قائمة على التقسيم ستكون دائمة فقط إذا ما صاحبها نقل ضخم للسـكان العرب خارج المنطقة التي سـتقوم فيها الدولـة اليهوديـة؛ حيث إن وجود أقليـة عربية ممتعضة وكبيرة العـدد داخل الدولة اليهودية سيكون على الأرجح بمنزلة وصفة لعدم الاستقرار والكوارث في المستقبل.

لم يتضمــن قرار التقســيم الصادر عن الأمم المتحدة في التاســع والعشرين من نوفمبر 1947 النص على نقل الســكان، تــاركا في المناطق المخصصة للدولة اليهودية مــا يقارب 400 ألف عــربي (إلى جانــب 500 ألف يهودي) وقــد كان هذا الوضع عند اندلاع القتــال بمثابة وصفة للكارثة، مما أدى إلى ظهور وضعية اللجوء للطرف الخاسر ومع انتهــاء القتال وانتصار اليهود فرت الأغلبيــة الكبرى من العرب الذين قطنوا المناطق التي أضحت دولة إسرائيل أو دُفعوا خارجها.

هنــا يثور التســاؤل حول العلاقة بــين التفكير الإسرائيلي حــول موضوع النقل قبيــل عام 1948 وما حدث بالفعل خلال الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى. ذهب المعلقون والمؤرخون العرب إلى القول إن هذا التفكير ارتقى إلى مســتوى التخطيط المُسبق، وإن ما حدث في 1948 كان ببساطة تطبيق منهجي لإيديولوجية صهيونية و«خطة رئيســية» للطرد[50] ومن جانبهم ذهب معلقو ومؤرخو المدرسة الصهيونية القديمــة إلى القول إن الحديــث المتقطع بين القادة الصهيونيــين عن «النقل» كان مجرد آمال وأحلام ولم يؤخذ على الإطلاق محمل الجد أو يتم تناوله بشــكل منظم، ومــن ثــم فإنه لم يكن هناك تفكير مســبق أو تعمد وراء ما حــدث في 1948، وأن خلق مشــكلة اللاجئين لا يرجع على الإطلاق إلى تخطيط مسبق بل رجع إلى ظروف الحــرب، وضرورات اللحظــة، والفــوضى التي ســادت، والمقتضيــات والاحتياجات العسكرية الفورية، والأهواء الشخصية وما إلى ذلك[51].

بالنسبة إليّ فإنه لدي شعور بأن التفكير حول النقل والإجماع شبه الكامل الذي تبلور حوله في الثلاثينيات وبداية الأربعينيات لا يعكس تخطيطا مُســبقا ولم يسفر عن سياســة أو خطة رئيسية للطرد؛ حيث لم يدخل اليشــوف ووحداته العسكرية حرب 1948، التي بدأها الجانب العربي، ولديه سياســة أو خطة للطرد؛ وفي المقابل فــإن النقل كان محتما ومتضمنا في الصهيونية التــي توجهت إلى تحول أرض كانت «عربيــة» إلى دولــة «يهودية»، وهذه الأخيرة لم يكن لهــا أن تبرز دون إبعاد ضخم للســكان العرب؛ ولما كان من شــأن هذا الهدف أن يثير بشــكل تلقائي مقاومة بين العــرب، فإن ذلك أقنع قادة اليشــوف بأنه لا يمكن الإبقاء عــلى أغلبية عربية - أو أقلية عربية كبيرة- ذات طابع عدائي، إذا ما كان للدولة اليهودية أن تنشأ وتستمر في الوجود في أمان. وبحلول عام 1948 كانت فكرة النقل تشــيع في الأجواء. إن التفكير

في موضوع النقل الذي سبق الحرب أسهم في حل العقدة من خلال تهيئة الشعب اليهودي والأحزاب السياسية والتشكيلات العسكرية، وإجمالا العسكريين والمدنيين، لما وقع بعد ذلك، فالتفكير خلال الثلاثينيات والأربعينيات حول النقل أسهم في تهيئة القلوب والعقول للتكيف مع تنفيذه عام 1948، ومن ثم فإنه عندما حدث تقبله الشعب اليهودي، باعتباره أمرا طبيعيا لم يكن من الممكن اجتنابه، باستثناء أصوات قليلة عبرت عن احتجاجها.

إن حقيقة أن عرب فلسطين (والدول العربية) رفضوا قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم وقاموا بشن حرب، بهدف القضاء على الدولة اليهودية في المهد، تطورت إلى حرب أهلية شاملة في وقت قامت فيه الدول العربية بغزو فلسطين وهاجمت إسرائيل في مايو 1948 أدى إلى تقسية قلوب اليهود تجاه العرب الفلسطينيين؛ حيث نُظر إليهم على أنهم أعداء حتى الموت، وأنه إذا ما استوعِبوا داخل الدولة اليهودية فإنهم سيصيرون بمنزلة الطابور الخامس. ومن ثم فإن عمليات الطرد التي حدثت من وقت لآخر خلال الرحيل الجماعي للفلسطينيين أثارت القليل من الاستغراب، وقد عنى كل هذا أن قادة اليشوف والأحزاب، والسكان قد قبلوا في منتصف الحرب، من دون استياء أو احتجاج يذكر، القرار الحساس سياسيا وعسكريا الخاص بعدم السماح للاجئين العرب بالعودة.

وعند هذه النقطة، بدأ بعض قادة اليشوف في العودة إلى الوراء في محاولة للبحث في العلاقة بين ما حدث فعلا (بحلول خريف 1948 أُخرج ما بين 400 ألف و500 ألف عربي من أماكنهم) والتفكير في مفهوم النقل خلال الثلاثينيات والأربعينيات. وفي سبتمبر 1948 ذكر إسحاق غروينبوم، وزير الداخلية الإسرائيلي: «في رأيي... ليس هناك حاجة لمناقشة عودة اللاجئين (مادام تجدد القتال أمرا ممكنا)»:

> *في الماضي كان لدينا خطة، تتمثل في أنه إذا كان من الممكن أن ننقل السكان العرب إلى الدول العربية (المجاورة) فإننا مستعدون للمشاركة في نفقات إعادة توطينهم بالمساعدة والتمويل. الآن كذلك، فإنني لا أرى أي خطأ في هذه الخطة...*[52].

3

الموجة الأولى: النزوح العربي (ديسمبر 1947 - مارس 1948)

«رحل العرب الذين أخلوا المدن بشكل كبير بسبب الهجمات اليهودية (من قبل الهاغاناه، والإرغون، والهستدروت) أو نتيجة للخوف من هجمات وشيكة، فضلا عن سيادة الشعور بالضعف والعرضة للخطر»

المؤلف

مع صدور قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين إلى دولتين في التاسع والعشرين من نوفمبر 1947، وقعت هجمات عربية عشوائية ضد اليهود في الطرق، ونُصب أول كمين على الطريق في اليوم التالي بالقرب من كفر سيركين، حيث هوجمت حافلتان مما أدى إلى سقوط سبعة يهود قتلى بطلقات نارية[1]. وشهد اليوم ذاته إطلاق قناصة في يافا النار على المارة في تل أبيب. من جانبها، أعلنت اللجنة العربية العليا - التي رفضت صراحة القرار وأي توجه نحو التقسيم - إضرابا عاما لمدة ثلاثة أيام بدءا من الأول من ديسمبر، مطلقة بذلك العنان لغضب الجماهير. وفي الثاني من ديسمبر أقدمت مجموعة إجرامية، لم تعترضها القوات البريطانية، على مهاجمة مركز

تجاري يهــودي جديد في القدس، وباشرت عمليات نهب وحرق للمتاجر وهاجمت اليهود. وقام القناصة بإطلاق النار في حيفا، كما وقعت هجمات في أطراف تل أبيب في مناطق متاخمة ليافا وضواحيها. وسادت أجزاء من فلسطين حالة من الفوضى في وقت بدأ فيه التصعيد يذهب في اتجاه حرب أهلية شاملة. أُسست اللجان الوطنية منــذ العــام 1936 في المدن العربيــة لتتولى إدارة ما يتصل بالحيــاة والصراع في كل موقع، وبدأت التشكيلات المكونة من العناصر غير النظامية في العودة إلى الظهور في التلال، في وقت أعادت فيه اللجنة العربية العليا فرض نفسها كقائد للكفاح الوطني.

من وجهة النظر الإســتراتيجية، تميزت الفترة من ديســمبر 1947 حتى مارس 1948 بمبادرة العرب بالهجوم واقتصار اليهود على الدفاع، الذي تخلله بشــكل متزايد قيامهم بأعمال انتقامية. ومع قيام مســلحين عرب بمهاجمة الســيارات والشــاحنات اليهودية، بــدأت قــوات الهاغاناه منذ نهاية ديســمبر بحماية قوافل الســيارات وضواحي المدن والمستوطنات الريفية، ولم يدّع المهاجمون على الإطلاق أنهم يستهدفون فقط المقاتلين، بل كان كل يهودي هدفا مشروعا. وسرعان ما اتسعت رقعة القتال من عدد محدود من المراكز المدنية إلى أجزاء مختلفة من الضواحي. من جانبها، ردت الهاغاناه باســتهداف - وبشــكل محدد ودقيق - الإرهابيين المعتدين أو الميليشــيا الإرهابية أو القرية المعنية، غــير أن ذلك قد ثبت أنــه من الصعب الالتزام به غالبا، وفي جميع الأحوال فإنه بحلول شهري فبراير - مارس 1948، ومع فشل الهاغاناه في قمع المهاجمين، بدأت في التخلي عن هذا الأسلوب الراقي وضربت الطرق والقرى الفلسطينية من دون تمييز، وإن كان ذلك بدرجة من درجات الضبط الذاتي وكعمل انتقامي. وفي الوقت ذاته عادت كل من إرغون وشترن، بشــكل منفرد، إلى إستراتيجية أعوام 1937 - 1939 القائمة على زرع متفجرات في الأســواق المزدحمة ومواقف الحافلات، وهو ما رد عليه العرب بالقيام بتفجيرات في مراكز تجمع السكان اليهودية خلال شهري فبراير ومارس (الهجمات بالقنابل على مركز البريد الفلسطيني، وفي شارع يهودا، ومباني المؤسسات الوطنية في القدس). كذلك لجأت الهاغاناه في بعض المناســبات وبشــكل غير متعمد إلى الإرهاب، كما كانت عليه الحال في الهجــوم على فندق ســميراميس بالقدس في يناير 1948، وإن تمســكت بصفة عامة بسياســة اســتهداف المُذنِب، وكانت تحرص في كل الأحوال على قصر استخدام العنف على المجال الجغرافي للمناطق المعروف عنها أنها مصدر للعنف العربي.

بدءا من يناير 1948، وتماشـيا مع قرارات الجامعة العربية الصادرة في ديسمبر 1947 والداعمـة للتدخل غير المباشر، بدأ متطوعون (بعضهم من الجنود العراقيين والسوريين والبعض جنود سابقون) في التسلل إلى داخل البلاد، غالبا تحت راية جيش الإنقاذ الذي شُـكل حديثا، وشـنوا أولى هجماتهم الواسعة النطاق على مستوطنات يهودية بهدف تدميرها والاستيلاء عليها (ومن بين ذلك كفر سزولد في الجليل، وكفر يوريا في جوش عتصيون بوسط البلاد).

خلال شـهري فبراير ومـارس، ومـع إسراع البريطانيين في خطاهم للاسـتعداد للانسـحاب وتخليهم بشـكل متزايد عن مقاليد الحكم، تزايـدت حدة المعارك بين المليشـيات العربية واليهودية خاصـة على الطرق. وبالنظـر إلى التداخل الجغرافي بين السـكان، وتواجد القوات البريطانية في أغلب المناطـق، وطبيعة العمل السري لمليشـيات القوى المتصارعة، تضمـن القتال خلال الفترة من ديسـمبر 1947 حتى مـارس 1948 خليطا مـن كل من حرب المليشـيات والحرب النظاميـة والإرهاب. وفي المناطـق الريفية، تمكن العرب من تحقيق النصر مـن خلال قيامهم، على نحو متقطع، بسـد الطرق التي تربط المراكز السـكانية اليهودية الرئيسـية بالتجمعات النائيـة، خاصـة في غرب القدس التي ضمنت 100 ألـف يهودي، وجوش عتصيون (جنوب بيت لحم) والكيبوتسـات (في الجليل الغربي) والمداخل الشـمالية للنقب. وعـلى الرغم من قيام الهاغاناه باسـتخدام الشـاحنات المصفحـة لحماية القوافل، فـإن التكتيكات المتطورة لقوة النـيران العربية تغلبت على هذه العقبة، يضاف إلى ذلك أن الانسـحاب البريطاني التدريجي وتزايد هجمات إرغون والهسـتدروت على القوات البريطانية أديا إلى عدم قدرة أو رغبة البريطانيين في حماية طرق النقل التي يستخدمها اليهود.

أدت سلسـلة من الأكمنة الناجحة التي نصبتهـا العصابات غير النظامية خلال الأيام الأخيرة من شـهر مـارس 1948 إلى تدمير القوافل المتجهـة إلى خلدة والنبي دانيال ويحيام، الأمر الذي اسـتنزف على نحو خطير أسطول المركبات المدرعة الذي استحدثته الهاغاناه كبديل مؤقت للحماية، مما أثار مخاوف بن غوريون من احتمال سقوط القدس الغربية التي أضحت محاصرة.

وفضلا عن تلك الهزائم على الطرق، أسهمت مجموعة من العوامل في الإسراع بانتقال الهاغاناه إلى الإستراتيجية الهجومية في مطلع شهر أبريل 1948 ومن بينها: وصول الأسلحة سرا من تشيكوسلوفاكيا، إعادة تنظيم الهاغاناه، المؤشرات القادمة من الولايات المتحدة حول تخليها عن التقسيم، الانسحاب البريطاني الظاهر للعيان واحتمالات الغزو الوشيك من قبل الجيوش العربية، ومنذ ذلك التاريخ فإن النزوح الجماعي العربي بدأ يسير قدما. فبنهاية شهر مارس فر ما يقرب من 100 ألف عربي، أغلبهم من الطبقات العليا والمتوسطة في يافا وحيفا والقدس والقرى في المناطق التي مثل اليهود فيها الأغلبية من قبيل: وادي الأردن والسهل الساحلي، إلى مناطق التجمعات العربية في الشرق، بما في ذلك الناصرة، ونابلس وبيت لحم، أو غادروا البلاد تماما.

مع بدء العد التنازلي لتبني حل التقسيم، بدأت العائلات العربية الغنية تشعر بالتوتر والقلق، ووفقا لبعض المصادر فإن عددا منها كان يرغب في الرحيل عن الناصرة منذ الأسبوع الأول من نوفمبر 1947[2]. غير أن عملية الفرار الحقيقية بدأت مع اليوم الأول للقتال. ففي الثلاثين من نوفمبر، كان لدى استخبارات الهاغاناه تقارير عن "إجلاء سكان عرب من المناطق الحدودية في القدس ويافا[3]. كذلك نقلت مصادر الاستخبارات اليهودية في الأول من ديسمبر أخبارا عن هروب عائلات من عدة مناطق متاخمة لحدود يافا بما في ذلك المنشية[4]، وأوردت تقارير أخرى معلومات عن مغادرة العرب في اليوم ذاته للحي اليهودي في صفد[5]، ومن قريتي الشيخ مونس والجماسين المتاخمتين لتل أبيب، أيضا جرى طرد مُلاك الأكشاك والباعة الجائلين من العديد من الأسواق اليهودية في منطقة تل أبيب الكبرى[6]. وخلال أيام كانت هناك عملية مشابهة تجري في المدينة القديمة بالقدس، حيث أُجلي العرب الذين كانوا يعيشون داخل الحي اليهودي وفي المناطق المحيطة به (يُذكر أن بعض المنازل المحيطة كان قد سُيطر عليها من قبل رجال المليشيات العربية)[7]. وبحلول التاسع من ديسمبر نقلت مصادر استخبارات الهاغاناه أن «اللاجئين العرب كانوا ينامون في شوارع يافا»، وأن «العائلات ميسورة الحال غادرت المدن الساحلية في اتجاه الداخل، أما الأغنياء فيهاجرون إلى سورية ولبنان وحتى إلى قبرص»[8]. وبعد انقضاء يومين، نقل مستشارو بن غوريون للشؤون

العربية إليه أن «العرب يفرون من يافا وحيفا، والبدو يفرون من شـارون (السهل الساحلي). من جانبهما، ذكر كل من جوش بالمـون وعيزرا دانين - وهما من كبار ضباط استخبارات الهاغاناه - أن العرب يهربون من قراهم للعيش مع أقاربهم في مناطق أخرى، في حين اتجه الفلاحون الذين سبق لهم الذهاب إلى المدن إلى العودة لقراهـم الأصلية. وذهب بالمون إلى حد التكهـن بأنه قد جرى إخلاء كل من حيفا ويافا بسبب «نقص الطعام».

فضل دانين خنق العرب في الحضر اقتصاديا من خلال تدمير الحافلات والشاحنات والسـيارات، وقطع الطرق المؤدية إلى فلسطين، وحصار الموانئ الفلسطينية[9]، وقد كان لـدى بن غوريون اقتنـاع بأن العرب في يافا وحيفا، «جـزر في أراضٍ يهودية»، واقعون تحت رحمة اليشوف ويمكن دفعهم إلى الموت جوعا[10].

وطبقا لإلياس ساسون (إلياهو)، مدير القسم العربي في الإدارة السياسية للوكالة اليهوديـة، فإنه بحلول الحادي عشر من ينايـر 1948 كانت الروح المعنوية للعرب منخفضة في كل المدن والمناطق الريفية الداخلية، وقد كتب ساسون للملك عبدالله في شرق الأردن:

> *الجوع، والأسـعار الباهظة، والفقر تبدو مسـتشرية عـلى نحو مخيف، وهناك خوف ورغب في كل مكان، والهرب مؤلم، من منزل إلى منزل، ومن حي إلى حي، ومن مدينة إلى أخرى، ومن قرية إلى قرية، ومن فلسـطين إلى الدول المجاورة. إن عدد أولئك الذين أُبعدوا يُقدر بالآلاف*[11].

سياسة اليشوف

ديسمبر 1947 - مارس 1948

دخل اليشـوف الحرب من دون أن تكون لدية خطة أو سياسـة مسبقة تتعلق بالتعامـل مع المدنيـين العرب الموجودين بينهم، غير أنه مما لا شـك فيه أن قادته خلال الثلاثينيات والأربعينيات كانوا يعتقدون أن الدولة اليهودية المأمولة سـتضم أقلية عربية كبيرة، وقد أكدوا دائما أن السكان العرب سيُعاملون باعتدال وعلى قدم المسـاواة مع الآخرين. بيد أنـه بحلول نوفمبر 1947 لم يعد هؤلاء القادة سـعداء بالإبقـاء على مثل هـذه الأقلية الكبيرة (ما يقرب من 400 ألف عربي إلى جوار 500

ألف يهودي). وفي هذا الصدد كتب يوسـف نحماني، مدير مكتب التمويل اليهودي في شرقي الجليل ومن قدامى الناشطين المدافعين عن الصهيونية، في يومياته:

> *كانت الفرحة في قلبي ممتزجة بالحزن، الفرحة لأن الشـعوب (في العالم) اعترفـت في نهايـة الأمر بأننا أمة لهـا دولة، والحزن لأننـا فقدنا نصف هذه الدولة... و... أن لدينا 400 ألف عربي* [12].

ولكـن تلك هي الورقة التي تعامل بها المجتمـع الدولي مع الحركة الصهيونية، وكان عـلى الأخيرة أن تتعاطى معها بأفضل ما يمكنها. وعلى الرغم من أن عددا من القادة أضمروا بعض الأفكار حول كيفية قيام اليهود، في المستقبل، بالتخطيط لرحيل - عـلى الأقل - بعض أفراد تلك الأقلية العدائية غير المرغوب فيها، والتي تنشر عدم الاستقرار، فإنهم احتفظوا بتلك الأفكار في قرارة أنفسهم. غير أن العرب لم يتركوا لهم فرصة للتدقيق في المشـكلة، حيث فصلت سـاعات معدودة بين تبني قرار التقسيم وإشعالهم فتيل الحرب.

خـلال الأسـابيع الأولى للعنف لم يكن من الواضح بالنسـبة إلى أغلب المراقبين مـن اليهـود، والبريطانيين، والعرب أن الشـعبين قد دخلا بالفعـل في حرب، حيث سـاد الاعتقاد بين معظمهم أنهم يشاهدون تكرارا لموجات «الشغب والاضطرابات» العابرة التي عرفتها أعوام 1920 و1929 أو 1936. وخلال الفترة من ديسـمبر 1947 حتى يناير 1948، ناقش عدد من كبار قادة حزب ماباي (بمن فيهم شمعون بيرسكي (بيريز)، وأفراهام هارتسـفيلد، وليفي شكولنيك (أشـكول)، وزلمان ليفشتز (ليف)، مستقبل السياسة الاستيطانية للدولة اليهودية، وقد تمخضت المناقشات عن مشروع تحت مسـمى «خطوط عامة لخطة تنمية الاستيطان الزراعي خلال الأعوام الثلاثة 1949 - 1951»، وافترض المشـاركون أن توصياتهم يمكن أن تمثل قاعدة لسياسـات الدولة، ولم تأخذ المناقشـات بكثير من الاهتمام مناخ العنف، أو الحرب، الذي كان يتجلى للعيان خارج غرفة الاجتماعات، مما كان من شأنه أن يغير كل شيء. فالتقرير الصادر عنهم افترض دخول قرار التقسيم حيز التنفيذ كما تمت صياغته.

وخـلال اجتماع الثالث والعشرين من ديسـمبر، تناول يوسـف ويتز المشـكلة الديموغرافية قائلا:

لقد كنت دائما من أنصار النقل، ولكن اليوم لن نقوم بإثارة هذا الموضوع ولـو عن طريق التلميح. ومع ذلك فإنني أعتقد أن جزءا من السـكان العرب سـيهاجر من تلقاء نفسـه، وأيضا نتيجـة لرغبة حكام البـلاد المجاورة الذين سـيحتاجون إليهم (المقصود المهاجرون). فمنطقة بيت شـيان (بيسان)، على سـبيل المثال، سـتصبح خالية من بدوها في المسـتقبل، حيث إنهم يرغبون في اللحـاق بقبائلهـم عبر الأردن، وينطبق الشيء نفسـه عـلى آخرين مثلهم في مناطق أخرى.

افـترض ويتز عـلى الدوام أن حدود الدولة اليهودية سـتظل عـلى النحو الذي حدده قرار التقسيم.

وأضاف: «إن الدولة اليهودية لن تكون قادرة على البقاء مع وجود أقلية عربية كبيرة داخلها، وأنه لا يجب أن تتجاوز نسبتها 12 – 15 في المائة من إجمالي السكان». في المقابـل، أعتقد أن نسـبة اليهود يمكن زيادتها - على الرغـم من معدل الزيادة الطبيعية العربية «المرتفع بشكل مفرط» - خلال فترة تتراوح بين عشرة أعوام واثني عشر عاما من خلال الهجرة اليهودية الضخمة. وقد افترض المشـاركون، سواء خلال المناقشات أو في التقرير النهائي، أن «الخطوط العامة» ما يلي:

أ - انه لن تكون هناك مصادرة لأراض فلسطينية من قِبل الدولة.

ب - ان الدولـة سـتوفر للعرب مـوارد مائية كبـيرة (20% من إجمالي المصادر المتاحة).

ج - انه على الأقل في الأعوام الأولى سيمثل العرب نسبة 35% من سكان البلاد.

وعلى الرغم من أفكار ويتز، فإن نقل السكان لم يُطرح أو يُقر[13].

بيـد أنـه طوال الأشـهر الأولى مـن الحرب كانت هنـاك أيضا رغبـة كامنة لدى المسـؤولين الصهيونيين وضبـاط الهاغاناه في أن يبقى أقل عـدد ممكن من العرب في البلاد، ومن وقت لآخر جرى طرح مقترحات ملموسـة للتوصل إلى مثل هذه النتيجة. ففي الرابع من يناير 1948 كتب دانين ديفيد هاكوهين، إحدى الشخصيات المرموقة في حزب ماباي، يعتقد أن النقل هو السبيل الوحيد، ومن جانبي فإنني أتفق معه... [14]، وربمـا كانت التوصية التي تقدم بها، في أوائل شـهر يناير، ضابط الهاغاناه زفي أورباخ شاذة من حيث صراحتها، وإن لم يكن الأمر كذلك من حيث النوايا: «أقترح... أن نضع

خزان مياه يافا خارج الخدمة... مما يؤدي إلى إجبار عدد كبير من العرب على مغادرة المدينة» [15]، كذلك كان الوصف الذي قدمه بن غوريون، في السابع من فبراير، لزيارته الأخيرة للقدس أيضا شاذا ولكن في الوقت ذاته كاشفا:

منذ دخولك إلى القدس عبر مهان يهودا وشـارع الملك جورج ومي شاريم - لا تصادف أي أغراب [المقصود عرب]، وإنما مائة في المائة يهود. فمنذ تدمير القدس على أيدي الرومان فإنها لم تكن يوما يهودية أكثر مما هي عليه الآن، وفي العديد من الأحياء العربية الغربية [في القدس] لا يمكن رؤية عربي واحد. ولا اعتقد أن ذلك سـيتغير... وما حدث في القدس... يمكن أن يحدث في أجزاء كثـيرة مـن البلاد إذا ما قمنا بتشـديد قبضتنا... وإذا ما قمنـا بذلك فإنه من الممكـن جدا في الأشـهر السـتة أو الثمانية أو العشرة مـن الحرب أن تحدث تغيرات كبيرة... ليست جميعها في غير صالحنا، فبالتأكيد ستكون هناك تغيرات كبيرة في تركيبة السكان في البلاد [16].

تُظهـر النظرة السريعة إلى هذا الوصف تضمنه كلا مـن التوقع والرغبة في آن واحد. أما على صعيد السياسة الرسمية فإنها كانت تفترض استمرار بقاء أقلية عربية كبيرة داخل الدولة، وهو ما تضمنته مسودة بيان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في الثاني عشر من ديسمبر 1947:

إن عـدة آلاف من العرب سيعيشـون في الدولة اليهودية. نحن نريدهم أن يشعروا، منذ هذه اللحظة، أنهم سيكونون آمنين على حياتهم وممتلكاتهم شأنهم في ذلك شأن المواطنين اليهود الآخرين، وذلك شريطة أن يلتزموا بالسلام [17].

وبشـكل مماثل، وزعت الإدارة العربية في الهستدروت (اتحاد الغرف التجارية الـذي هيمـن عليه حـزب ماباي) خـلال ينايـر 1948 على الأقل منشـورين على «العمال العرب» يناديان بالسلام والتعاون بين البروليتاريا (الطبقة العاملة) العربية والإسرائيلية. وقد نص المنشور الثاني على ما يلي:

ان العـمال العرب، سـواء أكانوا موظفـين أم فلاحين، في الدولـة اليهودية سـيصبحون مواطنين لهم حقوق وواجبات مساوية لغيرهم... ففي هذه الدولة لـن يوجد مـكان للتمييز... أيها العمال: لا تسـمحوا أن يجري تضليلكم وجركم كالأغنام التي تسير خلف الراعي إلى حتفها [18].

كانت الفرضية العامة التي سادت خلال الأسابيع الأولى للحرب أن الدولة اليهودية المقبلة ستخرج إلى الوجود وبداخلها أقلية كبيرة من العرب، وبالتأكيد فإن اليشوف لم يدخل الحرب بخطة رئيسية تهدف إلى الطرد، ولكن التطورات خلال الأشهر التالية - والتي كان أكثرها أهمية النزوح الجماعي العربي الواضح والهجمات العربية على المستوطنات اليهودية وضواحيها وطرقها - كان من شأنها أن تؤدى إلى تآكل تلك الفرضية تدريجيا. لم يكن النزوح الجماعي في حد ذاته نتاجا لتفعيل خطة أو سياسة يهودية ما، وإنما للتغير المستمر للحقائق العسكرية والنفسية على أرض الواقع في كل قطاع وعلى مدار الوقت. تلك الحقائق كانت تُحددها في بعض الأحيان التغيرات في إستراتيجية وتكتيكات الهاغاناه، والتي كانت بدورها بمنزلة ردود فعل على إستراتيجية العرب وتكتيكاتهم وأعمالهم.

قد يكون من المفيد في هذا الخصوص إلقاء نظرة على تطور الإستراتيجية والتكتيكات العسكرية التي تبناها اليشوف خلال المرحلة الأولى من الحرب الأهلية. فأثناء الأيام الأولى للحرب، جرى الاتفاق في لجنة الدفاع (الجهاز السياسي الأعلى المشرف على شؤون الدفاع والذي ضم ممثلين من الأعضاء المحليين للهاغاناه والوكالة اليهودية والهستدروت والمجلس الوطني، ورئاسة أركان الهاغاناه) على ما يلي:

> *إن التفجيرات أو الثورات لا يجب أن يُنظر إليها على أنها بداية عدوان عربي منظم ومخطط ونظامي... إن السكان العرب لا يريدون الإخلال بحالة السلام والاستقرار، كما أنه ليس هناك قرار بعد (من قبل القيادة العربية) بالدخول في الحرب. وقد نظرنا إلى هذه الثورات على أنها ذات طابع محلي... وكان قرارنا أننا لا نريد أن تسفر تصرفاتنا عن تشجيع اللجنة العربية العليا والمفتي على جرف طبقات أوسع من الشعب العربي في دائرة العنف.*

اتخذت لجنة الدفاع وقادة الهاغاناه قرارا ضد «توسيع دائرة العنف»[19]. وجاء هذا الخط منسجما مع التوجه الفكري للجنة خلال النصف الأول من نوفمبر 1947، قبل اندلاع القتال. وفي الثالث عشر من نوفمبر تركز النقاش حول الخطة البديلة التي أعدتها الهاغاناه، والتي كانت تفترض حدوث هجوم من العرب الفلسطينيين على اليشوف بمساعدة ما - من حيث العناصر البشرية والتسليح - من الدول

المجاورة، وفي هذا الخصوص أوضح ياكوف دوري، رئيس هيئة أركان الهاغاناه، أن الخطة تتضمن قيام الأخيرة بتوجيه ضربات انتقامية ضد مرتكبي الاعتداءات أو من يحتمل قيامهم بذلك، وكذلك ضد أهداف عربية مماثلة لتلك التي يُهاجمها الإرهابيون العرب، من قبيل الطرق ووسائل النقل. من جانبه، ذكر غاليلي، رئيس هيئة الأعضاء المحليين للهاغاناه، كيان شبه عسكري يقع بين اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (ووزير دفاعها بن غوريون) من جانب، ولجنة الدفاع من جانب آخر، وأيضا رئاسة أركان الهاغاناه:

> *من مصلحتنا في حالة اندلاع الاضطرابات ألا يمتد العدوان [المقصود العنف] لفترة زمنية أو على نطاق جغرافي واسع، ومن هذا المنطلق فإن أكثر الإجراءات الدفاعية أهمية يتمثل في الرد في الأماكن التي نتعرض فيها للهجوم، حيث سيكون هذا أفضل الطرق لإخماد النيران.*

وأضاف غاليلي، الذي كان يقوم عمليا بمهام نائب وزير الدفاع في اليشوف، أنه إذا كان من الصعب القيام بعمليات انتقامية فعالة في الوقت والمكان الذي يقع فيهما الهجوم العربي، فإنه يلزم على الهاغاناه أن يكون لديها خطط جاهزة لمهاجمة:

> *أولئك... غير المذنبين بشكل مباشر... من أماكن... أشخاص... قرى... تميل إلى العنف ضد اليشوف... ولكن الهاغاناه لم تُشكَل للعدوان، ولا ترغب في أن تستعبد أحدا، فهي تُقدر الحياة، وتريد أن تقصر ضرباتها فقط على المذنبين، وألا تشعل النيران، بل تطفئها... أحيانا تشكل القيم الأخلاقية عبئا خلال عمليات الهاغاناه... لكن يلزم علينا أن نأخذها بعين الاعتبار[20].*

استمرت اللجنة خلال الأسبوع الأول من القتال في التمسك بسياسة «عدم نشر الحرائق» وضد «عدم التمييز» في العمليات الانتقامية، وهو ما أوضحه بن غوريون بقوله: «سنقوم بالانتقام بإحراق سياراتهم وليس ركابها... فقد يجري ردعهم في حالة تدمير ممتلكاتهم». وعلى غرار موشي شابيرا (من حزب هابوئيل هاميزراحي) كان بن غوريون يخشى أن يؤدي رد فعل مبالغ فيه من قبل الهاغاناه إلى دفع الجماهير العربية، التي لم تكن حتى الآن متورطة في القتال، لمساندة الحسيني ورجاله المسلحين. من جانبه، عبر يوسف ياكبسون، مالك بستان للحمضيات وشخصية

مرموقة في الهاغاناه بمدينة تل أبيب، عن خشيته من نتائج إقدام الهاغاناه على تدمير البساتين لما قد يستتبعه هذا من قيام العرب بالرد بالمثل.

فضلا عن بن غوريون وغاليلي وشابيرا الذين مثلوا فريق الاعتدال الذي يقف في منتصف الطريق، كان هناك تيار متشدد متبلور ومسموع بقوة. فقد أوضح أشكولنيك (أشكول) أنه ربما يكون الوضع من الثلاثين من نوفمبر حتى 1 - 2 ديسمبر قد ترك أملا أن تقتصر جهود اليشوف على التعامل مع انفجار انتقالي مؤقت، غير أنه لم يعد من الممكن التمسك بذلك، ووفقا له: «من الآن فصاعدا، إذا ما حدث شيء فإننا يجب أن نرد بأقصى قوة، العين بالعين، إن لم يكن (في الظروف الحالية) العين بعينين»، ومن جانبه ذكر إيلياهو إيلياشر (يهودي شرقي وأحد وجهاء القدس): «العرب لا يريدون الاضطرابات ويفضلون الهدوء، ولكن في ضوء طبيعة العربي البدائية عندما تقوم بتقديم تنازلات فإنه يرى أنك ضعيف...»، وكان من شأن أحداث القدس أن تفتح شهية العرب، كذلك أوضح يوسف سابير (من حزب هايهود هيزراحي) أنه: «بعد مرور عدة أيام [من العنف العربي] من دون رد، يجب علينا ألا نستمر في سياسة ضبط النفس هذه»[21]. وعلى الرغم من تلك الآراء المتشددة، تبنت اللجنة الخط الذي دافع عنه بن غوريون والمتمثل في «الانتقام وتجنب الإضرار بالشعب»[22].

بيد أن الإستراتيجية الدفاعية التامة التي تبنتها الهاغاناه سرعان ما تجاوزتها الأحداث، لتتغير جزئيا خلال الأسبوع الثاني من ديسمبر. وفي ضوء تزايد عدد الهجمات العربية واتساع نطاقها الجغرافي، والخسائر اليهودية المتصاعدة، والشعور المتزايد بأن أتباع الحسيني بدأوا يستحوذون على تأييد الجماهير العربية (على الرغم من، وربما بسبب، سياسة «ضبط النفس» التي انتهجتها الهاغاناه)، فقد أدى كل هذا إلى تصاعد ضغط الرأي العام من أجل تبني «إستراتيجية أكثر حيوية»، وساعد على ذلك أيضا الضغط الذي مارسه اليمين التصحيحي، الذي لم يكن ممثلا في لجنة الدفاع للوكالة اليهودية أو في قيادة الهاغاناه. ففي السابع من ديسمبر، طالبت محطة «صوت صهيون المحاربة» التابعة للإرغون أن تكف الهاغاناه عن الدفاع وتنتقل إلى الهجوم على كل من العرب و«البريطانيين النازيين»[23]. وتمثل أول المؤشرات التي عكست التشدد في مواقف الهاغاناه في التعليمات التي صدرت

من عمليات رئاسة أركانها في التاسع من ديسمبر إلى لواء إسكندروني، المسؤول عن السهل الساحلي من جنوبي حيفا حتى شمالي تل أبيب. طالبت التعليمات بـ «مضايقة» و«شل» حركة المرور في طريق «قلقيلية - رأس العين - الطيرة - فلهلما - يهوديا»، كما صدرت الأوامر للوحدات باستهداف السيارات أو كل من السيارات والركاب[24]. قام اللواء بإرسال وحدة تحت قيادة إيريك (على الأرجح أرييل شارون الشاب) قامت بنصب كمين لسيارتين. وقد روى إيريك عن إلقاء قنابل كوكتيل مولتوف عليهما مما أدى إلى احتراق الجرحى العرب داخلهما وموت ستة منهم. وأوضح إيريك أن الذين قاموا بنصب الكمين كانوا مدفوعين بـ «الكراهية»[25] بسبب تذكرهم للاعتداءات العربية السابقة على القوافل اليهودية.

قامت عمليات رئاسة أركان الهاغاناه، خلال الأشهر التالية، بتوجيه هجمات القوات صوب وسائل النقل العربية، فبين الفينة والفينة كانت تأمر بتوجيه ضربات في أيام بعينها في طرق محددة[26]، وفي أوقات أخرى، عندما تتزايد الخسائر اليهودية البشرية من جراء الأكمنة العربية، كانت الأوامر تشير إلى ضرورة الانتقام في طرق محددة من دون إعطاء مزيد من التفاصيل[27]، وفي بعض الأحيان تعلقت الأوامر بمهاجمة حركة المرور العربية على جميع الطرق. وقد كان وراء إصدار مثل هذه الأوامر «التزايد في الهجمات على وسائل نقلنا في أجزاء مختلفة من البلاد»، والهدف منها هو «إسكات أو التخفيف من أنشطة العدو»، لكن مع قرب نهاية شهر مارس صدرت أوامر مضادة بتعليق أو إيقاف تلك الهجمات[28].

خلال اجتماع الأعضاء المحليين للهاغاناه، في العاشر من ديسمبر 1947، علق غاليلي على التغيير المحدود الذي حدث بقوله: «لقد حان الوقت للدفاع النشط، والثأر، وإنزال العقاب»[29]، وكان اجتماع لجنة الدفاع في اليوم التالي حاسما في هذا الصدد، حيث أوضح غاليلي أن «الفرضية القائلة بأن اللهب إما سينطفئ أو يُخمد لم تتحقق، بل تزايدت سيطرة المفتي على الجماهير العربية في حين أصاب الشلل معارضيه، وحقيقة الأمر أن تردي الأوضاع يتطلب منا إدخال تغيير ما على... سياساتنا... ولكن ليس تغييرا جوهريا... إن خسائر العرب لم تردعهم عن القيام بهجمات جديدة، كما أنهم فسروا عدم قيام الهاغاناه بعمليات انتقامية على أنه علامة ضعف، والأكثر من ذلك فإن العالم ربما يبدأ في الاعتقاد أن قوة اليهود غير

كافية للاستمرار، كما أنه في داخل اليشوف أيضا ستنعدم الثقة في أننا قادرون على مواجهة العاصفة». وتشكك الناس في قوة وقدرة الهاغاناه قد يدفعهم إلى مساندة التصحيحيين الأكثر ميلا للقتال. وفي هذا السياق اقترح غاليلي أن تستمر الهاغاناه في الدفاع عن نفسها بـ «الطريقة التقليدية» مع قيامها بشن «عمليات انتقامية ضد أهداف عربية، خاصة مهاجمة وسائل النقل العربية... والممتلكات الخاصة لقادة ومحرضي المهاجمين».

من جانبه، أوضح بن غوريون أن الاضطرابات كانت حتى ذلك الوقت محصورة في ثلاث مدن رئيسية: يافا، وحيفا والقدس، فضلا عن النقب الشمالي. في حين أن المجتمعات الريفية العربية لم تكن متورطة في القتال، ومن ثم يلزم على اليشوف أن يكون حريصا على عدم إثارتهم. كان قلقا من أن تسفر أعمال انتقامية تنفذها الهاغاناه عن صدامات بين البريطانيين واليشوف، («يجب ألا نندفع إلى الحرب مع الجيش البريطاني»). وفي المقابل، ذكر شابير أنه: «منذ أسبوع كنا قد قررنا أن عملياتنا الانتقامية يجب ألا تتضمن مهاجمة الأشخاص، وأعتقد أن هذا يجب أن يتغير الآن». أما برل ربيتور (الناشط الاشتراكي في حزب أهدوت هافودا) فقد طالب بعمليات ثأرية «أكثر جدية» وإن كانت تأخذ في الحسبان «الاعتبارات السياسية والمعنوية». وشدد ياكوف ريفتن (من حزب هاشومير هاتزائير الماركسي) على البعد الأخلاقي قائلا: «يلزم علينا أن نستمر في ضبط النفس في ردود أفعالنا لاعتبارات أخلاقية، فمن الضروري أن تكون تلك الأعمال مختلفة تماما عن عمليات «القتل» التي يقوم بها العرب، حيث إن الأخلاقيات يجب أن تكون لها الأولوية لدينا»[30]. وفي نهاية الأمر أقر المشاركون توصية غاليلي المتضمنة تبنى إستراتيجية دفاعية أكثر «جدية».

مع تعاظم حجم الخسائر اليهودية، أضحى صانعو القرار والقادة المحليون في بعض المواقع أكثر قسوة، وذهب اثنان من كبار مستشاري بن غوريون العسكريين في التاسع عشر من ديسمبر، يوحنن ريتنر وفريتز إيسنشتادت (شالوم إيشت)، إلى القول إنه في مقابل «كل هجوم عربي يجب علينا أن نرد بضربة قاسية سواء بتدمير مصدر الهجوم أو طرد سكانه وأخذ مكانهم»[31]. وخلال اجتماع لجنة الدفاع اليوم السابق ذُكرت أسماء قرى عربية محددة باعتبارها مُذنبة، وحث

إلياهــو إليــاشر على «اقتلاع جذور» أبــو كبير من يافا حتى يكون ذلك «درســا» للمجتمعــات الحضرية، أما بنيامــين مينتز (زعيم حزب بعاليــا أغودات إسرائيل الأرثوذكسي) فقد أشــار في حديثه إلى قريةٍ في النقب، مطالبا بأنه «إذا ما ســنحت الفرصة لطرد ســكانها بالكامل وتدميرها فإن ذلك يجب أن يُنفَّذ». كما دعا ريفتن إلى «تشــديد سياســة الانتقام». في المقابل، عارض شــابير (عمدة بتاح تكفا وأحد كبار ملاك بســاتين البرتقال) عملية تدمير القــرى حتى «الصغيرة منها»، مذكرا بما حــدث في ليديس الذي يقدم مادة دســمة للتفكير وفقا له(*). وفي نهاية المطاف، فإنه وفقا لتعبير غاليلي جرى التوصل إلى توافق على انتهاج سياســة أكثر تشــددا من الخط الذي تبناه ريتنر - إيشــت - إلياشير، ولخص ما جرى التوافق عليه على النحو التالي: «لم يعد كافيا الاقتصار على اســتهداف المنازل، ولكن يلزم أن يشــمل ذلك أيضا الأشــخاص، وكان المقصود... أن يدفعوا الثمن ليس فقط من ممتلكاتهم ولكن أيضا من أرواحهم...»، وقال إن أبوكبير يجب أن «تعاقب بشــدة»، وأن على الهاغاناه عموما أن تتعامل بـ «قســوة أكبر» في دفاعها عن المواقع والمواكب (على أن تكون العمليات الثأرية بعد ذلك أقل حدة). وأضاف غاليلي في وصفه للتوافق وتحديــد موقفه: «ليس في نيتي ولا أقترح أن يكون الدم العربي، من الآن فصاعدا، وفي أي مكان وفي كل الأحوال، مباحا سفكه بسهولة»[32].

في أعقاب ذلك، طُرحت من وقت لآخر على الطاولة مقترحات اتصلت بتســوية هذه القرية أو تلك أو سلســلة القرى العربيــة بالأرض، ولكن تم تجاهل أغلبها. في أواخر شهر يناير 1948، أعدت قيادة الهاغاناه في منطقة القدس وثيقة تحت عنوان «خطة عامة للحملات في المنطقة خلال شهر فبراير» تضمنت سلسلة من الخطوات لتحقيق الأمن على امتداد طريق القدس - تل أبيب وكذلك داخل القدس ذاتها. وقد شملت الإجراءات المقترحة «تدمير طرق المواصلات العربية، تدمير أهداف شخصية (ذات قيمة اقتصادية)، تدمير قرى أو أهداف تطل على مستوطناتنا وتهدد خطوط النقل الخاصة بنا»، ومن بين العمليات التي اقتُرِح تنفيذها:

(*) قرية ليديس في شمال غرب براغ بجمهورية التشيك، والتي دُمرت تماما في عملية ثأرية العام 1942 في أعقاب اغتيــال رينهارد هيدريش الذي شــغل آنذاك منصب قائد المكتب الرئيــسي لشرطة الرايخ ولعب دورا محوريا في تهجير وقتل اليهود في أوروبا. قتل الرجال الذين تزيد أعمارهم على السادســة عشرة، ونقل النســاء والأطفال إلى المعسكرات المخصصة لليهود، في الوقت الذي دمرت فيه القرية بالكامل وسويت تماما بالأرض [المترجم].

> *تدمير التجمع الجنوبي [من المنازل] في عسلين، تدمير التجمع الجنوبي في بيت نتيف، عملية تدمير في ساريس، عملية تدمير في قريتي عناتا وشعفاط، تدمير الجبعة، وفي حالة الانسحاب البريطاني «احتلال القسطل» والعديد من الأحياء في القدس (قطمون، الشيخ جراح، المنطقة اليونانية، المنطقة الألمانية... إلخ)[33]. هذه المقترحات لم يُعمل بها حتى حلول شهر أبريل 1948 - وكانت بمنزلة البذور التي أينعت خلال المرحلة الثانية من الحرب الأهلية.*

قد يمثل تنظيم الهاغاناه لدوريات مكثفة - وإن لم تكن عدائية - في محيط القرى العربية وداخلها في مناطق مختلفة من البلاد أول التطبيقات العملية لمقررات اجتماع لجنة الدفاع في الثامن عشر من ديسمبر 1947، حيث جرى توزيع مطبوعات تحمل تحذيرات باللغة العربية. كان الهدف منع انخراط القرويين في الحرب، وفي البداية قامت عناصر الدوريات بتوزيع المنشورات خلال الأسبوعين الثالث والرابع من شهر ديسمبر في القرى المحيطة بالقدس وعلى بدو شمالي النقب، وتضمنت الرسالة الموجهة إليهم: «تقضي الأعراف القديمة بالمجازاة والعقاب (على الجرائم)، ونحن أيضا سنعمل وفقا لذلك»، وبشكل واضح كان لتلك المنشورات «تأثير كبير»[34]، مما دفع إلى إصدار التعليمات بتوزيع منشورات مشابهة على المناطق الأخرى[35].

حققت دوريات الهاغاناه نتائج ايجابية، على الأقل في القدس، فطبقا لضابط الاستخبارات في لواء ايتزيوني:

> *إن كلا من الصراعات السياسية بين القوى العربية المختلفة في البلاد من جانب، والخوف الذي نشرته دورياتنا الاستطلاعية في عدد من القرى من جانب آخر، دفعا، ولايزالا، بعض القرى لإجراء اتصالات مع المستوطنات اليهودية المجاورة تضمنت مقترحات بعقد محادثات للتوصل إلى اتفاقيات سلام. وبالفعل، جرى التوصل إلى مثل هذه الاتفاقيات مع بعض القرى، في حين لازالت المحادثات جارية مع أخرى. وقبل أن يُتخذ القرار بنشر دوريات فإنه يلزم على كل ضابط استخبارات أو من يتولى القيادة أن يأخذ بعين الاعتبار آراء زعماء اليهود المحليين. وبالنسبة إلى القرى التي قامت بالفعل بالتوقيع على اتفاقيات سلام، لا يجب نشر الدوريات.*

تضمـن الأمر الصادر في هذا الخصوص النــص بالتفصيل على القرى التي جرى التوصل إلى اتفاقيات معها أو كانت المحادثات مازالت جارية بشـأنها (القســطل، صوبا، قطنة، صور باهر، المالحة، وعين كارم)[36].

وفي 18 ديسمبر، لخصت الهاغاناه التغيير المحدود الذي أُدخل على إستراتيجيتها كما يلي:

خلال الأسـبوع الأول من الاضطرابات قمنا بعمليات دفاعية قوية في نفس مـكان وتوقيت أي هجوم عربي، وامتنعنا عـن القيام بعمليات ثأرية عنيفة كان من الممكن أن تؤدى إلى مساعدة من يحرض على القتال. كما قمنا بمطالبة العرب بالحفاظ على السلام... وكان علينا أن نبحث في كل مرة عن أسباب اندلاع العنف وعما إذا كانت محلية، أم عرضية أم ثانوية... ومع ذلك فإن انتشـار الاضطرابات والإرهاب أجبرنا عـلى أن نقوم بعمليات دفاعية قوية ضد مراكز العنف العربي. وهـذه هي المرحلة التي نوجد فيها حاليا. ويلزم النظر إلى الأعمال الانتقامية في كل من كرتيا، بلد الشيخ، وادي رشميا، الرملة، وطريق القدس - الخليل، في هذا السياق[37].

رصـد البريطانيـون بسرعـة - وإلى حد مـا بطريقة سـابقة لأوانهـا - التغير في إسـتراتيجية الهاغانـاه، وذهبوا إلى القول إن «أعمال الشـغب العربية التلقائية وغير المنظمـة» كان من الممكن إخمادها إذا لم يكن اليهـود قد لجأوا إلى القيام بعمليات ثأرية مسـتخدمين الأسلحة النارية. وفي هذا الخصوص كتب آلان كانينغهام، المندوب السـامي البريطاني: «إن إسـتراتيجية الهاغاناه التي كانت قائمة في البداية على الدفاع وضبط النفس سرعان ما حل محلها مفهوم العمليات المضادة». ووفقا له فإن اللجنة العربية العليا لم تكن تسعى في البداية إلى القيام «بتصعيد الأمور بشكل جدي»، غير أن ردود الأفعـال اليهودية قد اضطرتها إلى تنظيم أعمال عنف والارتقاء بمسـتوياتها. وقـد اعتبر كانينغهام بعض الأعمال الثأرية اليهودية - مثل الهجوم على حافلة عربية في مدينـة حيفا في الثاني عشر من ديسـمبر 1947 - بمنزلة «جريمة في حق التحضر». ولم يفرق بين عمليات الهاغاناه وما قام به الإرغون والهستدروت من عمليات[38].

شكل التغيير التدريجي في الإستراتيجية منذ ديسمبر 1947 - من الناحية العملية - تطبيقا جزئيا لـ «خطة مايو» (أعدت خلال شـهر مايو 1947) التي مثلت الخطة

الرئيسة للدفاع عن اليشوف حال اندلاع اضطرابات جديدة على غرار ما حدث في 1936 - 1939. تضمنت الخطة اللجوء - في حالة الضرورة - إلى «تدمير وسائل النقل العربية، ونسف المنازل التي يسكنها العرب الإرهابيون وطرد سكانها»[39].

تضمن التغيير الذي بدأ في الأسبوع الثاني من ديسمبر شن غارات انتقامية على أماكن تجمع المليشيات وضد القرى التي يتخذون منها قواعد لشن هجماتهم على المستوطنات وطرق النقل. وشمل ذلك: قتل الرجال المسلحين والذكور الذين ألقوا السلاح، شن هجمات محددة - لا تستثني أحدا - على وسائل النقل العربية كرد على الهجمات العربية على وسائل النقل اليهودية، القيام بدورات نشطة داخل القرى العربية وفي محيطها بهدف الردع، على ألا يُؤذى القرويون وسكان المدن الذين عبروا عن رغبتهم في العيش في سلام. إلا أنه لم يوجد أي أثر لسياسة تتصل بالطرد أو النقل. وفي أغلب العمليات كانت هناك أوامر للقوات بتجنب إيقاع خسائر في صفوف النساء والأطفال والشيوخ، وهو ما حاولت القوات الالتزام به في أغلب عملياتها. وفضلا عن ذلك نص منشور عُمم بشكل واسع من قبل لواء ليفانوني (اللواء الشمالي للهاغاناه والذي انقسم فيما بعد إلى لواء غولاني ولواء كارميلي) على ما يلي:

> *يجب علينا على قدر الإمكان تجنب قتل المدنيين، وبذل قصارى جهدنا لاستهداف المجرمين أنفسهم، وحاملي السلاح، ومنفذي الهجمات... نحن لا نريد أن ننشر الفوضى مما قد يؤدى إلى توحيد العرب خلف المفتي وعصاباته، فأي مذبحة للعرب لا تميز بين المقاتلين والمدنيين ستؤدي إلى اصطفاف الجموع العربية وراء مثيري الاضطرابات*[40].

وكانت هذه في الواقع سياسة اليشوف - الهاغاناه حتى نهاية مارس 1948.

تضمنت الإستراتيجية الدفاعية المعدلة بُعدا آخر تمثل في العملية الخاصة بالتخطيط لعمليات اغتيال للقادة السياسيين الفلسطينيين وزعماء المليشيات، وحملت الاسم الرمزي «عملية زارزير» Operation Zarzir. ففي بدايات شهر يناير أمرت قيادة الهاغاناه جميع الوحدات باستهداف وقتل بعض القادة المنتمين إلى معسكر الحسيني. وفي هذا الصدد، أمر غاليلي جميع الوحدات، من دون حاجة

إلى تصديــق مســبق، باغتيال مجموعة من الأشــخاص من بينهــم: رفيق التميمي، وحسن سلامة، وأميل الغوري، وعيسى بندك، وعبدالقادر الحسيني، وكمال عريقات، وصبري عابدين، والشــيخ محمد نمر الخطيب، وحســن شيبالك، وعبدالله أبو ستة، وتضمنت الأوامر أن تحرص الوحدات على أن تجعل الاغتيال يبدو على أنه قد نُفذ مــن قبل عرب آخرين، كــما أنها كانت تمنع أن تتم العمليات داخل دور العبادة أو في المستشفيات[41]، بيد أنه من الناحية العملية لم تُوجه طاقات كافية لتنفيذ عملية زارزير، حيث نُفذت محاولة واحدة لاغتيال الشــيخ نمر الخطيب (شخصية بارزة في حيفا موالية للحســيني) الذي أصيب إصابات بالغة في كمين نصبته له خارج مدينة حيفا فرقة تابعة للبالماخ في يناير 1948.

على الرغم من رفض بن غوريون كل المســاعي التي بذلها عدد من الشخصيات لتبنــي عمليــة تدمير القــرى، بما يعني بالضرورة طرد ســكانها، كجزء من سياســة الأعمال الانتقامية الروتينية، فإنه جرت بالفعل تســوية قريتين بالأرض خلال الفترة مــن نوفمــبر 1947 حتى مارس 1948، وجرى الاســتناد إلى الظروف غير العادية في كلتا الحالتين. فالحالة الأولى وقعت في أعقاب هجوم عربي متوحش في التاســع من يناير، قام خلاله أفراد من مليشــيات تابعة لقرية عرب صقرير (عرب أبو ســويرح) بقتل أحد عشر من فتيــان الهاغاناه كانوا يقومون بدورية خارج غان يافني. أوصي ضابط اســتخبارات الهاغاناه المحلى بما يلي: «يجــب تدمير القرية تماما وقتل بعض رجالها»[42]. وقد صدق زياما ديفون (قائد القسم العربي باستخبارات الهاغاناه) على العملية وتضمــن التصديق ما يلي: «أن العرب في المنطقة يتوقعون عملا انتقاميا... وعدم الرد من جانبنا سيُفسر على أنه علامة ضعف»[43]. في العشرين من يناير صدر الأمــر التنفيذي للعملية متضمنــا: «... تدمير البئر... تدمير القرية تماما، قتل الرجال البالغــين، وتدمير التعزيزات التي تصل»[44]، غير أن العملية بالشــكل الذي تمت به قد انتهت في الخامس والعشرين من يناير من دون ســفك دماء، حيث كان العرب قد قاموا بإجلاء النســاء والأطفال قبل ذلك بعدة أيــام، كما أن الثلاثين رجلا الذين بقوا لحماية القرية لاذوا بالفرار لدى سماعهم بقرب وصول القوات المُغيرة، فوجدت قــوات الهاغاناه القرية «خالية» وبدأت في تدمير المنــازل وجرارين والبئر المجاورة، «يلاحــظ أن القرية اختفت تماما من حيز الوجود باســتثناء بعض الشــواهد»[45].

وبشكل واضح تركت العملية أثرا عميقا، حيث كتب ضابط في جهاز استخبارات الهاغاناه: «ستظل ليلة الرعد عالقة في ذكريات القرى العربية الأخرى لفترة طويلة»، والأكثر من ذلك فإن سكان عرب صقرير كانوا غاضبين من عدم «تجرؤ أي قرية أخرى على القيام بمساعدتهم، وتساءلوا عن إمكانية قيام العرب بالحرب بهذه الطريقة»[46] (يُذكر أن بعض القرويين عادوا إلى الموقع فور تنفيذ العملية، غير أنهم سرعان ما غادروها بنهاية شهر مارس)[47].

خلال شهر فبراير قامت قوات الهاغاناه بتدمير قرية قيسارية وطردت سكانها (انظر التفاصيل فيما بعد).

تمثل الرد الرئيسي من قبل الهاغاناه على الهجمات العربية حتى نهاية مارس 1948 في الضربات الانتقامية سواء ضد وسائل النقل أو باتجاه قرى محددة، وقد طُرحت سياسة الثأر برمتها خلال اجتماع على مدار يومين (1 - 2 يناير 1948) ضم بن غوريون ومستشاريه للشؤون العسكرية والعربية. كان الدافع إلى إثارة هذا النقاش، إلى حد ما، سلسلة من الهجمات التي قامت بها الهاغاناه سواء من دون تصديق أو بطريقة تدل على الإعداد السيئ، أسفرت عن مقتل مدنيين أبرياء. فالقاعدة الرئيسية تمثلت في تجنب امتداد الحرائق إلى مناطق لم يجر المساس بها، ومحاولة ضرب «المذنب»، وأن يتم الثأر بشكل يشابه بقدر الإمكان العمل الأصلي في التوقيت والمكان والطبيعة[48]. وقد جرى تضمين التعريف الذي أسفر عنه النقاش حول هذه السياسة وما تضمنه من تطوير على منهاجية الهاغاناه في مذكرة من صفحتين مؤرخة بالثامن عشر من يناير 1948 أرسلها يادين إلى جميع الوحدات تحت عنوان «تعليمات لتخطيط العمليات التي يجري تنفيذها». نصت المذكرة على أن تُختار أهداف العمليات الثأرية من بين أولئك الذين جرى حصرهم في «خطة مايو 1946» ولكن مع أخذ نقطتين بعين الاعتبار: (أ) «عدم التسبب في امتداد الاضطرابات إلى مناطق بعيدة لم تصل إليها بعد...» و(ب) يجب بذل جهد لضرب المذنب (مع الاعتراف باستحالة استهداف الأفراد المعنيين بدقة)، والتمييز بين القرى العربية الصديقة وغير الصديقة». وقد أوضح الأمر الوسائل التي تُستخدم خلال العمليات - تخريب، نصب كمائن وغيرها - وأنواع الأهداف التي تُستهدف: نسف المنشآت العامة والمنازل، التعرف على قادة العصابات وقتلهم، إنهاك تجمع

سـكاني بإطلاق النار عليه وزرع الألغام، إعداد كمائن لضرب وسائل النقل إلى ومن التجمـع السـكاني، عمليات عقابية ضـد قرية لضرب المقاتلين الذكـور فيها»، وقد نصـت التعليمات على أن كل الهجمات يجب أن تحصل على موافقة رئاسـة أركان الهاغاناه، كما أولت المذكرة اهتماما خاصا بمهاجمة الأهداف الاقتصادية، بما في ذلك «مطاحن الحبوب، المخازن والمسـتودعات، مضخات المياه، محطات التزويد بالمياه، الآبار، والورش...»، والهجمات على وسائل النقل العربية كعمليات انتقامية لمهاجمة السـيارات اليهودية، كما جرى النص على أنه لا يجب في أي حال من الأحول ضرب «الأماكن المقدسـة، والمستشفيات، والمدارس»، وطلب إلى قادة الألوية وقادة المدن إعداد خطط وقائمة بالأهداف تُعرض على رئاسة أركان الهاغاناه[49].

تمثلـت إحدى نتائج اجتماع يومي الأول والثاني من يناير في تعيين مستشـارين للشـؤون العربية بمراكز قيـادة كل كتيبة وفرقة ولواء، بناء عـلى اقتراح مقدم من بن غوريـون[50]. وفي أعقـاب ذلك أصدر غاليـلي تعليمات مفصلة تـم بمقتضاها إلـزام القـادة في الألوية والمناطق المدنية بأخذ رأي هؤلاء المستشـارين في «اختيار الأهداف... والأسـاليب التـي يجري اتباعهـا في تنفيذ الهجمات»، كـما أصبح من الضروري أن يقوم القادة - عند طلبهم التصديق من رئاسـة الأركان - بإرفاق الرأي الكتابي للمستشـار المعني[51]، وفي تعليماته الخاصة بـ «التخطيط للعمليات التي يجـري تنفيذها»، بتاريخ 18 يناير، أمر يادين قـادة الألوية وقادة المدن بأخذ رأي مستشاري الشئون العربية قبل الشروع في أي من العمليات التي لا تتطلب تصديقا مـن رئاسـة أركان الهاغاناه[52]. وخلال شـهر مارس جرى توسـيع اختصاص هؤلاء المستشارين ليشمل تقديم الرأي للقادة الإقليميين للهاغاناه حول سبل التعامل مع المجتمعات العربيـة في الأقاليم التي يعملون بها[53]. ومن بين المستشـارين الذين عُينوا: إيمانويل فريدمان («مانو» في الجليل الشرقي)، ويوسـف فين (وادي الأردن)، واليشـا سولز (وادي بيت شيان)، وتوفيا أرازي (حيفا)، وأمنون ياناي (لواء كارميلي في الجليل الغربي)، وشيمشـون مشهابتز (لواء إسـكندروني في وادي حيفر)، وغيورا زيد (لواء غولاني)، وصمويل زاغورسكي (أيضا في لواء غولاني).

على الرغم من حدوث تطور باتجاه القيام بردود انتقامية أكثر قوة في العديد من المناطق، ظلت الإستراتيجية القومية للهاغاناه على حالها من دون تغيير حتى

نهاية شـهر مارس 1948، باعتبارها إستراتيجية تقيد بقدر الإمكان مجال انتشار الاضطرابـات وتتجنب الأعمال الانتقامية في مناطـق لا تجري بها أعمال قتالية. فمنذ البداية كان الهدف هو تجنب حرب شـاملة بين السـكان اليهود والعرب. فإثارة العنف بشـكل متعمد في مناطق ظلت هادئة حتى ذلك الوقت كان من شـأنها أن تضع اليشوف في مواجهة مع البريطانيين - وهو آخر شيء كان يسعى إليـه بن غوريون في مرحلة العد التنازلي لإقامة الدولة - وربما قد يقود أيضا إلى حـرب مع الدول العربية. وفضلا عن ذلك، فإن الهاغاناه شـعرت خلال شـهري فبراير ومارس بأنها منتشرة بشـكل كبير على الأرض بما لا يبرر فتح جبهات قتال جديدة. وقد لخص بالمون هذا الوضع في الأول من يناير 1948 على النحو التالي: «هل نريد أن يصبح الشـعب العـربي متحدا ضدنا أم أننا نرغب في الاسـتفادة من... وضعية انقسـامه؟ هل نريد أن ندفع بكل العرب للعمل ضدنا، أم منحهم فرصـة عدم العمل ضدنا؟». وقد حظي هـذا التوصيـف بموافقـة آلـون بقولـه: «لا تـزال هناك مناطق غير مضطربة في البـلاد، ولا توجد ضرورة لضرب منطقة ظلـت هادئة لفترة طويلة... يجب علينا أن نركز على المناطق التي نحن فعلا في حالة حرب فيها».

خلال اجتماع يومي الأول والثاني من يناير 1948، وجه كبار مسـؤولي القسـم العربي في الإدارة السياسـية للوكالة اليهودية انتقادات قاسية للهجمات التي شنتها الهاغاناه خلال شـهر ديسمبر على روميمه وسـلوان في القدس، وفي النقب بالقرب مـن كفـر يافيتز، والخصاص في الجليـل. وتركزت الانتقادات عـلى الحالة الأخيرة، حيث قامت قوات البالماخ في ليلة 18 - 19 ديسـمبر بتفجير منزل، مما أسـفر عن مقتل سـتة من بين النسـاء والأطفال. كما قضى عدد من العرب في هجوم متزامن عـلى منزل قريب، وفي هذا الخصوص ذهـب كل من دانين وغاد ماكنس (خبير في الشـؤون العربية) إلى أن الهجوم على الخصاص قد وسـع من نطاق القتال بشكل غير ضروري ليمتد إلى منطقة كانت هادئة حتى تاريخه. فقد كانا يحدوهما الأمل في أن تسـفر سياسـة التقييد اليهودية في هذا الخصوص عن تمكين قادة المعارضة العربيـة من التصدي لميل الحسـيني للقتال، والذي يحظـى بتأييد عربي. وفي هذا الخصـوص كتب بن غوريون إلى شـيرتوك موضحا أن الهجـوم لم يكن مرخصا به،

وأن الهاغاناه اعتذرت عن مقتل المدنيين[54]. من جانبه، وبخ دانين القائد المحلي للهاغاناه على رغبته في الحفاظ على الروح المعنوية عالية بين مقاتليه صغار السن مما دفعه إلى القيام بذلك[55].

طالب يوسف سابير في لجنة الدفاع بتوقيع عقاب صارم على الضابط المسؤول. وعلى الرغم من موافقة بن غوريون من حيث المبدأ على ذلك، فإنه عبر عن اعتقاده أنه من الأفضل ترك الأمور ذات الطبيعة «القضائية» و«التأديبية» إلى الهاغاناه نفسها للتعامل معها[56]. يذكر أن الهجوم كان في إطار عملية انتقامية لمقتل يهودي يدعى زلمان ينتمي إلى كيبوتس معيان باروخ والذي كان بدوره عملية ثأر في أعقاب إطلاق النار على عربي قبل ذلك بعدة أيام. وقد حاول كل من القادة اليهود المحليين وخبراء الشؤون العربية منع تنفيذ الهجوم على الخصاص، غير أنه جرى تجاهل رأيهم من قبل إيغال ألون. ولم يكن لدى رئاسة أركان الهاغاناه في تل أبيب أي معلومات مسبقة عن العملية[57]. أما الأمر التنفيذي للعملية فتضمن «استهداف ذكور بالغين» (أو «الذكور البالغين») في الخصاص وقتل «ذكور بالغين» (أو «الذكور البالغين») في قصر الأمير فاعور»، حيث تردد أن قاتل زلمان يختبئ هناك. و«لم يحدد قائد العملية عدد الذين قتلوا في حجرات المنزل فقد كان إطلاق النار عشوائيا وجرى تفجير المنزل [في الخصاص] بقاطنيه، كما جرى تدمير منزل مجاور جزئيا»، وفي المقابل امتنع مهاجمو القصر عن إطلاق النار على النساء في طريقهم. وفي أعقاب العملية فر عدد كبير من سكان الخصاص من ديارهم، كما طالبت القرى المجاورة الجماعات غير النظامية بمغادرتها، ووفقا لما أورده ديان، ناشد سكان الخصاص الهاغاناه «التوصل إلى سلام»[58]، وكان المغزى وراء ذلك أنه على الرغم من أن استخدام القوة كان في حد ذاته أمرا كريها فإن استخدامها، من وقت إلى آخر، كان على المدى البعيد مفيدا. وقد كتب دانين معبرا عن ضيقه في هذا الخصوص إلى ساسون: «إن الجيش [المقصود الهاغاناه] يقوم بما يحلو له على الرغم من نصائحنا»[59]، وأيا كان الأمر فإن الغارة تسببت في الهروب في بعض المناطق المجاورة، وتواترت معلومات عن قيام يزدي، الضابط العربي في صفد، بإرسال والدته وشقيقته إلى «بيروت» لتكونا بعيدتين عن منطقة الخطر[60].

على الرغــم من أنه لم يجر محاكمة أو توقيع جزاء تأديبي على أحد، فإن النقد لعمليــة الخصاص كان له أثره، حيث صدرت الأوامر من رئاســة أركان الهاغاناه إلى الألوية بالامتناع عن العمليات غير المرخص بها. وفي التاســع عشر من ديسمبر، على ســبيل المثال، أصدرت قيادة لواء إســكندروني تعليمات لجميع الوحدات التابعة له «بتوقيع جــزاءات تأديبية في أي حالة تتضمن مخالفات للأوامر الخاصة بالعمليات الانتقاميــة، والتركيز عــلى أن هدفنا هو الدفاع وليس الإســاءة إلى العلاقة مع ذلك الجزء من المجتمع العربي الذي يريد السلام»[61].

فيما يتصل بالنقب، أوضح بن غوريون في اجتماع اللجنة المركزية لحزب ماباي، في الثامــن من يناير، أن الهاغاناه كانت مســؤولة بشــكل كبير عــن «نشر الحرائق هناك»، حيث دخلت وحدة تابعة لـ «البالماخ» في قرية شــعث العربية وأشــاعت الخوف وأدى ذلك إلى اندلاع القتال[62].

فضــلا عن تلــك العمليــات غير المرخصــة أو المبالــغ فيها، تضمــن رد الفعل اليهــودي على الهجمات العربية كذلك بعض الأعمال الوحشــية. فكل من الإرغون والهستدروت لم يبديا إلا القليل من الشعور بوخز الضمير على قتلهم للعرب بشكل عشوائي، فبالنسبة إليهم «العربي» - أي عربي - هو العدو ومن ثم هو هدف مشروع (كما كان الحال بالنســبة إلى اليهود في أعين أفراد المليشــيات العربية)، وعلى الرغم من أنهم لم يستهدفوا على الإطلاق النساء والأطفال، فإنهم قاموا بشكل متعمد بزرع القنابل في الحافلات والمحال بهدف قتل غير المقاتلين، بما في ذلك النســاء والأطفال، كما أقدم كل من الإرغون ومجموعة شــترن على ارتكاب أعمال وحشــية عشوائية، فطبقا للهاغاناه قامت فرقة من إحداهما في العاشر من فبراير 1948 بإيقاف حافلة عربية يســتقلها عمال بالقرب من بتاح تكفا، وإجبــار ركابها على مغادرتها ثم قتل ثمانيــة منهم وجرح أحد عــشر (بعد سرقتهم كما يبــدو)[63]. كذلك تردد أن عشرة عــرب آخرين، مــن بينهم امرأة، كانوا يعملون في بســتان بالقرب مــن أبو الفضل (عرب السطرية بالقرب من الرملة) قتلوا في بداية شهر فبراير (على الأرجح) على يد مسلحين ينتمون إلى الإرغون[64].

أقلقت فكرة القتل المستمر لغير المحاربين قادة الهاغاناه، ومن وقت لآخر جرى إلغاء هجمات خوفا من أن تســفر عن أعمال وحشــية (كما كان عليه الحال عندما

بدأت وحدة في تدمير مباني في كفر عقب شمالي القدس، بيد أنها قررت الانسحاب عند سماعها «أصوات وضجيج أطفال» صدرت من داخل منزل كانت على وشك تدميره[65]). بيد أن الأكثر شيوعا كانت حالات السلوك المبالغ فيه. ففي الثاني عشر من يناير 1948، قامت مجموعة من المسلحين التابعين لكيبوتس رامات هاكوفيش - في مخالفة للأوامر الواضحة من الهاغاناه - بإطلاق النار على سيدتين عربيتين، ربما كانتا تزرعان في حقل، بالقرب من الكيبوتس مما أدى إلى إصابة إحداهما وربما تكون ماتت. وعلى الرغم من أن الواقعة كانت موضع تحقيق داخلي، فإنه يبدو أن أحدا لم يعاقب[66]، كما أنه طبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه أقدم حراس من الهاغاناه في نهاية فبراير على قتل مزارع وزوجته بالقرب من كفر أوريا «من دون أن يصدر عنهما أي سلوك استفزازي»[67]. وفي الرابع والعشرين من يناير 1948 استقل أربعة عناصر من البالماخ سيارة أجرة في طبرية وقتلوا سائقها العربي (الذي ربما كان على صلة بالمسلحين غير النظاميين)[68]. وربما كان بن غوريون يشير إلى مثل هذه الأفعال عندما انتقد خلال اجتماع للجنة الدفاع في بداية شهر فبراير «الأعمال المدانة ضد العرب»[69].

أُجري تحقيق لاحق في عملية مقتل سائق سيارة الأجرة[70]. وفي مطلع فبراير أوصى ضابط رفيع المستوى في الهاغاناه بأن تنشئ المنظمة «جهازا مختصا» له القدرة على إصدار أحكام في القضايا «ذات الصلة بالحياة والموت»[71]، وبحلول منتصف فبراير قرر غاليلي أنه من الممنوع على وحدات الهاغاناه قتل العرب من أجل الاستحواذ على سياراتهم أو ممتلكاتهم «حتى إن كان هذا سيكون مخصصا لاستخدام الكنيست»[72].

على الرغم من كل ذلك، مثلت تلك الحالات حوادث استثنائية، حيث إن عمليات الهاغاناه كانت عادة مرخصا بها وخاضعة بشكل فعال لرقابة رئاسة الأركان، والأكثر من ذلك - وبغض النظر عن وجهة النظر البريطانية في عمليات الهاغاناه - سعت رئاسة أركان الهاغاناه خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 إلى أن تجعل عمليات وحداتها «نظيفة» بقدر الإمكان. وعلى الرغم من استعدادها للقبول بالفرضية العامة بأن الضربات الانتقامية ضد وسائل النقل والقرى ستؤدي لا محالة إلى إصابة وقتل الأبرياء، فإن الأوامر كانت تُصدر بشكل متكرر لكل وحدات

الهاغاناه لتجنب قتل النســاء والأطفال والشيوخ، كما أنها في تعليماتها الخاصة بكل عملية كانت رئاســة الأركان تضمن أوامر بعدم الإضرار بغير المقاتلين، وهو ما ظهر على ســبيل المثال خلال الهجوم على قرية «ســلامة» (خارج حيفــا) في بداية يناير 1948، عندما منع غاليلي على وجه التحديد اســتخدام مدافع الهاون لأنها قد توقع خسائر في صفوف غير المقاتلين[73].

في الثامن من يناير أشــاد بن غوريون بأن الريف العربي ظل حتى ذلك التاريخ، وعلى الرغم من الجهود المبذولة لإثارته، هادئا بشكل عام، وأنه من مصلحة اليشوف أن يظــل كذلــك، الأمر الذي كان يتوقــف إلى حد كبير على أعمال اليشــوف ذاته: «يلــزم علينا أن نتجنب الأخطاء التي يمكن أن تُســهل على المفتي إثارة القرى»[74]. فيــما يتصل بالريف تمثلت سياســة الهاغاناه طوال شــهري فبراير ومارس في «عدم إشعال فتيل القتال في مناطق لم نُهاجم بعد فيها»، وفي الوقت ذاته القيام بهجمات قويــة على القواعد المعروفة التي تهاجم اليهود فضلا عن الطرق العربية في مناطق متعددة[75]. وانطبقت السياســة نفســها على منطقة النقب. فوفقا ليوســف ويتز رئيــس لجنة النقب (جهاز الإشراف الإقليمي لليشــوف): «فيما يتصل بالعرب جرى تحديد سياســة: نحن نمد أيدينا للســلام، كل بدوي يريد السلام سيكون آمنا، ولكن إذا ما جرؤ أحد على التصرف بطريقة مخالفة فإن نهايته ســتكون مريرة»[76]. وقبل ذلك بأسابيع قليلة أصدر ناخوم سريغ، قائد لواء النقب، تعليمات لضباطه تضمنت:

> *أ) إن مهمتنــا أن نبــدو في نظر العرب كقوة حاكمة تعمــل بفعالية ولكن بعدالة وإنصاف. ب) يجب أن نشجع العرب على الاستمرار في حياتهم كالمعتاد. ج) يلزم أن نتجنب إصابة النســاء والأطفال بالضرر. د) علينا أن نتجنب الإضرار بالعرب الأصدقاء.*

مــن الناحيــة العملية عنى ما تقدم الســماح للعرب برعي قطعان الماشــية في حقولهــم أو في الأراضي العامــة ومنعهم من القيام بذلــك في «حقولنا» عن طريق «إطــلاق النار على القطيع» وتجنــب إصابة الراعي أو مصادرة القطيع. إن عمليات التفتيش في التجمعات الســكنية يجب أن تتم «بأسلوب مهذب ولكن حازم... وإذا كان التفتيش يجري بســبب محاولة لاســتهداف قواتنا فمن المسموح لكم قتل أي

رجل في حوزته سلاح». إن عمليات التفتيش للمزارعين العرب في الحقول القريبة من المستوطنات اليهودية يجب أن تجرى «بأدب ظاهر، ويُفضل أن تكون مصحوبة بتوضيح لأسبابها، فضلا عن تشجيع العرب على الاستمرار في تأدية أعمالهم ...». وفيما يتصل بتفتيش السيارات العربية فإنه يلزم أن يكون «بأدب وحزم» وتتم فقط مصادرة الأسلحة، الزي العسكري، وبطاقات الهوية، والممتلكات المسروقة. وإذا كانت الأسلحة للدفاع عن النفس (مسدس واحد أو قنبلة يدوية) فيتم مصادرتها والسماح للسائق أو الراكب بمواصلة طريقة، أما إذا كانت «هجومية» (ألغام، أسلحة رشاشة... إلخ) فيلزم احتجاز مالكها بغرض استجوابه من استخبارات الهاغاناه، ويجب مصادرة المبالغ المالية التي تزيد على مائة جنيه فلسطيني. وفضلا عن ذلك يتم مصادرة أو تدمير السيارات التي يُشتبه في أنها تعود إلى المجموعات غير النظامية، وفي حالة مقاومة العرب للتفتيش، تستخدم القوة، بما في ذلك «الترهيب، الضرب، وحتى الإعدام»[77].

على الرغم من أن لواء النقب كان أكبر وأقوى قوة في النقب الشمالي، فلم تكن المنطقة تحت سيطرة يهودية تامة وذلك لمجموعة من الأسباب: معاناة اللواء من نقص السيارات (خاصة مركبات النقل الكبيرة)، تواجد الجيش البريطاني في المنطقة، الحجم الكبير للمنطقة وعدم توافر الطرق، العداء العربي، تناثر السكان وأغلبهم من البدو. وفي المقابل فإن المزارعين العرب والبدو الذين قطنوا السهل الساحلي (وبدرجة أقل أولئك في مرج ابن عامر ووادي الأردن) كانوا تحت السيطرة اليهودية التامة خلال الشهور الأولى من الحرب الأهلية. وبالنسبة إلى العديد منهم، فإنه على الرغم من العمليات القتالية التي دارت على مقربة منهم وما رافقها من شعور دائم بالخوف، فقد استمرت الحياة على النهج العادي بقدر الإمكان خلال هذه الأشهر. وفي هذا الخصوص وفرت سلسلة من المستندات الخاصة بمنطقتين فرعيتين للهاغاناه منذ شهر يناير نظرة متعمقة حول طبيعة العلاقات العربية - اليهودية على النطاق المحلي في ذلك الوقت.

استمر عدد من العرب، الذين عملوا حراسا في السهل الساحلي المنخفض، في العيش ومزاولة أعمالهم في البساتين المملوكة لليهود (على الرغم من أن بعضهم غادر المكان بدافع من الخوف). وقد علق إفرايم (أحد الضباط في حي فرعي) على

ذلك بقوله: «في رأيي لا يوجد سبب للخوف من تركهم في الوقت الحالي يعيشون في أماكن عملهم، فوجودهم يمكن أن يكذب ما يقوله أنصار الحسيني الذين يسعون إلى إشاعة الاضطرابات: العرب يمكنهم العيش بين اليهود من دون أن يصيبهم أذى، أما إذا طُرِدوا من أماكن عملهم فإنهم على الأرجح سيلتحقون بالعصابات نتيجة لافتقارهم إلى العائد المادي، فضلا عن سيطرة الرغبة في الانتقام بسبب طردهم من عملهم»، والأكثر من ذلك عبر إفرايم عن اعتقاده بضرورة السماح باستمرار قدوم العمال اليوميين القادمين من القرى المجاورة للعمل في المزارع المملوكة لليهود، الأمر الذي يفسر، ولو جزئيا، الهدوء الذي ساد قرى تلك المنطقة (وقد توافقت آراء ضباط استخبارات الهاغاناه المحليين حول ضرورة استمرار السماح للعرب بالعمل في المزارع المملوكة لليهود). في المقابل، فإنه حذر من «السماح للعرب بحرية الحركة في المناطق المكتظة بالمباني والمستوطنات خاصة في ساعات الليل»، وأوصى بزيادة الدوريات مع تجنب «الأعمال التي من شأنها إثارة الآخرين»: «إن دوريات الجيش يجب أن تجري اتصالات وحوارا مع العرب في أقل الحدود الممكنة في حالة عدم وجود شخص في الدورية يجيد اللغة العربية، إما في حالة وجود مثل هذا الشخص فإنه يجب عليه أن يتبع أسلوبا وديا، وفي حالة قيام القرويين بهجمات، فإن جميع الاتصالات يجب أن تتوقف»[78].

ويبدو أنه حتى منتصف شهر يناير كان العمال العرب يقضون الليل في المستوطنات اليهودية. غير أنه منذ ذلك التاريخ أصدر قائد الهاغاناه أمرا يمنع نوم العرب رعاة الماشية ليلا في المستوطنات اليهودية[79]، ومع ذلك استمر عمل العرب في المستوطنات بأمر من غاليلي (الذي كان أيضا عضوا في كيبوتس ناعان الذي يقع في الحي الفرعي نفسه الصادرة فيه التعليمات)، على أن يوقَف في مناطق وأوقات محددة فقط إذا ما كانت هناك ضرورة أمنية قصوى[80]، وقد انزعج إفرايم من تقرير عن قيام قائد محلي للهاغاناه في راماتيم (مدينة يهودية تقع في الحي الفرعي الخاضع لسلطته) بمنع عرب أبو كشك من البيع والشراء في متاجر المستوطنة وإقدامه على تدمير منتجاتهم وحظر إحضارها إلى داخل المدينة، مما دفع إفرايم إلى إصدار تعليمات تقضي بعدم القيام بمثل هذا الأفعال من دون الحصول على موافقة من سلطة أعلى إلا في حالة وجود ضرورة أمنية فورية[81].

شـــهد حي فرعي آخر في السهل الساحلي في بداية يناير إصدار ضابط أوامر لنوابـــه بعدم القيام «بإيقاف عام للعمال العرب في مناطقهم إلا في حالة صدور أمـــر يخالف ذلك»[82]. وفي الواقع فإنه في منطقة أو منطقتين، بما في ذلك الحي الفرعي للســـامرة، اســـتمر عمل العـــرب في الحقول ومزارع العنب والبســـاتين اليهوديـــة حتى شـــهر أبريل 1948، وفقـــط في نهاية هذا الشـــهر أصدر نفتالي أمـــرا بوقف عمل العرب في زخـــرون ياكوف، وغيفات أدا، وبات شـــلومو، مما أثـــار احتجاجات فورية مفادها أنه في ظل غياب عمالة يهودية كافية ستفســـد المحاصيل. وكانت الحجة المقدمة من نفتالي أن العرب لا يشـــكلون خطرا أمنيا في الوقت الحالي، لكن إذا ما تغير الموقف فأنهم ســـيتوقفون عن المجيء للعمل بمحض إرادتهم[83].

كان يجري تطبيق سياســـات مختلفة في مناطق مختلفة، وتوقف الأمر بشـــكل كبير على الموقف الأمني في كل منطقة وكذلك على القادة المســـؤولين. ففي القدس، على ســـبيل المثال، صدرت أوامر في بداية يناير تمنع بيع اليهود للســـلع إلى العرب، وحُذِّر أصحاب المحال من العقاب في حال المخالفة[84]. وبالفعل، قام رجال الهاغاناه بتذكير العرب العاملين في مؤسســـات يهودية، منذ منتصف ديســـمبر 1947، بالأمر الصادر من ضابط الاســـتخبارات والقاضي بأنه في حالة اســـتمرارهم فإن حياتهم قد تكون معرضة للخطر[85].

بحلول شـــهر مارس كان هناك ســـؤالان متداخلان: كيـــف يمكن التعامل مع المجتمعـــات العربيـــة المتبقية في المناطـــق اليهودية، وكيف يمكـــن التعامل مع ممتلـــكات أولئك الذين رحلـــوا من قبل؟[86]. فيما يتصل بالملكية، لم يكن أي من رئاســـة أركان الهاغاناه أو أعضائها المحليين راضيا عن الترتيبات التي جرى تبنيها محليـــا، حيث حدثت عمليات ســـلب ونهب وتخريب متعمـــد من قبل الجيران اليهـــود (والعـــرب) والوحدات العســـكرية. وقام بعض قـــادة الهاغاناه المحليين بتعيـــين «مراقبين» للممتلـــكات العربية[87]. وإزاء هـــذا الموقف تعالت المطالبة بضرورة تبني منهج منظم وشامل على المستوى الوطني. وفي هذا الخصوص قام رئيس الأركان بتأســـيس «لجنة وطنية لممتلكات العرب» في الأســـبوع الأخير من شهر مارس ضمت كلا من غاد ماكنس (مالك بستان للبرتقال)، وإزرا دانين (أحد

المصادر المحنكة لاستخبارات الهاغاناه في حديرا)[*] وإسحاق غويرتز (عضو في كيبوتس شفاييم)، بالإضافة إلى ديفيد هورويتز (مساعد مدير الخزانة للوكالة اليهودية)، وأوكلت لهذه اللجنة المسؤولية عن الممتلكات التي هُجرت[88].

كان من شأن واقعة مقتل ستة عرب في الأول أو الثاني من شهر مارس 1948 في حاجز على الطريق أقامه لواء إسكندروني أن تعيد طرح الموضوع الخلافي المتصل بالمجتمعات العربية التي مازالت باقية[89]. وجاءت مجموعة من الضغوط المحلية من قبل المستوطنين والوحدات العسكرية لتؤثر في النقاش، فقبل الرابع عشر من مارس سُرق جوادان من شفاييم وأُرسلا إلى طولكرم، وحامت الشكوك حول عرب مازالوا يعملون في المستوطنة أو بالقرب منها. وفي هذا السياق وجه المدعو علي قاسم، أحد المتعاونين العرب، نقدا لاذعا للمستوطنين اليهود على تشغيلهم لعرب غير موثوق بهم وتساءل عن أسباب عدم طردهم. وقد أعقب ذلك مباشرة إطلاق نار استهدف منازل في شفاييم ومناطق مجاورة في شافي زيون وريشبون من بستان برتقال قريب قيل إنه يقطنه مائة وخمسون من العرب، وقد اشتكى أحد أعضاء الكيبوتس مطالبا بضرورة صدور «أوامر واضحة حول وضع العرب في المنطقة»[90]. وفي أواخر مارس أصدر جهاز استخبارات الهاغاناه أمرا بالمنع التام لحركة العرب داخل المستوطنات اليهودية من دون تصريح خاص»[91]. وفي تطور أكثر مغزى اشتكى ضباط لواء إسكندروني من أن العزلة المفروضة على قرية الشيخ مونس يجري التحايل عليها وكسرها ليلا من جانب العرب الذين يناورون لتجنب دوريات الهاغاناه وحواجزها على الطرق، الأمر الذي رد عليه قائد اللواء بالقول بأن المسألة يجري التعامل معها من قبل رئاسة أركان الهاغاناه[92].

في مطلع شهر مارس أصدر غاليلي أوامره إلى خبراء الشؤون العربية بوضع خطوط عامة لسياسة محددة في هذا الخصوص[93]، واستنادا إلى توصياتهم أصدر في الرابع والعشرين من مارس أمرا شاملا إلى جميع قادة الألوية على النحو التالي:

الموضوع: العرب المقيمون في الأراضي المجاورة.

إن موقف الكنيست (الهاغاناه) فيما يتصل بالعرب الذين يعيشون في المناطق المخصصة للدولة اليهودية أو في جيوب المناطق اليهودية المتصلة، ينبع

(*) اسمها العربي الخضيرة [المحررة].

من السياسة العربية للحركة الصهيونية والتي تتمثل في: الاعتراف للعرب بجميع الحقـوق والحريات داخل الدولـة العبرية من دون تمييز، والعمل بجد من أجل التعايش بحرية واحترام.

لكـن يمكن الخروج عن هذه السياسـة خلال المعركـة، فقط إذا ما فرضت متطلبات وظروف الأمن ذلك.

لقد قامت القيادة العليا بتعيين لجنة مسـؤولة عن تحديد قواعد السـلوك تجـاه التكتلات العربية داخل مناطق السـكن اليهـودي الممتدة في كل منطقة (على سـبيل المثال الأمور المتعلقة بالتموين، والانتقالات، وهويات الشـخصية)، وذلك بالتنسيق مع قائد اللواء المعني أو من ينوب عنه، وذلك وفقا لهدف يقضي بأن احتياجات الأمن يلزم تلبيتها بشكل صارم، وكذلك رفاهية واحتياجات العرب الذين يعيشون في قطاع يهودي.

ضمـت عضويـة اللجنة التـي عرفت منذ ذلـك الوقت فصاعدا باسـم «لجنة الأمور المتصلة بعرب الجيوب»: دايان، وماكنس، وبالمون (من قسـم الاسـتخبارات في الهاغاناه)، وأضيف إليهم دانين بعد يومين[94]. وقد شـكلت تلك الخطوط العامة بشـكل فوري أساسا لشكوى من قبل لواء إسكندروني اتصلت بكمين نصبته البالماخ في منطقـة اختصاصه، وقد ترتب على هذا الكمين، الذي مات خلاله ثلاثة أو أربعة من العرب، إجلاء سـكان وادي الحوارث، المنتمين إلى قبيلة بدوية شـبه مسـتقرة جنوب حديرا، وتضمنت مذكرة لواء إسكندروني ما يلي:

أقدمـت هذا الصباح فرقة من البالماخ على تنفيـذ عملية بالقرب من كفر حاييـم تخالف الخطوط العامة التي نتبعها كأسـاس لعلاقاتنا مع العرب... وقد ولد ذلك سـخطا كبيرا بين العرب في المنطقة الذين سـبق أن وعدهم المتحدث باسـم الهاغاناه بعلاقات سلمية حقيقية... ففي مناسـبات سابقة مشابهة قمنا بمنع المنشـقين (الإرغون وحركة شـترن) من تنفيذ عمليات ضـد العرب الذين نحتفظ معهم بعلاقات حسـن جوار... وإنه لمن المؤسـف أن تكون البالماخ هي الطرف الذي يعيقنا عن تنفيذ هذه السياسة[95].

تمثلت الصعوبـة التي واجهتها الهاغاناه خلال الفترة من ديسـمبر 1947 حتى مـارس 1948 في أنـه في الوقت الذي سـعت فيه إلى المحافظة عـلى الهدوء في كل

مكان يمكن فيه تحقيق ذلك، فإن عملياتها الانتقامية - التي أسيء توجيهها في بعض الأحيان وكان مبالغا فيها في أحيان أخرى - ساعدت على انخراط مزيد ومزيد من العرب في الاضطرابات المتعاظمة. وقد ساد الشعور بأن عملا ثأريا قويا وشاملا هو فقط ما يمكنه أن يرهب ويهدئ العرب، بيد أن الأعمال الانتقامية أسفرت عن إصابة الأبرياء إلى جانب المذنبين مما ولد مشاعر الغضب والرغبة في الانتقام وجعل المجتمعات العربية أكثر استعدادا للاستجابة للدعوات القتالية والوطنية التي وجهها الحسيني، على الرغم من ممانعتهم المبدئية للانخراط في المواجهات[96].

يمكن القول إجمالا إن العمليات التي نفذتها الهاغاناه حتى نهاية شهر مارس انسجمت مع المبدأ العام المتصل بتقليل رقعة انتشار المواجهات، على الأقل على المستوى الجغرافي، بقدر الإمكان، ومع تعاقب الشهور مالت هذه العمليات إلى أن تكون أكثر شراسة في ضوء قيام وحداتها بممارسة مهامها في إطار تشكيلات أكثر عددا وفعالية، وتزايد حجم الخسائر اليهودية، فضلا عن الشعور المتزايد لدى اليشوف بأنه أضحى منخرطا في صراع حياة أو موت، ولكن فيما يتصل بالفترة الزمنية ما بين ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 استمرت سياسة المنظمة ثابتة: الدفاع ضد الهجمات العربية، قصر الانتقام - بقدر الإمكان - على من يقومون بالهجمات، السعي إلى تضييق المجال الجغرافي للصراع[97]. وفي الثالث من شهر فبراير عام 1948 تحدث بن غوريون عن الاستيطان اليهودي المأمول في النقب بالكلمات التالية: «إن القبائل العربية التي تعيش في سلام معنا، لن نحاربها ولن نصيبها بالأذى، ولكن سنزودها بقليل من الماء بما يمكنها من زراعة الخضروات، وستبقى حيث هي»[98]، وبعد مرور ثلاثة أسابيع صرح غاليلي:

> *... إن هناك أهمية قصوى لانتقاء الأماكن التي تستهدفها العمليات الانتقامية، حيث يجب علينا التمييز بين القرى المتورطة في الهجمات علينا وتلك التي لم تقم بذلك بعد. وإذا كنا لا نريد أن يتشكل تحالف بين العرب في البلاد والأجانب (المقصود القوات غير النظامية) فإنه من الأهمية بمكان التمسك بهذا التمييز.*

راود غاليلي الأمل في أن تحدث احتكاكات، وربما صراعات، بين القرويين والعناصر الأجنبية غير النظامية[99]، وقد ساد هذا التوجه بدرجة كبيرة جميع

مستـــويات التسلســـل القيادي، ففي بداية مارس (وعقب حادثة شملت جنودا من البالماخ) كتب ميشـــائيل شـــاهام (ضابط أمن النقل في رئاســـة أركان الهاغاناه) إلى آلون: «هناك حاجة لتحديد قواعد الســـلوك الخاص بأمـــن المواصلات بغية تجنب حدوث اســـتفزازات غير ضرورية قد تكون نتائجها في بعض الأحيان مأســـاوية وتُثير العاصفـــة في مناطق مازالت هادئـــة...»[100]. وقد نبعت هذه السياســـة جزئيا من اعتبـــارات أخلاقية، وكانت في جزء آخر نتيجة لضعف الهاغاناه، وبشـــكل عام فإنها كانت ترجع إلى الاعتقاد الســـائد، على الأقل حتى نهاية شـــهر مارس، بأن الهاغاناه يجب أن توقف نيرانها لأن البريطانيين لن يســـمحوا بحدوث تغيير جذري في توازن القوى العسكرية بين اليهود والعرب قبل انسحابهم من فلسطين.

سياسة عرب فلسطين خلال الفترة
من نوفمبر 1947 حتى مارس 1948

تضمنـــت الدعاية الصـــادرة عن كل من الوكالة اليهودية والهاغاناه خلال الأشـــهر الأولى للحرب الأهلية اتهاما للمفتي بشـــن حرب منظمة وعدوانية ضد اليشـــوف. غير أن الحقيقـــة كانـــت مخالفة لذلـــك إلى حد كبير على النحو الذي فهمـــه أغلب القادة والمحللين اليهود في ذلك الوقت، ففي بداية الأمر كانت الجهود القتالية الفلســـطينية غير منظمة، وتلقائية وتقتصر على مواقع محددة، وظلت لشـــهور مشوشة وتفتقر إلى التنسيق، إن لم تكن غير موجهة لهدف على الإطلاق، وفي إفادة من ماكنس لبن غوريون وقـــادة الهاغانـــاه في 1 يناير 1948 ذكر الأول: «لم يكن العرب مســـتعدين (للحرب)... لم يكن هناك من يرشـــدهم ... وعلى الرغم من ســـعي اللجان الوطنية المحلية واللجنة العربية العليا للســـيطرة على الموقف، فإن التطورات كانت تحدث من تلقاء نفسها»، وأوضح ماكنس أن «أغلبية السكان العرب لم ترد القتال». اتفق ساسون مع هذا الرأي مضيفـــا أن المفتي أراد (ونظم وأثار) «الاضطرابات» ولكن ليس بهذا المســـتوى وبهذه الأبعاد[101]. وقد لخص أحد مستشاري الهاغاناه الموقف على النحو التالي:

> *تعاظم الشعور في المدن بأنه لا يمكن لساكنيها الصمود ضد القوات الأكثر تفوقـــا [اليهـــود]. أما في الريف فلم يكن الفلاحـــون راغبين في البحث عن [أو السعـــي إلى] القتال مع اليهود خـــارج مناطقهم، وبالنســـبة إلى أولئك الذين*

عاشوا بالقرب من المستوطنات اليهودية فقد نُظر إليهم على أنهم «مساكين» [بؤساء وضعفاء]... وساد جميع القرى الشعور بأن اليهود على وشك الهجوم عليهم...[102].

بعد مرور عدة أيام على اندلاع القتال طلب غاليلي من مستشار جهاز استخبارات الهاغاناه أن يشرح له طبيعة ما يحدث، وقد تضمن رد الأخير ما يلي:

كانت الاضطرابات في جزء منها منظمة من قبل النشطاء المحليين الموالين للحسيني وبمساعدة من الحشود التي جرت استثارتها، وفي جزء آخر كانت تلقائية ومن دون قيادة... إن اللجنة العربية العليا لا تقود أو تخطط لاندلاع الاضطرابات... كذلك لا يجيب أعضاء اللجنة بشكل واضح على مطالبات القادة المحليين بضرورة وجود خط واضح للعمل، حيث اقتصر الأمر على إخطارهم بأن المفتي لم يقرر بعد طبيعة الرد (على قرار التقسيم). وقد بدأت اللجنة والقادة المحليين في تنظيم المدن وبعض القرى لعملية الدفاع[103].

ذهبت الإدارة السياسية بالوكالة اليهودية إلى حد الاعتقاد أن المفتي نفسه يريد التهدئة وأن ذلك كان أيضا الموقف العربي الرسمي، بيد أن بعض أنصاره، بما في ذلك إميل الغوري، ورفيق التميمي، والشيخ حسن أبو سعود كانوا وراء تنظيم أعمال الشغب «التلقائية» وإشعال نيران المواجهة[104].

جاء الخط الذي تبنته اللجنة العربية العليا - في جزء منه - استجابة لعدم الرغبة العربية العامة في القتال، وقد نُقل عن ضباط القسم العربي بجهاز استخبارات الهاغاناه قولهم «إن أغلبية العامة كانت مستعدة لقبول التقسيم...»[105]. وأفاد تسوري (أحد ضباط الجهاز) في الشمال بما يلي: «خلال السنوات القليلة الماضية لم تكن لدى الفلاح في الجليل، سواء كان من الغوراني (المقيمين في مستنقعات وادي الحولة) أو من المتاولة (الشيعة) أو مغربي (من أصول مغربية) أي رغبة في أن يكون طرفا في حرب مع اليهود»، وبشكل عام «لم يكن السكان العرب في الجليل قادرين على تحمل العبء الثقيل والممتد زمنيا للقتال نظرا إلى غياب أي شكل من أشكال التنظيم الداخلي»[106].

في واقع الأمر لم يقتصر عدم توافر التنظيم والسلاح على الشمال فقط. فقد حذر الجنرال صفوت (رئيس اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية) خلال

شـهر مارس 1948 بشكل عام من تشرذم العرب الفلسطينيين مع تكاثر العصابات المسـلحة التي لا تدين بالولاء إلى «القيادة العامة»، ومن اقتناء القرويين للسـلاح للدفاع عن أنفسـهم ضد عرب آخريـن وليس ضد اليهود[107]. مـن جانبه، افتقر الحسيني إلى الأدوات اللازمة لشن هجوم شامل على اليشوف الأمر الذي دفعه إلى أن يقصر موافقته على شـن هجمات محدودة (جزئيا للضغط على الدول العربية لتهب إلى نجدة الفلسـطينيين)، وتشديد الحصار الاقتصادي على اليشوف، وتنظيم المجتمع العربي للدفاع عن نفسـه[108]، وقد أرسـل المفتي - في نهاية شهر ديسمبر 1947 - خطابـا إلى د. حسـين الخالدي (عضو اللجنة العربيـة العليا وقائد اللجنة الوطنية لمدينة القدس) نص بشـكل صريح على أن الهدف من الأعمال التي يجري القيام بها هو «إنهاك، وفقط إنهاك، اليشـوف وليس شن هجوم شامل عليه»[109]. كما أشـار إلى أنه فقط في المسـتقبل، في تاريخ لم يحدد بعد، سـتأمر اللجنة العليا بشـن مثل هـذا الهجوم، ومن ثـم فإنه في الوقـت الحالي يلزم البـدء في الإعداد لذلـك[110]. ولم يكن الخالدي بحاجه إلى أي ضغـوط عليه حيث إنه كان «عصبيا، وبائسا، ومتشـائما». وطبقا لجهاز اسـتخبارات الهاغاناه اعتقد الخالدي أنه خلال الاضطرابـات التي جـرت في 1936 - 1939 «كان العرب ... أكثر اسـتعدادا وجرأة ورغبـة في التضحية، أما في الوقـت الراهن فإنهم، مقارنة بتلك الفترة، يطالبون بأن يُدفع مقابل لكل عمل يقومون به، ويسـيطر عليهم الخوف من اليهود، كما أنهم أضحوا دائمي الشكوى» [111].

لخص كانينغهام الأمور قبيل اندلاع الحرب بدقة على النحو التالي:

> *تمثلت السياسـة العربية الرسـمية في اتخاذ موقـف دفاعي ضد الهجمات اليهوديـة إلى حين صدور الأوامر بالهجوم من قبل القيادة الوطنية. أما الهجمات الواسـعة الانتشـار المسـتمرة والمتزايدة على اليهود فإنها كانت تعكس بشكل مقارن السـلطة الواهية لمعظم اللجان الوطنية وللجنة العربية العليا... فالأخيرة كانت حريصة على التقليل من الهجمات العربية ولكن على الأرجح عدم إيقافها تماما، ومن المعروف أنها كانت تشعر بالقلق من فقدانها للسيطرة...* [112].

تركز انتباه المفتي بشكل شبه فوري على عرب حيفا ويافا، كبرى المراكز العربية، فكلتاهـما كانتا معرضتين للهجوم والحصـار، وفي كل منهما كانت اللجان الوطنية -

التي مثلت الطبقات التي تمتلك المال سـواء المتوسطة أو العليا- تبحث عن الهدوء خشية أن تسـفر الاستفزازات ضد اليهود عن أعمال ثأرية تضر بهم أو بممتلكاتهم. في يافا، كانت اللجنة الوطنية وملاك بساتين البرتقال وراء التوصل إلى هدنة، دامت لفترة قصيرة، مع جيرانهم اليهود[113]. بيد أن القيادات المحلية فشـلت في السـيطرة على مجموعات المليشيات التي كانت تعمل عادة في أطراف المدينة[114].

نبع جانب كبير من مخاوف المفتي تجاه المدينتين من التقارير التي أشـارت إلى بدء سـكانهما في الهرب. وخلال النصف الثاني من ديسـمبر 1947 ويناير 1948 بدا وكأن المفتي ومسـاعديه يسعون إلى تحويل مركز العمليات القتالية باتجاه الريف. غـير أن القرويين لم يسـارعوا للمشـاركة في القتال[115] (بل اسـتمر بعضهم في بيع منتجاتهم إلى المدن اليهودية المجاورة)[116]، وقد اكتشـف حسن سلامة، أحد القادة الميدانيين التابعين للمفتي، ذلك أثناء لقائه مع القادةِ المحليين في منطقة شرق حيفا. ففـي الوقت الذي طالبهم فيه بتنظيم هجمات على أحياء في «تل أبيب» (هاتيكفا وبتـاح تيكفا)، «عارض الجميع الخطة بقـوة»[117]، كما أنه تلقى إجابة مماثلة من اللجنـة الوطنية للرملة، حيث أوضح له أعضاؤها أن «الهدوء يسـود المنطقة، وأنه إلى أن يقـوم اليهود بالبدء في عملياتهـم ومهاجمة القرى فإنهم لا يرغبون في البدء بالعمليـات»، كذلـك كان الرد الوارد من اللجنة الوطنيـة في اللد عندما طلب منها مهاجمة مستوطنة بن شيمن المجاورة[118].

تلقى عبدالقادر الحسـيني، القائد العسـكري الرئيسي للمفتي [أمين الحسـيني] والمسـؤول عن منطقـة مرتفعات يهـودا، إجابات مماثلة خلال اجتماعـه مع اللجنة الوطنية في طولكرم. فعندما طلب منهم جمع المال وشراء السلاح و«الإسراع في الدخول في معارك ضد المستوطنات اليهودية»، رد هاشم الجيوسي، رئيس اللجنة قائلا:

> *نطالب أن تترك أمور هذا الحي (الذي لم يكن عبدالقادر مسـؤولا عنه) إلى سـكانه. نحن نعرف الموقف جيدا... إن الجانب الغـربي من حينا مفتوح وليس هناك وسـيلة للدفاع عنه، والمسـتوطنات اليهودية تحيط به من كل جانب. إذا بدأنا في الاستفزاز فسنخسر القرى الغربية.*

وأضـاف رئيـس الحي أن السـكان في طولكرم «لا يريـدون أن يتدخل أحد في شـؤونهم، كذلك فإننا لا نريد أن نكون ضحايـا لجرائم كتلك التي حدثت في

الماضي» (1936 – 1939) [في إشارة مستترة بالكاد إلى إرهاب الحسيني ضد عرب آخرين أثناء الثورة].

- عبدالقادر: أنا لا أنكر أنه ارتُكبت جرائم قبيل إنشاء «المحاكم الكنغرية»(*) وسرقات للمال.

- هاشم: وماذا عن أعمال القتل؟

- عبدالقادر: أجل، ويجب علينا تجنب تكرار هذه الجرائم.

وقد كرر هاشم قوله إنه لا يريد أي نصائح، وإنما فقط الأسلحة، التي لم تصل حتى الآن على الرغم من أنه سُدِّد ثمنها[119].

وواجه عبدالقادر موقفا مشابها في بتير والقرى المجاورة التي رفضت أن تُستخدم كنقاط انطلاق لهجمات على يهود القدس: «خشية الانتقام»[120]. في المقابل، وافق ممثلون عن قرى بالقرب من رام الله على البدء في شن بعض العمليات[121].

وقد اتسمت سياسة المفتي تجاه الريف بالغموض. فطبقا لمصادر استخبارات الهاغاناه أخبر وفدا من قرية مسمية الكبيرة (في الجنوب) «أن يلتزموا الهدوء ولا يتصادموا مع اليهود، إلا إذا ما هوجموا»، مضيفا: «مادامت المساعدة لم تُؤمَّن من قبل الدول العربية يجب تجنب المعركة مع اليهود».

خلال الشرح الذي قدمه إلى بن غوريون، أوضح ساسون أن التغيير في الإستراتيجية العربية، بمحاولة نقل مركز العنف من المدن إلى الريف، جاء نتيجة الضغط الذي مارسه سكان المدن على المفتي. وفي هذا الصدد، اقترح ساسون أن تقوم الهاغاناه بمضاعفة الضغط على المدن بشكل قد يدفع أعيانها إلى طلب التوصل إلى وقف إطلاق نار، ووفقا له فإن الهجمات على القرى لن تفضي إلى شيء حيث إن المفتي سيظل غير مكترث «لموت الفلاحين»[122].

منذ نهاية شهر يناير وعلى مدار شهري فبراير ومارس فرضت الهاغاناه وأبقت على حصار جزئي للمدن الرئيسية، الأمر الذي شكل ضغطا كبيرا على المفتي. وطبقا لأجهزة استخبارات الهاغاناه أصدرت اللجنة العربية العليا في نهاية شهر يناير أوامر للجان الوطنية تضمنت الإبقاء، في الوقت الحالي، على الهدنة وعدم القيام بالتخطيط

(*) المحاكم الشعبية التي لا تراعى فيها مبادئ القانون والعدالة [المترجم].

أو شـــن هجمات كبرى لحين صدور تعليمات أخرى[123]. كذلك فإنه بحلول منتصف شهر فبراير أصدر جيش الإنقاذ - الذي تعهد للبريطانيين بإيقاف الهجمات - تعليمات تقضي «بعدم مهاجمة اليهود، والاقتصار فقط على عمليات الدفاع والتنظيم...»[124]. وقد أخبر سعيد بك (قائد جيش الإنقاذ في قلقيلية) أحد جلسائه العرب (توفيق أبو كشـــك) في بداية شـــهر مارس أن جيش الإنقاذ «لا يرغب في الهجوم، وليس لديه أي تعليمات في الوقت الحالي للقيام بذلك، حيث إنه جاء إلى فلسطين للدفاع عن العرب ضد عدوان اليهود»، وفي هذا الســـياق شـــجع ســـعيد بك محدثه على «الاستمرار في الحفـــاظ على علاقات جيدة مع الجيران اليهود»[125]. وقرب نهاية الشـــهر ذاته، ذكر القاوقجي لأحد العرب الذين لهم صلة قوية باليشـــوف أنه بإمكانه «الاســـتمرار في العيش بســـلام مع اليهود كما كانت عليه الحال حتى الآن»، وحذر السكان المحليين مـــن البدء في القتـــال من تلقاء أنفســـهم[126]. من جانبها، أصـــدرت اللجنة الوطنية في حيفـــا (والتـــي تعتبر من المعاقل التي تكن مشـــاعر عدائية للحســـيني) في الثاني والعشرين من فبراير «البيان رقم 7» الذي طالب «بوقف إطلاق النار وعودة الرجال إلى مواقع عملهم...»[127]. ومن غير المرجح أن تكون اللجنة قد أقدمت على مثل هذا الإعلان من دون موافقة مسبقة من اللجنة العربية العليا.

خلال شهري فبراير ومارس بدا وكأن كلا من اللجنة العربية العليا وجيش الإنقاذ يرســـلان للفلســـطينيين العرب مؤشرات تبـــين أنه بينما يجب الإبقاء على مســـتوى منخفض من المناوشـــات من قبل الميليشـــيات المحلية والقوات غير النظامية وكذلك الهجمات على القوافل اليهودية، خاصة في محيط القدس، فإن القيام بهجوم واســـع النطـــاق على اليشـــوف كان أمرا غير وارد في الوقت الراهـــن، وأن التجهيزات لذلك - والتي يجب أن تجرى على قدم وســـاق، إما قبيل الانســـحاب البريطاني مباشرة أو بعده - يلزم الشروع فيها.

الجهود اليهودية والعربية لصنع السلام

ديسمبر 1947 - مارس 1948

بالتزامـــن مع سياســـة الهاغاناه خلال الشـــهور الأولى والرامية إلى تحديد نطاق وتقييد مســـتوى العنف، حاولت أجهزة يهودية مختلفة (بما في ذلك القســـم العربي

في الإدارة السياسـية للوكالة اليهودية)، وإدارة الهسـتدروت للعمال العرب، وحزب مابام، والسـلطات اليهودية المحلية) الإبقاء على السلام، أو على الأقل وقف إطلاق النار في بعض المناطق، اسـتمرارا للجهود السابقة خلال الأربعينيات التي استهدفت التوصل إلى تعايش سـلمي يهودي - عربي (الأمر الـذي قابله الطرف العربي بردود أفعال إيجابية في مناطق محدودة من وقت إلى آخر). وبشكل كبير كان الحافز وراء تلك الجهود اندلاع المواجهات خلال شهري نوفمبر وديسمبر عام 1947. وفي الوقت ذاته تولد عن القتال زيادة مطردة في توجهات العرب لتحقيق السـلام مع جيرانهم، وأساسـا بين المجتمعات التي شـعرت بأنها معزولة وتحت التهديد في المناطق ذات الحضور اليهودي الساحق، والتي كانت حريصة على الحفاظ على بقائها.

خـلال الحرب الأهلية، أثبتت علاقات الجوار الحسـنة أنها أكثر اسـتمرارية في النصف الشمالي من السهل الساحلي، وفي المنطقة الواقعة إلى الشرق من والمتاخمة للتلال الواقعة في السـامرة الشـمالية. كذلك بُذلت جهود شاقة خلال الأشهر الأولى للـصراع من قبَل المسـؤولين اليهود بقيـادة دانين وبالمون للإبقاء على السـلام بين اليشـوف والعديد من القرى العربيـة والقبائل البدوية في المنطقة المجاورة مباشرة لتل أبيب، كما بُذلت جهود مماثلة من قبل مسؤولي الهستدروت في منطقة القدس.

في الوقت الذي بدأت فيه سُـحب الحرب تتجمـع، بادر عدد من القرى شرقي حديرا بعقد «لقاء سلام»، دام أربعة أيام ونصف اليوم، مع جيرانهم اليهود، وحضره قرابة سـبعين من النبلاء العرب، بما في ذلك المختار من وادي عارة، وعرعرة، وقبيلة تركمان بالقرب من كيبوتس ميشـماروت وأربعين من قادة اليهود المحليين، في حين رفض قادة باقة الغربية - أكبر القرى العربية في محافظة طولكرم - المشـاركة.. وقد أكد القادة اليهود والعرب المشـاركون على علاقات حسـن الجوار الراسـخة بينهم، وبادروا بتعيين لجنة دائمة لتسـوية الخلافات في حالة نشـوبها[128]. أسـفرت هذه الاتصالات عن تنظيم زيارة لسـتين من أطفال مدرسـة كيبوتس عين شيمر في الثاني والعشريـن من أكتوبر إلى مدرسـة في خربة السركس، وجرى «اسـتقبالهم بشـكل جيـد للغاية»، وكانت هـذه الزيارة ردا على أخرى سـبقتها أجراها طلبة فصل من خربة السركس إلى عين شـيمر وكيبوتس غان شـموئيل في وقت مبكر من الشـهر نفسـه[129]. وكان من وجهة نظر القيادة اليهودية المحلية أن من شأن بداية القتال

في مناطـق أخـرى في البلاد أن يجعل من تقوية الاتصالات مـع الجيران العرب أمرا حتميـا. وقد صرحت تلـك القيادات بأن «التعليمات الدائمـة هي بذل كل الجهود للحفاظ على علاقات جوار حسـنة»[130]. وبناء على مبـادرة من رئيس قبيلة عرب الشـمالي، التقى قادة وادي حيفر(*)، في الثاني عشر من ديسـمبر 1947، مع ممثلين يهود؛ حيث أعلنوا رغبتهم في السلام واستمرار العلاقات الجيدة، مطالبين بوعد بألا يقدم اليهود على إيذائهم والحصول على «الحماية للمجلس الإقليمي»، ومن جانبها أعلنت السلطات اليهودية أن الاجتماع حصل على الرغم من محاولات مندوبين من طولكرم «تحريض» هؤلاء العرب ضد اليهود، وقد صرح المجلس الإقليمي بأن اليهود سيحافظون على السلام إذا ما التزم العرب بذلك. وتجدر الإشارة إلى أن مسؤولين من القسم العربي ساعدوا على تنظيم هذا اللقاء[131]. وفضلا عن ذلك، قام القادة اليهود بعمل ترتيبـات لتزويد القرى العربية المجاورة بالإمدادات، خاصة الدقيق، في حالة انقطاعهـا. وفي حين قامت العائلات العربية التي كانت تعيش في حديرا (اليهودية) بالفرار، استمر العمال العرب في المجيء إلى المدينة بغرض العمل[132].

فـور انـدلاع القتال شرعت إدارة العـمال العرب في الهسـتدروت (التي كانت خاملة إلى حد ما حتى ذلك التاريخ) في إجراء اتصالات مع العرب لتشـجيع السـلام بـين المجتمعات المتجاورة؛ حيث كانت الأخوة بين كل عمال الأمم المختلفة من بين أسـس أيديولوجية اتحاد نقابة العمال (الهستدروت)، الذي وزع في 21 يناير 1948 إعلانات موجهة إلى «كل العمال العرب» تحضهم على «العيش في سـلام مع اليهود، وعلى أن يديروا ظهورهم لقادتهم الذين يقودونهم إلى الهلاك»[133].

اتخـذت الرغبة في العيش في هدوء وسـلام في بعض المناطق أشـكالا متعددة في الشـهور الأولى للحرب. توصلت عديد من القرى إلى اتفاقات سـلام رسـمية مع المسـتوطنات المجاورة أو ضواحي المدن، والتقى أعيان دير ياسـين في العشرين من يناير 1948 قادة من غيفات شـاؤول، في ضواحي القـدس اليهودية، واتفقوا معهم على وضعية متبادلة من عدم الاشـتراك الفعلي في الحرب. وقد التزمت دير ياسـين بـأن تُبعد العصابات أو القوات غـير النظامية خارجها، وفي حال ظهورها فيها تقوم بإبلاغ غيفات شـاؤول بوجودهم «في أوقات النهار عـبر تعليق الملابس... (قطعتان

(*) الاسم العربي هو وادي الحوارث [المحررة].

من اللون الأبيض في وســطهما قطعة من اللون الأسود)، وأثناء الليل من خلال ثلاث ومضــات ضوئية... ووضع ثلاثــة مصابيح». كذلك تم الاتفاق عــلى تزويد دوريات غيفات شاؤول بكلمة سر متفق عليها، وفي المقابل تعهدت الأخيرة بتحمل مسؤولية تأمين الســيارات التابعة لقرية دير ياســين والتي تمر عبر الضواحــي[134]. وقد أدى أهــارون حاييــم كوهين (مؤســس إدارة العمال العرب) دورا مهــما في التوصل إلى هذه الاتفاقية وغيرها من الاتفاقيات المشــابهة خلال شــهري يناير وفبراير مع قرى القسطل، وصور باهر، والمالحة[135].

خلال شــهري ديســمبر 1947 ويناير 1948 عبر قادة الشــيخ مونس، وصميل (المســعودية)، والجماســين، وعرب أبو كشــك، وجليل - خلال لقائهم مع مندوبين للهاغانــاه في دار أفراهام شــابيرا (في بتــاح تكفا) - عن رغبتهم في الســلام. وذكروا أنهــم إن لم يتمكنوا من حجب المســاعدات عن القوات غير النظامية فسيطلبون مســاعدة الهاغاناه، وبشــكل واضح تماشى الجانب اليهــودي مع محاولات الانفتاح عليه، فقد شــهد شــهري يناير وفبراير زيارات من قبل كل من بالمون ودانين لعدد مــن القرى العربية بما في ذلك الشــيخ مونس وعرب أبو كشــك، وطالبوا الســكان بالبقــاء في أماكنهم وقبول الحمايــة والقواعد اليهودية، وهو مــا لاقى موافقة من قبــل القرويين[136]. وفي حالة أو حالتين تم التوصل إلى اتفاقات بين مســؤولين يهود أو ضبــاط الهاغانــاه وقطاعات معينة من ســكان قرية ما، وليــس القرية بأكملها. فعلى ســبيل المثال، في منتصف يناير توصل عشرات العمال من مسكة (في محافظة طولكــرم) إلى اتفاق للامتنــاع المتبادل عن القتال مع جيرانهــم اليهود، الذين كانوا يعملون في بساتينهم[137].

خلال الأشــهر الثلاثة الأولى مــن الحرب اقترب ما يزيد عــلى أربعة وعشرين قرية من المســؤولين اليهود ســعيا وراء التوصل إلى اتفاقيات للامتناع المتبادل عن القتــال، مدفوعة في ذلك أساســا بالخوف مــن الهجمات اليهوديــة أو العمليات الثأرية، وكذلك إلى حد مــا بالروابط الاقتصادية التقليدية الذين رغبوا في الحفاظ عليها. ومن بين تلك القرى: قطنة (شــمال غربي القدس، والتي أجرت اتصالات مع كيبوتس معالي حاميشــا)[138]، ووادي الحوارث (في الوادي الســاحلي والتي أجرت اتصالات مع كفر فيتكن)[139]، والمنشــية (التي اتصلت بغيفات هاييم بالقرب من

حديرا)[140]، وقيسارية (وقد تواصل أحد وجهائها «توفيق قدودة» مع اليهود المحليين)[141]، وعين كارم (غربي القدس والتي تواصلت مع قادة اليهود في ضواحي بايت فيغان)[142]، وعرب أبو كشك وقرية جماسين (شمال تل أبيب، واللتان أجرتا اتصالات مشتركة مع ضابط شرطة يهودي يُدعى أريل في مركز شرطة رمات غان)[143]، وأرض السريس (واتصلت بالدكتور بوهم رئيس المجلس اليهودي الإقليمي في كفر آتا)[144]، وكفر قرع (واتصلت بكفر غليكسون المجاور)[145].

حاول ضابط بريطاني أن يجمع ممثلين عن العرب واليهود في بيت شيان (بيسان)؛ وفي حين نصح يهوشوا سولز (ضابط استخبارات الهاغاناه المحلي) اللجنة الإقليمية المحلية بالتقاط «اليد الممدودة»، ذهب ضباط آخرون (على الرغم من اهتمامهم بالحفاظ على السلام) إلى النصح بـ «ضرورة المعرفة المسبقة بمن يطلب السلام من الآخر... فيلزم علينا أن نطلب منهم إرسال مندوبين محترمين، لا أطفال أو أشخاص لا وزن لهم، كذلك فإنه من المهم ألا يكونوا من عائلة واحدة أو من فئة واحدة فقط...»[146].

بشكل عام، جرت الأمور بصورة أكثر وضوحا: حيث اتصل الأعيان والوجهاء العرب، أو التقوا، مع المندوبين اليهود المحليين. على سبيل المثال، في السابع من يناير، التقى عمدة اللد، وبصحبته مختار قرية الحديثة مع رئيس بن شيمين (المدرسة الزراعية الداخلية اليهودية المجاورة والموجودة داخل المنطقة ذات الكثافة العربية)، ووفقا لمحضر الاجتماع الذي أعدته الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه ذكر العمدة: «نحن نريد السلام معكم، وقد جهرنا بذلك في المدينة وضواحيها. غير أنه، كما تعلمون، هناك أشخاص ليس لديهم إحساس بالمسؤولية قد يقدمون على ارتكاب حماقات من تلقاء أنفسهم». وطلب العمدة من رئيس المدرسة عدم نشر حراس على الطريق، بل فقط داخل حرم المدرسة. ومن جانبه طالب الأخير سلطات اللد بالسماح للحافلات اليهودية بالمرور في المدينة من دون اعتراضها، وعند هذه النقطة جرى اتصال هاتفي مع شحاتة حسونة (رئيس الميليشيات في اللد) وتضمن الحديث بينه وبين مدير المدرسة ما يلي:

> *شحاتة حسونة: لقد تحدثنا إلى الأعيان في المنطقة وحذرناهم من أي إيذاء قد تتعرض لها بن شيمين. لقد عشتم بيننا العديد من السنين من دون وقوع أي*

شيء سيئ فيما بيننا... لن يتم المساس بقوافلكم. إن السكان المحليين، وبخاصة كبار السن منهم، يريدون السلام، ولكن تصعب السيطرة على الغرباء بتنوعاتهم المختلفة، الذين يفدون على المدينة ويتصرفون من تلقاء أنفسهم.

رئيس بن شيمين: توجد بيننا أيضا عناصر لا تريد الامتثال للأوامر، وتتصرف من تلقاء أنفسها، ولا يمكن أن أتحمل المسؤولية عنهم بالقدر نفسه الذي لا يمكنكم به تحمل المسؤولية عن الغرباء[147].

(وحتى 19 مارس، كان قادة اللد يعارضون الهجمات على قوافل بن شيمين)[148].

بعد مرور أسبوع على ذلك دارت مناقشة مماثلة بين ضابط في القسم العربي باستخبارات الهاغاناه (على الأرجح ديفيد كارون) وقائد للجنة الوطنية في تل الصافي (قرية عربية كبيرة تقع جنوبي القدس)؛ حيث وعد القائد العربي الحاج محمد خليل العزي بإبعاد «الغرباء» وإبقاء الرعاة العرب بعيدا عن الحقول اليهودية. وأضاف العزي أن الحسيني «لا مستقبل له» وأن «السيطرة» ستنتقل قريبا إلى عبدالله ملك الأردن. وقد أمرت اللجنة الوطنية مجموعة من البدو التي استقرت في تل الصافي منذ خمسة أو ستة أعوام بالرحيل خشية أن يؤدي قيامهم بالرعي إلى صدامات مع اليهود[149].

وبعد مرور بضعة أسابيع استضافت تل الصافي لقاءً بين ممثلين عن الهاغاناه وحسن عبدالعزيز مهنا من المسمية الكبيرة (قرية واسعة ذات نفوذ كبير في الغرب)، وعُقد الاجتماع بمبادرة من مهنا (العضو البارز في أكبر عائلات القرية)؛ حيث وعد بأن يسود السلام في المنطقة مادامت عائلته تبقى مسيطرة على القرية وضواحيها، مطالبا بألا يقوم الحراس المصاحبون للقوافل اليهودية التي تمر بالقرية «بالتلويح بأسلحتهم أو تصويبها». وعبر مهنا عن تذمره من القادة اليهود والعرب الذين تسببوا في الفرقة والاضطرابات، مضيفا أن عائلة المهنا قررت بجدية «معارضة الحسيني، وأن يرهنوا مستقبلهم السياسي بالملك عبدالله»[150].

على حين لم تكن كل من تل الصافي والمسمية الكبيرة بعد في حالة حرب مع جيرانهم اليهود في كيبوتس كفَر مناحيم، كان الوضع مختلفا بين قرية صور باهر وكيبوتس رامات راشيل وحي تلبيوت جنوبي القدس، حيث كان هناك تبادل لإطلاق النار. وقد سعى قادة صور باهر إلى التوصل إلى سلام من خلال عقد لقاء مشترك، مدفوعين في ذلك بالحالة الاقتصادية المتدهورة؛ نتيجة عدم وجود مشترين للفائض

في المنتجــات الزراعية التي كان يتم بيعها في المــاضي لليهود؛ فضلا عن نقص علف الحيوانــات؛ وعدم توافر فرص عمل خارج القرية؛ وانعدام المســاعدة من أي جهة عربية[151]. ومثل القرية محمود شــحاتة (شــقيق مختار القرية) وأربعة من مالكي مطاحن الدقيق (الذين تأثرت أعمالهم بالقتال)، في حين شارك موشيه اسحاكوفيتش (قائد رامات راشــيل) وإلهنان كلاين (من تلبيوت) عــن الجانب اليهودي، وهدف الاجتماع إلى «التوصل إلى وسيلة للحفاظ على وقف إطلاق النار بين تلبيوت وقريتي صور باهر وأم طوبا المجاورتين، وفي الوقت الذي عبر فيه الجانب اليهودي عن عدم رغبته في اندلاع صراع دامٍ، وعد الطرف العربي بما يلي:

أ - عدم قيام ســكان القريتين بأي عمل من شــأنه الإضرار بمصالح السكان اليهود في المنطقة.

ب - أنهم سيمنعون، حتى ولو بالقوة، أي «غرباء» من الدخول إلى القريتين بهدف مهاجمة اليهــود أو التحريض على ذلك... وفي حالة عدم نجاحهم في منع الغرباء من الدخول فإنهم ســيقومون على الفور بإخطار موشــيه إسحاكوفيتش أو إلهنان كلاين.

في المقابــل تعهد ممثلو اليهود بالســماح (بعد تفتيش محتمــل) بمرور حافلة نقل عربيــة محددة (تحمل رقم 282 ذات كابينة حمراء اللون) فضلا عن النســاء والأطفال حتى ســن الخامسة. وفي نهاية الاجتماع تم الاتفاق على عقد اجتماع آخر للمتابعة مع قادة القريتين.

وقد علق القائدان اليهوديان في مرحلة تالية على الاجتماع بما يلي:

أ - أن ســكان هاتــين القريتين كانوا مدفوعــين بالرغبة في تجنب عواقب نهايــة حالة الهدنــة. ومع ذلك فإنهم لا يعارضون، من حيث المبدأ، اســتمرار الحرب من قبل العرب.

ب - أن هناك شعورا بأنهم يسعون إلى كسب الوقت.

ت - وجــود انطباع قــوي بأن ملاك مطاحن الدقيــق الأربعة هم الذين دفعــوا إلى عقــد اللقاء أكثر مما كانــت عليه الحال بالنســبة إلى قادة القرى، بل وصل الأمر إلى ســيادة اعتقاد بأنهم دفعوا مبلغا من المال لمحمود شــحاتة لتنظيم الاجتماع[152].

انعقد اجتماع المتابعة في الخامس مـن فبراير بحضور مختاري القريتين: الحاج أحمد شحاتة (قرية صور باهر)، والحاج محمود (قرية أم طوبا) فضلا عن عدد من الوجهاء العرب. ومثل الجانب اليهودي: إسحاكوفيتش وضابط من جهاز استخبارات الهاغاناه يدعى يتزهـر، ووفقا للتقرير الذي أعده الأخير لاحقا كان الاجتماع «وديا للغاية وغلبت عليه الرغبة في الوصول إلى علاقات حسن جوار». وعد العرب بالإبقاء على الغرباء خارج القريتين، مُذكرين بأنهم عمدوا في الماضي إلى «طردهم عن طريق القـوة»، وفي المقابل طالبوا بحرية المرور على الطريق المؤدي إلى القدس والذي يمر عبر رامات راشـيل. وقد اتفق الطرفان على السـماح بقيـام كل من اليهود والعرب بحرث الأرض في الحقول الواقعة بين القريتين والمنطقة اليهودية[153].

خلال الفترة من نهاية شهر مارس، مرورا بشهر أبريل حتى مايو، وفر موسم الحصـاد قوة دافعة بين القرويين للسـعي في اتجاه التوصل إلى هدنة أو سـلام مـع الجـيران اليهود؛ حيث رغب الفلاحون في أن يسـود الهـدوء حتى يتمكنوا من الحصول على عائد من محاصيلهم التي نضجت. وقد كان هذا هو التفسـير الذي قدمه أحد ضباط القسـم العربي بجهاز اسـتخبارات الهاغاناه لما رُصد من اسـتعداد، على الأقل من قبل بعض السـكان، في قرية الطنطورة (جنوب حيفا) للتوصـل إلى وقف إطلاق نار مطلع شـهر مايو. (ومثـل الخوف الذي تولد على سـقوط مدينة حيفا قبل ذلك بأسـبوعين سـببا آخر لهذا التوجه في حالة هذه القرية)، ووفقا له: «الآن موسـم الحصاد وهو ما يمثل سببا إضافيا جيدا للسعي إلى السـلام مع اليهود»[154]. (من المثير للاهتمام أنه في ذلك الوقت قام يهود من زخرون ياكوف، من تلقاء أنفسـهم، بالاتصال بعرب الطنطورة للتوصل إلى اتفاق حـول الحصاد)[155]. كذلك فإن قرب هذا الموسـم مثل دافعـا للمحادثات التي جرت في مطلع شـهر أبريل بين قرية قاقون وكيبوتس همعبيل. وعلى الرغم من ذلك أضاف مستشـارو الشـؤون العربية للهاغاناه أنه «للتأكد من وجود وقف إطـلاق النار... يلزم على كل من قاقون وهمعبيـل القيام بالحصاد من حقولهم بشكل متزامن»[156].

أجـرى العرب في الشـاطئ الشرقي لبحـر الجليل أيضا اتصـالات باليهود بغية الحصول على ضمانات بأن محاصيلهم لن يصيبها أذى من قبل قوة النيران اليهودية،

وفي المقابــل قدموا تعهدات ضمنيــة بالحفاظ على الهــدوء[157]. وفي أطراف وادي يزراعيــل (مرج أبو عامر بالعربيــة) اتصل زعماء من قبيلة وفيــة برئيس كيبوتس غينيغــار، طالبين التفاوض على وقف إطلاق نــار يمكنهم من جمع محاصيلهم[158]. وفي أواخر شهر مايو طلب أحد أعيان العابسية (في الجليل) من الهاغاناه أن تسمح له بالبقاء في قريته؛ حيث يقوم آخرون بجني محصوله والاحتفاظ به لأنفســهم في أثناء غيابه، وعلى الرغم من ذلك «نصحته الهاغاناه بالرحيل»[159]. وقد تمت الإشارة إلى الحصاد باعتباره ســببا لعدم البدء في العمليات القتالية أو الســماح بها من قبل دروز ومسيحيين في منطقة «شفا عمرو» - رمات يوحانان[160]. كما تم ذكره من قبل جهاز استخبارات الهاغاناه كسبب لاستعداد بعض القرويين والذي سبق أن فروا من مناطقهــم للعودة إليها والقبول بالحكم اليهودي، وفي هذا الصدد تمت الإشــارة إلى اللاجئين من قرية الخيرية (شرق يافا)[161].

توافرت لسلسلة من القرى جنوب وجنوب شرقي يافا مصلحة خاصة في التوصل إلى وقف إطلاق النار؛ حيث رغبوا في الاستمرار في العمل داخل المستوطنات اليهودية المجاورة، والذي مثل المصدر الرئيسي لدخلهم، وكان هذا هو السبب وراء الاتصالات المتكررة التي جرت مع الهاغاناه في مطلع شــهر مايو من قبل ســكان الســنديانة، وصبارين، والفريديس الذين كان رجالهم يعملون في حقول ومزارع زخرون ياكوف، بنيامينا، وبات شولومو[162].

مــع اقتراب يــوم 14 - 15 مايو وما كان يحمله الغزو العربي من نذر بالمزيد من الأعمال القتالية، سارعت قرى، بل مجموعات من القرى، في مناطق مختلفة للاتصال بالسلطات اليهودية بغية التوصل إلى هدنة أو الاستسلام وقبول الحكم اليهودي.

في نهاية شهر أبريل وبداية شهر مايو عقد ممثلون من قرية الطيرة (جنوب يافــا) محادثات لوقف إطــلاق النار مع ضباط الهاغانــاه في يافا، غير أنه لم يتم التوصــل خلالهــا إلى اتفاق، فبينما وافق القرويون، بقيادة ســعيد الدجاني، على هدنة، فإنهم رفضوا تســليم أســلحتهم كما طلبت الهاغانــاه[163]. كذلك فإنه في منطقة القدس طلب ممثلون لقرى: خربة اللوز، وصطاف، وصوبا، وأم الميس من أعيان قرية أبو غوش (المعروفين بعلاقاتهم الودية مع اليشوف) التوسط للتوصل إلى سلام بينهم وبين الهاغاناه، وهو ما رفضوا القيام به[164].

في مطلع شهر مايو زار مختار قرية زرنوقة (بالقرب من رحوفوت) مركز شرطة قطرة، وأعلن أن قريته والقرى المجاورة: المغار، وبشيت، ويبنى، والقبيبة «ترغب في الاستسلام»[165]. وبعد مرور أسبوع اقترح أحمد الشوربجي، زعيم عشيرة الشوربجي الأكثر قوة في القرية، أن يتم تسليم بعض سلاح القرية طالبا «حماية» يهودية (وهو ما يعني الاستسلام)[166]. كذلك عبَّرت قرية جسر الزرقاء (الغوارنة) في السهل الساحلي عن رغبتها في الاستسلام في مقابل «حماية» الهاغاناه[167]. وفي بداية الشهر ذاته نقل لواء إسكندروني أن سكان قرى الخيرية، وساقية، وسلمة التي تم الاستيلاء عليها في عملية حاميتز Operation Hametz(*) راغبون في «العودة إلى قراهم وقبول الحماية اليهودية»[168]. كذلك كانت الحال بالنسبة إلى سكان قريتي كفر لام، والصرفند شمال حيفا؛ حيث وردت تقارير تفيد برغبة سكانهما في العودة إلى ديارهم التي هجروها قبل ذلك بعدة أيام وقبول الإدارة اليهودية[169]. وأيضا في أواخر الشهر أجرى معين صالح خطيب (الذي صُنف على أنه أكبر مالك للأراضي في القرى الدرزية في الصوفية، ودالية الكرمل) اتصالات مع المستشارين العرب لجهاز استخبارات الهاغاناه، ناقلا استعداد القريتين «للاستسلام وتسليم أسلحتهما». كذلك عبَّر عن «الاستعداد لتسليم أفراد العصابات القليلة فيهما»[170]. وفي الوقت ذاته نقلت مصادر الهاغاناه وجود خلاف بين الشباب وشيوخ القرية؛ حيث لم يرغب الشباب في مساعدة الجيش السوري الغازي، ورأوا أنه من الأفضل «الاتصال باليهود وتسليم الأسلحة والاستمرار في البقاء»، في حين عبر الشيوخ عن مخاوفهم من أنه إذا ما تمكن جيش عربي، على الرغم من كل شيء، من الوصول إلى المنطقة، فإنهم سيبدون كـ «خونة» و«سيتم تدمير القرية»[171]. في مطلع شهر يونيو كانت القرى الثلاث المقاتلة في جنوب حيفا (الجبعة، وإجزم، وعين غزال) بعد متابعتها الحظ العاثر للعرب، تطلب «البدء في مفاوضات للاستسلام»، وقد حدث الشيء نفسه في القرى شرق عكا ووادي زبولون والتي نقلت التقارير أنها «مستعدة للاستسلام»[172].

عانت الهاغاناه على الدوام من مشكلة في التعامل مع الاتصالات الهادفة إلى

(*) كان اسم Hametz مؤشرا دقيقا على القصد من العملية؛ حيث يشير إلى بقايا الغذاء التي تقوم ربات البيوت من اليهود المتدينين بإزالتها من المنازل عند التحضير لعيد الفصح، في إشارة إلى نية التطهير العرقي للفلسطينيين خلال العملية التي شُنت على يافا في الفترة من 28 أبريل حتى 11 مايو 1948. [المترجم].

التوصل إلى هدنة أو استسلام، فغالبا كانت المبادرة تأتي من فريق أو أحد النبلاء في قرية ما، الأمر الذي أثار العديد من التساؤلات: هل الاتصال جاد وله مصداقية؟ ألا يمكن أن يكون الأمر مجرد تحرك تكتيكي يهدف إلى كسب الوقت حتى يتم جمع المحاصيل أو الانتظار لوصول شحنة أسلحة يمكن بعدها أن تعود القرية للانضمام إلى صفوف المقاتلين؟ ما الهدف وراء الموافقة على وقف إطلاق نار مع جماعة عربية منعزلة، في حين أنه في مناطق أخرى حيث كانت الغلبة فيها للعرب كان هناك رفض لأي شكل من أشكال الهدنة أو السلام؟ ألم يكن من الضروري أن تُحدَّد سياسة الهاغاناه انطلاقا من الاعتبارات القومية وليس المحلية؟ وفي ضوء تلك التساؤلات، غالبا ما انتهت هذه الاتصالات بإخفاق تام، وبحلول شهر مايو وفي مواجهة الغزو الوشيك من قبل الدول العربية، ذهب تفضيل الهاغاناه إلى عدم المخاطرة بترك قرى عربية - كان إعلانها المفاجئ عن الطاعة والولاء مشكوكا فيه - وراء خطوطها الأمامية.

فضل القرويون في كل الأحوال تجنب إجراء اتصالات رسمية أو اتفاقيات مع الهاغاناه، الأمر الذي كان يمكن وصمه بالغدر من قبل العرب الآخرين، وفقط أقلية ضئيلة منهم هي التي أجرت مثل هذه الاتصالات الرسمية. وفي المقابل امتنع الكثيرون عن البدء بأعمال عنف ضد اليهود ورفضوا، حين طلب منهم ذلك، المشاركة فيها؛ وفضلا عن ذلك منع العديد منهم العناصر غير النظامية من دخول قراهم واستخدامها قواعد لإثارة الاضطرابات. وقد تمثل الدافع الرئيسي لمثل تلك المواقف من عشرات القرى التي لم تشارك في القتال في الرغبة في تجنب الأعمال اليهودية الانتقامية ضدهم.

خلال شهر ديسمبر 1947 طلب بدو عرب البصة من التركمان المقيمين في المنسي الامتناع عن مهاجمة اليهود[173]. وبعد مرور عدة أيام منع عرب الجلاد سبعة عشر عنصرا من المقاتلين غير النظاميين من مهاجمة مستوطنة كفَر يونا المجاورة، وقد تمثل موقف القبيلة في أنه يلزم أولا «قيامهم ببيع أراضيهم والرحيل، وفقط بعد ذلك يمكنهم الموافقة على المشاركة في مثل هذه الأعمال القتالية»[174]. ومن جانبهم، رفض سكان القرى الدرزية الكبرى (الكرمل، عسفيا، ودالية الكرامل) المطالبات العربية لهم بمهاجمة المستوطنات اليهودية المجاورة[175].

تشكلت معارضة واسعة ودائمة من قبل العديد من القرى في محافظة القدس للمشاركة في القتال؛ حيث كانت للمصالح الشخصية الغلبة على تلك الوطنية. وبشكل واضح ومنتظم لم يُسمح بالدخول للعصابات المتنقلة (أحيانا بقيادة عبدالقادر الحسيني)، وغالبا ما كان القرويون يرفضون استضافتهم أو تزويدهم بالمؤن، فضلا عن الحديث عن المشاركة في الهجمات. فقد أمر الشيخ عبدالفتاح رئيس قرية المالحة القرويين بإطلاق النار على كل شخص غريب يحاول الاقتراب من «اليهود، أو العرب أو البريطانيين»[176]. وفي مطلع شهر يناير 1948 طرد سكان قرية قالونيا عصابة مسلحة ومنعوها من «القيام بأي شيء»[177]. وتبادل سكان دير ياسين إطلاق النار مع عصابة متنقلة من غير النظاميين أرادت استخدام قريتهم كقاعدة لمهاجمة القدس، مما أسفر عن مقتل قروي، «وانفجر نساء القرية بالعويل والصياح»[178]. وقبيل الثامن والعشرين من يناير، أقدم عبدالقادر الحسيني، على رأس جماعة من 400 شخص مسلح، على إقامة مخيم بالقرب من دير ياسين، ساعيا بشكل ظاهر لتجنيد القرويين، وإزاء «معارضة شيوخ القرية» انتقلت الجماعة إلى بيت جالا[179]. ولدى استدعاء مختار القرية من قبل ممثلي اللجنة العربية العليا لسؤاله عن علاقة قريته باليهود، أوضح أن: «القرية واليهود يعيشون في سلام»[180]. وبعد مرور أسبوعين على ذلك، وبالتحديد في الثالث عشر من فبراير، دخلت عصابة مسلحة إلى دير ياسين بهدف مهاجمة مستوطنة غيفات شاؤول المجاورة، «وأمام معارضة القرويين لذلك، قامت العصابة المسلحة بذبح أغنام القرية...»[181]. وبعد ذلك بشهر، قام وفد من اللجنة العربية العليا ضم رجلين وامرأة (على غير المعتاد) بزيارة القرية في السادس عشر من شهر مارس، طالبا من سكانها استضافة مجموعة من المليشيات العراقية والسورية «لحماية الموقع»، وهو ما رفضه القرويون وعاد الوفد أدراجه خالي الوفاض[182]. وتكرر الموقف الرافض من قبل وجهاء القرية مرة أخرى في الرابع من أبريل[183].

في نهاية شهر يناير، رفض سكان قرية صبارين (في الشمال) دعوات أطلقها وفد زائر من مساعدي عبدالقادر الحسيني للبدء في حملة تجنيد، وهو ما أسفر عن خلاف بين الطرفين[184]. وفي الدامون القريبة (جنوب شرق حيفا) قام نجل أكبر مالكي الأرض (صادق كرمان) بدفع مبلغ خمسة آلاف جنية إسترليني لجيش

الإنقاذ مقابل مغادرته للقرية[185]. وبعد مرور عدة أسابيع اتفقت كل من صبارين، والسنديانة، والفريديس على عدم السماح بوجود أي عناصر غير نظامية[186]. كذلك رفضت السنديانة (والبريكة) إقامة حامية في البريكة لقوات جيش الإنقاذ[187].

عارضت اللجنة العربية العليا بقوة مبادرات واتفاقيات السلام المحلية. وعلى الرغم من أن المفتي قد رغب في بعض الأوقات التقليل من مستوى الصراع، فإنه عارض أي تصرف يحمل في ثناياه صبغة السلام، أو الاعتراف باليشوف. وأحبطت اللجنة العربية العليا عددا من جهود السلام المحلية. فعلى سبيل المثال، أفاد المفوض البريطاني لمحافظة الجليل بأن أعيان مدينة بيسان والمستوطنات المحيطة بها كانوا راغبين في التوصل إلى «اتفاق غير رسمي لضبط النفس المتبادل»، وقد قوبلت الفكرة برفض من قبل اللجنة العربية العليا[188]. ومع ذلك، يمكن القول بشكل عام إنه مع اتساع رقعة القتال تزايدت حدة الشكوك والعداوة بين التجمعات المتجاورة، التي كانت في بعض الحالات تربطها علاقات صداقة، مما أدى إلى تضاؤل إمكانيات التوصل إلى اتفاقات وقف إطلاق نار على المستويات المحلية أو الإبقاء على ما سبق التوصل إليه بالفعل. وقد انطبق ذلك على وجه الخصوص على المناطق الواقعة في وسط البلاد، في حين أبقت بعض القرى في الجنوب والشمال على حالة وقف إطلاق النار مع المستوطنات لشهور، بشكل أساسي نتيجة الاحتياج المتبادل لحصاد المحاصيل. كذلك سادت حالة مشابهة من عدم القتال ارتبطت بعملية حصاد المحاصيل الحمضية واستندت إلى تفاهمات ضمنية أو صريحة في السهل الساحلي الجنوبي خلال الأشهر الأولى للحرب.

بحلول نهاية شهر مارس سادت حالة من اليأس بين المسؤولين في إدارة العمال العرب في الهستدروت فيما يتصل بإمكانية استمرار اتصالات أو صداقات عربية - يهودية، في وقت صرح فيه أبراهام بن تزور (أحد مسؤولي الإدارة) خلال اجتماع عُقد في السادس والعشرين من شهر مارس أن القرى الموجودة على طول الحدود بين الدولتين المتوقعتين (اليهودية، وفلسطين العربية) يمكن أن تشكل «جسورا» للسلام والتعاون، مشيرا إلى ما قام به أحد المدرسين في خربة السركس كتجسيد محتمل لهذه الآمال. ومن جانبه تحدث إلياهو أغاسي (مدير الإدارة) عن المنشورات التي يتم توزيعها في وادي حيفر ومنطقة سفوح جبال السامرة، وكذلك تلك الصادرة

عــن لجنة الإمدادات اليهودية - العربية التي تعمل في وادي حيفر، ومع ذلك كان الطابع العام للاجتماع يميل إلى التشــاؤم. وخلال اجتماع للمتابعة، عُقد بعد مرور أربعة أيام، تحدث المســؤولون بشــكل غير واقعي عن إمكانــات التعاون العربي - اليهودي في مجالات السكك الحديدية ومحطات الراديو وتكرير الزيوت، في الوقت الذي ســلموا فيه بأن التعايــش اليهودي - العربي في الريف قــد أخفق. وقد تركز انتبــاه المُجتمعين على المواقع التي لايزال العرب يعيشــون فيها في مناطق يهودية (وادي حيفر والمناطق المحيطة بالحديرا) وتم الإعداد لزيارة المدينة الأسبوع التالي. وفي هــذا الخصوص ذكر إلياهو أغاسي أنه «ربما قد توقف زيارتنا الهجرة الجماعية للعــرب من المنطقــة». ليس واضحا ما إذا كانت الزيارة قــد تمت أم لا[189]. ولكن الأمر الثابت هو أنه خلال أســبوعين قررت الهاغاناه (لأســباب إســتراتيجية) عدم الســماح ببقاء العرب في منطقة الخضيرة وتم طــرد من كانوا يقيمون هناك. انظر الفصل الرابع).

بحلول نهاية شــهر مارس نجحت عائلة الحســيني في إخماد الأصوات المعتدلة في المعســكر العربي، وتمكنت من بسط ســيطرتها على غالبية عرب فلسطين. غرقت معظــم البلاد في أتون الحرب، وكانــت الهاغاناه - خاصة على الطرق - واقعة تحت ضغــط كبير، فعلى حين ظل العمل بعدد قليل من اتفاقات الهدنة المحلية، ســيطر عــلى أغلب القرى العربية عناصر معادية لـ اليشــوف، كــما ظهرت في العديد منها وحــدات نشــطة من القوات غــير النظامية. وحتــى في الأماكن التــي لم تكن فيها السيطرة للحســيني فضل القادة المحليون عدم إجراء أي تعاملات مع اليهود خوفا من عقابــه. وقد انعكس ذلك على تصريحات بالمون خــلال اجتماع لمديري الإدارة السياســية في الوكالة اليهودية؛ التي أوضحــت أن الاتصالات مع العرب قد قُطعت بشكل تام تقريبا، وأنه «بصفة عامة يمكن النظر إلى العرب على أنهم متحدون وراء الحســيني... فاليوم لا توجد تقريبا منطقة من البلاد نســتطيع أن نتحدث فيها مع العرب، حتى فيما يتصل بالمسائل المحلية، من أجل تهدئة الأمور وإحلال السلم».

ذهــب كل من بالمون ودانين إلى أن الموقف الســائد آنــذاك كان، إلى حد كبير، نتاجا لأعمال عســكرية لم يتم التفكير فيها بشــكل جيد، وردود أفعال مبالغا فيها، فبشــكل عام تجاهل القادة العسكريون الخبراء في الشؤون العربية سواء كان ذلك

على المســتوى الوطني أو في كل من المواقع على الصعيد المحلي. وأضاف بالمون أن الموقف كان صعبا إلى حد أنه ربما يواجه اليشــوف في المســتقبل صعوبة في «إثبات أننــا لم نكن المعتدين»، باســتثناء منطقة القدس التــي كان واضحا أن العنف فيها جاء بمبادرة من الجانب العربي. ومن جانبه أضاف دانين: «أنه» كنتيجة للعديد من عمليات الهاغاناه غير الضرورية والتي ضربت بشكل رئيسي العرب «الأخيار» الذين كانــوا على اتصال معنا... اســتمرت الهجرة الجماعية العربيــة من كل الأماكن، لأن العرب – ببساطة - فقدوا الثقة [بحسن نوايانا؟]».

أدى الموقف الســابق إلى انخفاض معنويات العاملين في قســم الشؤون العربية بالإدارة السياســية، التي كانت مهامهــا تعكس نوعا من الازدواجية: إجراء اتصالات لصنع الســلام؛ وجمع المعلومات الاســتخباراتية. وأوضح دانين أنه إذا ما اســتمرت الأمــور على ذلك النحو «فإن ذلك قد يقود إلى توقف القســم عــن العمل». ومن جانبه ذكر ياكوف شيموني، الذي شغل منصب رفيع في القسم، أن قادة الهاغاناه قد توصلوا إلى نتيجة مفادها «الحرب هي الحرب؛ ولا توجد إمكانية للتمييز بين العرب «الأخيار» والعرب «الأشرار»[190].

المرحلة الأولى من النزوح

ديسمبر 1947 - مارس 1948

أدت أعمال القتال خلال الفترة من ديســمبر 1947 حتى مارس 1948 إلى بداية الهجرة الجماعية للعرب الفلسطينيين، ولبحث ذلك سنتناول في مرحلة أولى مجريات الأمور في المدن، لننتقل بعد ذلك إلى الريف.

المدن

حيفا

تضمن قرار التقســيم الصادر عــن الأمم المتحدة ضم مدينــة حيفا (التي كان يقطنها 65 ألف عربي، و70 ألف يهودي، وبلدية مشتركة) إلى الجزء المخصص للدولة اليهودية، الأمر الذي أصاب - بلا شــك - ســكانها العرب بالإحباط. وبدأت هجرتهم الجماعية في مطلع شــهر ديســمبر 1947، مع اندلاع القتال. وفي هذا الصدد نقلت

وحدة للاستخبارات البريطانية أن كلا من العرب واليهود كانوا يقومون بإخلاء نقاط التماس بين الجماعتين، ويتحركون إلى مناطق مجاورة أكثر أمنا. وقد علق قائد الوحدة (الذي ركز بشكل مثير للاهتمام على تحرك الجانب اليهودي أكثر من الطرف العربي) على ذلك قائلا: إن تلك التنقلات المبدئية للسكان «تقود المرء إلى التأمل في الحجم المحتمل الذي يمكن أن تأخذه هذه المشكلة خلال عملية تطبيق قرار التقسيم». وقد حدثت أول عملية في هذا الصدد في الرابع من شهر ديسمبر، حيث تم إجلاء 250 عائلة عربية من حي الحليصة في الرابع من ديسمبر[191]، وهو أول رحيل جرى رصده. وقد أشار القسم العربي في جهاز استخبارات الهاغاناه في العاشر من الشهر نفسه إلى وجود «عملية إجلاء تتم في مناخ من الهلع من مناطق الحدود (العربية) المجاورة»[192]. فالتخلي عن الدار وما يتضمنه من كسر لحاجز نفسي رئيسي يمهد الطريق لتخلٍّ محتمل عن القرية أو المدينة، وعن البلاد في نهاية المطاف. وفي الحادي عشر من ديسمبر سجل كل من دانين وبالمون بداية الفرار من يافا. وقد كانت معظم تحركات العرب خروجا من المدينة تعود إلى القتال (وما صاحبه من أعمال قنص وقصف بالقنابل)، والخوف من أعمال الحرب التي صبغت الحياة في المناطق الحدودية. ولم يُكره إلا عدد قليل من العائلات المسيحية (عبر تهديدات وأوامر الإرغون) التي كانت تعيش داخل أو في أطراف المناطق اليهودية في جبل الكرمل على ترك منازلهم في منتصف الشهر[193]. وبحلول الثالث والعشرين من ديسمبر، نقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن «الوضع الاقتصادي في يافا سيئ، وأن ما بين 15 و20 ألف عربي، خاصة من حوران [في سورية] ومصر، فضلا عن الأغنياء، قد غادروا المدينة. أُغلقت العديد من المحال والمؤسسات التجارية ... وطلبت اللجنة العربية العليا من اللجنة الوطنية في حيفا التوقف عن القتال... يعيش المسيحيون في يافا في خوف من المسلمين...»[194].

أسست اللجنة الوطنية في يافا في أوائل شهر ديسمبر (الثاني أو الثالث من الشهر) وضمت 14 عضوا برئاسة المسلم رشيد الحاج إبراهيم، والذي استمر في موقعه حتى توقف اللجنة عن العمل وزوالها في أواخر شهر إبريل 1948، وقد كشف خطاب سبق أن وجهه رشيد حاج إبراهيم إلى الحسيني، خلال شهر مايو 1947، عن عدائه الشديد للصهيونية، بل وحتى معاداته للسامية؛ حيث كتب:

أضحـــي يهود أوروبــا رموزا «للانحطاط والغــش». ويواجه «العــالم العربي التدمير [لأن]... اليهود يريدون الاســتيلاء على مصر لأن موسى قدم منها»...، ولبنان وسورية «لأنهم بنوا المعبد من أشــجار الأرز، ويريدون العراق لأن جدهم إبراهيم جاء من هناك، كذلك فإنهم يشــعرون بأن لديهم الحق في الحجاز لأن إســماعيل جاء منها، ويطالبون بشرق الأردن لأنها كانت جزءا من فلسطين ومملكة سليمان». وتنبأ، بدقة إلى حد ما، بأنه إذا ما قامت دولة يهودية في فلســطين فإنها ستؤســس قوة بحرية وجوية ضخمة، وتُنتج أســلحة نووية تُرهب بهــا العالم العربي[195]. وعلى الرغم من ذلك، فقد جســد إبراهيم، منذ بداية القتال في شهر ديسمبر 1947، الاعتدال وعمل من دون كلل بهدف التوصل إلى وقف إطلاق نار في حيفا.

شــن عملاء الحسيني والقوات غير النظامية هجمات متقطعة على اليهود، بدءا من السابع من ديسمبر 1947، من خلال عمل كمائن لحركة السير عبر وادي رشميا، ومنذ ذلك الحين حدثت عمليات تبادل لإطلاق النار بشــكل شــبه يومي على طول خط التماس بين الطرفين كان العرب هم الطرف البادئ بها في أغلب الأحيان. ومنذ الحادي عشر من الشــهر ذاته بدأ الإرغون في إلقــاء القنابل على أماكن التجمعات العربيــة والحافلات. ووقع أول رد انتقامي من قبل الهاغاناه ضد قرية بلد الشــيخ، شرق حيفا، في الثاني عشر من الشهر، مما أسفر عن سقوط ستة قتلى عرب؛ وتبعته أعمال أخرى ضد الطيرة والحواسة، وبحلول نهاية الشهر، كان أغلب سكان الحليصة قد تم إجلاؤهم وبقي عدد ضئيل للغاية من الرجال لحراسة الجوار، وانطبق الوضع نفســه على وادي رشــميا، الذي تم إخلاؤه بشــكل كامل تقريبا. وقد انتقل غالبية السكان إلى أطراف مدينة حيفا الرئيسة التي يقطنها العرب (وادي النسناس، ووادي صليــب) في حين قررت بعض العائلات مغادرة البلاد. وأُعلن أن القنصليتين اللبنانية والســورية في يافا قد أصدرتا ثمانية آلاف تأشــيرة دخول خلال شــهر ديسمبر، وأن «العديد من الآلاف غادروا [بلادهم] من دون تأشيرات أو جوازات سفر»[196].

رجعــت عمليــات الهــروب في بعض جوانبهــا إلى التدهور السريــع في الوضع الاقتصادي، حيث قفز سعر كيس الطحين خلال شهر ديسمبر من 1.750 إلى 6.500 جنيه إســترليني، «بل وكان من الصعب الحصول عليه حتى بهذا الســعر. وأغلقت معظم المحال أبوابها طوال اليوم، وكذلك ســوق الخضراوات، وتوقفت وسائل النقل

العامة عن العمل بشكل كامل تقريبا»[197]. لقي 105 من العرب حتفهم خلال العنف الذي شهده هذا الشهر في حين أُصيب 248 بإصابات خطيرة.

عملت اللجنة الوطنية المحلية منذ البداية على التصدي لعملية الهجرة الجماعية وسعت إلى إيقافها. ففي السادس من ديسمبر منع إبراهيم أعضاء اللجنة مغادرة المدينة من دون تصريح مسبق[198]، وأصدر في الرابع عشر من الشهر ذاته تحذيرا من الهجرة الجماعية[199]. وقد سبقت ذلك بخمسة أيام مناشدة اللجنة الوطنية للجنة العربية إصدار توجيهات للفلسطينيين بعدم المغادرة من دون تصريح من اللجان الوطنية التي تتبع لها[200].

دفع هذا الموقف اللجنة الوطنية، ممثلةً في السيد أحمد بيه خليل (أحد كبار القضاة)، وعمر طه، إلى السعي وراء توقيع اتفاق لوقف إطلاق النار مع الهاغاناه في الثامن والعشرين من ديسمبر 1947[201]، ولكن الاتفاق لم يدم إلا ساعات قليلة. ففي صباح 30 ديسمبر ألقى عنصر مسلح من الإرغون قنابل على تجمع للعرب حول بوابة مصفاة تكرير البترول في حيفا، مما أسفر عن مقتل ستة أشخاص وإصابة ما يقرب من خمسين آخرين. وعلى الفور بادر حشد من العمال العرب، يدعمهم الناجون من الانفجار، بمهاجمة زملائهم من العاملين اليهود بالهراوات والحجارة والسكاكين، مما أدى إلى مقتل 39 يهوديا وإصابة 11 بإصابات خطيرة خلال هذه المذبحة التي استمرت ساعة[202].

شنت الهاغاناه عملية ثأرية قوية ليلة الحادي والثلاثين من ديسمبر 1947 - الأول من يناير 1948 من خلال الإغارة على قريتي بلد الشيخ والحواسة اللتين كان يعيش فيهما العديد من عمال محطة التكرير. وتضمنت التعليمات الصادرة للوحدات المشاركة في العملية «قتل أقصى عدد ممكن من البالغين من الذكور»[203]. وبالفعل دخلت الوحدات إلى وسط القرية مطلقة النيران على المنازل، ومدمرة إياها بعد اقتياد الذكور خارجها، وإطلاق النار عليهم. ووفقا لمصادر الهاغاناه، «اضطرت الوحدات الغازية إلى عدم الالتزام بالتوجه الذي تم الاتفاق عليه... وعمدت في حالات قليلة إلى إلحاق الأذى بالنساء والأطفال»، بعد أن تم إطلاق النار عليهم من داخل المنازل. وفي حين قُتل عنصران وأصيب آخرون من عناصر الهاغاناه، فإن التقارير الصادرة عن الأخيرة تباينت في تقدير الخسائر العربية لتشير إلى «مقتل

70 عربيا»[204]، أو مقتل 21 (بينهم امرأتان وخمســة أطفال) وإصابة 41[205]. وقد حــدت تلك الغارات عديــدا من العائلات على الفرار من كلتــا القريتين إلى نابلس، وجنين، وعكا[206].

انتقدت لجنة دفاع اليشــوف هذه الغارات؛ حيث ذهــب ريفتن إلى القول إن العديد من عمال مصفاة التكرير لم يشــاركوا في المذبحة، وإن عددا قليلا منهم قام بحماية اليهود، أما الغارات على بلد الشيخ والحواسة فقد نُفذت من دون أي تمييز، «ولا تتوافــر أي معلومــات حول من أصيبوا». وفضلا عن ذلك فإن الحادث قد وقع كنتيجــة لهجوم بالقنابل دبره الإرغون. وفي المقابل رد بن غوريون على ذلك بالقول إنه: «كان من المســتحيل التمييز، فإننــا في حرب، وخلال الحروب لا يمكن للمرء أن يميز بشــكل فردي، فإذا كان من الممكن التمييز بين القرى فإن ذلك لا يمكن القيام به فيما يتصل بالأفراد»[207].

غداة هذه السلسلة من العنف، سعت اللجنة الوطنية إلى إعادة العمل بوقف إطــلاق النار. حيث توقف أغلب العــمال اليهود والعرب عن الذهاب إلى العمل في مناطــق العمل المختلطة بما في ذلك البلدية. وبناء على مبادرة من العرب شُــكلت «لجنــة أمــن» (تضم ثلاثة ممثلين عــن كل طرف) في المكاتــب الحكومية ومرافق البلدية والمحاكم. كذلك فإنه خلال لقاء عُقد في الثاني من شهر يناير مع ممثلين عن الهاغاناه، ذكر أعيان عرب، ومن بينهم أحمد بيه خليل، أنهم أصدروا أوامر لتجنب وقوع أحداث جديدة على غرار ما حدث في مصفاة التكرير. كما أعلن رشيد الحاج إبراهيم أن «العرب معنيون بالهدوء في حيفا...»[208]. كانت اللجنة الوطنية راغبة في التوصل إلى «هدنة طويلة الأمد»[209]. غير أن الناشــطين العرب والسياسيين الموالين للحسيني (من قبيل نمر الخطيب، وحسن شيبالك، وكلاهما عضو في اللجنة الوطنية لحيفــا) اســتمروا في تأجيج العنــف[210]. وكان نصب الأكمنة وتبــادل إطلاق النار من المشــاهد المتكررة يوميا. وفي أعقاب الهجوم بالقنابل على حافلة ركاب (أســفر عن إصابة أربعة أشــخاص)، أقدمت الهاغاناه على تدمير منزلين ومرآب للسيارات، وأطلقــت قذائف الهــاون ونيران القناصة في المناطق العربيــة المجاورة، الأمر الذي أســفر عن مقتل العشرات، من بينهم نساء وأطفال، فضلا عن مصرع قائد المليشيا محمد حجاوي، ونائب رئيس البنك الأهلي محمد كنفاني[211]. وتوقفت وسائل النقل

العام العربية عن العمل، في الوقت الذي ساد فيه نقص المواد التموينية، واستمر الهروب من المدينة[212]. وتوقفت الأعمال التجارية، وأقدم أصحاب المحال على بيع ما لديهم من مخزون لليهود بتخفيض قيمته 25 في المائة من الثمن حتى يتمكنوا من الإغلاق بشكل سريع[213].

على الرغم من إقدام البريطانيين - الذين مثلت حيفا بالنسبة إليهم نقطة محورية لتنفيذ خططهم للانسحاب - على تكثيف دورياتهم مما أدى إلى تهدئة الأوضاع، كان من شأن العمليات الانتقامية التي شنها اليهود النَّيل من معنويات العرب الذين شعروا بمرارة إثر اكتشافهم «الميزة الطبوغرافية التي تمتع بها اليهود (من خلال وجودهم في أعالي جبل الكرمل)، وتفوقهم في مجال التنظيم والسلاح والمعدات»[214]. ووفقا لنمر الخطيب: «شعر عامة العرب في حيفا بضعف موقف المدينة، وبدأ عدد من المقيمين في الرحيل من المدينة، مما كان له وقع شديد على عزيمة أولئك الذين قرروا البقاء»[215].

في الثامن عشر من يناير عاد رشيد الحاج إبراهيم من زيارة إلى دمشق تم خلالها إقرار موقفه المبدئي المؤيد للتوصل إلى هدنة. فقد أخبر أعضاء اللجنة الوطنية أن طه الهاشمي (المفتش العام لجيش الإنقاذ) أيد موقفه في «الامتناع عن القيام بأي أعمال»، أخذا في الاعتبار التفوق الذي تتمتع به الهاغاناه في المنطقة. كما أوضح أنه خلال لقاء إبراهيم مع كل من الهاشمي ووزير دفاع سورية ورئيسها وافق الجميع على «المسار الذي حددناه للعمل...، وركز الهاشمي على أنه يلزم التجنب التام للمواجهات في حيفا، وأن على العرب التصرف فقط بطريقة دفاعية». وفي المقابل فشل إبراهيم في الحصول على موافقة مماثلة من المفتي على وقف إطلاق النار، وهو ما دفعه إلى اقتراح إرسال وفد إلى القاهرة لمحاولة استمالة المفتي[216]. وقد هيمنت على اجتماع اللجنة الوطنية محادثات حول المعاناة العربية والهجرة[217]. وعبرت اللجنة عن «اقتناعها بأن حيفا تحتاج إلى الهدوء، أو على الأقل ألا تكون في قمة جهود الحرب العربية، وأنه من المصلحة المحافظة على السلام في حيفا لأطول فترة ممكنة»[218].

في تلك الأثناء تجددت الاتصالات بين خليل، وبرفقته عمر طه، مع ممثلي الجماعة اليهودية ياكوف سولومون ونفتالي ليفشيتز. وفي حين طلب سولومون

الإعـلان عن التوصل إلى اتفاقيــة واضحة. ذكر خليل أن اللجنة قررت إرســال وفد بقيادة رئيس أسقف الكنيسة اليونانية الكاثوليكية جورج حكيم للحديث إلى المفتي - والتهديد بالاســتقالة إذا ما اســتمر رجال المفتي في تحدي إرادة اللجنة ومواصلة الهجمات[219]. وفي تلك الأثناء بدأت هدنة فعلية على أرض الواقع.

توجه حكيم بصحبة كل من الشيخ عبدالرحمن مراد (زعيم الإخوان المسلمين في حيفا) ويوسف صهيون (أحد مناصري الحسيني) إلى القاهرة في العشرين من يناير؛ وطبقا لجهاز اســتخبارات الهاغاناه، طلب رشــيد (الحاج إبراهيم) أن يشرح الوفد للمفتــي حقيقــة أن العديد من قادة المدينة يرغبــون في الرحيل إن لم تصدر أوامر صريحة بوقف أعمال العنف في المدينة، وأنه في حال عدم قبول الأســباب والحجج التي يقدمونها فإنهم سيغادرون البلاد، وهذا ما سيؤدي في نهاية المطاف إلى تفريغ حيفا العربية من سكانها القدامى[220].

اتســم رد فعل الحسيني على تلك المناشــدة بعدم الوضوح، وعلى الأرجح كان هــذا الغموض متعمدا. ووفقا لأحد مرشــدي الهاغاناه، أوضح المفتي أن المشــكلة كانت وطنية وليســت محلية، وأنهى الاجتماع باقتراح أن الكفاح العربي ضد اليهود والبريطانيــين «يمكن أن ينتهــي بتدمير نصف العرب في فلســطين». تمثل مضمون ذلك في أنه يعارض وقف إطلاق النار، وأنه كان مشــبعا بمشــاعر «تنم على تأييده المطلق للحــرب ضد اليهود إلى نهايتها القصوى مهما كانــت مريرة أو مهلكة، وقد تركز تفكيره بشــكل كامل على كيفية استثمار الشــعوب العربية للوصول إلى هذه النتيجة... فبالنســبة إليه ليس هناك مكان لمفاوضــات»[221]. وقد تمثلت نصيحته العملية الوحيدة للوفد في «إبعاد النســاء والأطفال عن مناطق الخطر للتقليل من عدد الضحايا»[222].

تماشــت هذه النصيحة مع الخــط العام الذي تبنته اللجنة السياســية لجامعة الدول العربية التي اجتمعت في صوفر بلبنان في شهر سبتمبر 1947 للإعداد للقتال المتوقع اندلاعه في فلســطين. تبنــت اللجنة بالإجماع قرارات علنية ناشــدت البلاد العربية «فتح الأبواب لاستيعاب ورعاية الرضع والنساء والشيوخ من عرب فلسطين - في حــال وقوع أحداث في فلســطين تتطلب ذلك»[223]. واســتند هذا الموقف إلى سببين رئيسين: محاولة تجنب وقوع قتلى ومصابين في صفوف العرب غير المحاربين؛

وتجنـب الاعتداء على النسـاء، وهي رغبة عميقـة الجذور في الأعـراف والتقاليد العربيـة[224]، فضلا عـن تخليص الذكـور البالغين من عبء المعالـين الذين يؤدي وجودهـم في مناطق القتال إلى إضعافهم في ميـدان المعركة. وكما اتضح في النهاية أدت تلك الإرشـادات التي تم تبنيها خلال الأشهر الأولى من الحرب (على الرغم من أنه لم يتم العمل بها إجمالا خاصة في المدن) من قبل اللجنة العربية العليا واللجان الوطنية المختلفة وزعماء القرى إلى المسـاعدة في إطلاق عنان الهجرة الجماعية من فلسطين. وكما سنرى لاحقا، فإنه خلال الحرب الأهلية، وأيضا في بعض المناطق خلال الحـرب التقليدية التـي أعقبتها، قامت العشرات من القرى، سـواء بتوجيهات من اللجنة العربية العليا، أو اللجان الوطنية، أو حتى من تلقاء نفسـها، بترحيل النساء والأطفال والشـيوخ. وأهمية عمليات الإجلاء، التي حظيت بتأييد وشرعية بناءً على موافقة الدول العربية والمؤسسـات التي كانت تتولى حكم الفلسـطينيين، لا تحتاج إلى المبالغة فيها. فمن خلال تقديم نموذج للسلوك يؤكد على تأمين بقاء الذات، كان لإجلاء المُعالين تأثيرٌ محبط على الرجال الذين بقوا في الخلف للقتال أو حماية القرى والمدن، وأدى في الوقت نفسه إلى تآكل دوافعهم للبقاء والقتال، ففي النهاية لم يعد هؤلاء يحمون عائلاتهم.

خلال الاجتماع المشار إليه بادر الحسيني بتسليم الوفد خطابا يتضمن تعليمات للجنـة الوطنيـة «لمعارضة الهجرة الجماعيـة للعائلات من حيفـا، ولتجنب الذعر والارتبـاك، ولإصدار نداء لأولئك الذين غـادروا يطالبهم بالعودة»[225]، كذلك وافق المفتـي - على الأقل - على هدنة مؤقتة، لأن «العرب كانوا في حاجة إلى إمدادات... وأساسا لأن البريطانيين مازالوا في حيفا والعرب لا يريدون الصدام معهم»[226]. وعلى الأرجح فإن الحسـيني تعمد التضارب في رسالته؛ حيث قال الشيء ونقيضه، أو ذكر أشياء مختلفة لكل من حكيم ومراد.

عقـب عـودة الوفد إلى حيفا في السـادس والعشرين من ينايـر، تجنب حكيم الاتصـال مع اليهود أيامـا، كما أن اللجنة الوطنية لم تتمكـن من الاتفاق على خط واضح، سـواء كان مؤيدا أو معارضا للهدنـة، الأمر الذي عكس من الناحية العملية التضارب الذي تضمنه موقف الحسـيني. ومن جانبه، أخبر مراد صحافيين أن الوفد قد سافر فقط لطلب عتاد ورجال؛ وأنه «لم تكن هناك مفاوضات، ولن تكون هناك

مفاوضـات، تسـعى إلى تحويل حيفا إلى مدينة غير محاربـة، وأن «اللجنة الوطنية لحيفا ليست سوى فرع للجنة العربية العليا»، وهو ما عنى بشكل ضمني أن المفتي سيهيمن على قرار اللجنة، وأنه يريد للعنف أن يستمر[227].

وقد اسـتخلص كل من سـولومون وليفشـيتز، اللذين اجتمعا في نهاية المطاف مـع أعيان المدينة، من أرازي المعلومات، حيث عبر عن اعتقاده أن الهدنة الواقعية لن تسـتمر طويلا، وأن معنويات العرب قد ارتفعت في أعقاب دخول وحدات من جيش التحرير العربي إلى فلسـطين. فضلا عن أن اللجنة الوطنية سـتقوم بالحفاظ عـلى حالة الهدنة فقط حتى تصبح المليشـيات العربية أقوى، أو لحين الانسـحاب البريطاني، ولكن ليس بعد ذلك[228]. كما أن الجماعات المسـلحة ستستمر في عملها من دون تفويـض من اللجنة الوطنية. أما فيما يتصل بمسـيحيي حيفا فإنهم كانوا مثبطـي العزيمة. ونتيجة لعدم توصل اللجنة الوطنيـة إلى قرار بإنهاء العنف، «بدأ المسيحيون الأغنياء الإعداد للرحيل من حيفا، وكان في مقدمتهم التاجر أمين صهيون الـذي نقل عائلته وحمل أثاث منزله في شـاحنتين كبيرتين إلى لبنان. وفي اليوم ذاته أفصح العديد من المسـيحيين عـن نيتهم عدمَ البقاء في المدينـة مادامت عصابات الشيخ نمر الخطيب مستمرة في حكمها»[229].

خلال شـهر يناير وبداية شـهر فبراير سـاءت الأحوال الاقتصادية لمدينة حيفا بشكل كبير:

> *بقـي المئـات من العاطلين عـن العمل في المنازل نتيجـة إغلاق مصفاة التكريـر، وأيضا خوفا من الذهاب إلى العمـل في أماكن أخرى. زادت نفقات المعيشـة وأصبح من الصعب الحصـول على الدقيق أو الخبـز. وترتب على الهجـرة الجماعية من المناطـق المجاورة للحدود إفراغ حـي الحليصة وجزء مـن وادي صليب من السـكان... أما فيما يتصل بالمسـيحيين فإنهم يرفضون توظيـف حراس من الخارج [خارج المدينة]... وبدأ الناس في مقايضة السـلع مقابل الدقيق*[230].

استمرت سوق الخضراوات مغلقة، أغلقت المحال الكبيرة أبوابها لمغادرة مالكيها المدينة، أما فيما يتصل بالمحلات الصغيرة ومحلات البقول فاقتصرت مدة عملها على ساعات محدودة في اليوم.

> *كانت شوارع يافا شاغرة تماما، ولم يكن هناك إلا تاجران مسيحيان يبيعان مـا تبقى من بضائعهـما تمهيدا للرحيل إلى لبنـان. وانعدمت مـواد البناء... وانخفضـت فترة عمل مصنع قرمان [للتبغ] إلى ثماني سـاعات في اليوم مقابل ست عشرة ساعة في الفترة التي سبقت اندلاع الاضطرابات*[231].

ظلت القوات غير النظامية خارج نطاق السـيطرة، وبادرت بشن هجمات على أهداف يهودية، الأمر الذي استتبعه أعمال انتقامية من قبل الهاغاناه - وهو ما ولّد مزيدا من عمليات الهروب - كما تزايدت التوترات بين المسـيحيين والمسلمين نتيجة لغضب المسـيحيين من مواقف الأعضاء المتشددين في اللجنة الوطنية من قبيل نمر الخطيب، الذي نعتهم «بالخونة وسـماسرة اليهـود»[232]. وهو الاتهام الذي لم يخلُ من جانب من الحقيقة. فكما أوضح يوسف سليم، أحد الأعيان المسيحيين في مطلع شهر مارس:

> *عـلى اليهود أن يفكروا مليا قبـل أن يدفعوا بالجماعة المسـيحية في غمار الصراع بينهم والعالم الإسلامي... كما أن عليهم أن يميزوا بين ممتلكات المسيحيين وتلك الخاصة بالمسـلمين [وألا يدمروا منازل المسـيحيين]... فالجماعة المسيحية مازالت غير متعاونة مع العدوان المسلم...»*[233].

بحلول شـهر مـارس انخفضت الروح المعنوية لدى المسـيحيين بشـكل رئيسي بسـبب دخول القوات غير النظامية الأجنبية (المسلمة) للمناطق المجاورة لهم، وما اسـتتبعه ذلك من هجمات شنتها الهاغاناه، مما أدى إلى «فرار كل عائلة قادرة على الرحيل إلى لبنان»[234]. في حين بدأت بعض العائلات في إرسال أطفالها بعيدا، ووفقا لجهاز اسـتخبارات الهاغاناه فإنه مع بداية شـهر فبراير أمرت اللجنة العربية العليا بإبعاد النسـاء والأطفال عن حيفا، مشـيرة إلى أن ترتيبات تُجـرى لنقلهم إلى لبنان وسـورية[235]. وأقرت اللجنة الوطنية ذلك في الثالث والعشرين من مارس، مناشدة اللجنة العليا الإسراع في عملية النقل[236]. وفي الثامن والعشرين من الشـهر نفسـه كان قـد تم إجـلاء قرابة 150 طفلا «أغلبهم من المسـيحيين» إلى دير في لبنان[237]. وبلـغ عدد المسـجلين على قوائم الإجلاء، في منتصف شـهر مارس، 2000 شـخص، وترددت معلومـات في الأيام التالية تفيد بأنه «بناء عـلى تعليمات اللجنة العربية

العليا سـيتم إجلاء النساء والأطفال والشيوخ من حيفا»[238]. وبالفعل غادرت قافلة مكونة من 15 سيارة، من بينها سبع حافلات، حيفا في الخامس من أبريل في طريقها إلى بيروت وكان أغلب الأطفال على متنها، إن لم يكن كلهم، من المسيحيين[239]، وربما غادرت في الوقت ذاته قافلة ثانية، شملت 200 طفل أغلبهم من المسلمين، توجهت إلى دمشـق[240]. ومع ذلك فإنه يمكن القول إجمالا إنه تم إجلاء نسـبة ضئيلة من أطفال حيفا قبل سـقوطها أو التخلي شـبه التام عنها بعد مرور ثلاثة أسـابيع[241]؛ وقد ساهمت مجموعة من العوامل في ذلك، من بينها: الخلاف بين مسؤولي اللجنة العربيـة العليا في القدس والمفتي واللجنة الوطنيـة؛ الصعوبات التنظيمية؛ الافتقار إلى التمويل ونقص الكفاءة؛ التنافس المسـلم - المسـيحي؛ وتـردد الآباء والأمهات تجـاه فراق أبنائهـم[242]. وفي الوقت الذي تضمنت فيه تعليمات الحسـيني إجلاء غـير المقاتلين فقط إلى مناطق داخل فلسـطين وليس خارج البـلاد، تجاهل حكيم واللجنة الوطنية في حيفا تلك التعليمات[243]. وقد لعب كل من حكيم، ومريم خليل (شـقيقة أحمد بيه خليل) وسحر ناصر (التي تزعمت منظمة تحت مسمى النساء العرب) دورا بارزا في هذا الخصوص.

شـهد شـهرا فبراير ومارس اندلاعا متكررا للقتال وهجمات شبه يومية من قبل العرب على وسـائل النقل، فضلا عن قيامهم بأعمال قنـص[244]، الأمر الذي أعقبته أعمال انتقامية من قبل الهاغاناه أوقعت خسـائر كبيرة في صفوف السـكان، وأدت إلى انخفاض الروح المعنوية بينهم. وقد تميزت الهجمات اليهودية بكونها أكثر فعالية وفتكا[245]. وبصفة خاصة تلك التي استخدم فيها مدافع الهاون. وعلى سبيل المثال، ذُكـر أن قذيفة هاون اخترقت منزلا عربيا «وأسـفرت عـن مقتل قاطنيه بمن فيهم امـرأة وطفلان»[246]. وفي بعض الأحيـان بلغ الذعر حدا كبيرا كان يصعب معه على العرب الراغبين في الرحيل الحصول على شـاحنات لاسـتئجارها، وقام البعض بدفع مبلغ 50 جنيها إسـترلينيا لنقلهـم إلى مدينة الناصرة[247]. وأورد جهاز اسـتخبارات الهاغاناه أنه «بشـكل يومي كان هناك العشرات من العائلات تغادر المدينة، وتخلو مئات المسـاكن من قاطنيها»، وذلك على الرغم من أن المسـاكن المهجورة كان يتم نهبهـا على الفور من قبل المليشـيات والمدنيين[248]. وقد أصـدرت اللجنة الوطنية - على نحو متكرر - بيانات تندد بمن يقومون بأعمال السـلب «والذين يسـتغلون

الموقف لمصلحتهم»[249]، ولكن لم يفلح أي شيء، بما في ذلك التحذيرات التي أصدرها القائد البريطاني للمنطقة لإبراهيم والتي عبر فيها عن أنه:

> *يدين بشدة المستوى المتزايد لعملية إخلاء المنازل في حيفا من سكانها وتحويلها بعد ذلك إلى نقاط حصينة... موضحا أنه إذا ما توافر له الاقتناع في المستقبل بأن تلك المباني يتم استخدامها لإطلاق النار على قوات الأمن البريطانية، فإنه ينوي إصدار الأوامر بتدميرها*[250].

على الرغم مما تقدم استمرت عملية هجر العرب لمنازلهم، ونهبها والاستيلاء عليها من قبل العناصر غير النظامية. وعلى سبيل المثال، نقلت استخبارات الهاغاناه أن السكان اليونانيين والأرمن في كريات إلياهو تلقوا أوامر من العرب» بالرحيل إلى المناطق المجاورة «مدة أسبوعين»[251].

مع تعاقب الأشهر تزايدت العمليات الانتقامية التي تشنها الهاغاناه، سواء من حيث الحجم أو فيما يتصل بالخسائر التي نجمت عنها. ففي نهاية شهر فبراير أدخل عناصر من البالماخ سيارة تحوي «300 كجم من المتفجرات» في مرآب عربي للسيارات اشتُبه في كونه ورشة لصناعة الأسلحة، وأسفرت العملية عن قتل وجرح العشرات[252]. كذلك أغارت وحدة من الهاغاناه على وادي النسناس في ليلة 4 - 5 مارس، مُحملة بأوامر تقضي «بقتل البالغين من الرجال»، كما اقتحمت العديد من المنازل ودمرت أثاثاتها باستخدام قنابل المولوتوف، وأصابت ثلاثين رجلا «قُتل من بينهم 19 بشكل مؤكد»[253]. أيضا أوقعت الهاغاناه - في كمين في السابع عشر من مارس - قافلة أسلحة تصطحبها عربات تابعة للجيش العربي، وقد أسفر ذلك عن مقتل العشرات من العرب (واثنين من البريطانيين العاملين معهم) من بينهم محمد بن حمد الحنيطي، القائد الأردني لمليشيا حيفا، قتل في الحادث نفسه اثنين من عناصر الهاغاناه وأصيب اثنان آخران[254].. وأعقب ذلك توجيه الهاغاناه ضربات قوية إلى مدينة حيفا ذاتها، مما أدى إلى تدهور كبير في معنويات العرب[255]. ومجددا عادت طوابير الجماهير إلى الاصطفاف أمام كل من قنصليتي لبنان وسورية، ولكن جموع المنتظرين أُخطروا بأن الدخول إلى هاتين الدولتين «ممنوع». كما رُفض منح تأشيرات حتى للأشخاص الذين قدموا وثائق طبية تثبت مرضهم[256].

أصــدر الجــنرال صفوت - الــذي تولى مســؤولية القوات العربية في فلســطين بشــكل غامض - أوامــره لقائد منطقة حيفــا بمهاجمة أهــداف يهودية في الكرمل والمستوطنات اليهودية المحيطة بها، بهدف تخفيف الضغط على العرب في المناطق المجــاورة[257]. بدت الأوامر غير واقعية؛ حيث إن المليشــيات العربية كانت بالكاد قادرة على الدفاع عن أنفسها، فما بالك بالقدرة على العمل الدفاعي بشكل متناغم. ومــن جانبهم جدد الأعيان، بزعامة حكيم، مســاعيهم للتوصــل إلى هدنة، بيد أن قــادة الهاغاناه (وكذلك بن غوريون) لم يأبهوا بذلك، معللين موقفهم بأن الهدنة لن يتم احترامها من قبل العناصر غير النظامية، وسيســتثمرها العرب لتخزين السلاح. وفي كال الأحــوال كانت حيفا مكانا تحظى فيــه الهاغاناه باليد العليا، والتوصل إلى هدنة سيكون فقط لمصلحة العرب. وفي هذا الصدد دوّن بن غوريون، على عجَل، في مذكراته: «إن العرب لا يزالون يغادرون حيفا» - في إشــارة إلى الرابطة بين معارضة الهاغاناه للهدنة، وفكرة أن الهدنة ربما تؤدي إلى وقف الهجرة الجماعية[258].

شــهد النصف الثاني من شهر مارس والأول من شــهر أبريل مزيدا من التدهور في الحالة الاقتصادية للعرب. أضحى الأطباء يطلبون «على الأقل 1.5 جنيه إسترليني مقابل كل زيارة منزلية»[259]. (يلاحظ بشــكل عام أنه مع بداية شــهر أبريل ســاد الشــعور في أرجاء البــلاد بوطأة هروب الأطباء، وقام كل مــن اتحاد الأطباء العرب واللجنة العربيــة العليا بمطالبة الأطباء الذين فروا بالعــودة مهددين أولئك الذين لــن يمتثلــوا بعقاب لم يتــم تحديده)[260]. كذلــك أضحت مواد مــن قبيل الدقيق والخبــز أمرا نادرا. وصادرت اللجنة الوطنية الكثــير من الدقيق، المخصص من قبل السلطات البريطانية، لتقديمه للمليشــيات. ووفقا لتقارير الهاغاناه: «رفض العديد من التجار تقديم جزء مــن دقيقهم لهذا الغرض، موضحين أن الغرباء (القوات غير النظامية الأجنبية) يلزم أن يتلقوا موادهم الغذائية من الدول المجاورة». وفر بعض أصحــاب المخابز إلى صفد، وصادرت اللجنة الوطنية مخابزهم. ومع ذلك اســتمرت عناصر المليشــيات في الشكوى من «الجوع». وكانت القوات البريطانية تبيع السكر والقمح من مخازن الحكومة للعرب. وقد طالبت اللجنة الوطنية في جنين بتخفيض المخصصات التي تقدمها الحكومة البريطانية لعرب حيفا (الدقيق، البيض، الســكر، الأرز) نظــرا إلى أنه «لم يتبق فيها ســوى ثمانية آلاف شــخص». وهو ما دفع الحاج

إبراهيم إلى تحري الأمر، والتأكيد على أن المدينة مازال يقطنها «35 - 40» ألف ساكن عربي، وأن أغلب البضائع الأخرى كانت متوافرة[261]. ويذكر أن مصانع التبغ (قرمان، ديك وسلطي)(*) كانت قد نقلت معظم آلاتها إلى قبرص ومصر؛ وامتنع تجار مواد البناء عن فتح حوانيتهم؛ «حيث لم يكن هناك أحد يمكن البيع له». ووفقا لتقارير الهاغاناه، «انشغل الأغنياء (بما في ذلك كبار التجار) بتحويل أموالهم بالعملة الفلسطينية إلى ذهب أو دولارات لتحويلها إلى البلاد المجاورة»[262]. وتوقفت الهواتف عن العمل في المنطقة العربية نتيجة لقطع اليهود خطوطها[263]. وفي ضوء ما سبق توصلت لجنة الدفاع الاقتصادي التابعة للهاجاناه إلى نتيجة مفادها أن حيفا أضحت أبرز المدن العربية في مجال المضاربة وعدم القدرة على التنظيم الجيد (في مجال توزيع الغذاء)[264].

ساهم النقص الغذائي، والإحساس بالضعف العسكري، والعزلة الناجمة عن وجود المستوطنات على الطرق الرئيسية المؤدية إلى المدينة بشكل رئيسي في انخفاض الروح المعنوية، الأمر الذي كان بدوره من بين دوافع الهجرة الجماعية في صفوف الطبقات العليا والمتوسطة؛ وهو ما ساهم فيه أيضا تلاشي القانون والنظام، حيث قامت العناصر غير النظامية بنهب وترويع السكان المحليين، وتخويف من تم إرسالهم للدفاع عنهم وفقا لما أورده نمر الخطيب الذي انتقد كل من العناصر غير النظامية والبريطانيين الذين لم يتخذو أي إجراءات، وكذلك المدنيون الذين فروا مخلفين وراءهم منازل تشجع على نهبها[265]. «قامت عصابات السلب والنهب بتنظيم صفوفها... وفي شهر مارس أصبحت موجات السلب والسرقة أمرا متكررا في حيفا العربية... ومن يوم إلى آخر تنامى الشعور بأن عرب حيفا أضحوا على شفا الانهيار، وعمت مظاهر الفوضى والاضطراب كل شيء». تزايدت خطورة الموقف خلال ذلك الشهر نتيجة لعملية الفرار الجماعي لرجال الشرطة العرب، حاملين معهم أسلحتهم وذخائرهم[266].

ارتبطت الهجرة الجماعية، من دون شك، بالأعمال الانتقامية التي شنتها الهاغاناه، والهجمات العربية وما أثارته من مخاوف من الأعمال الثأرية اليهودية

(*) أسست شركة التبغ (قرمان، ديك، وسلطي) في حيفا العام 1929، ويطلق عليها الفلسطينيون «فبركة الدخان». يعود اسمها إلى مالكيها: عائلة قرمان من نابلس، السلطي من صفد، والديك من حيفا [المحررة].

التالية، غير أنه بالنسبة إلى الشرائح الأكثر تعليما، خاصة العاملين بالأجهزة الحكومية والمهنيين، كانت هناك اعتبارات أخرى على المدى البعيد دفعتهم إلى الهجرة، فوفقا لإفرايم كريشر (أحد ناشطي حزب العمال - مابام - المدنيين) كان هناك خوف عام من «ارتباك كبير» في المستقبل، مثل السبب الرئيسي وراء هذه المرحلة المبكرة للهجرة الجماعية، مضيفا بالتحديد أن العاملين العرب في البلدية ومؤسسات الانتداب انتابهم الخوف من أنه «داخل الدولة اليهودية لن يكون لديهم أي فرصة للترقية في وظائفهم، وأن الأولوية ستُعطَى لليهود». وقد دعمت من هذا الشعور حقيقة أن أغلب العرب العاملين في المصالح لا يتقنون الحديث بالعبرية بطلاقة[267].

بادرت الإدارة العربية في حزب العمال (مابام) بتحليل الهروب من حيفا، مستندة بشكل جزئي على تقرير كريشر. وفي هذا الصدد لاحظت الإدارة أن العرب «أحسوا بمخاوف فيما يتصل بمستقبلهم»، سواء خلال المرحلة الانتقالية المتقلبة أو تحت الحكم اليهودي، كما تمت الإشارة إلى أنه من بين الذين هاجروا برز بشكل رئيسي «المسيحيون، والمهنيون، الموظفون الرسميون». ووفقا للإدارة، بحلول مطلع شهر مارس كانت العديد من الأحياء المسيحية خالية من سكانها بشكل «شبه تام»، في حين «كانت نسبة الهروب أقل في الأجزاء الشرقية من المدينة، حيث تركزت الطبقات الأكثر فقرا التي وقعت تحت تأثير المتطرفين». ووفقا لهذا التحليل كان المسيحيون قلقين بشكل أساسي حول الفترة الانتقالية، منذ النهاية الفعلية لحكومة الانتداب والبداية الحقيقية لسلطة الحكومة اليهودية. فقد استشعروا أنهم سيكونون خلال تلك الفترة بين «المطرقة والسندان: عمليات الإرهاب العربية وردود الفعل اليهودية»[268].

على الرغم من انزعاج اللجنة الوطنية من الهجرة الجماعية، افتقرت جهودها إلى الحماسة لوقفها طوال شهر ديسمبر تقريبا. فمن بين الاثني عشر بيانا التي أصدرتها خلال تلك الفترة حث بيان واحد فقط العرب على البقاء. حيث حذرت اللجنة في الثاني عشر من ديسمبر من «عناصر الطابور الخامس» الذين ينشرون الروح الانهزامية بما يؤثر على الأفراد، ويدفعهم إلى «ترك ممتلكاتهم وديارهم التي أضحت فريسة سهلة للعدو الذي استولى عليها واحتلها...»، واختتمت اللجنة بيانها بالقول: «ابقوا في أماكنكم». وفي المقابل لم تصدر اللجنة في أي من بياناتها أوامر

صريحة بعدم الرحيل. وخلال الفترة من يناير إلى مارس عام 1948 فشلت اللجنة، بوجه عام، في إصدار أمر أو مناشدة للسكان بالبقاء في ديارهم أو في المدينة، في حين صدرت أوامر عديدة تحث العرب على «البقاء في مواقعهم»، في إشارة واضحة إلى عناصر المليشيات والموظفين[269].

وفقط في النصف الأول من شهر أبريل يمكننا أن نجد مناشدة بالعودة من قِبل اللجنة الوطنية لأولئك الذين رحلوا. حيث نقلت استخبارات الهاغاناه في الأول من أبريل حنق من تبقوا من الأعيان على أعضاء مجلس المدينة الذين رحلوا، «وتخلوا عن المصالح العربية في مرحلة تُنقل فيها على وجه التحديد سلطات الحكومة إلى الجهات المحلية»، ويلاحظ أن عمدة المدينة اليهودي شبتاي ليفي، وليس الأعيان العرب، هو من أصدر نداء علنيا لأعضاء المجلس مطالبا إياهم بالعودة[270].

بعد مرور عدة أيام كتب الحاج إبراهيم رسائل إلى أعضاء اللجنة الوطنية الغائبين (جورج طويل في بيروت، أحمد كمال في عنبتا بالقرب من جنين، زكي بك التميمي في دمشق، يوسف صهيون في الإسكندرية) مطالبا بعودتهم[271]، ووفقا لإذاعة فلسطين طالبت اللجنة خلال الأسبوع الثاني من أبريل أصحاب المتاجر الذين فروا بالعودة وإعادة فتح حوانيتهم وإلا تعرضوا لعقوبة سحب تراخيصهم[272]. غير أنه في ذلك الوقت كانت قضية عرب حيفا خاسرة، حيث غادر كثيرون، وأضحت المدينة على وشك الانهيار. وكلما زادت الأمور سوءا تعاظمت المحفزات على الهروب. وعلى سبيل المثال نقلت استخبارات الهاغاناه في الثاني عشر من أبريل أن التجار العرب الذين استمروا في البقاء قرروا سرا نقل أعمالهم ومخازنهم إلى يافا (أو مصر أو سورية أو لبنان)، خشية أن تنهبها العناصر غير النظامية. فضلا عن قيام اللجنة الوطنية بفرض ضرائب باهظة عليهم لتتمكن من تمويل المليشيات[273].

وقد يكون من السهل فهم الأسباب الكامنة وراء فشل اللجنة الوطنية في التصرف بحزم لوقف الهجرة الجماعية، فقد افتقرت إلى السلطات القانونية لتقييد الهجرة. والأهم من ذلك أن الهجرة التي سبقت شهر أبريل 1948 شملت بشكل كبير الطبقات الوسطى والعليا (وهي الشرائح التي تشكلت من بين صفوفها اللجنة ذاتها). ومن ثم تعلق الأمر أولا وأخيرا بهروب أقاربهم وأصدقائهم، فضلا عن أن أغلب أعضاء اللجنة أنفسهم كانوا قد فروا. وطبقا لاستخبارات الهاغاناه فإنه بحلول الثامن والعشرين

من شـــهر مارس رحل 11 من إجمالي 15 عضوا في اللجنة؛ وفشلت الجهود التي بذلها رئيســـها إبراهيم لحثهم على العودة[274]. بل غادر رشـــيد الحاج إبراهيم ذاته المدينة مطلع شهر أبريل عاقدا العزم على عدم العودة[275]. لم يكن في مقدور من تبقوا الحط من قدر أو إدانة أو معاقبة الراغبين في الرحيل، على الرغم من الضرر الشـــديد الذي ألحقته الهجرة بالقضية العربية. بلغ الهروب الضخم لقادة المجتمع ذروته، وكانت له دلالات قوية خلال معركة حيفا في 21 إلى 22 إبريل 1948.

يافا

خصص قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة مدينة يافا العربية، التي ضمت 75 ألف نســـمة، لتكون تحت السيادة الفلسطينية. مما يعني أن تصبح أرضا عربية محصـــورة داخل الدولـــة اليهودية، تقـــع اتصالاتها الأرضية مع بقيـــة أجزاء الدولة الفلسطينية تحت ســـيطرة اليهود، مما جعل السكان يشـــعرون بالعزلة والضعف. وكـــما كانت عليه الحال في حيفـــا، أدى اندلاع القتال إلى التعجيـــل بعملية الهجرة الجماعية التي كان الســـبب في اندلاعها قيام رجال المليشيات بعمليات قنص داخل مدينـــة تل أبيب المجاورة في الثلاثين من نوفمبر 1947. وفي اليوم التالي قام عشرات من العرب بمهاجمة منازلَ يهودية في حي المنشـــية، في المنطقة الشـــمالية المجاورة، فضلا عن إقدام مجموعة عربية في أبو كبير (في الجوار الغربي) على مهاجمة ســـيارة يهودية وقتل ركابهـــا الثلاثة. وقد أعقبت ذلك بداية الأعـــمال الانتقامية اليهودية؛ حيث دمر لواء كيرياتي(*) التابع للهاغاناه منزلا في أبو كبير في الثاني من ديسمبر، كما أضرم عناصر من الإرغون النيران في أربعة منازل بعد مرور أربعة أيام، مما أسفر عن مقتل شخصين على الأقل[276].

وساد الشعور بين سكان يافا بأن الأسوأ ينتظرهم. انطلقت عملية إجلاء سكان المناطق الحدودية ليافا في بدايات شـــهر ديســـمبر. وكما كانت عليه الحال في حيفا، تركزت البداية في الأطراف المتاخمة لوســـط المدينة، وقد نقل أحد مرشـــدي البالماخ

(*) شـــكله ديفيد بن غوريون العام 1948، وكان واحدا من أصل تســـعة ألوية تكونت منها الهاغاناه، وتمثلت مســـؤوليته الرئيسية في تأمين المنطقة المحيطة بتل أبيب، كما شارك في عديد من المعارك خلال الحرب العربية - الإسرائيلية العام 1948، وأدى دورا خلال حرب السويس أيضا. [المترجم].

في الأول من ديسمبر أن «عائلات تنقل أمتعتها وتغادر المنشية»[277]. وكشفت معلومات استطلاعية في الخامس من الشهر نفسه عن أن عملية الإجلاء من المنشية مستمرة، كذلك كانت هناك عمليات هروب مماثلة في الأطراف الجنوبية للمدينة، والمجاورة لمناطق بات يام وحولون اليهودية[278]. كما رصدت مصادر استخبارات الهاغاناه في الثاني من ديسمبر «عربات تجرها أحصنة محملة بالأمتعة تُغادر أبو كبير متجهة إلى وسط يافا». وأسفرت عملية الهروب من المناطق الخارجية إلى الوسط بدورها عن نشر الرعب والنزوع إلى الفرار بين قاطني المناطق الداخلية[279]. وقد كان للسلوك اليهودي دور في ذلك؛ ففي الخامس من ديسمبر نقل مراقبون بريطانيون أخبارا حول ضرب شخص عربي حتى الموت «على يد حشد من اليهود» بالقرب من دار سينما المغربي، وإضرام النيران في محلات ومنازل مملوكة لعرب في منطقة سوق الكرمل[280]، وبالقرب أو داخل حي هاتيكفا (جنوبي تل أبيب)[281]. وقد طاف رجال يرتدون زي الإرغون مدينة بتاح تكفا المجاورة، وطالبوا بأن يقوم أصحاب الأعمال اليهود «بطرد عمالهم العرب»[282]. ومن جانبهم ساهم البريطانيون - وإن كان ذلك بشكل محدود - في عملية الإبعاد من خلال تحذيرهم العرب القاطنين أو العاملين في تل أبيب بالمغادرة إلى يافا[283].

تعرض اليهود بدورهم في مناطق التماس الحدودية للإبعاد من جراء القتال. ففي منتصف يناير 1948 أصبح ما يقارب سبعة آلاف شخص من دون مأوى. وفشلت الجهود التي بذلتها السلطات لاقتناعهم بالعودة إلى ديارهم[284]، وفي التاسع من ديسمبر نقلت مصادر استخبارات الهاغاناه ما يلي:

> *كانت الأوضاع الاقتصادية في يافا متردية. ارتفعت أسعار الدقيق بشكل كبير، وكان اللاجئون العرب ينامون في شوارع المدينة... وتغادر العائلات الثرية إلى مناطق في داخل الدولة في حين يهاجر الأغنياء إلى سورية ولبنان أو حتى قبرص*[285].

صادرت اللجنة الوطنية في يافا «42 فندقا وبيت دعارة» لإيواء اللاجئين[286]. وبدأ عامة الناس الذين سبق أن هاجروا في وقت سابق إلى المدينة في التحرك على طريق العودة إلى قراهم[287]. وبحلول نهاية شهر ديسمبر نقلت مصادر استخبارات

الهاغاناه أن ما يقرب من «60 في المائة» من مسيحيي يافا قد غادروا[288]. وتردد أن بلدية المدينة كانت تحاول - من دون جدوى - إقناع أولئك الذين رحلوا والذين يعيشون في مخيمات في وسط المدينة بالعودة إلى ديارهم وممتلكاتهم، ولكن دون جدوى[289]. وعلى الرغم مما نقلته استخبارات الهاغاناه في الثالث والعشرين من شهر ديسمبر من أن «25 ألف شخص فروا من يافا»[290]، فإن إدارة الشؤون العربية خرجت في مطلع شهر فبراير لتقول إن التقديرات التي ذهبت إلى أنه «من بين 15 إلى 20 ألفا قد غادروا» يافا كانت مبالغا فيها[291].

في السابع من ديسمبر 1947 اتفق كل من يوسف هيكل (عمدة يافا) وإسرائيل روكاح (عمدة تل أبيب) على إصدار نداء لوقف إطلاق النار بما يسمح لسكان مناطق التماس لكل من الطرفين بالعودة إلى منازلهم (وعلى الرغم من ذلك يبدو أن تلك الدعوة المشتركة لم تصدر على الإطلاق)[292]. ومن جانبه سعى نمر الهواري قائد المليشيات الرئيسية في المدينة - الذي كان يتسم بالاعتدال - إلى منع اندلاع القتال، حيث أصدر أوامر لرجاله بإطلاق النيران فقط في حالة الهجوم عليهم، خاصة أنهم كانوا يعانون نقصا في الذخيرة، بيد أن نفوذ الهواري كان محدودا في أبو كبير والتي كانت خاضعة لسيطرة قائد آخر يُدعى أبو لبن[293]. وفي واقع الأمر حددت أجهزة استخبارات «الهاغاناه» ثلاثة مراكز للقوى في يافا: الهواري، وهيكل، ومؤيدي الحسيني المحليين الذين كانوا منشغلين بتنظيم عمليات العنف في المناطق المجاورة. كما جابت المجموعات المسلحة الشوارع لترهيب السكان ودفعهم إلى المشاركة في الدفاع عن «القضية الوطنية»[294]. وقد أفاد أحد المرشدين العرب لجهاز استخبارات الهاغاناه بأن «اللجنة العربية العليا لم تكن ترغب في أن تصل الاضطرابات المستوى الذي بلغته... وأنهم ارتكبوا خطأ بالدعوة إلى إضراب ثلاثة أيام من دون أن يأخذوا بعين الاعتبار طبيعة الرأي العام العربي». الكثيرون كانوا خارج مقار العمل، ولكن سماعهم عن أعمال القتل والحرق للمنازل في القدس أدى إلى توافر «مناخ موات لمثل هذه الأعمال في يافا أيضا». وسارعت الحشود إلى الشوارع مدفوعة بالرغبة في القتل في حين بقي كل من الهواري وهيكل من دون سلطة فعلية على الموقف[295]. سقط كل من الهواري، الذي ربما كان عميلا لجهاز استخبارات الهاغاناه، وهيكل. فر الهواري من البلاد في نهاية شهر ديسمبر[296]. ومن جانبها كانت الشخصيات

المعتدلة وتلك المعارضة تخشى إقدام الحسيني على شن عمليات إرهابية على غرار ما شهدته الفترة 1937 - 1939[297].

عارض أغلب الأعيان المحليين الممثلين من قبل اللجنة الوطنية في يافا العمليات القتالية ضد تل أبيب، نظرا إلى إدراكهم عدمَ قدرة المليشيات من جانب، وخشيتهم الأعمال الانتقامية اليهودية من جانب آخر. كما أنهم كانوا قلقين بشكل خاص على محصول البرتقال في البساتين المجاورة والذي يُصدَّر جزء كبير منه عبر يافا. وقد وصل بهم الأمر إلى حد تنظيم دوريات في المناطق المحيطة لمنع وقوع صدامات[298]. وعلى الأرجح سافر هيكل، الذي كان محميا من موسى العلمي الفلسطيني المعتدل المخضرم، إلى القاهرة في مطلع ديسمبر 1947، للحصول على موافقة الحسيني والجامعة العربية على التوصل إلى وقف لإطلاق النار[299]، بيد أن النشطاء في المدينة كانوا مشغولين بإثارة المشاكل وتقويض سلطة اللجنة الوطنية[300].

كما كان عليه الوضع في حيفا، سعى الأعيان في جنوبي يافا في الأسبوع الثالث من القتال للتوصل إلى وقف لإطلاق النار مع مدينة بات يام المجاورة. وفي السادس عشر من ديسمبر عُقد لقاء لهذا الغرض طالب خلاله العرب بأن «يكف اليهود عن قطع المياه عنهم وتدمير منازلهم»، في حين طلب اليهود أن يتوقف العرب عن مهاجمة وسائل النقل الخاصة بهم. وقد انتهى اللقاء بتعهد العرب بأنهم «سيحرصون على ألا يتم إطلاق النار على أحد». في تلك الليلة «عاد التيار الكهربائي» لجباليا للمرة الأولى منذ فترة[301].

ومع ذلك فإن الحسيني الذي كان يعارض بشكل واضح أي هدنة محلية - على الرغم من إدراكه حقيقةَ أن المدينة ليست لديها فرصة للصمود على المدى البعيد - أراد أن تستمر يافا في شن هجمات على تل أبيب بأقصى طاقتها من دون أن يتوافر لها سوى الحد الأدنى من الموارد الخارجية[302]. وعلى الرغم من معاناة يافا من نقص في الدقيق والزيت[303]، بدا أن المدينة لم تواجه أزمات غذاء حادة خلال الأشهر الأربعة الأولى من الحرب الأهلية[304]، ومن بين الأسباب التي ساعدت على ذلك قرب القرى التابعة لها (مثل يازور والخيرية) والطرق التي تربطها بالمدينة؛ كذلك فإن الفرار السريع للسكان ترك لمن تبقوا فائضا من كوبونات التموين وكميات كبيرة من المنتجات. ولكن ارتفاع نسبة البطالة (وما صاحبها من الخوف

من السفر للعمل في مناطق معرضة للخطر)[305] كان يعني أن العديد من السكان افتقروا إلى القدرة المالية لشراء المنتجات المتاحة، فضلا عن أنه كان سببا لشيوع الخوف في صفوف الطبقة المتوسطة من «السرقة والنهب»[306] (وقد سُجلت زيادة في معدلاتهما بالفعل). وبحلول شهر مارس لم يكن هناك سوى الميناء مكانا للعمل لايزال قائما) [307]. كما شهدت المدينة خلال شهر أبريل نقصا حادا في البترول، الذي تم بيعه في السوق السوداء واصطفت الطوابير الطويلة أمام محطات البنزين[308]. كذلك كان هناك نقص كبير في عدد الأطباء والأدوية، في الوقت الذي توقفت فيه خطوط الهاتف عن العمل خارج يافا، وانهارت الخدمات البريدية تماما[309]. ومنذ نهاية يناير عجت المستشفيات بالجرحى الذين «أُرسل بعضهم إلى منازلهم» لعدم القدرة على استيعابهم. ولم تتوافر أموال لدفع رواتب الأطباء[310].

وفضلا عن كل ذلك لم تتوافر الإرادة للقتال، وكان من بين أسباب ذلك شكوك الذكور من العرب في إمكان دفع تعويضات أو دعم لأراملهم وأيتامهم[311]. وقد دفع كل ذلك العامة إلى تفضيل الفرار.

> *لم يكن لدى اللاجئين أي أوهام. وكانوا يرفضون أن يعرضوا أنفسهم للخطر بالبقاء في أو العودة إلى المناطق اليهودية، وكان هروبهم تلقائيا وليس منظما. ولم يكن هناك... طائل من محاولة منع الهجرة الجماعية، وكان الناس يهربون إلى نابلس والناصرة وحتى إلى مصر*[312].

أدت الإعلانات التي نشرتها الهاغاناه، والتي توعدت بالثأر وإنزال العقاب، إلى إضعاف الروح المعنوية بين السكان[313]. كما ساد «شعور عام» بأن الحسيني أراد «التضحية بيافا حتى يستثير العالم العربي ضد اليهود والتقسيم»[314]. وفشلت الجهود التي بذلتها اللجنة الوطنية ووحدات المليشيات - والتي وصلت إلى حد فرض الغرامات ومصادرة الممتلكات - في الحد من تضخم صفوف اللاجئين[315].

كان تدمير الإرغون سرايا المدينة (التي شملت المركز الرئيسي للمليشيات) في الرابع من يناير 1948 - باستخدام سيارة مملوءة بالديناميت - حدثا رئيسيا أسهم بشكل كبير في إضعاف الروح المعنوية، حيث خلفت العملية وراءها العشرات من القتلى[316]، وتعطلت خدمات البلدية. فرت العائلات من الطبقتين الوسطي والعليا

في حين أغلق رجال الأعمال متاجرهم وعمت البطالة[317]. وفي هذا الخصوص أوردت تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه:

> *أضحت أسواق المدينة الرئيسية - التي كانت مزدحمة في الماضي - مهجورة، وخلت المقاهي من روادها، وأغلقت دور السينما أبوابها، وأقيمت حواجز وأسلاك شائكة على الطرق في وسط المدينة وعلى الحدود. أضحى سكان يافا يعيشون في حالة من الخوف من القنابل اليهودية والهجمات المتبادلة بينهم وبين العرب. غادر العديد من سكان المناطق المحيطة منازلهم، ويقدر عدد الذين غادروا المنشية فقط بثلاثة آلاف عائلة، توجه أغلبهم إلى المدينة القديمة، أو إلى المناطق المجاورة في النزهة والعجمي، وأضحت المنازل التي استولى عليها الأفراد بالقوة مكتظة؛ حيث أقام في كل حجرة عشرة أشخاص أو أكثر، في حين غادرت عائلات كثيرة إلى سورية، لبنان، قبرص، ومصر[318].*

تعطلت حركة القطارات من وإلى يافا[319]. وترتب على توقف الرحلات اليومية إلى مقار العمل تفاقم البطالة في صفوف العمال، في وقت سادت فيه القيادات المحليةَ حالةٌ من الكآبة، ولم تكن لديهم ثقة بقدرات فرق المتطوعين الأجانب. وتعالت الأصوات التي عبرت عن الرغبة في استيلاء الملك عبدالله على فلسطين، في حين سعى الحسيني إلى إسكات أصوات المعارضة[320]. وقد نقل القنصل اللبناني في القدس قول هيكل:

> *بلغ الوضع في يافا أسوأ حالاته... وأوشك العرب على رفع الرايات البيضاء للاستسلام... نتيجةً لنقص الذخائر، ووصل الشعور العام [الروح المعنوية] إلى مرحلة الانهيار التام في أعقاب الانفجار الكبير (تفجير السرايا)... وفي مقدور اليهود - إذا ما رغبوا في ذلك - الاستيلاء على المدينة بأكملها من دون صعوبات كثيرة. أما الوضع الاقتصادي فإنه سيئ إلى حد لا يمكن وصفه[321].*

كذلك أبلغ أحد المرشدين العرب ساسون بما يلي:

> *«لا يوجد عمل في المدينة، وكل من كان في مقدوره الرحيل غادر بالفعل، ويسود الخوف في كل مكان، حيث لا يوجد أمن أو أمان. وأضحت السرقة والنهب شيئا معتادا، كما فقدت اللجنة الوطنية سلطتها ومن المتوقع أن تستقيل...[322].*

بـــرزت الروح الانهزامية لدى العرب خـــلال الاتصالات الهاتفية الصادرة من يافا والتي أقدم على اعتراضها وتسجيلها جهاز استخبارات الإرغون، فقد قص سعيد زين الدين (أحد محامي يافا)، على صديق (أو قريب) له في خان يونس التطورات التي أعقبت تدمير السرايا، حيث جُرح اثنان من أقاربه، ولحقت أضرار بالشـــارع بأكمله. وفي هذا الخصوص سأل الطرف المقيم في خان يونس: «لماذا لا تأتي إلى هنا؟»، وكان رد زين الدين: «سنأتي قريبا».

بعـــد مرور يومين على ذلك سُـــجلت محادثة هاتفية بـــين كل من عبداللطيف قدومـــي، وهو ضابط من فرقة النابلسي غـــير النظامية في يافا، وأبو أحمد في نابلس دارت على النحو التالي:

عبداللطيف قدومي: «أين أبو فياض قدومي؟»

أبو أحمد: «لقد ذهب إلى الناصرة».

عبداللطيف قدومي: «أعتقد أني سأعود قريبا إلى نابلس».

أبو أحمد: «إذا ما كان رجالكم في يافا لا يعلمون كيف يتصرفون ويسمحون لليهود بفعل ما يرغبون فيه اتركهم وعُد إلينا».

عبداللطيف قدومي: «حقا إنهم لا يعرفون كيف يتصرفون هنا... ســأغادر وأتركهم يفعلون ما يريدون وسأعود إلى نابلس».

وحقيقة الأمر، عكست المحادثات الهاتفية المسجلة على امتدادها خوفا شديدا من اليهود وشعورا بأن الفرار، وما سيتتبعه من فوضى إدارية، أضحى أمرا وشيكا[323].

خلال الأشـــهر الأولى للحرب برز عدد من المليشـــيات كان بعضها يدين بالولاء للجنة العربية العليا والحســـيني، في حين انحاز البعـــض الآخر إلى هيكل وغيره من رموز المعارضة. كذلك كانت هناك العديد من المجموعات من العناصر الأجنبية غير النظامية، انتمى بعضها إلى جيش الإنقاذ (وصلت فرقة عراقية في مطلع شهر فبراير) والبعض الآخر كان مســـتقلا عنه[324]. وفيـــما يتصل بالمجموعات غير النظامية فإنها جاءت إلى المدينة ثم رحلت، فعلى ســـبيل المثال، في مارس انسحبت بشكل مفاجئ مجموعة مكونة من 75 - 150 متطوعا سوريا من المدينة (في أعقاب سجن قائدها بتهمـــة سرقـــة مؤن من أحد المخـــازن) وتوجهت إلى طولكرم؛ كذلـــك رحلت كتيبة عراقية بقيادة عبدالجابر، وتمركزت في معســـكر مهجـــور للجيش البريطاني في وادي

سرار[325]. وعلى الرغم من الجهود التي بذلها حسن سلامة لتوحيد الميليشيات فإن التوفيق لم يحالفه[326]. كذلك سعى مبعوثون من يافا إلى تعبئة مزيد من القوات في منطقتي الخليل ونابلس، الأمر الذي لاقى قبولا محدودا على الرغم من العرض المادي المجزي للمتطوعين (40 جنيها إسترلينياً شهريا). وقد تمخضت إحدى حملات التعبئة في الخليل عن ضم «35 من المعوزين»[327].

سعى كبار أعيان يافا خلال شهر يناير، وربما أيضا بداية شهر فبراير، إلى التوصل إلى هدنة، غير أن الهاغاناه كانت غير راغبة في ذلك. فكما كانت عليه الحال في حيفا. كان لدى الهاغاناه اليد العليا ولم تكن لديها النية في ترك يافا تعيش في سلام مادام لا يسمح العرب في أماكن أخرى (وبشكل رئيس في القدس) لليهود بالعيش في سلام. وفضلا عن ذلك اعتقد القادة العسكريون، على حق، أن التوصل إلى هدنة مع القادة المدنيين في يافا لن يؤدي حتما إلى وقف العلميات التي تقوم بها العناصر غير النظامية[328].

كانت الانقسامات التي سادت منذ البداية بين عرب يافا سببا في إخفاق جميع الجهود لصنع السلام. ففي شهر فبراير كتب بن غوريون إلى شيرتوك مشيرا إلى مساعي هيكل، عبر وساطة بريطانية، إلى التوصل إلى اتفاق مع تل أبيب، بيد أن قائد العناصر غير النظامية الجديد عبدالوهاب علي شيهاني عارضه. وحينما أوضح عمدة المدينة أنه «من دون التوصل إلى اتفاق سُتدمر يافا بشكل كامل، كان رد شيهاني - وفقا لما أورده بن غوريون- كما يلي: «لا يعنيني تدمير يافا إذا ما تمكنا من تدمير تل أبيب»[329].

كما كان عليه الوضع في حيفا، قامت العناصر غير النظامية بترويع السكان المحليين مكررين بذلك خبرة الفترة من 1936- 1939. وفي هذا الخصوص كتب نمر الخطيب: «معظم العناصر التي بقيت مع قائدهم عادل نجم الدين تصرفت تجاه السكان كأنها قوات محتلة؛ حيث قاموا بمصادرة أسلحتهم وبيعها وفرضوا الغرامات والضرائب وصادروا السيارات وباعوها... وكان السكان يخافون من المدافعين عنهم والمنقذين له أكثر من خوفهم من أعدائهم اليهود»[330].

تلاقت مخاوف تجار الموالح في يافا، من أن يقوم اليهود بمنع تصدير محصولهم[331] الذي يعتمد عليه اقتصاد المدينة، مع المخاوف التي راودت أقرانهم اليهود المجاورين

حـول النقطة ذاتهـا، الأمر الذي كان وراء وسـاطة بريطانية للتوصـل إلى اتفاق ودي Gentleman's Agreement في ديسـمبر قـضى بـألا يقوم أي مـن الطرفين بالإضرار ببساتين الآخر أو شاحناته التي تنقل الموالح أو التعدي على تسهيلات التصدير[332]. وفي حـين وافق قادة الهاغاناه في تل أبيب على هذا الاتفـاق تحت ضغط المزارعين اليهود ورجـال الأعمال، عارضه الأعضاء المحليون للهاغاناه وكان موضع مناقشـات ومداولات واسـعة خلال اجتماع عقد في الفترة من 1-2 يناير 1948 بين بن غوريون ومستشاريه. عارض ممثلو القسم العربي (بقيادة ماكنس الذي كان أيضا مالكا لبستان برتقال) فكرة فـرض حصار تام عـلى يافا التي طرحهـا كل من يغائيل يادين وموشي سـنه، وانتهت المناقشـات بإعلان بن غوريون عن اتفاق عام على الحاجة إلى فرض «حصار على يافا» على أن يتم تجنب مزارعي وشحنات البرتقال[333].

خلال شـهر يناير استمر ملاك البساتين اليهود ممثلين بيوسف يعقوبسن (الذي كان في الوقت ذاته ضابطا رفيع المستوى في الهاغاناه) في الضغط – من دون جدوى - للتوصل إلى وقف إطلاق نار رسـمي يشـمل المناطق المحيطـة بيافا، ورحوفوت، ونيس زيونا، واتهم يعقوبسن الهاغاناه بقتل وإرهاب وسرقة مزارعي البرتقال ونهب ممتلكات العرب، ومن جانبه عارض موشي ديان إبرام مثل هذا الاتفاق؛ حيث تعلق الأمر بالنسـبة إليه بمنطقـة كانت فيها الهاغاناه الأكثر قـوة، فضلا عن أن العناصر غـير النظامية العربية في مناطق أخرى بالبلاد يمكنها الحصول على تموين من المواد الغذائية من هذه المنطقة إذا ما سـادها الهدوء. أما ليفي شكولنيك (أشكول) فقد دافع عن حقيقة أن ثلاثة أشهر من الهدوء خلال فترة الحصاد ستعود بالفائدة على اليشوف، وهو ما عارضه غاليلي ويادين، حيث ذهبا إلى أن مثل هذه الهدنة ستكون في مصلحـة العرب في ضوء أن لكل من «يافا وحيفـا نقطتي ضعف لديهم». فضلا عن أن التوصل إلى اتفاق يشمل السهل الساحلي كان من شأنه أن يحرر المفتي من الضغوط التي تُمارس عليه من المدينتين لتحقيق السلام. وفي نهاية المطاف أوضح بن غوريون أنه على الرغم من مساندته بشكل عام لفكرة تقييد رقعة القتال، فإنه «لا يعتقد أنه سيُحترم الاتفاق... بل سيُخرق»[334].

على الرغم مما تقدم، ظل الأعيان العرب يضغطون - عبر وسطاء بريطانيين - من أجل التوصل إلى اتفاق أكثر شمولا فيما يتصل بالحمضيات. وفي هذا الخصوص اقترح

غاليـلي بنبرة تهكمية التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق نار يشـمل «كل منطقة آكلي الحمضيـات» وليس فقط «منطقة زراعة الحمضيـات». وقدم شرحا لكل من مزايا وعيوب الاتفاق المقترح: الاتفاق لن يطلق يد القوات اليهودية وفي المقابل سـيطلق يد القوات العربية للقيام بعمليات في الضواحي، وسيحرر اللجنة العربية العليا من الضغوط التي يمارسـها عليها أعيان يافا، كما أنه سـينقل مركز القتال إلى مناطق لا تمتلك فيها الهاغاناه ميزة طبيعية. فضلا عن أنه سيُخرج يافا من وضعية «الرهينة اليهودية» الأمر الذي ليس لدينا مصلحة فيه. وفيما يتصل بالإيجابيات أشار غاليلي إلى أن سياسـة الهاغاناه الدائمة كانت في تقييد رقعة انتشـار القتال، وأن اليشـوف مهتـم كذلك بعدم عرقلة عملية الحصـاد وتصدير محاصيله من الحمضيات. فضلا عـن أن الهاغاناه كانت على الدوام معنية بالهدوء في المناطق التي خُصصت لتكون تحـت السـيادة اليهودية، وألا يصيب العرب أذى في تلـك المناطق - «لما لذلك من أهمية وقيمة كبيرة فيما يتصل بالعلاقات المستقبلية مع العرب... كما أن ذلك يمكن أن يخـدم احتياجات الدعايـة اليهودية»- والأكثر من ذلك هـو أن الهاغاناه كانت راغبة في أن يسود الهدوء بما يمكنها من القيام بعمليات التسليح والتدريب[335].

وفي نهايـة المطاف لم يُتوصل على الإطلاق إلى اتفاق رسـمي بين الطرفين. ومن الناحية العملية لم يُفرض حصار تام على يافا، وبشـكل عام استمرت عمليتا الحصاد والتصدير على الجانبين من دون التعرض لأضرار.

كان اسـتيلاء الهاغاناه على المدينة أمرا مسـتبعدا تماما خلال الفترة الممتدة من شـهر يناير حتى منتصف شـهر أبريل؛ إذ كان من المفهوم أن البريطانيين سيمنعون وقـوع ذلك، ومن ثم قـصرت الهاغانـاه جهودها على فرض حصار جـزئي والقيام بعمليـات ثأريـة محدودة وتحرشـات مرحليـة، ممتنعة عن شـن عمليات ثأرية واسعة النطاق- باستثناء ما حدث ليلة 12-13 فبراير عندما قامت وحداتها بتوجيه ضربـات متزامنـة في أبو كبير، وجباليـا وتل الريش وقرية يازور القريبة، ما أسـفر عـن مـصرع 13 عربيا، بمـا في ذلك المختار، وجرح 22 شـخصا، وفـرار العديد من سـكان قرية يازور[336]. كذلك شـهدت أبو كبير هجوما كبـيرا آخر في الثالث عشر من شـهر مارس بهدف «تدمير حي أبوكبير» التي أُخليت خلال الأسـابيع السـابقة من سـكانها وقام عشرات من رجال المليشـيات بحراسـتها. قصفت الهاغاناه الحي

بقذائف هاون محلية الصنع (ديفيدكاس) تحدث ضوضاء كبيرة، بالتزامن مع تفجير خبراء المفرقعات عددا من المنازل[337]. أسفر ذلك عن «ارتجاج المدينة بأكملها وفرار العديد من سـكانها تاركـين منازلهم ...وكان للهجوم أثر مُثبـط للمعنويات بدرجة عاليـة»[338]. وامتد هذا الأثر إلى مناطق بعيدة حتى وصلت إلى غزّة[339]. كما جرت عملية أخرى في الرابع والعشرين من شـهر مارس على جباليا خلفت وراءها قتيلين وعـددا من المنازل المُدمرة[340]. وبحلول منتصف شـهر أبريل كانت الروح المعنوية لسكان يافا منخفضة للغاية من جراء الأحداث التي شهدتها مناطق أخرى من البلاد وبشـكل رئيس دير ياسـين. وفي هذا الخصوص كتب أحد سكان المدينة لصديق أو قريب له في مصر: «إن اليهود قساة. ففي طبريا كما كانت عليه الحال في دير ياسين تصرفوا بطريقة همجية واسـتخدموا فؤوسـا لتقطيع أيدي وأرجل الناس والأطفال. وفعلوا أشياء مُشينة بالنساء، وامتنع كاتب الرسالة عن ذكرها خجلا»[341].

دفعـت تلك الهجمات فضلا عن الهجرة الجماعية وانسـحاب الفرق السـورية والعراقيـة مـن المدينة هيكل إلى القيـام بمحاولة أخيرة لإنقاذ مدينته، فسـافر إلى عـمان سـعيا إلى إقناع الملك عبد اللـه بتحريك وحدات الجيـش العربي إلى داخل يافـا بحلول الخامس عشر من مايـو أو قبيل ذلك[342]. ومع حلول منتصف شـهر أبريل قدرت مصادر اسـتخبارات الهاغاناه أن خمسـين في المائة من سـكان المدينة قد فروا بالفعل[343]. فشـلت الجهود المتتالية التي بذلتها اللجنة الوطنية للحد من تدفق اللاجئين، بما في ذلك قيامها بفرض ضرائب باهظة على من أُجلوا (اُسـتحدثت ضريبة أثاث بلغت 12 جنيها إسـترلينيا وإضافتها عـلى الضريبة المفروضة على كل شخص رحل)، فقد غادرت معظم العائلات الكبيرة (عائلة أبو خضرة إلى غزة، وعائلتا النابلسي والدجاني إلى مصر، وعبد الواحد إلى بيروت، وعائلة بيدس إلى نابلس). ومما لا شك فيه أن فرار الطبقات الوسطى والعليا أدى إلى مزيد من الانخفاض في الروح المعنوية لدى أولئك الذين بقوا في أماكنهم؛ حيث سـادت بينهم البطالة على نطاق واسـع وانخرط بعضهم في عمليات سـلب ونهب لإطعام عائلاتهم. وعلى الرغم من توافر الغذاء، ارتفعت أسـعاره بشكل كبير وارتفع ثمن جوال الدقيق إلى أربعة عشر جنيها إسترلينيا بدلا من سبعة جنيهات قبل ذلك بشهر، كما تدهورت العلاقات بين من تبقى من القادة وأيضا فيما بين المليشيات الموجودة بالمدينة[344].

القدس

طبقا لخطة التقسـيم كان من المقرر أن تصبح القدس (التي ضمنت 100 ألف يهـودي، و50 ألف عربي أو 85 ألفا إلى 90 ألفا إذا ما أضفنا سـكان القرى العربية المجـاورة) منطقـة دولية، على الرغم من كونها محاطة مـن كل الجوانب بالدولة العربية الفلسـطينية والقرى العربية، التي سـيطرت على الطرق المؤدية إليها. وفي هذا السـياق سـاد بين سـكانها اليهود الشـعور بأنهم معرضون للهجوم، بل وأنه تـم التخلي عنهم. ففور صـدور القرار تعرضت الأحياء اليهوديـة خاصة في الجزء الغربي من المدينة لإطلاق النيران من الأحياء العربية، «وخُنقت» المنطقة اليهودية تدريجيا خلال الأشـهر التالية من خلال الحصار الـذي فرض على الطريق الرئيسي المـؤدي إلى تل أبيب. وفي نهاية شـهر مارس- وعلى الرغـم من تبني نظام القوافل والمسـاعدات المقدمة من البريطانيين من وقت إلى آخـر - كانت الأحياء اليهودية تحت حصار شـبه كامل، وعـلى الرغم من ذلك كانت الهاغانـاه والوحدات الأقل عددا من الإرغون والهستدروت مسـلحة ومنظمة بشكل جيد، وخلال المواجهات التـي اندلعت قُصف العرب في المناطق على خط التماس بين الجماعتين - والأحياء العربية شـبه المنعزلة في غربي القدس التي هيمـن عليها اليهود - بقذائف الهاون عـلى نحو متكرر ما أدى إلى تفريغها من سـكانها. (ومع ذلك حدثت عملية إجلاء جـزئي لليهود من مناطق التماس: ففي بداية شـهر يناير 1948 على سـبيل المثال أُجـلي 75 في المائة من قاطني تالبيوت وميكور حاييم في الشـمال، فضلا عن ثلث سكان أرنونا وتالبيوت الوسطى)[345].

بعد مرور سـتة أسـابيع من القتال رصـد جهاز اسـتخبارات الهاغاناه محادثة تلفونية بين الدكتور حسين الخالدي (العضو في كل من اللجنة العربية العليا واللجنة الوطنيـة) وتاجر عربي عُرف على أنه أبو زكي ذكـر خلالها الأول: «الجميع يتركونني وحدي. يوجد حاليا سـتة أعضاء (من اللجنة العربيـة العليا) في القاهرة، واثنان في دمشـق- ليس في اسـتطاعتي الصمود وحدي طويلا... لقد ضاعت القدس... لم يعد هنـاك أحد في قطمون، وأضحى حي الشـيخ جراح خاليا، ويغادر السـكان المدينة القديمة ذاتها. وكل من لديه القليل من المال يسافر إلى مصر أو لبنان أو دمشق»[346]. لقد كانت مبالغات الخالدي فيما يتصل بمستوى الهروب تعكس في حد ذاتها درجة

الارتباك التي سادت آنذاك. فقبل ذلك بثلاثة أيام أوردت استخبارات الهاغاناه أن العرب الذين توجهوا إلى السلطات للحصول على سلاح قد عادوا أدراجهم من دون شيء؛ إذ إنه لم يكن هناك ما يمكن تسليمه لهم. وفي المدينة القديمة، قلب القدس العربية، سادت مشاعر «الإحباط واليأس والفوضى»، وعانى أغلب السكان من البطالة. «ردد البعض أنه من الأفضل العودة إلى سلطة الملك عبد الله أو حتى بقاء البريطانيين في البلاد»[347].

في الوقت الذي شارفت فيه المؤن على النفاد كانت العناصر غير النظامية تدفع فاتورة مشترياتها بإيصالات لا قيمة لها. ومن جانبهم عمد أصحاب المحال إلى إخفاء بضائعهم نتيجة فرض «ضريبة تقدر بعشرة جنيهات إسترلينية يوميا» أو ما يعادلها من بضائع[348]. كما امتنع أصحاب حوانيت البقالة عن البيع بنظام الائتمان[349]. وفي أعقاب تدمير طاحونة الدقيق ببلدة بيت صفافا، عانت تلك البلدة الواقعة جنوبي القدس نقصا حادا في الخبز، وبحلول يناير 1948 ارتفع سعر كيس الدقيق في القدس (ليصل إلى ستة جنيهات إسترلينية بدلا من 1.20 جنيه)[350]، وذلك على الرغم من توافر السلع الرئيسية الأخرى[351]. فخلال هذا الشهر كان السمن النباتي المصنّع يهوديا متوافرا[352] كما تردد أن بعض اليهود كانوا يقايضون السكر في مقابل الخبز والدقيق مع العرب[353].

أدت حالة البطالة الشديدة إلى انتشار عمليات السرقة والنهب، فلم يكن في مقدور الفقراء شراء المنتجات المتوافرة في المخازن[354]. وعلى الرغم من توفير الحكومة حصصا من الدقيق للجان الوطنية لتوزعها، سرق العرب شحنات الدقيق من القطارات ما دفع بالمفوض السامي إلى إيقاف الإمدادات[355]. وبشكل ظاهر كان هناك أيضا تمييز سياسي في توزيع حصص الدقيق، كما أضافت بعض المخابز «بعض المواد الغريبة والضارة» في الخبز[356]. ومن جانبه أقدم مارتن حداد، المفتش العربي المسؤول عن توزيع الدقيق على تجار التجزئة، على سرقة كميات كبيرة منه لبيعها لحسابه، كما باع بعضا منها «بأسعار مبالغ فيها» لليهود[357].

نظمت اللجنة الوطنية حملة لجمع الأموال بهدف تغطية نفقات الحرب، بما في ذلك رسوم حراسة على كل المناطق. وقد شعر المسيحيون العرب بأنه يتم فرض ضرائب باهظة عليهم أو يتم ابتزازهم، بيد أن بعض العرب التفوا على ذلك

من خلال تسديدهم من 2-3 جنيهات إسترلينية شهريا مقابل إعفائهم من رسوم الحراسة (ما يذكر بأساليب الفساد التي مورست خلال فترة السيادة العثمانية)[358]. كذلك كانت هناك عصابات بين فرق الحراسة استغلت موقعها للسرقة. وفي هذا الخصوص نقل جهاز استخبارات الهاغاناه قيام تلك العصابات أحيانا بالبدء في إطلاق النار لإثارة حالة من الذعر والهرب، ليشرعوا بعد ذلك في نهب المنازل المهجورة[359]. أما العناصر غير النظامية فقامت بقطع الطريق على شاحنات التموين وسرقتها، ومن ذلك واقعة سرقة شاحنة محملة بالبيض والدواجن مخصصة للمدينة في مطلع شهر فبراير[360].

أدى وصول اللاجئين القادمين من المناطق المجاورة في الفترة من يناير إلى مارس إلى مزيد من التدهور في الأوضاع، ووصل ارتفاع أسعار الغذاء إلى حد دفع بسكان المدينة إلى تنظيم مظاهرة في السابع والعشرين من شهر فبراير ضد اللجنة الوطنية. وأُخبر المتظاهرون بأن «يصبروا قليلا حتى يتحقق النصر»[361]. أما فيما يتعلق بالأحياء الجنوبية، فاتسم الوضع الاقتصادي في نهاية شهر مارس بالغموض: فمن جانب كان هناك فائض في المنتجات بالمحال نتيجة لبقاء كميات الغذاء التي كانت تباع تقليديا للأسواق اليهودية، وكانت أسعار الخضراوات زهيدة للغاية (على سبيل المثال بلغ ثمن 30 رأسا من الخس عشرة مِل(*))، وعلى الرغم من ذلك لم يكن ممكنا بيع أغلب المحاصيل بسبب الفقر المدقع وعدم قدرة السكان على الشراء، وعلى صعيد آخر لم تتوافر السلع المُعلبة (التي يقبل الأثرياء على شرائها) في حين كان هناك نقص في الأسماك (التي كانت تأتي من يافا) واللحوم. وعمت الفوضى الأجهزة المنوط بها متابعة الأسعار شأنها في ذلك شأن باقي الأجهزة الرقابية، واعتادت عناصر المليشيات الحصول على المواد الغذائية مقابل وعد بالدفع الآجل. أما بالنسبة إلى المنسوجات التي كانت تأتي غالبا من خارج فلسطين فأصبحت سلعة نادرة[362].

خلال الشهور الأربعة للحرب الأهلية انعدمت المواصلات بين القدس العربية وباقي فلسطين أو قُيدت بدرجة كبيرة. وفي مطلع شهر أبريل توقفت خطوط

(*) العملة المتداولة في تلك الفترة هي الجنيه الفلسطيني الصادر عن مجلس فلسطين للنقد (التابع لوزارة المستعمرات البريطانية)، والجنيه يساوي ألف مل. كما شاع استخدام كلمة «ليرة» للإشارة إلى الجنيه الفلسطيني، التي قسمت إلى 100 قرش. [المحررة].

حافلات النقل على طريقي القدس - يافا، والقدس- بيت جالا، بينما تقلص عدد الحافلات من وإلى الناصرة إلى حافلتين يوميا (مقابل تسع حافلات قبيل الحرب)، أما فيما يتعلق ببيت لحم، فقد انخفض عدد الحافلات إلى ثلاث يوميا (مقابل اثنتي عشرة قبيل الحرب)[363]. وفي داخل المدينة انخفض عدد الأشخاص الذين يستخدمون وسائل النقل العام يوميا بنسبة 90 في المائة[364]. ومع حلول شهر أبريل كانت القدس تعاني نقصا حادا في الخبز والملابس والمُعلبات، وكثير من مشتقات البترول[365].

يمكن القول إن الهجرة الجماعية للعرب من القدس الغربية بدأت في الثلاثين من شهر نوفمبر، حيث أجلت حافلات ثلاث أو أربع عائلات من الأحياء المختلطة في روميمة التي هيمنت على المدخل الغربي للمدينة وبداية طريق القدس - تل أبيب. ووفقا للقسم العربي بجهاز استخبارات الهاغاناه، فسّر المسافرون موقفهم على أنه «تمهيدي لعمليات (عسكرية) من قبل العرب»[366]. وفي اليوم ذاته «نصحت» مجموعة من العرب المقيمين اليهود «بمغادرة المنطقة»[367]. وتجدر الإشارة إلى أنه قبل ذلك بأسبوع تلقى سكان منزل يقع في شارع أثيوبيا في وسط المدينة (بالقدس الغربية) «تعليمات» - على الأرجح من قبل سلطات عربية - بترك المنطقة والانتقال إلى أخرى؛ مما عني أن القتال كان وشيكا[368].

بدأ القتال في الأول من ديسمبر بقيام مسلحين عرب وآخرين يلقون الحجارة بمهاجمة منازل يهودية عند بوابة يافا ومحاني يهودا، فضلا عن قيام مجموعة بالهجوم، في الثاني من ديسمبر، على المركز التجاري الجديد في وسط المدينة؛ إذ أشعلوا النيران في عشرات المحال وورش العمل وسرقوا محتوياتها، كذلك جُرح 22 يهوديا. وعلى الرغم من فشل القوات والشرطة البريطانية في التدخل ضد مثيري الشغب فإنه أُلقي القبض على 16 من عناصر الهاغاناه الذين كانوا يتصدون للعرب[369]. وأشارت التقارير عن تلك الليلة إلى قيام عناصر من الإرغون بنهب محال عربية في القدس الغربية[370] كما أضرمت مجموعة من اليهود النيران في دار سينما ركس والمنازل العربية المجاورة[371]. ووجهت الإرغون في اليوم التالي إنذارا إلى مختار لفتا (قرية تقع غربي روميمة) مهددا بقصف القرية بالقنابل إذا ما تعرض أي من اليهود للضرر في روميمة[372]. وشهدت مناطق متعددة من المدينة

إطـلاق القناصة النيران على الأحياء اليهوديـة، الأمر الذي جعل الهاغاناه ترد عليه من وقت إلى آخر. وردا على استفسـارات السـكان للهاغاناه حول كيفية التصرف - كما كانت الحال من قبل سـكان يمين موشي- تمثل الرد في أهمية أن يلزم سـكان مناطق التماس أماكنهم[373].

أُجـلي بعض العائلات العربية في الرابع من شـهر ديسـمبر مـن قرية لفتا، كما أُجليـت عائلات يهودية عدة من حي الطالبية المختلط والمزدهر في وسـط القدس الغربية[374]. وكان واضحا صدور تعليمات لسكان لفتا من قبل السلطات العربية بإجلاء النسـاء والأطفال والاستعداد لاستقبال حملة من المليشيات. وفي تلك الأثناء قامت مجموعة مكونة مما يقرب من 20 شـابا يهوديا شرقيا وحشد مـن العامة - ضم وفقا لتقديـرات مراقبين تابعين للهاغانـاه ما يقرب من 200 شـخص من الأطفال والبالغين من المجتمعات اليهودية الشرقية - بأعمال شغب بوسط المدينة بالقدس الغربية؛ حيث أضرموا النيران في المحال العربية[375]. وقد حاولت كل من الشرطة البريطانية والهاغاناه إيقافهم. وأعقب ذلك مغادرة مزيد مـن العائـلات العربية روميمة[376]. أمـا في المدينة القديمة، ففـر ما يقرب من 1500 شخص (من إجمالي 3500 يهودي متدينين - أرثوذكس كانوا يقطنون الحي اليهـودي) بطريقة منظمة إلى القدس الغربية، في حين انتقلت العائلات العربية التـي كانـت تعيش داخل أو في المناطـق المحيطة بالحـي إلى المناطق العربية، وسرعان ما اسـتولت عناصر المليشيات العربية المسـلحة على منازلهم (وكذلك بعض من منازل الأرمن)[377]. وبحلول الأسـبوع الثاني من شـهر ديسمبر أضحى تبـادل النيران بين مناطق التماس وتلك الواقعة داخل المدينة القديمة من الأمور اليومية المعتادة، وبدأت عناصر المليشيات العربية بنصب الكمائن لوسائل النقل اليهوديـة على طول طريق القدس- تـل أبيب، في حين ألقى عناصر من الإرغون قنابل عـلى المناطق العربية المزدحمـة داخل المدينـة[378]. ووردت تقارير عن إجـلاء عائلات عربية من مناطق قطمون وميكـور حاييم. وأخطر الأفراد الذين تـم إجلاؤهم مـن ميكور حاييم كل مـن قابلهم من اليهود بأنهـم تلقوا أوامر بذلك، على الأرجح من قبل السـلطات العربية[379]. وفي المقابل رفضت العائلات اليهودية في أحياء تالبيوت نصيحة جيرانهم العرب بالرحيل[380].

جرت أولى موجات الإجلاء الجماعية من أحياء القدس في ديسمبر 1947- يناير 1948 من قرى ضواحي لفتا والشيخ بدر وفي المنطقة العربية في روميمة. وبصفة مبدئية كانت التعليمات الصادرة لدوريات الهاغاناه تقضي بالمرور في ضواحي مدينة لفتا وعدم دخول القرية مع تعليق لافتات (غالبا تحذّر السكان من البدء في أعمال العنف)[381]. ومع ذلك فإنها تبادلت من وقت إلى آخر إطلاق النار مع عناصر المليشيات في القرية[382]. وفضلا عن ذلك اتسمت العمليات التي قامت بها كل من الإرغون والهستدروت بالعدوانية. ففي منتصف شهر ديسمبر تمركزت عناصر غير نظامية من القرى المجاورة في لفتا بغرض الدفاع عن الموقع وكذلك إنهاك المناطق اليهودية المجاورة. وفى حين كان القرويون المتقدمون في السن يرغبون في السلام، فإن العناصر الشابة كانت، وفقا لمصادر استخبارات الهاغاناه، «أكثر تحمسا»[383]. ومع بداية شهر يناير عانت لفتا نقصا في الخبز[384] كما أنه بدأ منذ الثامن العشرين من ديسمبر في إجلاء النساء والأطفال من القرية[385]. وعلى الرغم من رحيل أغلب القرويين في مطلع يناير (إلى رام الله)[386]، بقيت العناصر غير النظامية ومنتسبو الجيش العربي. وفي الخامس عشر من يناير، أو حول ذلك التاريخ، صدرت الأوامر إلى القرويين بالعودة إلى ديارهم[387] وهو على ما يبدو ما انصاع له بعضهم أو أغلبهم. وقام عبدالقادر الحسيني بزيارة القرية بعد ذلك بأسبوع وأمر الرجال بالبقاء و«النساء والأطفال وكبار السن» بالمغادرة[388]. وبالفعل رُصد النساء والأطفال يغادرون[389]. وفي التاسع والعشرين من شهر يناير قامت الهستدروت بالإغارة على القرية وتدمير ثلاثة منازل[390]. وفي مطلع شهر فبراير عاد كل أو أغلب سكان لفتا إلى رام الله (وكانوا يشتكون من أن المحليين «يسخرون منهم» وأنهم كانوا محصورين، في لفتا، بين العناصر غير النظامية التي استخدمت منازلهم لمهاجمة اليهود، وبين اليهود الذين قاموا بأعمال انتقامية دمروا خلالها منازلهم وأوقعوا قتلى بينهم)[391].

بدأت دائرة العنف - التي أدت إلى الإسراع من عملية إجلاء روميمة- بهجمات على طرق مرور اليهود المغادرين للقدس وإقدام الهاغاناه في الرابع والعشرين من ديسمبر على قتل عطية عادل من قرية قالونيا ومالك محطة البترول في روممية والذي عمل مرشدا للعناصر غير النظامية ليخبرها – مستخدما دراجته النارية -

عـن القوافل اليهودية[392]. وفي اليوم التـالي انتقم القرويون لذلك بإلقاء قنبلة على حافلـة يهودية. ومنذ ذلك الوقـت تم تبادل إطلاق النار بشـكل يومي داخل وفي محيط روميمة (ولفتا) وشـنت كل مـن الهاغاناه والإرغون والهسـتدروت غارات ليلة السـادس والعشرين من ديسـمبر[393]، كما شـن الإرغون غارة أخرى في اليوم التالي أسـفرت عن تدمير محطة بـترول ومقهى مخلفة وراءها على الأقل خمسـة قتلى من العرب[394]. وبشـكل ظاهر تم إجلاء بعض السكان تحت حماية بريطانية وبطريقة منظمة[395]. ووصفت تقارير اسـتخبارات الهاغاناه في مطلع يناير روميمة بأنهـا خالية[396] على الرغم من بقاء بعض رجال الميليشـيات وعودة السـكان على الأقل في زيارات قصيرة للاطمئنان على ممتلكاتهم[397]. وقد أدت المكالمات التلفونية والخطابات المتضمنة تهديدات دورا كبيرا في رحيل السكان من المناطق المجاورة[398]. وفيـما يتصل بالتغيـيرات الديموغرافية في المدينة، أوضح قائـد الهاغاناه في القدس (إسرائيل زابلودفسـكي المعروف باسم أمير) لبن غوريون، في العشرين من يناير، أنه في روميمـة ذات الأغلبية العربية كان اليهود يرغبون في الرحيل، «إلا أن الهاغاناه لم تسمح لهم بذلك»، وفي المقابل رحل العرب. واختتم بقوله إن «طرد» السكان العرب سهل مهمة الهاغاناه[399].

قام سكان الشيخ بدر (التي تقع اليوم بين الكنيست وبنياني هاؤوما(*)) بالجلاء عن ديارهم في منتصف يناير على إثر عملية انتقامية أو أكثر شنتها الهستدروت (ردا على عمليات قنص من قبل العرب)، أسفرت عن تدمير منزل المختار، الحاج سليمان، فضلا عن غيره من المنازل خلال غارات شـنتها الهاغاناه. وأورد جهاز الاسـتخبارات البريطانيـة أن الهاغاناه أمرت سـكان الشـيخ بدر بالرحيـل[400]. الأمر الذي نفذه الكثيرون منهم في الرابع عشر من شـهر يناير[401]. في حين سـلم عدد من السـكان مفاتيح منازلهم لجيرانهم اليهـود الذين وعدوا بالقيام بحمايتها[402]. بيد أن اليهود في منطقـة نحلؤوت الفقيرة المجاورة نهبوا القرية. كذلك فإنه في ضوء المخاوف من قيـام العناصر العربية غير النظامية بمعاودة السـيطرة عـلى الموقع أقدمت عناصر مـن الهاغانـاه على دخول القريـة وقامت، من خلال إطلاق النـار في الهواء، بطرد «قطـاع الطرق» اليهود (الذين قُبض على اثني عشر منهم بالأسـلحة البيضاء)[403].

(*) المركز الدولي للمؤتمرات في القدس.

وفي التاسع عشر من يناير أمّنت الشرطة البريطانية خروج السكان الباقين في الشيخ بدر الذين توجهوا إلى لفتا[404]. كما دخلت الشرطة لحماية المنازل التي أُخليت من سكانها. وبمجرد إتمام الرحيل عاد سكان نحلوؤن إلى المنطقة وأحرقوا ونهبوا كل ما تبقى[405]. إزاء الأحداث التي شهدتها منطقة الشيخ بدر قام عدد من المثقفين اليساريين، من بينهم رئيس الجامعة العبرية جودا ليب ماغنس والفيلسوف مارتن بوبر بمناشدة سكان القدس التوقف عن نهب وقتل العرب[406].

ضمت مدينة الطالبية (جنوب غربي ريحافيا) خليطا من العائلات الثرية اليهودية والعربية (أساسا المسيحية) التي عاشت في تناغم نسبي قبيل العام 1948. بيد أن العمليات القتالية أسفرت تدريجيا عن تقويض التعايش السلمي الذي ساد من قبل، على الرغم من المساعي المبذولة من كل من المجموعتين للإبقاء عليه في مواجهة مد الحرب الذي زحف على المدينة. ففي بداية شهر يناير أسفر اجتماع ضم الجيران العرب عن قرار بمقاطعة الباعة العرب الجائلين، باعتبارهم من «أدخلوا الصراع إلى المنطقة»، وناشدوا اليهود الانضمام إليهم في ذلك[407]. كما اقترحوا تأسيس لجنة مشتركة من الشرطة العربية - اليهودية - البريطانية في الموقع[408]. ولكن سرعان ما خضع السكان إلى ضغوط من العرب في الخارج الذين هددوهم بالانتقام «إذا ما استمروا في الإبقاء على علاقات ودية مع الهاغاناه وتقديم مشروب الشاي لعناصرها». كما هددت العناصر غير النظامية ربات البيوت في الطالبية، خلال قيامهن بالتسوق في منطقة المستوطنة الألمانية المجاورة، بأن «الوقت سيحين للترتيب (من خلال قيامهم بأعمال استفزازية) لقيام اليهود بقتلهم... وأن عديدا من المسيحيين يرغبون في مغادرة ديارهم ومدينتهم بيد أنه قد تم تحذيرهم بأنهم إذا ما أقدموا على ذلك سيُقدم (عرب آخرون) على تدمير منازلهم وسرقة ممتلكاتهم». وطبقا لتقرير من القسم العربي لأجهزة استخبارات الهاغاناه قام اليهود كذلك بتخويف السكان من وقت إلى آخر. وفي مطلع شهر فبراير «طلب» اليهود من بعض العائلات التي كانت تسكن في كرم الرهبان (وهي منطقة مجاورة تقع غرب الطالبية)، أن يغادروا منازلهم. وعلى وجه التحديد دخلت مجموعة مكونة من 10-13 يهوديا منزل جورج مشبك للبحث عنه واتسمت تصرفاتها بالخشونة. كما تلقت عائلة وهبة إنذارا بأن تترك المكان على الفور[409]. وبحلول العشرين من فبراير كان

باســتطاعة زابولدفســكي أن يكتب في تقريره: «إن الطالبية في طريقها بشكل مطرد لتصبح يهودية على الرغم من بقاء القليل من العرب»[410].

كان الهجــوم الذي شــنه العرب في العاشر من فبراير عــلى يمين موشي (منطقة يهوديــة تقع شرق الطالبية) حاســما في هــذا الخصوص. وعلى الرغــم من أنه قد يكــون الســبب وراء هذا الهجوم قيــام اليهود بعملية قنص باتجــاه حافلة عربية، فقــد تمــت مواجهته من قبل نــيران الهاغاناه والقوات البريطانيــة، مما خلف أكثر من اثنــي عشر قتيلا[411]. وخــلال المعركة (أو بعدها مباشرة) شُــوهدت العائلات العربيــة تغادر الطالبيــة حاملة معها أمتعتهــا[412]. وفي الحادي عشر من الشــهر طافت سيارة تابعة للهاغاناه المدينة «محذرة العرب من انتقام الهاغاناه، ما دفعهم إلى الفرار». عارضت المؤسســات العربية الوطنية هذا الفرار واســتخدمت وســائل الترغيب والترهيب «طالبة من العرب البقاء ومستعدية الجيش البريطاني... وعندما وصلت الشرطة قبضت على ركاب الحافلة». وحقيقة الأمر، كانت السلطات العربية تخــشى بشــكل واضح من أنه إذا ما تمكنت الهاغاناه مــن التمركز في الطالبية فإنها ســتتقدم جنوبا لتسيطر على مزيد من المناطق العربية، أو العربية جزئيا، من قبيل المســتوطنة الألمانية و«بقعة»[413]. وعلى الرغم مــن أن بعض يهود الطالبية أخبروا جيرانهــم العرب بأنــه «ليس هناك ما يدعوهم إلى الخوف»، فرت ما بين 60 إلى 70 عائلــة عربية ولم تبق ســوى ثلاث عائلات فقط، الأمر الذي قُوبل بنقد شــديد من قبل الســلطات العربية التي وصفت عملية الهرب بأنها «مُخزية ومُتسرعة». فضلا عــن أنه كان هناك حديث عن أخــذ الثأر من «العرب الأغنيــاء الذين تعاونوا مع اليهــود في الطالبية»، وعلى الرغم من كل ذلــك أخفقت جميع الجهود التي بُذلت لإقناع الســكان بالبقاء وتعاظم الشــعور بالمهانة[414]. قررت اللجنة العربية العليا، وعــلى الأرجح قامت بنشر قرارها، بأن كل المنازل التي هُجرت من قبل ســكانها في الطالبية ســيتم السيطرة عليها وســتتمركز بها العناصر غير النظامية[415]. ومع ذلك رحــل مزيد من العائلات في اليوم ذاته أو الأيــام التالية على ذلك[416]، وعلى الرغم مــن تواتر معلومات عن عودة بعــض العائلات (ربما فقط بشــكل مؤقت لحماية وأخــذ أمتعتهم)[417]، فإنه من حيــث الواقع كانت المناطق المجاورة قد تم أُخليت. وبقي عدد قليل من الرجال العرب، «حازمين أمتعتهم ومســتعدين للمغادرة في أي

لحظة». بيد أن القائد العربي في المنطقة منعهم من ذلك، كما سعى العرب المتبقون إلى إقناع الهاغاناه بترك الطالبية على الحياد أو كمنطقة بعيدة عن القتال[418]. الأمر الذي رفضته الأخيرة ـ وانتهى بهم المطاف إلى الرحيل.

طبقـا للهاغاناه، ســادت الأحياء العربية في القدس بحلول منتصف شــهر يناير حالة من «اليأس والذعر»، فمجرد تناقل شائعة عن إلقاء أو وجود قنبلة يهودية كان الســكان يتدافعون للهروب المذعور مــن كل المناطق المجاورة. وحتى أولئك الذين لا يملكون الكثير من المال بدأوا في الفرار على الرغم من فرض اللجنة العربية العليا لغرامات على أقارب من يترك البلاد. أما فيما يتصل بالمســيحيين، فقد ردد الكثيرون منهــم بصوت عال أن «حكم اليهود كان أفضل من حكم المبتزين العاملين لمصلحة الحســيني»[419]. وخلال الفترة من ديسمبر إلى فبراير غادر عديد من السكان العرب في أو بالقرب من مناطق الجوار اليهودية في الطالبية وميكور حاييم (جنوبي القدس) وقريــة بيت صفافا المجاورة، إما تنفيذا لأوامر عربية (لإبعادهم عن منطقة الخطر أو لإخلاء منازلهم لعناصر المليشــيات القادمة)[420] أو بسبب الهجمات اليهودية أو الخوف منها[421]. وكانت الغارة التي شنتها الهاغاناه على بيت صفافا في الثالث عشر مــن فبراير والتي قتل خلالها محمود العمري القائد الإقليمي للمليشــيات[422] من الأسباب الرئيسية للنزوح من المنطقة. ووفقا لما تردد، أضحت بيت صفافا بعد مرور بضعة أيام خالية بشكل شبه تام[423].

شهد شهر يناير أيضا إجلاء كثير من قاطني المناطق المجاورة في كل من «الشيخ جراح»، ومصرارة، وأبوطور[424]. وجرت عملية الإجلاء في الشيخ جراح على مرحلتين: الأولى في الأســبوع الأول من يناير وبشكل تلقائي[425]، والثانية خلال الأسبوع الأخير من الشــهر ذاتــه من جراء غارة شــنتها الهاغاناه وأســفرت عن حــرق اثني عشر منزلا[426] وأخرى من قبل الهستدروت في اليوم التالي[427]. وربما كانت عملية الإخلاء قد جرت جزئيا بتنســيق مع ومســاعدة من البريطانيين الذين رغبوا في وضع نهاية لأعمال القتال داخل المدينــة وفي المناطق المحيطة والمجاورة لها، التي تمثل مداخل الطريق الرئيسي للخروج من المدينة باتجاه الشــمال[428]. وكان الســبب الأول وراء الرحيل من مصرارة خلال ذلك الشهر هو الخوف من الهجمات اليهودية[429]، فضلا عن اســتيلاء وحدة من المتطوعين السوريين على المنازل[430]، أما بالنسبة إلى أبوطور

(ذات الأغلبية المسيحية)، فقد تمثل سبب الرحيل في وصول عناصر المليشيا من الخليل والمعروف عنهم «كراهيتهم الشديدة للمسيحيين». وطبقا لمصادر الهاغاناه قام القادمون من «الخليل» بـ «الاستيلاء على أموال المقيمين وسبهم»[431]. وبنهاية شهر مارس أجلي «معظم سكان مصرارة»[432].

فيما يتصل بحي قطمون المزدهر ذي الأغلبية العربية شبه التامة، فقد هُجر بشكل كبير خلال الشهور الأربعة الأولى من الحرب الأهلية، وقامت حفنة من السكان اليهود في الجوار بالمغادرة خلال الأسابيع الأولى من القتال، سواء نتيجة الخوف أو من جراء عمليات الترهيب العربي[433]. ورصدت الهاغاناه عربا مسلمين يغادرون الحي منذ العاشر من شهر ديسمبر[434] وأضحت قطمون الجنوبية خالية من السكان- بمساعدة من البريطانيين في عملية الإجلاء- في مطلع شهر يناير[435]. بيد أن العامل الرئيسي الذي دفع إلى الهروب خلال الشهور الأولى كان من دون شك الغارة التي شنتها الهاغاناه في ليلة 5 - 6 يناير، والتي تم خلالها تدمير فندق سميراميس نتيجة اقتناعها بأن عديدا من قادة العناصر غير النظامية تقطنه وأنه- وربما يكون ذلك خاطئا- يضم مركز القيادة العامة للمليشيات في المناطق المجاورة[436]. وقد لاقى ما يزيد على أربعة وعشرين شخصا- ربما من بينهم كثير من العناصر العراقية غير النظامية - حتفهم نتيجة الانفجار[437] (كذلك نائب القنصل الإسباني مانويل أليندي سالازار). ومن جانبها نفت حكومة الانتداب أن يكون الفندق مركزا لقيادة المليشيات ودانت الهجوم باعتباره «عملية قتل جماعي خسيسة»[438]. واستدعى كاننغهام بن غوريون لتوبيخه واصفا ما حدث بأنه «سُبة للحضارة» وناعتا الذين خططوا للعملية في الهاغاناه بأنهم «قتلة». من جانبه أوضح بن غوريون (الذي بدا عليه الانزعاج بشكل واضح) أن «العملية نُفذت من دون سند من التعليمات المركزية»[439]. كما عبرت الوكالة اليهودية رسميا عن «أسفها للخسائر في الأرواح البريئة» وفي الوقت ذاته انتقدت التصريحات العلنية من قبل حكومة الانتداب والتي لم تدن- وفقا للوكالة- انتهاكات عربية مماثلة[440]. وأخيرا أخطر بن غوريون كاننغهام أنه أُستبعد ضابط الهاغاناه المسؤول عن العملية - ميخائيل شيختر نائب قائد منطقة القدس المعروف بشاهام - من القيادة[441].

كان للعملية تأثير مدمر في معنويات سكان قطمون فقد «عمقت من الشعور بعدم الأمان... وسار عديد من الذين تحدثوا عن المسألة الفلسطينية والدفاع عن البلاد حتى آخر قطرة من دمائهم ورؤوسهم محنية في الشوارع لخجلهم من النظر إلى أصدقائهم في أعينهم»[442]. وفورا بعد الانفجار أوردت استخبارات الهاغاناه ما يلي:

> *كثير من العائلات تغادر قطمون، بعضهم إلى مصر والبعض الآخر إلى لبنان ... قرر كثيرون أن... الحسيني قد زج بهم في اضطراب هائل ... فالوضع الاقتصادي سيئ للغاية، ولا يوجد بيض أو خبز إلخ... وقد أوقع تفجير المنازل في المنطقة الخوف في نفوس كل سكان قطمون، الذين أقروا بأن اليهود أكثر تنظيما اقتصاديا وأن العرب لا يمكنهم الصمود أمام مثل هذا التنظيم*[443].

كان أغلب الفارين من النساء، والأطفال، وكبار السن[444]. وقد حاولت السلطات العربية كبح عملية الفرار[445] ما أدى إلى عودة عديد من الشباب - الذين سبق لهم الهروب إلى المدينة القديمة - إلى قطمون[446]. وقد ذكرت هالة السكاكيني أن بعض السكان القدامى تشبثوا بقوة بأماكنهم وأنه «أينما رأوا أشخاصا ينتقلون بعيدا، حاولوا تشجيعهم على البقاء»، مضيفة أنهم كانوا يقولون لهم: «عليكم أن تشعروا بالخجل من الرحيل، فهذا هو بالضبط ما يريد اليهود أن تفعلوه، أن تتركوا دياركم وأن يقوموا هم باحتلالها، وذات يوم ستجدون أن قطمون قد أضحت حيا يهوديا آخر!»[447]. وعلى الرغم من ذلك، خلت معظم المناطق من سكانها تدريجيا وانتقلت العائلات إلى المدينة القديمة أو خارج المدينة، في حين توجه عدد قليل منهم إلى قطمون الجنوبية بجوار القنصلية العراقية التي قامت كتيبة من الفيلق العربي بحمايتها[448]، ومن جانبهما قامت كل من الهاغاناه والهستدروت بتفجير منازل إضافية في قطمون ليلتي التاسع والثالث عشر من شهر مارس[449]. وبحلول نهاية الشهر لم تكن هناك غير حفنة من العائلات التي بقيت تحت حراسة عناصر غير نظامية تمركزت في دير سان سيمون بالقرب من القنصلية العراقية[450].

تقدم مذكرات المدرس والكاتب الفلسطيني خليل السكاكيني، أحد سكان قطمون ووالد هالة، نظرة عميقة حول الحالة الذهنية لأولئك الذين بقوا في

الجوار، فقد سجل في السادس عشر من مارس ما يلي: «ربي... أنا لا أعلم كيف سنتمكن من الصمود أمام اعتداء اليهود: إنهم مدربون ومنظمون ومتحدون ومسلحون بأحدث أنواع السلاح؛ أما نحن فليس لدينا شيء»[451]. وفي العشرين من مارس كتب:

> *يقوم اليهود منذ منتصف ليلة الأمس بمهاجمة المنطقة المجاورة لنا بقوة ... قذائف المدافع والرصاص... وحتى اللورد كيتشنر [وزير الحرب البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى] ربما لم يصل إلى مسمعه طوال حروبه ما سمعناه الليلة الماضية... في هذا الموقف، ما الذي يُثير الاستغراب في رغبة السكان في الانتقال إلى منطقة أخرى مجاورة أو مدينة أخرى... الكثيرون هاجروا إلى المدينة القديمة، أو إلى بيت جالا، أوعمان أو مصر وغيرها من الأماكن. فقط القليلون الذين لهم ممتلكات هم الذين بقوا»*[452].

بحلول 13 أبريل، وبفترة قصيرة قبيل مغادرته هو وعائلته إلى فلسطين، كتب السكاكيني ما يلي: «صباحا ومساءً نسمع قذائف المدفعية ونيران الأسلحة كما لو كنا في ساحة قتال... لا يمكننا الخلود للنوم، ونقول إنه عندما يحل الصباح سنرحل... من قطمون إلى مكان آخر، أو نغادر البلاد كلها»[453].

تمثل العامل الرئيس الذي عجل من فرار الجانب الأكبر من السكان العرب غربي وجنوبي القدس في الهجمات العسكرية اليهودية والخوف منها. وإلى جانب ذلك توفر عامل ثانوي عاد إلى التوترات بين المسلمين والمسيحيين، والمعارضة والحسيني، فضلا عن تلك التي كانت قائمة بين العائلات المسيحية والمعارضة، والتي كانت تحوم حول أغلبها في هذه المناطق شكوك المليشيات وتهديداتها وابتزازها للأموال. وقد سيطر على عقول هذه العائلات شبح أعوام 1936-1939 عندما قام رجال الحسيني المسلحون بإرهاب المعارضة والعائلات المسيحية[454]. وأخيرا كان هناك خوف عام من المستقبل.

مع نهاية المرحلة الأولى من الحرب الأهلية أضحى كل من غرب وجنوب القدس يهوديا تماما، ومن تبقى من العرب هناك كانوا من رجال المليشيات المسلمة والعائلات المسلمة الفقيرة، كما فر بعض السكن من مناطق في شرق وشمال المدينة.

بداية النزوح الجماعي لسكان المناطق الريفية
ديسمبر- مارس 1948

على الرغم من أن الفرار من الريف كان في بدايته محدودا للغاية واقتصر على حفنة من القرى في ديسمبر 1947، فإنه سرعان ما تحول إلى هجرة مطردة - على الرغم من استمرارية محدوديتها - خلال شهري يناير وفبراير 1948. وفي شهر مارس (كما كانت الحال في شمالي تل أبيب) تحول الأمر إلى رحيل جماعي. وبشكل عام فإن الهجرة كانت محصورة في مناطق متاخمة للتجمعات اليهودية الرئيسية وكان السبب وراءها يتمثل في الهجمات الانتقامية التي شنتها الهاغاناه (وبدرجة أقل الإرغون والهستدروت) والخوف من مثل هذه الهجمات، فضلا عن أوامر السلطات العربية بإجلاء قرى بالكامل أو النساء والأطفال وكبار السن. وفضلا عن ذلك فإن كثيرا من التجمعات العربية هُوجمت أو حُوصرت وطُرد سكانها من قبل وحدات الهاغاناه، في حين دُفع البعض الآخر إلى الفرار من خلال عمليات الترهيب التي مارسها عناصر الإرغون، وأيضا الترهيب الذي مارسته العناصر العربية غير النظامية في مواقع عديدة.

السهل الساحلي

تجلت عملية الفرار من الريف خلال تلك الفترة بشكل واضح في منطقة السهل الساحلي، بين كل من تل أبيب وحديرا، حيث شكل اليهود الأغلبية، كما أنه طبقا لخطة التقسيم كانت تلك المنطقة تمثل صميم الدولة اليهودية.

ووفقا لسجلات القسم العربي بجهاز استخبارات الهاغاناه تمثلت القرى الأولى التي جرى هجرها بالكامل في التاسع والعشرين من ديسمبر في المخيزن والمنصورة القريبتين من رحوفوت[455]. وفر سكان قرية المنصورة (نحو 100 فرد) إلى النعاني وقزازة، أما سكان المخيزن (نحو 200 شخص) فقد فروا إلى قزازة والمسمية. وقد تم إجلاء سكان القريتين في أعقاب هجوم انتقامي من قبل الهاغاناه على قرية قزازة في التاسع عشر من ديسمبر، أسفر عن مقتل قرويين وسقوط عديد من الجرحى، فضلا عن إحداث تدمير جزئي لمنزل المختار، نتيجة لقيام سكان قزازة بقتل ضابط من الهاغاناه قبل ذلك بأيام قليلة، وفي ضوء خوفهم من الانتقام أرسلوا في

السادس عشر من ديسمبر كثيرا من النساء والأطفال إلى مناطق آمنة في النعاني القريبة. وفي أعقاب هجمة التاسع عشر من الشهر نفسه أُجلي مزيد من النساء والأطفال. وأوضح تقرير للقسم العربي لجهاز استخبارات الهاغاناه أن «الانتقام» (في قلب منطقة ذات أكثرية عربية) «ترك تأثيرا قويا»[456]. (يلاحظ أن آخر من تبقى من سكان قزازة طُردوا على أيدي قوات الدفاع الإسرائيلية بعد مرور سبعة أشهر في السادس عشر من يوليو)[457].

في الوقت ذاته تم كذلك إجلاء النساء والأطفال من خربة بيت لد (1 ديسمبر)[458]، وسلمة (خارج يافا في 6 ديسمبر)[459]، وخربة عزون أو تبصر (شمال رعنانا في 21 ديسمبر تنفيذا لأوامر صادرة من نابلس). وتمثلت التعليمات الصادرة لخربة عزون في الحفاظ على «علاقات طيبة» مع اليهود ولكن ظاهريا فقط، «ففي اليوم الذي سيحدث فيه انقضاض عربي شامل على المستوطنات اليهودية فإنه سُيجلى كل سكان القرية، وانتظارا لذلك يلزم إظهار البراعة في التعامل»[460]. وتقليديا، كانت هناك علاقات طيبة بين سكان القرية وجيرانهم اليهود[461]. أما في الشمال، فقد صدرت أوامر متكررة من اللجنة العربية العليا - خلال شهري يناير وفبراير 1948- إلى الرجال في خربة السركس بإخراج النساء والأطفال، بيد أنها قوبلت بالرفض[462]. وفي الحادي عشر من فبراير تم إجلاء مزيد من السكان من خربة عزون نتيجة الخوف من العمليات اليهودية[463].

في الخامس عشر من شهر ديسمبر 1947 قامت قبيلة عرب البلاونة البدوية - التي عاشت في عدة مخيمات بالقرب من ناتانيا وضمت إجمالا 350 شخصا- بحزم ممتلكاتها والتحرك في اتجاه الشرق لتستقر بالقرب من طولكرم[464]، وكان قد سبق لها أن تلقت الأوامر، منذ 1 أو 2 ديسمبر، من السلطات في طولكرم بالاستعداد للانتقال[465].

كانت أول قرية تُخلى بالكامل في منطقة تل أبيب هي صميل شمالي المدينة، في الخامس والعشرين من ديسمبر. انتقل القرويون إلى الجماسين القريبة ما تسبب، على الأرجح، في تثبيط همم مضيفيهم[466]. فقد سبق أن غادر بعض القرويين الجماسين ذاتها في الأول من ديسمبر[467]. حيث أصدرت السلطات العربية الأوامر لسكان القرية بالكف عن العلاقات الجيدة الذين عرفوا بها مع اليهود[468]؛ وهو

مـا أدى إلى شـعورهم بالوقوع في شرك. وعلى حين بدا أنهـم حاولوا إبعاد العناصر غير النظامية، رصدت الكشـافة اليهودية خلال أسابيع وجود «مجموعة صغيرة من العصابات المسـلحة» قادمة من الخارج في شـوارعها الضيقة شرعت منذ الثاني من ديسـمبر في قنص الحافـلات اليهودية المارة، الأمر دفع الهاغاناه إلى إرسـال دورية للمنطقة التقت في طريقها بشـخص عربي بادر بالسؤال عما إذا كان هناك خطر في البقـاء، فكان الرد بأنه «ليس هناك ما يدعو إلى الخوف». فذكر العربي أنه تم أُجلي كل النساء والأطفال والحيوانات إلى عرب أبو كشك (قرية كبيرة تقع إلى الشمال) ولم يبق إلا صانعو المشـاكل وعناصر المليشيات[469]. وفي ذلك اليوم (أو اليوم التالي) بدأ السـكان المتبقون «في الرحيل مذعوريـن»[470]. وفيما يتعلق بمختار القرية، وكذلك مختار صميل المجاورة، فقد تردد أنه اُحتُجزا في يافا لقيامهما بالاتجار مع اليهود[471] أما بالنسـبة إلى من بقي من السكان فقد رحلوا خلال شهري مارس وأبريل إلى كفر قاسم وجلجولية[472].

كما سـبق أن رأينا، في المنطقة الموجودة مباشرة في الشـمال، فإن قرية الشـيخ مونـس الكبيرة، شـمالي نهـر العوجة، وقبيلة أبو كشـك، التي عاشـت بين العوجة وهرتسـليا- رعنانا، كانتا قد قبلتا حماية الهاغاناه خلال الأسـابيع الأولى من الحرب ووافقتا على العيش في سلام وأن تبتعدا عن العناصر غير النظامية. وعلى مدار الأعوام تمتعـت كل منهما بعلاقات صداقـة مع جيرانهما اليهود (يُذكر أن قبيلة أبو كشـك هاجـرت إلى فلسـطين قادمة من مصر في منتصف القرن التاسـع عـشر، وفي العام 1948 أضحـى أغلب أفرادها فلاحين يقيمون في منـازل أو أكواخ على الرغم من أن كثيرين ظلوا يعيشـون في خيام). لكن العلاقات لم تكن دائما سهلة بين الطرفين. ففي العام 1946 قام ثلاثة رجال من الشـيخ مونس باغتصاب فتاة يهودية. وبالإضافة إلى إجـراءات التقاضي، قامـت الهاغاناه بإطلاق النار وجرح أحـد المهاجمين، واختطفوا آخر وقاموا بخصيه قبل إيداعه المستشـفى)[473]. وقد أثرت بداية عمليات القتال في المنطقة تدريجيا على طبيعة العلاقات القائمة. في الأول من ديسـمبر شوهد السكان يغادرون الشـيخ مونس التي كانت تطل على مهبط تل أبيب (مطار سـدي دوف) والطريـق السـاحلي الرئيسي تل أبيب – حيفـا[474]. ولكن إجمالا بقي السـكان في أماكنهـم واثقين في اتفاقهم مـع الهاغاناه، ورفض القرويـون مطلب رفيق التميمي

(قائد اللجنة العربية العليا في يافا) بأن يؤسسوا لجنتهم الوطنية[475]. خلال شهري يناير وفبراير جرى إطلاق نار من وقت إلى آخر (وبشكل غير كثيف) من الشيخ مونس وضواحيها في اتجاه المنازل اليهودية. سارع الأهالي بتقديم تفسيرات مختلفة في حين حافظت الهاغاناه على السلام. ومع ذلك قبلوا بنقل بعض السكان، الذين كانوا يقيمون على الأرجح بشكل مؤقت، إلى قطعة أرض جنوبي نهر العوجا، وسمحت الهاغاناه للقرويين بصيد السمك من النهر (الذي كان متاخما لتل أبيب)[476]. وفيما يخص أبو كشك فإنه رفض السماح بدخول العناصر التابعة لجيش الإنقاذ وأوضح لمندوبه أن «عرب المنطقة سيتعاونون مع اليهود ضد أي قوى أجنبية تحاول الدخول»[477] وعلى ما يبدو تقبل قادة جيش التحرير العربي للمنطقة، مدلول بك وسعيد بك، علاقات أبو كشك باليهود (أخذا في الاعتبار وضعية أبو كشك الخاصة) بل وكانوا أنفسهم غير متحمسين لفكرة البدء في الأعمال القتالية، ووعدوا بإخطار أبو كشك قبل القيام بأي هجوم واسع النطاق[478]. كما نجح توفيق أبوكشك، أحد أعيان العرب، في التوسط من أجل التوصل لوقف إطلاق نار بين مستوطني مغدال وقرية بيار عدس العربية[479]. ونتيجة لخشيته من وحدات جيش التحرير العربي، فرض لواء إسكندروني - بحلول منتصف شهر مارس- حصارا حول كل من قرية الشيخ مونس، وأبو كشك وقريتين صغيرتين قريبتين (جليل الشمالية وجليل القبلية)[480]. بل ذهب اللواء إلى النظر في إمكانية شراء عدة منازل في الشيخ مونس لإيواء حامية صغيرة هناك[481]. وكان من الممكن آنذاك أن تكون عناصر من اللواء أقامت بالفعل في عديد من المنازل على أطراف القرية[482].

ربما كان للطوق الذي فرضه لواء إسكندروني هدفا إضافيا تمثل في حماية أبو مونس من عمليات سلب محتملة من قبل عناصر الإرغون والهستدروت[483] - علي سبيل المثال، قام رجال مسلحون تابعون للإرغون في الثاني عشر من مارس بخطف خمسة من أعيان القرية. ووفقا للقسم العربي لجهاز استخبارات الهاغاناه أدى ذلك إلى أن «يتعلم العرب أنه لا يكفي فقط التوصل إلى اتفاق مع الهاغاناه؛ وأن هناك «يهودا آخرين» [منشقين] يجب الحذر منهم وربما أكثر من الهاغاناه التي ليس لها أي سيطرة عليهم»[484]. خيم الخوف على قرية الشيخ مونس إلى الحد الذي دفع باللاجئين القادمين من صميل والجماسين إلى الرحيل منها في الثاني والعشرين من مارس[485]، وذكر خبراء

الشـؤون العربية في الهاغاناه أن «القرويين أنفسـهم يرغبون في الرحيل ولكنهم بقوا في أماكنهم تحت ضغط اللجنة الوطنية في يافا» كذلك أفادوا بأن «الشيخ مونس كان ينتظر أوامر من اللجنة الوطنية»[486]، وفي المقابل بقيت سياسة الهاغاناه ثابتة على النحو الذي أعلنـه غاليلي: الإبقـاء على العرب وحمايتهم في الأماكن المحصـورة التي تقع في الأراضي ذات الأغلبيـة اليهودية[487]. وعلى صعيد آخر، تم في الثالث والعشرين من شـهر مارس تحرير الأعيان الذين سـبق اختطافهم وتسـليمهم إلى الهاغاناه التي أعادتهم بدورها إلى الشـيخ مونس[488]. وعلى الرغم من ذلك تدهورت ثقة سـكان سلسلة القرى شمالي نهر العوجا، وخلال الأيام التالية بدأ قاطنو الشـيخ مونس وأبو كشـك في الجلاء والرحيل إلى قلقيلية وطولكرم[489] بعد تفويضهم ليوسف سوتزكي، من مستوطنة بتاح تكفا، للتفاوض مع الهاغاناه لحماية ممتلكاتهم المهجورة[490]. وأقام توفيق أبو كشـك ورجاله، في الثامن والعشرين من مارس، مأدبة كبيرة قبل الرحيل جمعت أصدقاءهم اليهود، «وغادر الشيخ المكان والشـعب اليهـودي بعد أن ألقى كلمة مؤثرة»[491]. في حين شرع قادة اليشـوف تقريبا على الفور في تخصيص أراضي الشيخ مونس للاستخدام اليهودي[492].

فسر قادة أبو كشـك بعد مـضي أيام عدة إجلاؤهم باعتبـاره قد نبع من عدة أسـباب: 1- المتاريـس التي أقامتها الهاغاناه على الطـرق... 2- القيود التي فرضتها الهاغانـاه على التحرك سـيرا على الأقـدام، 3- سرقـة [من قبل اليهود؟] السـيارات، 4- اختطاف رجال الشيخ مونس من قبل الإرغون[493].

فضلا عن ذلك، رحلت قبيلة عرب السوالمة[494] المجاورة وسكان كل من الجليل القبلية والجليل الشـمالية خوفا من الهجمات اليهودية. وطلب سـكان الجليل من جيرانهم اليهود العناية بممتلكاتهم ثم اسـتأجروا سيارات يهودية، بموافقة الهاغاناه، لنقل أمتعتهم، بما في ذلك عشرات البنادق والمسدسات، إلى دار شريكهم علي قاسم أفندي القريب للاحتفاظ بها[495].

خـلال أيام، تواترت معلومـات تفيد بأن أولئك الذين تم أُجلوا من أبو كشـك والشـيخ مونـس والمناطق المحيطة بهما يعانون في مخيماتهـم في قلقيلية (بمنطقة جلجوليـة)؛ حيث لم يجـدوا أي مصادر للعيش وبدأت أموالهـم في النفاد في وقت عاملهم فيـه جيرانهم الجدد «بعداوة»[496]. وفي ضوء الشـائعات التي ترددت بأن ممتلكاتهم تنهب فكر بعضهم في العودة[497]، بيد أنهم لم يقدموا على ذلك.

شـهدت المنطقة الأبعد شمالا خلال الأسـابيع الأولى للقتال عمليات فرار تجاه الشرق بشـكل عام، بعيدا عن السـهل السـاحلي، مـن عدد من القبائـل البدوية والعشـائر[498] - عرب البلاونـة في 15-16 و31 ديسـمبر 1947[499]، عرب الملالحة بالقرب من شـيفاييم في 8 يناير[500]، عرب أبو رزق وعرب أبو خضر في 31 يناير-1 فبراير[501]، عرب النصيرات 3 فبراير، عرب الشوبكي بالقرب من هرتسليا في 11 فبراير، عـرب الرميلات وعرب الحويطـات في 15 فبراير، عرب الكبارة جنوب الطنطورة 17 فبراير[502]، قبائل عرب الصفصافي الصغيرة وقبيلة صيدون الصغيرة التي عاشـت في المرتفعات بين قيسارية وبرديس حنا مطلع فبراير[503]، عرب الحجازي في 25 فبراير، عـرب الكوز في 23 مارس - عرب أمارير، وعرب الحق، وعرب الفلق كلهم رحلوا في 3 أبريل. وتمثل سـبب الرحيل في الخوف من الهجـمات اليهودية. بيد أنه تردد أن عرب النصيرات فروا بسـبب «عمليات» الهاغاناه، كما فر عرب الشـويكي في أعقاب هجوم قامت به عناصر الإرغون على مخيماتهم[504]. وقد نظرت الهاغاناه إلى بعض تلك القبائل علي أنهم موقعي مشـاكل حقيقيين أو محتملين، الأمر الذي قد يكون سببا في «إشعال المنطقة بأكملها»[505] ومن ثم فإنه كان من الأفضل أن «تنصحهم» الهاغاناه بالرحيل. وقد أُخليت مخيمات عرب الرميلات (بالقرب من نتانيا وكيبوتس هاماعبيل وكاديما) بعد حملة حرب نفسـية قادتها الهاغانـاه ضدهم[506]. كما أنه رُحّـل قاطنو إحدى المخيمات التابعة لقبيلة أبو كشـك خلال عملية نفذتها عناصر الإرغـون[507]. ومـن جانب آخر فإنه مـن الممكن أن يكون إجـلاء عرب النفيعات (جنوب غرب حديرا) تجاه الشرق بدءا من 28 مارس في أعقاب تحذير محتمل من اللجنة الوطنية في طولكرم من هجوم يهودي وشيك[508].

في منتصف شـهر فبراير تلقت قبيلة عرب وادي الحوارث (وهي قبيلة شـبه حضرية تقع جنوب حديرا تعليـمات من مدلول بك (قائد بجيش الإنقاذ) بإجلاء «النسـاء والممتلكات من المنطقة العربية»[509]. وليس من الواضح ما إذا كانوا قد انصاعوا لذلك. وبعد مرور شـهر، أسـفر كمين نصبته قوات الهاغاناه لسيارة أجرة عن مقتل ثلاثة أو أربعة من عرب وادي الحوارث، ومنذ ذلك الحين بدأوا في الرحيل «مؤكديـن أن اليهود وعدوهم منذ البداية أنه لن يصيبهم أذى [إذا ما اسـتمروا في البقاء]»[510]، بيد أن صحيفة «فلسـطين بوسـت» نقلـت أن المفوض البريطاني

لحي السامرة (أي. أر. ريفين) نصح السكان بالرحيل ووفر حراسة عسكرية لأولئك الذين رحلوا بالفعل[511]. وقد استمرت عملية الإجلاء أسابيع عدة[512]. وفي بداية شهر مايو أوصى الخبراء العرب للواء إسكندروني بتدمير مساكن عرب وادي الحوارث فيما عدا ما بُني منها بالحجارة والذي «يمكن أن يصبح صالحا للسكن الآدمي [اليهودي]»[513].

كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى البدو، فر القرويون في شارون خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948، بشكل رئيس بسبب هجمات الهاغاناه أو الإرغون أو نتيجة للخوف من وقوع تلك الهجمات. كما أُجليت قرية الحرم (سيدنا علي) والواقعة على ساحل البحر المتوسط في الثالث من فبراير كذلك بدافع الخوف من الهجمات اليهودية[514]. وفي اليوم ذاته أُجليت قرية المر أو المحمودية ولكن بعض سكانها رجعوا في الخامس عشر من الشهر ذاته[515]، ليهربوا مجددا بعد مرور شهر[516]. وأخيرا أُخليت أم خالد (شرق نتانيا) بدافع الخوف في العشرين من شهر مارس[517].

كما سبق أن رأينا، لم تكن سياسة الهاغاناه حتى نهاية شهر مارس تميل إلى فكرة الترحيل، بيد أنه كانت هناك مبادرة أو اثنتان غير مرخص بهما. ففي بدايات شهر يناير أصدر بعض اليهود في منطقة وادي حديرا- حيفر تحذيرا شديدا لجيرانهم العرب بأن «يغادروا مكان إقامتهم الحالي ...»[518] ومع ذلك، فليس هناك ما يدل على أنه كان لذلك تأثير فوري.

جرت عملية طرد مُصرَّح بها تعلقت بسكان قيسارية (جنوب حيفا)، الذين كانوا يقطنون ويزرعون أراضي يهودية وتابعة للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية. وغادرت عائلة كبيرة القرية في العاشر من يناير[519]. وعلى إثر الكمين الذي نصبته الهستدورت في الحادي والعشرين من شهر يناير لحافلة غادرت من فورها القرية، وقضى خلاله اثنان من العرب وجُرح ثمانية (أحد القتيلين وعديد من الجرحى كانوا من سكان القرية)، رحل أغلبية السكان إلى قرية الطنطورة المجاورة[520]. وقررت الهاغاناه احتلال الموقع حيث تعلق الأمر بأراضٍ يهودية[521]. وفي ضوء خشيته من إقدام البريطانيين على طرد عناصره، طلب قائد العملية من القيادة العامة الترخيص له بتسوية القرية بالأرض[522]. عارض إسحاق رابين، رئيس عمليات البالماخ، ذلك

غـير أنه تم تجاهل تلك المعارضة. وفي ليلة 19-20 فبراير دمرت الكتيبة الرابعة من البالماخ المنازل، واقتادت ما يقرب من عشرين شخصا عُثر عليهم في الموقع إلى مكان آمن، في حين قام بعض أفراد القوة بنهب المنازل المهجورة[523]. وعلى الرغم من مرور أكثر من شـهر على ذلك استمر العرب في الشكوى إلى العمد اليهود المحليين من أن أموالهم ومقتنياتهم الثمينـة التي سُرقت لم تعد إليهم[524]. ووفقا لأهارون كوهين: «بذل عرب قيسـارية أقصى ما في وسـعهم للمحافظة على السلام... وزود القرويون اليهود في حيفا وحديرا بالمنتجات الزراعية... وفُهم الهجوم في قيسارية- وليس فقط هناك - كمحاولة من قبل اليهود لإجبار العرب الذين يعيشون في المنطقة اليهودية على الرحيل...»[525].

تجدر الإشـارة إلى أن بعض عمليـات الإجلاء عُجِّل بها نتيجـة أوامر أو نصائح عربية. ففي أواخر شـهر ديسمبر أمرت اللجنة الوطنية الإقليمية الحراس العرب في البسـاتين المحيطة بحديرا (خوفا على سلامتهم) بالرحيل بصحبة عائلاتهم، وقد قام بعضهم بالفعل بذلك[526]. كما أُخليت جرملة جزئيا في بداية شـهر فبراير «بناء على أوامـر من العصابات العربية» وهُجرت في نهاية المطاف مع حلول الأول من أبريل نتيجة الخوف[527]. وبالنسبة إلى سكان البريكة (جنوب شرق زخرون ياكوف) فإنهم تلقوا بشـكل واضح أوامر- في بداية شـهر مارس- من اللجنة العربية العليا بإخلاء القريـة وبُرر ذلك بأنه يمكن اسـتخدامها من قبل العناصر غـير النظامية كقاعدة للهجـوم عـلى طريق حيفا- تل أبيـب[528]. بيد أن معظـم أو كل القرويين صمدوا بشكل واضح في أماكنهم.

الفرار من مجتمعات قروية أخرى

ديسمبر 1947- مارس 1948

في الحـادي والثلاثـين من مارس 1948 كتب يوسـف ويتـز - في أعقاب زيارته لمناطق الشـمال - إلى أبراهام غرانوفسـكي (أو «غرانوت»، رئيس الصندوق القومي اليهودي): «هناك توجه بين جيراننا... لأن يغادروا قراهم»، وأشـار إلى رحيل سكان قوميـة (المعرفون تقليدياً بصداقتهم)[529] والواقعة في مرج ابن عامر[530] والتي فر الجانب الأكبر من سـكانها تقريبا في السابع والعشرين من مارس؛ نتيجة لشعورهم

بالعزلة وهشاشة الوضع؛ وربما يكونون قد تلقوا «نصيحة ودية» من جيرانهم في كيبوتس عين حارود، وبقي في القرية 15 رجلا وعدد من النساء لعدة أيام حتى نُقلوا مع ممتلكاتهم إلى خارجها بواسطة الجيش البريطاني في الثلاثين من مارس، وأخلت قوات الهاغاناه الموقع تماما[531].

شجع ويتز هذا «الاتجاه» للرحيل؛ حيث أدرك فور بدء القتال أن الظروف كانت مواتية لتهويد قطع أرض تم شراؤها وامتلاكها من قبل مؤسسات يهودية (الصندوق القومي اليهودي، PICA) والتي استمرت جماعات المزارعين المستأجرين العرب في احتلالها. لم يكن اليشوف، تحت الحكم البريطاني، بشكل عام قادرا على إبعاد هؤلاء السكان على الرغم من عرضه مبالغ تعويضية سخية. في بعض الحالات قبل المزارعون العرب المستأجرون التعويض واستمروا في احتلال الأرض. وقد ذهب ويتز إلى أن الظروف في مطلع العام 1948 (الحرب، والفوضى، والانسحاب البريطاني) مكنت أخيرا اليهود من الاستحواذ على هذه الأراضي، وعادة ما كانت هناك ضغوط من قبل الجيران اليهود لإبعاد المزارعين المستأجرين لتمكينهم من الأرض. وروى ويتز أنه في نهاية شهر مارس جاء إليه مستوطنون من نحلال ووادي بيت شيان (بيسان) وكفَر يحزقيل لمناقشة «مشكلة أراضينا... وتحريرها من المزارعين المستأجرين، وقد اتفقنا على خطوات معينة للعمل...»[532]. لم يقتصر دور ويتز فقط على التعبير عن مواقف ساكني المستوطنات اليهودية؛ حيث إنه كان أيضا مُنفذا ومبتكرا للأفكار والسياسات. وقد بدأت آراؤه حول كيفية تسوية هذه المشكلة في التبلور في بداية شهر يناير، فعلى إثر لقائه بموظفي الصندوق القومي اليهودي في الشمال كتب في مذكراته:

> *أليس الآن الوقت للتخلص منهم [مشيرا على وجه التحديد إلى المزارعين المستأجرين في يوكنعام و دالية الروحاء]؟ لماذا نستمر في الإبقاء على تلك الأشواك بيننا في وقت يمثلون خطرا علينا؟ إن شعبنا يدرس [الحلول]»*[533].

في العشرين من فبراير لاحظ ويتز أن البدو في وادي بيسان، الذي يمتلك اليهود جزءا كبيرا من أراضيه، بدأوا في عبور نهر الأردن، وحول هذا الموضوع كتب: «من الممكن أن يكون الوقت قد حان الآن لتنفيذ خطتنا الأصلية: أن ننقلهم هناك»[534].

شرع ويتز خلال شـهر مـارس - وبمبادرة ذاتية- بوضع خطتـه موضع التنفيذ، وسـعى في بداية الأمر إلى اسـتصدار قـرار مبدئي من رئاسـة أركان الهاغاناه بطرد المسـتأجرين. ومع فشـله في ذلك لجأ إلى توظيف صلاته الشخصية في المستوطنات ومع وحدات الهاغاناه المحلية وضباط جهاز استخباراتها، لتنظيم عدة عمليات طرد؛ حيث أقنع يهودا بورسـتين، ضابط اسـتخبارات الهاغاناه في يوكنعام (جنوب شرقي يافا)، بأن «ينصح» المزارعين المستأجرين وأولئك الموجودين في الجوار (قيرة وقامون) بالرحيل، وقد انتهى الأمر بتحقيق ذلك بالفعل. وحينئذ قرر ويتز ورفاقه في الشمال محو منـازل المزارعين وتدمير محاصيلهـم ودفع تعويضـات للمطرودين[535]. وفي الوقت ذاته نظم ويتز بالتعاون مع مستوطني كفَر مازاريك طرد بدو عرب الغوارنة الذين يسـتغلون خليج حيفا، وأيضا طرد جماعات صغيرة من المزارعين المستأجرين في دالية الروحاء والبطيمات (جنوب شرقي حيفا)[536].

بدأ ويتز قرب نهاية شـهر مارس الضغط على القيادة العسـكرية - السياسـية (غاليلي - بن غوريون- شـكولنيك) لاتخاذ قرار على المسـتوى القومي بطرد العرب من المنطقة المخصصة للدولة اليهودية وفقا لخطة التقسـيم. ومع ذلك فإن مطالبه المسـتمرة ومحاولاته لكسـب التأييد قابلتها مقاومة أو مراوغة: فالقادة إما رفضوا وإما كانوا غير راغبين في إلزام أنفسـهم بسياسـة عامة للطرد[537]. تُرك ويتز ليقوم بصورة شـخصية بتشجيع عمليات طرد محلية. ففي السادس والعشرين من مارس، على سـبيل المثال، دعا خلال اجتماعه مع موظفي الصنـدوق القومي اليهودي إلى طرد السـكان في قومية والطيرة المجاورتين معلـلا ذلك بأنهم «لا يمكنهم أن يأخذوا على عاتقهم مسؤولية تسلل العناصر غير النظامية ... يلزم إجبارهم على ترك قراهم حتى يحل السلام»[538].

أسـفرت اسـتراتيجية الهاغاناه القائمة عـلى توجيه عمليـات انتقامية قوية خلال الشهور الأولى للصراع عن هرب عدد من المجتمعات الريفية: منصورة الخيط (منصورة الحولة) الواقعة جنوب مشـمار هياردين، أُخليت مؤقتا خلال ضربة انتقامية في الثامن عشر من يناير شـهدت حرق خيام وأكواخ وقتل حيوانات المـزارع. وكانت التعليمات الصادرة تتضمن «القضاء على أي شـخص يُبدي مقاومة»[539]. وأُجلي سكان الحسينية (الواقعة إلى الشـمال) تماما كما كانت عليه الحال في قرية العلمانية المجاورة، وبشـكل

مؤقت كراد الغنامة وكراد البقارة في منتصف شهر مارس على إثر ضربة وجهتها البالماخ ضد الحسينية ليلة 12-13 مارس، حيث أُعلن عن تفجير عدد من المنازل وقتل عدة عشرات من العرب (بمن فيهم أعضاء من كتيبة المتطوعين العراقيين ونساء وأطفال) وأصيب عشرون آخرون بجراح، في حين قُتل ثلاثة من أفراد الكتيبة الثالثة التابعة للبالماخ[540]. وقد أدهشت «فظاعة» الهجمة كلا من الجنرال ماكميلان (قائد الجيش البريطاني في فلسطين) ويوسف نحماني (مدير الصندوق القومي اليهودي)؛ حيث إنه وفقا للمعلومات الواردة للأخير من مصادره أُعدم مختار الحسينية بعد التأكيدات التي تلقاها من القائمين بالغارة بأنه لن يصيبه أذى[541]. يُذكر أنه شُنت الغارة في أعقاب هجمات عربية متكررة على وسائل النقل اليهودية في الجوار.

في موقع آخر في الشمال هُجّرت العديد من القرى إما بصورة كاملة أو جزئية بسبب الشعور بالعزلة والقابلية للتعرض للهجمات اليهودية. وكانت هذه هي الحال بالنسبة إلى خيام الوليد (شمال شرق صفد) التي هُجِّرت تقريبا بشكل كامل في الأسبوع الأخير من شهر مارس[542]، وفي الثالث من شهر مارس غادر سكان تل العبيدية (جنوب بحيرة طبريا) إلى منطقة الناصرة. كما أن السكان، خصوصا من المناطق المزدهرة بالقرب من سمخ، رحلوا خلال الشهور الأولى للقتال لأسباب مماثلة، وهو ما فعله كذلك عرب البواطي شمال شرق بيسان، خصوصا بعد هجمة من قبل الهاغاناه. كذلك هُجرت المزرعة، في غربي الجليل، مؤقتا في السادس من شهر فبراير. وقرية وعرة السرّيس بالقرب من كريات أتا في الثاني عشر من الشهر ذاته إثر وجود العناصر غير النظامية[543].

هُجر ثلاث قرى في حي القدس بشكل مؤقت خلال الفترة من يناير إلى مارس: قلنديا - العسوية - بيت صفافا. وبالنسبة إلى العسوية فقد جاءت الهجرة تنفيذا لأوامر اللجنة العربية العليا[544]. أما في بيت صفافا فقد كان ذلك في أعقاب هجمات من الهاغاناه[545]، ومع ذلك تمت عملية تسكين كل السكان فيما بعد.

أسفرت عمليات القتال في الجنوب خلال شهر مارس في مناطق خط أنابيب المياه من اليشوف إلى مستوطنات النقب المعزولة عن هروب المجتمعات القبلية وشبه الحضرية حين قامت العناصر غير النظامية بتفجير خط الأنابيب، الأمر الذي تبعه شن عمليات ثأرية من قبل وحدات البالماخ من قبل وحدات البالماخ[546]. وقد هجر سكان قرية شعث الصغيرة (الواقعة قرب كيبوتس غفولوت بجوار خان يونس) بشكل مؤقت

بعد قيامهم في التاسع من شهر ديسمبر بقتل ستة أفراد من غفولوت، من بينهم امرأة، كانــوا قد دخلوا القرية بطريق الخطأ[547]. وقد عاد الســكان لاحقا إلى الموقع. بيد أنه خلال شــهر يونيو 1948. فــر العديد منهم إثر تدمير مطحنة، وأخــيرا دُمرت وهُجّرت القريــة خلال هجمة قوات الدفاع الإسرائيلية في 22 يوليو 1948، وقد تضمنت الأوامر: تدمير القرية، وكما يبدو، قتل جميع السكان من الذكور[548].

ردود أفعال السلطات العربية إزاء النزوح الجماعي

ديسمبر 1947 - مارس 1948

اتســمت ردود الأفعال العربية إزاء الهجرة الجماعية خلال الشــهور الأولى من القتــال بالارتباك وعدم التنســيق، مما عكس طبيعة العلاقات بــين الدول العربية، وبين الدول واللجنة العربية العليا، وبين اللجان المحلية والمحليات، وبين الســلطات المحلية المدنية المختلفة والعصابات والعناصر غير النظامية.

بــدا النزوح الجماعي في بدايته على أنه مجرد إعــادة إنتاج لما حدث في الفترة من 1936- 1939، حين هرب ما بين 25-40 ألف فلســطيني بشــكل مؤقت من البلاد[549]. وكــما كانت عليه الحال آنذاك، فإن أغلب الذين أُجلوا ووصلوا إلى البلاد العربية خلال الشــهور الأولى من الحرب كانوا أساسا من عائلات الطبقات المتوسطة والعليا، وبالكاد شُــعر بوصولهم الذي لم يشــكل عبئا على البلاد المضيفة. وفيما يخص الذين أُجلوا من منطقة الســهل الساحلي والشمال، فإنهم توجهوا بشكل رئيسي (على الأقل بالنسبة إلى القادمــين من مراكز الســكان العربية والقرى في الشرق) إلى داخل فلســطين (الناصرة و«المثلث»(*)). وقد نظر أغلبهم إلى مغادرة الديار على أنه أمر مؤقت.

ومن ثم فإنه حتى نهاية شهر مارس كان للنزوح الجماعي تأثير محدود في الدول العربية ولم يقلق قادتها كثيرا، إن لم يكن على الإطلاق. ولم تقم الدول بعمل أي شيء للتعجيل من الهروب من فلســطين ولكنها شــعرت مضطرة إلى قبول الرفاق العرب اللاجئين من حرب مقدســة مع اليهود، كذلك فإنهــم لم يفعلوا أي شيء، بداية لمنع دخــول اللاجئين. وفي حقيقة الأمر، قررت اللجنة السياســية لجامعة الدول العربية

(*) المقصــود بالمثلث هــو المدن الثلاث الكبرى في الضفــة الغربية: جنين، نابلس، وطولكــرم والقرى العربية التابعة لها. [المحررة].

قبيل الحرب، وفي اجتماعها خلال شـهر سـبتمبر (في صوفر بلبنان) «أن تفتح الدول العربية أبوابها لاستيعاب الرضع والنساء وكبار السن من بين العرب الفلسطينيين وأن ترعاهم إذا ما تطلبت التطورات في فلسطين ذلك»[550]. بدأ بعض القادة العرب آنـذاك في إبداء قـدر ضئيل من القلق[551]. بيد أن قـرارات الجامعة العربية كانت ملزمة، ومن ثم كان من الطبيعي أن تحجم الدول العربية إجمالا عن منع اللاجئين مـن دخول أراضيها، عـلى الرغم من أن اللجنة العربية العليا عارضت بشـكل عام النزوح الجماعي وكانت معارضة لمنح اللاجئين تأشيرات دخول[552].

أصـدرت اللجنة العربية العليا في الثامن من يناير بيانا كذبت فيه أن تكون قد أصـدرت أوامر بإجلاء المدنيين من بعض المناطق، وموضحة أنها تبنت فقط ترحيل الأطفال وكبار السن من القرى الواقعة على خط النار، وأضاف البيان أن على النساء البقاء ومساعدة الرجال المقاتلين[553].

تمثلت المشـكلة في أنه ليس فقط المُعالين هم مـن رحل، ولكن أيضا الذكور في سـن التجنيد. ومع ذلك فإن أعدادهم كانت قليلـة للغاية في البداية لتثير مخاوف جوهريـة. ولم تبـدأ الحكومـات العربيـة في التعاطي مع المشـكلة إلا في النصف الثاني من شـهر مارس 1948، فقرابة الثاني والعشرين من ذلك الشـهر اتفقت تلك الحكومات فيما بينها على أن تقوم قنصلياتها بمنح تأشيرات فقط لكبار السن والنساء والأطفـال والمرضى، كما أمـرت لبنان بإغلاق حدودها أمام الفلسـطينيين فيما عدا النساء والأطفال[554]. ومن ثم تردد أنه في الثالث والعشرين من شهر مارس، رفضت القنصليات اللبنانية والسورية في حيفا منح تأشيرات «لسكان حيفا الكثيرين» الذين تقدموا ذلك اليوم بطلبات للحصول عليها[555].

في المقابل كانت المشـكلة من وجهة نظر فلسـطينية أبعد مما تكون هامشية. فمنذ ديسـمبر 1947 كانت اللجنـة العربية العليا واللجـان الوطنية تقاوم النزوح الجماعي؛ حيث سـاد القلق بشكل خاص من فرار الذكور في سن القتال. وفي الرابع والعشرين من ذلك الشـهر نقل أحد المرشدين لجهاز اسـتخبارات الهاغاناه وجود توجيـه سري (يُفترض أنه صادر عـن اللجنة العربية العليـا)... بمنع الذكور العرب القادرين على المشـاركة في المعركـة من مغادرة البلاد، وتطلب سـفر أي منهم إلى الخارج موافقة المفتي شخصيا[556].

وفقــا لمصادر جهاز اســتخبارات الهاغانــاه، لم يقتصر الرحيــل على العائلات الغنية، التي كانت في أغلبها مسـيحية، ولكنه شــمل أيضا الطبقات العربية الأقل ثــراء. وفي المقابل كانت اللجنة العربية العليا «تبذل قصارى جهدها لمنع الســفر للخارج» وفرضت على أفراد العائلات الذين غادروا إلى ســورية أو مصر «ضرائب باهظة»[557]. رصد جهاز الاســتخبارات العســكرية البريطاني في نهاية شــهر يناير قلــق اللجنة من هذه الظاهــرة؛ حيث أصدر المفتي أوامــره لأولئك الذين رحلوا بالعودة معلنا أنه في حالة رفضهم لذلك «ستُشغل منازلهم بعرب آخرين (أجانب) جاءوا لتقديم الدعم (الدفاع)...»[558]. وقد اســتفادت الهاغاناه دعائيا في إذاعاتها باللغة العربية من هروب الأغنياء - في حين أصدر قسم الإرشاد العام التابع للجنة العربية، برئاسة عبد الله الريماوي، تكذيبا يقول إن "العرب الذين سافروا للخارج لم يهربوا ولكنهم كانوا فقط يلتحقون بمعســكرات المحاربين [لتلقي التدريب قبل عودتهم للقتال] أو ســافروا في مهمات وطنية»[559] (وبشكل واضح لم تكن اللجنة العربية العليا قلقة من حركة الســكان من بقعة فلسطينية إلى أخرى، ولكن فقط من المغادرة إلى بلد آخر)[560].

تمثلت المشــكلة، كما رصدها جهاز استخبارات الهاغاناه، في وجود ثغرات كثيرة (صحية، اقتصادية ... إلخ) كان من الممكن استثمارها:

> *منعت المؤسســات العربية [هروب] الذين رغبوا في الاســتقرار في الخارج، ولكنها مازالت لا تمنع ســفر أولئك [الذين يدعون] الســفر لأسباب أخرى، على الرغم من أن كثيرا منهم، في حقيقة الأمر، سيصبحون لاجئين، بشكل واضح نتيجة لعدم وجود جهاز للبحث في تلك الحالات*[561].

كانــت اللجان الوطنية تشرف على أمــور الحياة اليوميــة في كل مدينة، وتولي ممثليها، أو الميليشــيات المحلية، في كل حي مهمات وضع التوجيهات الرئيســية قيد التنفيــذ. وإجمالا، حاولت اللجان الوطنية (أحيانا نتيجــة لمطالبات اللجنة العربية العليا، وأحيانا أخرى بشكل مستقل) أن تقاوم النزوح الجماعي، وعاقبت من وقت إلى آخــر الفارين بحرق الممتلــكات المهجورة أو مصادرة المنازل[562]. فعلى ســبيل المثال منع رجال الميليشــيات المحليون في حي مصرارة بالقدس في بدايات شهر يناير

1948 السكان من الإجلاء ومطالبتهم بأن «يحموا منازلهم كما يفعل اليهود»[563]. وفي ضوء عودة عدد قليل من الأفراد بعد صدور الأمر "لشباب قطمون بالعودة إلى أماكنهم" بعد مرور أيام عدة على تدمير فندق سميراميس، هددت المليشيا المحلية باللجوء إلى «أشد الطرق»، كما هُدد بفرض الغرامات وتوقيع عقوبات جسدية على أولياء الأمور الذين يحولون دون عودة أطفالهم[564]. ومع نهاية شهر مارس أجبر عدد كبير من الأشخاص على العودة[565]، ولم يُصدر تصريح بالمغادرة لأي شخص. وسُمح لشخص واحد بأن يصطحب عائلته إلى لبنان مع إجباره على سداد مبلغ ألف جنيه إسترليني إلى اللجنة الوطنية وأن يتعهد بأن يعود شخصيا بعد ذلك[566]. أما في حي الطالبية بمدينة القدس فقد استنفدت المؤسسات العربية كافة وسائل الإقناع والتهديد للإبقاء على السكان من دون جدوى[567]. وعلى الرغم من قرار اللجنة العربية العليا بأن يتم «الاستيلاء» على أي منزل يهجره أصحابه[568]، استمر السكان في عملية الإجلاء[569].

في الرابع عشر من ديسمبر 1947 قررت اللجنة الوطنية توجيه «تحذير من حركة الخروج من المدينة»[570]. كما قام الشيخ يونس الخطيب، خلال شهر يناير، «بمهاجمة الأغنياء الذين هربوا من المدينة خوفا على أن تُطلب منهم أموال لتمويل الذين أصابهم الأذى (خلال القتال)، وأوضح أنه طبقا للقانون الإسلامي تجب مصادرة ممتلكات أي شخص يفر من الجهاد»[571]. وفي مدينة يافا أيضا فرضت لجنتها الوطنية غرامات على من يغادر وهددت بمصادرة ممتلكات من يرحل[572].

أصدرت اللجان الوطنية أو المليشيات في المدن، بين الفينة والأخرى، تعليمات إلى القرى المجاورة في الأمور المتصلة بالفرار أو الصمود. فعلى سبيل المثال أمر عبد الجبار (القائد العراقي في الرملة) مطلع شهر مارس 1948، القرويين من عرب أبو رزق بالعودة إلى قريتهم «وإلا يخشوا شيئا»[573]. وفي السابع والعشرين من فبراير أمرت اللجنة الوطنية في طولكرم (والتي هيمنت عليها المعارضة) سكان المدينة بـ «البقاء في أماكنهم» في حالة وقوع هجوم يهودي[574]. وقد أوضح جهاز استخبارات الهاغاناه أنه في بداية شهر مارس لم تكن اللجنة «معنية بخلق مشكلة لاجئين في مدينة طولكرم والقرى المجاورة»[575].

في كثير من الأحوال أصدرت اللجان الوطنية والقادة العسكريون لجيش الإنقاذ للقرويين أوامر بإخلاء القرى لسبب أو لآخر. وعادة، كما كان عليه الوضع في حالة جيش الإنقاذ وقرية صبارين في مطلع شهر مارس[576] والقدس وبيت صفافا تقريبا في الوقت ذاته[577]، رغب رجال المليشيات في أن يُجلى القرويون حتى تكون منازلهم متاحة للعناصر غير النظامية كمواقع أو أماكن للمبيت. وفي أوقات أخرى كان الإجلاء مدفوعا بعدم الرغبة في ترك تلك المجتمعات تحت السيطرة اليهودية، كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى الأمر الصادر من اللجنة الوطنية لطولكرم في ديسمبر 1947 والموجه إلى عرب البلاونة بأن يكونوا «على أهبة الاستعداد لترك أماكنهم في أي لحظة»[578]. وأيضا الأمر الصادر في شهر فبراير 1948 إلى عرب الفقارة بأن "يرحلوا" (ولكنهم رفضوا)[579]. وبشكل عام الأمر الصادر إلى «كل العرب في المنطقة... بأن يتركوا أماكنهم، وهو ما نُفذ»[580]. وصدرت أوامر مماثلة من قبل اللجنة الوطنية في غزة إلى بدو الوحيدات[581].

خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى يناير 1948 لم يؤسس المفتي واللجنة العربية لحملة واضحة ومتماسكة وقوية لمواجهة النزوح الجماعي، بل إن التعامل مع ملف الفرار كان في أفضل حالاته يفتقر إلى الحيوية. وربما يعود ذلك إلى حقيقة أن بعض المسؤولين لم يكونوا مشغولين بدرجة كبيرة بمشكلة مازالت على مستوى منخفض، كذلك قد يكون من بين الأسباب أن عائلة الحسيني لم تشعر بالاستياء من رحيل عديد من عائلات الطبقتين العليا والمتوسطة المعروفة تقليديا بتأييدها للمعارضة. وفضلا عن ذلك شملت عملية النزوح الجماعي في مرحلتها الأولى عددا من العائلات المرتبطة بالحسيني وكثيرا من أعضاء اللجنة العربية العليا: ومن ثم كان من شأن إدانتهم بقوة أن يُحدث لغطا داخل معسكر الحسيني. وبشكل عام كان القادة الفلسطينيون أكثر سرعة في إدانة الفرار من القرى عنه بالنسبة إلى المدن.

وفضلا عما تقدم، كانت قبضة اللجنة العربية العليا ضعيفة في عديد من الأماكن، كما أن مجرد معارضة المفتي للهروب لم تكن تعني توافر ضمانات بأن اللجان الوطنية والعناصر غير النظامية ستقوم بفعل الكثير لإيقافه. فكما سبق أن رأينا، كان للقيادات المحلية والمليشيات غالبا مخاوفها وأولوياتها الخاصة. ففي مناطق عديدة - خاصة في المدن - واجهت اللجان الوطنية عقبات جمة في سعيها إلى إيقاف النزوح الجماعي في

ضوء حقيقة أن كثيرا من الذين رحلوا كانوا من بين أقاربهم ومعارفهم، بل إن أعضاء في اللجان الوطنية كانوا من بين الفارين. ومع ذلك فإن القيادات المحلية وقادة المليشيات (سـواء كان ذلك طاعة لأوامر اللجنة العربية العليا، أو بشكل مستقل) لم يشجعوا على الفرار، بل وصل الأمر إلى حد قيامهم بإصدار تحذيرات رسـمية وفرض جزاءات. بيد أن كل ذلك كان له أثر ضئيل.

كمن أحد الأسباب الرئيسة في فشل المؤسسات العربية في وقت النزوح الجماعي في الفقـرة التي تبنتها كل من الدول العربيـة، والمفتي، وبعض اللجان العربية فيما يتصل بالنسـاء وكبار السـن والأطفال. ففي بعض الأوقات سمح بشكل واضح، بل شُـجعت، عملية إجلاء النسـاء والأطفال وكبار السن من مناطق المعارك الفعلية أو المحتملـة لكي يقلل من الخسـائر البشرية - وهو ما تماشى مـع توجيهات الجامعة العربيـة قبيل الحرب، وفضلا على ذلك، ربما كان يعتقـد، مخطئا، أن رحيل الأفراد المُعالين ربما يقوي من دوافع الذكور على القتال.

لم يصدر الحسيني تعليمات مفصلة ومباشرة وشخصية للجان الوطنية للتصدي للنزوح الجماعي إلا بحلول مارس 1948، فقد كتب إلى اللجنة في طبريا:

> *تُـدرك اللجنة العربية العليا أن عددا كبيرا من الفلسـطينيين يغادرون الوطن إلى البلاد المجاورة «الشـقيقة»... بسـبب الوضع السائد... وتعتبر اللجنة ذلك هربا من ساحة الشرف والتضحية، كما ترى أنه يُلطخ حركة الحرب المقدسة وكذلك اسم الفلسطينيين في الدول العربية، فضلا عن أنه يُضعف من مساعدة الشعوب العربية للقضية الفلسطينية، ويترك آثارا ضارة على اقتصاد وتجارة فلسطين بشكل عام....*

وقد اشتكت الحكومات العربية للجنة العربية العليا في هذا الخصوص.

> *لقد درسـت اللجنـة العربية العليا هـذه الملف المهم مـن جميع جوانبه وقررت أن مصلحة الأمة تتطلب أن تسـتمر أنشطة الفلسطينيين وعملهم داخل بلادهم، وعدم تركها إلا في حالة الضرورة للمصلحة العامة ولأسـباب ذات أهمية سياسية أو تجارية أو طبية، بموافقة اللجنة وبالتنسيق مع اللجان الوطنية.*

أضاف الحسـيني أنـه في «المناطق التي يكون فيها خطر حقيقي على النسـاء والأطفال، وكبار السن، يلزم عليهم المغادرة لمناطق أخرى بعيدة عن مصدر الخطر»،

أما أولئك الذين يرغبون مع ذلك في السفر خارج البلاد فيجب أن يتقدموا بطلب إلى اللجنة الوطنية التي يتبعونها، والتي ستدرســه وترفعه مشفوعا بتوصية إلى مكاتب اللجنة العليا في القاهرة أو القدس، وستتخذ اللجنة القرار في حينه[582].

تــم توجيه أمر مماثل (أو متطابــق) إلى اللجنة الوطنيــة في القدس تضمن في جوهــره أن «المفتــي يعلم أن هناك عــددا كبيرا من العرب يغــادرون البلاد، وهو يعارض ذلك لأن النزوح الجماعي يولد انطباعا ســيئا عن عرب فلســطين لدى الرأي العام في الدول العربية»، وكتب الحســيني محددا أنه فقط الأشخاص الذين لديهم «سبب مهم سياسي أو اقتصادي أو طبي» يمكن السماح لهم بالسفر، موضحا أنه في حالة وجود خطر في جزء من فلســطين يكون من المســموح إخراج النساء والأطفال وكبــار الســن إلى أجزاء أخرى أكثر أمانــا، ولكنه «في أي حال مــن الأحوال لا يمكن الســماح للعرب بترك فلسطين»[583]. وقد نقل جهاز استخبارات الهاغاناه في 29-30 مــارس أن «اللجنة العربية العليا لم تعد تســمح بتصاريــح الخروج لدوافع الخوف الناجمــة عن حالة الذعر في البــلاد»[584]. كما أفاد أحد ضباط الجهاز في الجليل (في الحــادي والثلاثين من الشــهر ذاته) بأنه: «يُنظر إلى كل عــربي يغادر البلاد على أنه خائن، وســيكون معرضا للمحاكمة في سورية. كما أن كل شخص يريد الحصول على تصريح خروج يلزم عليه الحصول على موافقة اللجنة العربية في حيفا»[585]، ولخص الضابط المشــار إليه الوضع قائلا إن تلك الأوامر شجعت كلا من سورية ولبنان على إغلاق حدودهما أمام اللاجئين في نهاية شهر مارس[586].

عــلى الرغم مما تقدم لم تتوقف عملية التقدم بطلبات الحصول على تأشــيرات من القنصليات العربية في فلســطين. وفي هذا الصدد أوضحت مصادر اســتخبارات الهاغانــاه أن القنصليات، بالتعــاون مع اللجنة العربية العليــا، كانت تحاول وضع عراقيــل أمام الراغبين في الرحيل بغية تقليل عدد التأشــيرات التي تُصدرها، بيد أن اللجنة كانت توافق على إصدار تأشــيرات خاصة في مقابل رشــاء، الأمر الذي اشــتكى منه بعض القناصل[587].

نظــر أعضــاء اللجنة الوطنية الذين بقوا في فلســطين بشــكل عــام إلى النزوح الجماعي نظرة شــك وريبة، وقد عكســت مقالة في صحيفة «الصريخ» الصادرة في يافا بتمويل عراقي بتاريخ 30 مارس المنهج الذي تبناه هؤلاء:

> *جلب علينا سكان قرية الشيخ مونس الكبيرة وكثير من القرى العربية المجاورة للقدس الخزي والعار بمغادرة قراهم بشكل تام. ولا يمكننا مقارنة هذا النزوح الجماعي المخزي بالموقف الحازم الذي تتبناه الهاغاناه في المواقع كافة بالأراضي العربية... فالجميع يعلم أن الهاغاناه تدخل المعركة مبتهجة في حين نقوم نحن دائما بالفرار منها*[588].

لخص القسم العربي التابع لجهاز استخبارات الهاغاناه، في يونيو 1948، مواقف وسياسات اللجنة العربية العليا تجاه النزوح الجماعي خلال الأسابيع الأولى للحرب على النحو التالي:

> *سعت المؤسسات العربية إلى محاربة ظاهرة الفرار والإجلاء وكبح موجات الهجرة إلى الخارج، وقررت اللجنة العربية العليا... أن تتبنى إجراءات للإقلال من الهروب من خلال القيود، والعقوبات، والتهديدات، والدعاية في الصحف والمذياع وغيرها. كما سعت اللجنة إلى تعبئة المساندة من الدول المجاورة في هذا الصدد... وبصفة خاصة عملت اللجنة على منع هروب الشباب في سن التجنيد. بيد أن أيا من هذه الإجراءات لم يحالفه النجاح ... فأعمال الجهاز العقابي كشفت عن الفساد، فمقابل الرشوة بدأت السلطات في تسليم تراخيص للسفر، ومع النزوح الجماعي خلال شهري أبريل ومايو انهار الجهاز، واقتصر الأمر فقط على ترديد الدعاية [ضد الفرار] هنا وهناك من دون أن يؤدي ذلك إلى تحقيق نتائج عملية.*

شهدت الفترة من ديسمبر 1947 حتى نهاية شهر مارس 1948 بداية النزوح الجماعي لعرب فلسطين من المناطق التي خُصصت للدولة اليهودية وأيضا تلك المتاخمة لها، وقد ساهمت دوامة العنف في الإسراع من عمليات الفرار من قبل الطبقتين الوسطى والعليا من المدن الكبرى، خصوصا حيفا، ويافا، والقدس، والتجمعات الريفية المحيطة بها، كما أنه دفع تدريجيا، إلى إجلاء العرب قاطني المناطق الريفية الواقعة في قلب أراضي الدولة اليهودية (السهل الساحلي بين تل أبيب وحديرا)، وكان وراء عملية إجلاء جزئي وعلى مستوى صغير لمناطق ريفية أخري شهدت عمليات قتالية ضمت تجمعات يهودية كبيرة (على وجه التحديد: مرج ابن عامر ووادي الأردن).

رحل العرب الذين أخلوا المدن والقرى بشـكل كبير بسـبب الهجمات اليهودية (من قبل الهاغاناه، والإرغون، والهستدروت) أو نتيجة للخوف من هجمات وشيكة، فضلا عن سـيادة الشـعور بالضعف والعرضة للخطر. فالشـعور الذي ساد هو أن العـرب ضعفـاء وأن اليهود أكثر قوة. كما كان هناك تآكل مسـتمر في الثقة بالقوة العسـكرية العربيـة. ولم يفكر عـلى الإطلاق أغلب الذين أُجلـوا، خصوصا من بين العائـلات الحضرية المزدهـرة، في الإقامة الدائمـة بالمهجر، وإنما اعتقـدوا أن الأمر سـيكون مجرد فترة غياب قصيرة المدى زمنيا تشابه ما حدث في العام 1936-1939، والتي دامت حتى نهاية القتال. وحداهم الأمل في أن تحلق الهزيمة باليشـوف، كما أنهم توقعوا تدخل، وربما انتصار الدول العربية.

لم تغادر في تلك المرحلة سـوى نسبة صغيرة للغاية من اللاجئين بناء على أوامر طرد أو «نصيحة» قهرية من قبل الهاغاناه أو الإرغون أو الهسـتدروت، وفي المقابل فإن كثيرين (خاصة النسـاء، والأطفال، وكبار السـن) غادروا نتيجة أوامر أو نصائح من القادة العسكريين أو المسؤولين العرب. فالمخاوف المتصلة بسلامتهم كانت وراء تلك الخطوات أكثر منها الاستراتيجية الضخمة للتهجير. وأخيرا، تلقى القليلون أوامر أو نصائـح بمغادرة فلسـطين، ولكن بصفة عامة كانت الأوامـر أو النصائح تتضمن الانتقال إلى مناطق أكثر أمانا داخل البلاد تكون فيها أغلبية سكانية عربية مهيمنة.

خلال تلك الفترة لم يكن لدى اليشـوف أو القيادة العربية في فلسـطين أو حتى الدول العربية سياسة تهدف إلى تحريك أو نقل العرب إلى خارج فلسطين، وباستثناء المزارعين المستأجرين، فإن عمليات الطرد القليلة التي تمت كانت لاعتبارات عسكرية يهودية. أما الحالات التي أمر فيها القادة العسكريون العرب بأن تُخلى قرى بكاملها فقد كان وراءها اعتبارات عسكرية وسياسية في آن واحد.

وبشكل عام فإنه قبل حلول شهر أبريل 1948 ناضلت القيادة الفلسطينية، وإن لم يكن ذلك بحمية، ضد النزوح الجماعي. وعلى الرغم من أن اللجنة العربية العليا، اللجان الوطنية بشكل عام، عارضوا عملية الهروب، فإنها لم تتوقف.

4

الموجة الثانية: النزوح الجماعي الضخم

(أبريل - يونيو 1948)

في نهاية شهر مارس نظر اليشوف إلى تطورات الأوضاع نظرة توجس وريبة؛ حيث وجد نفسه في وضع حرج على كل الأصعدة، سياسيا، بدت الولايات المتحدة كأنها تسحب التزامها بالتقسيم وتضغط في اتجاه «الوصاية» - بمعنى تمديد فترة الإدارة الأجنبية إلى بعد تاريخ الخامس عشر من مايو. وعسكريا، كانت الهجمات الفلسطينية على الطرق، التي تعيق القوافل اليهودية، تخنق القدس الغربية ببطء وتهدد بقاء تجمعات المستوطنات النائية. وفضلا عن ذلك، لم يكن من الممكن الوصول إلى مستوطنات الجليل سوى عبر طريق وادي الأردن أو طريق نهاريا - الجليل الشمالي، وكلاهما هيمنت عليه القرى العربية، وفيما يتصل بنهاريا وكيبوتس الجليل الغربي فقد

«مثلت عملية نحشون حدا فاصلا من الناحية الإستراتيجية وتميزت بتوافر النية وبذل الجهد لتطهير منطقة كاملة بشكل دائم من القرى المعادية، أو التي يمكن أن تكون معادية»

المؤلف

فصلتهما عن حيفا اليهودية عكا وسلسلة ممتدة من القرى العربية. حيفا ذاتها كان من غير الممكن الوصول إليها انطلاقا من تل أبيب عبر الطريق الساحلي الرئيسي نتيجة لسيطرة سلسلة من القرى العربية على الطرف الشمالي. أما كيبوتس مشمار هعيمك العتيق الذي يقف على الطريق الرئيسي المتجه من المثلث إلى حيفا فقد كان بدوره محاطا بالقرى العربية. وإلى الجنوب، في تلال الخليل، كانت المستوطنات الأربع الواقعة في غوش عتصيون تحت الحصار، في حين خضعت مستوطنات النقب الإحدى والعشرون للحصار بشكل متقطع، فضلا عن تعرض خط أنابيب المياه الحيوي لعمليات تخريب بشكل مستمر. وقد وقعت ثلاث قوافل يهودية كبري (يحيام، والنبي دانيال، وخلدة) في كمائن وتم تدميرها خلال الأسبوع الأخير من شهر مارس، وترتب على ذلك مصرع أكثر من مائة من عناصر الهاغاناه وتدمير الجانب الأكبر من أسطول حافلاتها المدرعة. وأخيراً، فإن الانسحاب البريطاني - الذي كان من شأنه أن يزيل آخر مظهر من مظاهر القانون والنظام في المدن وعلى الطرق - كان مقررا بعد بضعة أسابيع، في وقت بدأت فيه الدول العربية المجاورة في عملية التعبئة للتدخل العسكري، مما يعني أن اليشوف كان يناضل من أجل بقائه على الوجود، حيث قد يؤدي الغزو من قبل الدول المجاورة إلى توجيه الضربة القاضية له.

آخذين هذا الموقف وما يتضمنه من احتمالات، أعد قادة الهاغاناه في بدايات شهر مارس «الخطة دالت» (أو «الخطة د»)، التي كانت بمنزلة برنامج عمل لتأمين الدولة اليهودية الناشئة، فضلا عن الكتل الاستيطانية الواقعة خارج حدود الدولة، ضد الغزو المتوقع في الخامس عشر من مايو أو بعد ذلك. تضمنت الخطة ضرورة حسم المعركة ضد المليشيات والعناصر غير النظامية الأجنبية حتى تكون هناك فرصة لهزيمة الجيوش الغازية. ولكسب معركة الطرق كان على الهاغاناه أن «تُهدئ» أو تضفي طابع السلام على القرى والمدن التي تهيمن عليها وتم استخدامها كقواعد لشن العمليات العدائية، والتهدئة كانت تعنى استسلام القرى أو تفريغها من السكان وتدميرها. وتمثل جوهر الخطة في ضرورة تطهير أراضي الدولة اليهودية المزمع قيامها من العناصر المعادية، أو التي يمكن أن تكون معادية، والمتواجدة داخلها؛ وإقامة تواصل جغرافي بين التكتلات الرئيسية للشعب اليهودي؛ وتأمين

حدود الدولة المستقبلية قبيل الغزو المتوقع. وفي هذا السياق، نظرت الهاغاناه إلى جميع القرى باعتبارها معادية إما بشكل فعلي أو محتمل.

لم يكن واضعو الخطة، وعلى رأسهم يادين (قائد العمليات)، على علم بما إذا كان البريطانيون سينسحبون شيئا فشيئا أو تدريجيا من مناطق مختلفة من البلاد خلال الأشهر والأسابيع التي ستسبق الخامس عشر من مايو، أم أنهم سيقومون بذلك بشكل مفاجئ وكثيف مرة واحدة في هذا التاريخ أو قبله بقليل. وفي كلتا الحالتين رأى يادين تفعيل الخطة في الأسبوع الذي يسبق 15 مايو. وعلى الرغم من ذلك فرضت الحقائق على أرض الواقع (الهجوم العربي الذي قطع خطوط الاتصال، ومحاصرة المستوطنات، والانسحاب التدريجي والمبكر للقوات البريطانية من مناطق واسعة دفعة واحدة) على رئاسة أركان الهاغاناه تقديم موعد تنفيذ الخطة. وكان وضع الخطة دالت موضع التنفيذ بشكل تدريجي خلال الفترة من أبريل - مايو يتطلب تتبع أثر القوات البريطانية في عملية انسحابها في كل حي. وفضلا عن ذلك كانت أغلب العمليات التى تمت نتيجة للهجمات أو التهديدات العربية. وبشكل عام، اتبعت وحدات الهاغاناه الأسس الإستراتيجية والتكتيكية التي رسمتها الخطة، ومع ذلك فإنه في جزء منها كان مسار العمليات تفرضه المتطلبات الخاصة للموقف وطبيعة الخطر. دافعت الخطة عن ضرورة وضع نهاية سريعة للحرب الأهلية وحرب المليشيات بين السكان في المناطق المختلطة والتفرغ للحرب التقليدية المباشرة التي انطلقت مع الغزو العربي في 15-16 مايو.

لم تكن الخطة دالت برنامجا سياسيا لطرد عرب فلسطين[1]؛ لكنها كانت محكومة باعتبارات عسكرية وتهدف إلى تحقيق أهداف عسكرية. بيد أنه بالنظر إلى طبيعة الحرب واختلاط السكان، كان تأمين الداخل وحدود الدولة اليهودية يعني من الناحية العملية تفريغ المناطق من قاطنيها وتدمير القرى التي كانت تؤوي مليشيات وعناصر غير نظامية معادية. وطالبت الخطة بالقيام "بعمليات ضد تجمعات العدو الموجودة خلف أو داخل أو بالقرب من خطوط الدفاع، بهدف منع استخدامها كقواعد لقوات مسلحة نشطة». وبالنظر إلى حجم فلسطين وطبيعة الحرب، فقد كانت تقريبا كل قرية تقع داخل أو بالقرب من أراضي الدولة اليهودية المقررة تقع على طريق رئيسي أو في منطقة حدودية أو بالقرب من المحاور المحتملة

لتقــدم الجيــوش العربية. وقد قضت الخطة بالإخضاع التــام أو الاحتلال الدائم أو التسوية بالأرض للقرى والمدن. وتضمنت التعليمات أن يتم تطويق القرى والتفتيش عن الأســلحة والعناصر غــير النظامية الموجودة بها. وفي حالــة وجود مقاومة، يتم تدمير القوات المســلحة الموجودة بالقرية وطرد ســكانها، أمــا في حالة عدم وجود مقاومــة فيقتصر الأمر على نزع ســلاح القرية وإقامة حامية عســكرية فيها. بعض القرى المعادية لزم تدميرها «عن طريق الحرق أو الهدم ووضع الألغام بين الأنقاض - خاصــة القرى التي «ليس في اســتطاعتنا الســيطرة عليها بشــكل دائم». أرادت الهاغاناه منع إمكانية إعادة استخدامها لاحقا كقواعد ضد اليشوف[2].

خولــت الخطة كل لــواء حرية التعامل مع القرى الواقعــة في منطقة عملياته؛ حيث صدرت التعليمات لكل لواء متضمنة:

> *خلال عملية الاستيلاء على القرى في مناطق عملياتكم، يرجع لكم تحديد ما إذا كان من الضروري تطهيرها أو تدميرها، وذلك بالتشاور مع مستشاريكم للشــؤون العربية وضابط اســتخبارات الهاغاناه... ويُــصرح لكم قدر الإمكان بتقييد عمليات تطهير وإخضاع وتدمير قرى العدو في مناطق عملياتكم*[3].

لم يتم تفســير أو اســتخدام الخطة من قبل كبار الضباط العاملين في الميدان عــلى أنها تصريح مفتوح لطــرد "العرب"، إلا أنها بنصها عــلى الطرد أو التدمير للقرى التي تبدي مقاومة أو تلك التى قد تمثل تهديدا لليشــوف وفرت أساســا لعقيدة إســتراتيجية وأعطت «تصريحا مطلقا» للقيــام بعمليات الطرد من قبل قــادة الجبهة والألويــة والأحياء والفــرق (الذين تعللــوا في كل حالة بالضرورة العســكرية)، كما أنها وفرت للقادة العسكريين، بأثر رجعى، غطاء رسميا مُقنعا لأنشــطتهم. بيد أنه خلال الفترة من إبريل إلى يونيو، واجه عدد قليل نسبيا من القادة العسكريين المعضلة المعنوية التي تفرضها عملية تنفيذ التعليمات الخاصة بالطرد؛ حيث كان يفر سكان المدن والقرويون عادة قبل أو خلال المعركة، وكان مــن النــادر أن يضطر قادة الهاغانــاه إلى إصدار أوامر بالطــرد (على الرغم من قيامهم، بشــكل أو بآخر، بمنع الســكان الذين فروا من العودة إلى ديارهم بعد هدوء غبار المعركة).

من الناحية العملية تم وضع «الخطة دالت» قيد التنفيذ خلال الأسابيع الثمانية التـي تلت الثاني من أبريـل، غير أن معظم الوحدات التـي كانت تقوم بالهجمات والهجـمات المضادة لم تكـن على دراية بأنها تقوم في واقع الأمـر بتنفيذ أجزاء من مخطط كبـير؛ كان معظمهم يفكر انطلاقا من نوعية المشـكلات والأخطار المحلية ومدى تحسن الأوضاع. أما لواء إسكندورني (الذي كان مسؤولا عن السهل الساحلي مـن شـمالي تل أبيب إلى جنوب حيفـا)، فقد كان الوحيد الذى ينظـر منذ البداية إلى عملياتـه الهجومية (التي بدأت مطلع شـهر إبريل) باعتبارها تنفيذا لأجزاء من «الخطـة دالت». وفي واقع الأمـر، أصدر اللواء أوامر لكتائبه خلال الأسـبوع الأول من شـهر أبريل بضرورة «استكمال تنفيذ الخطة خلال الأسـابيع التي تلت الثامن من الشـهر نفسه»[4]، أما في المناطق الأخرى، فقامت ألوية الهاغاناه بشن هجمات وهجمات مضادة وفقا لروح «خطة دالت» من دون أن تدرك أنها كانت تقوم فعليا بذلك. وخلال عملية نحشـون (2-3 أبريل -20 أبريل) في ممر القدس، وفى الشمال، في معارك مشـمار هعيمك (4-15 أبريل)، ورامات يوحانان (12-16 أبريل)، وطبريا العربيـة (16- 18 أبريل)، وحيفا العربية (21-22 أبريل)، وعملية يفتاح في الجليل الشرقي (15 أبريل-15 مايـو)، وعملية بن عامي (الجزءان الأول والثاني) في الجليل الغـربي (13-22 مايو)، قامت الهاغاناه للمرة الأولى بإخضاع وتفريغ سلسـلة كاملة من القرى من سـكانها (وتسويتها بالأرض في أحيان كثيرة)، مما أدى إلى تطهير طرق المواصلات ومناطق الحدود.

إذا مـا نحينـا جانبا الخطة دالـت، فلا يمكن العثور عـلى أي أثر لأي قرار من قبل الأجهزة العليا في اليشـوف أو الهاغاناه قبيل مطلع شهر أبريل متضمنا سياسة وطنيـة واضحة «لطرد العرب». وفي حالة ما إذا كان مثل هذا القرار قد تم اتخاذه مـن حيث المبـدأ من قبل اللجنة التنفيذيـة للوكالة اليهوديـة أو لجنة الدفاع أو القيادات المحلية للهاغاناه أو رئاسة أركانها، فإنه كان من الضروري أن يكون له أثر في الوثائق. يضاف إلى ذلك - وربما بشكل مثير عند التأمل في الأحداث الماضية - أنه لا يوجـد دليل - باسـتثناء خطاب او اثنين مهمين لكـن منفصلين صادرين عن بن غوريون - على وجود أي توقعات عامة في اليشوف لحدوث نزوح جماعي عربي من الجزء اليهودي في فلسطين. وعلى الرغم من أن معظم قادة اليشوف كانوا ينظرون

إلى مثل ذلك النزوح الجماعي باعتباره أمرا مرغوبا فيه، فإنه حتى مطلع شهر أبريل لم يتـم اعتبار ذلك أمرا مرجحا أو وشـيك الحدوث. وترتب عـلى ذلك أن أدهش بـدء النزوح الجماعي حتى أكثر المتفائلين والمتشـددين داخـل الأجهزة التنفيذية لليشـوف، بمن في ذلك مناصرو ومؤيدو الترانسفير (النقل)، من قبيل يوسف ويتز. فعندما زار يافا في الثاني والعشرين من أبريل 1948 وشـاهد بعينه بداية الهروب الجماعي من المدينة سـأل نفسه والخوف بداخل أحشـائه عن السبب؛ فقد كان يخـشى «أن الأمر ربما يكون مؤامرة تم تدبيرها (بـين البريطانيين والعرب) ضدنا... كما أن عملية الإجلاء ربما قد تُسهل من الحرب ضدنا». وفي اليوم التالي كتب: «شيء مـا في عقلي الباطن يخيفني من هذا الفرار»[5]. وبعد مرور أسـابيع قليلة ذكر بن غوريون لوزرائه: "لقد سقطت عكا ولم يتبق فيها الكثير من العرب، وهذه الظاهرة يصعـب فهمها، بالأمس كانت في يافـا، لا يمكنني أن أتفهم كيف أمكنهم ترك مثل هذه المدينة..."[6]. وكان بن غوريون مندهشـا على وجـه الخصوص من عمليات إجلاء المناطق الريفية، «إن الافتراض الذي كان سـائدا بيننا هو أنه لا يمكن تحريك القريـة من مكانها، لكن الحقيقـة هي أن القرى العربية تـم إجلاؤها أيضا حتى عندما لم يكن هناك أي خطر. على سبيل المثال، لم تكن قرية الشيخ مونس معرضة للخطر، ومع ذلك تم إجلاؤها»[7].

شـهد النصف الأول من شـهر أبريل حدوث تغير اسـتراتيجي حاسم؛ حيث تم العثور على آثار واضحة لسياسـة طرد على المسـتويين القومـي والمحلي فيما يتصل ببعض الأحياء والمواقع الرئيسـية، وتم رصد "مناخ عام مؤيد للترانسفير" في الخطب التي ألقاها مسؤولون وضباط صهاينة، كما أن ذلك يبرز أيضا في الأعمال التي قامت بهـا وحدات الهاغاناه في أماكن مختلفة من البلاد؛ بمـا يعنيه ذلك من حدوث تغير جوهري في أوسـاط القيادة السياسـية والعسـكرية. ففي الفترة من 4 إلى 9 أبريل وتحـت وقع الموقف الـكارثي في القدس اليهودية وهجمات جيـش التحرير العربي على مسـتوطنة ميشـمار هعيمك، فضلا عن الضغوط التي مارسـتها المستوطنات والقادة العسـكريون المحليون، اتخذ بن غوريون ورئاسـة أركان الهاغاناه، بشـكل يتـماشى مع "خطة دالت"، قرارا بتطهير وتدمير مجموعة القرى المعادية أو المحتمل أن تصبح معادية وتهيمن على المحاور الرئيسية. وربما يكون قد تم التوصل إلى هذا

القرار بشكل مبدئي مؤقت ووثيق الصلة بأعمال انتقامية في منطقتين محددتين: الطريق الساحلي، وطريق القدس- تل أبيب، أو قد يكون قرارا من حيث المبدأ يتصل بالمناطق التي تم تخصيصها لتقع تحت السيادة اليهودية، وواقع الأمر أننا لا نعلم الحقيقة. وفي كل الأحوال، تم إضفاء الصفة الرسمية والمؤسسية على سياسة تفريغ المجتمعات العربية التي تقع على الطرق المحورية أو المتاخمة لها، وتلك الواقعة على امتداد بعض الحدود من سكانها، وصدرت أوامر من قيادة أركان الهاغاناه إلى قادة الوحدات المعنية ليقوموا بإخراج وطرد - إذا ما كان ذلك ضروريا- السكان المتبقين في المجتمعات على طول محاور الطريق بين تل أبيب وحيفا، وطريق جنين- حيفا (حول مستوطنة مشمار هعيمك) وطريق القدس- تل أبيب، وذلك باستثناء الفريديس، وعرب الغوارنة، (جسر الزرقاء) على طريق تل أبيب - حيفا، وأبو غوش (على طريق تل أبيب-القدس). وعلى الرغم من عدم صدور توجيهات شاملة وعامة حول الطرد من قبل السلطات السياسية الحاكمة أو الأجهزة العسكرية، فإن الأشهر التالية شهدت تبني وتنفيذ العديد من الضباط والوحدات سياسة الطرد، وجرى تنفيذ عمليات من هذا القبيل بشكل فردي. وكما ذكر أحد ضباط الاستخبارات بقوات الدفاع الإسرائيلية على استحياء: «يسود رأي بأنه يلزم علينا أن نضاعف من طرد العرب من أراضي دولة إسرائيل؛ حيث إن بقاءهم يجعل ممارسة الوظائف الإدارية أكثر صعوبة، كما أن معنويات السكان تتدهور مع كل موجة من اللاجئين»[8].

أبرزت مداولات مستشاري الشؤون العربية للهاغاناه في مركز العمليات المركزي (الإسكندروني) هذا التحول الجوهري في منطق التفكير بشكل صارخ. فخلال لقائهم في الحادي والثلاثين من شهر مارس بالقرب من نتانيا، ركز المستشارون على حماية الممتلكات المهجورة من قيام اليهود بنهبها. وفي هذا الخصوص وضعوا خطوطا استرشادية فيما يتصل بالحصاد وبيع محاصيل البساتين والحقول التي تم هجرها، ومن بين ذلك تأجيل حصاد الحبوب لمدة أسبوعين «انتظارا لأن يتضح ما إذا كان من الممكن أن يحضر الملاك الأصليون (ويُسمح لهم) بأن يقوموا بجني (المحاصيل) بأنفسهم، فالقرار بشأن عملية الجني ومن يقوم بها تم تأجيله حتى الاجتماع الثاني (التالي)». وفضلا عن ذلك فإن المستشارين قرروا «إزالة» خيام وأكواخ البدو التي تم هجرها، خشية أن يتم استخدامها كملاذ للنوم من قبل «السارقين والمشتبه

فيهم». وبشــكل عام فــإن القرار المتصل بعــودة العرب إلى المناطــق التي تركوها تــم تأجيله إلى الاجتماع التالي (وطُلب إلى قــادة المناطق إقامة حواجز على الطرق "للتدقيــق" في العرب الداخلين، بما يعنيه ذلك من إمكانية الســماح لهم جميعا أو بعضهم بالدخول). وإلى أن يتم اتخاذ موقف حول وجود أســباب عســكرية تتصل بالأراضي المملوكة للعرب، يلزم "إبلاغ" الملاك "ووعدهم" بأنه "لا توجد نية للإضرار بممتلكاتهــم (أو بحقوقهــم في هذه الملكيــة). كذلك تم تأجيل صدور قرار بشــأن الترحيل المحتمل للمزارعين المســتأجرين من الأراضي المملوكة لليهود، لحين التشاور في هــذا الخصوص مع الصندوق القومي اليهودي. وبعبارة أخرى، فإنه بحلول نهاية شــهر مارس كان المستشارون مازالوا غير واضحين فيما يتصل بمستقبل العلاقات مع العــرب المحليين، وقد أوحى ذلك بأن «الوضع القائم» (اســتمرار العرب في العيش داخل المناطق اليهودية أو عودتهم إليها) سيتم الحفاظ عليه[9].

مــع معاودة الخــبراء الاجتماع مجدداً- في الســادس من أبريــل- كان قد طرأ تغيير جوهري على السياســة؛ حيث صدر «أمر صريح بألا يُســمح للعرب بالدخول إلى المناطــق لجني المحاصيل (الحبــوب)»، وأن «أولئك الذين رحلــوا من المنطقة لن يكون مســموحا لهم بالعودة». كذلك تم تخويل المســتوطنات الحق في حصاد المحاصيــل العربية التي تم هجرها. كما شــملت السياســة الجديدة أن يتم «نصح العــرب بألا يحومــوا حول المناطق التي تــم إخلاؤها، وأنه يلــزم إفهامهم بطريقة مهذبة عدم قدرتنا على ضمان سلامتهم». كما توصل المستشارون إلى نتيجة مفادها أن: «الاتجــاه العام (المقصود النية) هو طرد العــرب من المنطقة اليهودية». وفيما يتعلق بالمزارعين المستأجرين، قرر الاجتماع بتعبير مهذب - «قبول» عودة الأراضي التــي كانت مؤجــرة أو مملوكة لليهــود إلى أياديهم، وهو ما يعنــى طرد المزارعين المستأجرين بعد تقديم تعويض مناسب[10]. وتم تعميم توجيهات المستشارين على جميع وحدت لواء إســكندروني[11]. وخلال الأسابيع التالية ناقش المستشارون مصير عدد مــن المجتمعات الأخرى: العرب العائديــن إلى وادي فالق، غرب أيفين يهودا، والذين تم الأمر «بطردهم»؛ ســكان خربة عزون (تبصر) الذين تم "تحذيرهم بأنه مــن الأفضل لهم أن يرحلوا". كذلك كان من المتوقع أن يرحل العرب في خربة بيت ليــد خلال «يــوم أو يومين»، كما أن وجود حركة للعــرب في مدينة حديرا اليهودية

كان على وشـك التوقف[12]. وبعد مرور ثلاثة أيام كشـف أحد ضباط اسـتخبارات الهاغانـاه- مـن دون تحفظ - عما حدث في خربة بيت لـد على النحو التالي: «بعد تلقينـا الأمر بطرد كل العرب الذين بقوا في منطقة لواء إسـكندروني- تم إخطارهم بذلك (المقصود سكان خربةِ بيت ليد) وغادروا جميعا المنطقة»[13].

صدرت أوامر مماثلة خلال عملية نحشون (انظر ما يلي) في الفترة من 2-3 حتى 20 أبريل، عندما قاتلت الهاغاناه لكسر الحصار المفروض على القدس. ففي البداية منـح غاليلي الهاغاناه سـلطة «السـيطرة على القرى على طـول الطريق القدس - شاعار هاغاي(*) إذا كان قد تم هجرها» وإن لم يكن البريطانيون قد قاموا بالتدخل فيه[14]. وبعد مرور عشرة أيام قام جاليلي بتوسيع المهمة آمراً «بتطويق وإنهاك (إلى الحد الذي يدفع إلى الفرار) القرى التي لم يقم سكانها بإجلائها بعد»[15]. وفي الثامن عشر من أبريل أرسل ضابط البالماخ (آلون) برقية إلى عمليات رئاسة أركان الهاغاناه تضمنت ما يلي: «من الواضح بالنسـبة إلي أننا يجب ألا نسـتمر في إرسـال قوافل [إلى القدس] إلى حين تمكننا من زيادة هجماتنا... على أغلب قواعد العدو]المقصود القرى[وإيقاع الخلل في تنظيمه، وأن نتمكن من نشر اللاجئين في كل مكان ونضمن انسحاب العناصر المسلحة [غير النظامية]»[16].

لم يقتـصر الأمر على الهاغاناه في اتخاذ القرارات الخاصة بطرد القرويين العرب. ففـي الثالث عشر من أبريل أخطرت رئاسـة أركان الهاغانـاه كل الألوية بأن لجنة الممتلكات العربية، التي ترأسـها آنذاك ماكنس، «مخولة كذلـك باتخاذ قرارات ... فيـما يتصل بتنقل العرب داخل المناطـق اليهودية... والطرد من القرى العربية غير المشاركة في القتال»[17]. وقد وافق بن غوريون على هذا التفويض من دون مناقشته خلال لقائه بمستشاري الشؤون العربية بعد مرور ثلاثة أسابيع، وتم الاتفاق على أن «يكون لإدارة الشـؤون العربية حرية اتخاذ القرار فيما يتصل بإزالة أي قرية عربية قد تحول دون تنفيذ مخططات اليشوف أو تكون مثيرة للمشاكل»[18].

تحدث بن غوريون، في خطاب عام ألقاه في الرابع من مايو، عن «السهولة الكبيرة» التي هربت بها الجموع العربية من مدنهم وقراهم (في حين لم يتخل اليشوف، حتى تاريخـه، عن أي من مسـتوطناته) قائـلا: «إن التاريخ أوضـح الآن من هو المرتبط

(*) الاسم العربي هو طريق باب الواد.

بهذه الأرض، ومن لا تمثل له هذه الأرض إلا رفاهية يمكن التخلي عنها بسـهولة»[19].
ومـع ذلك، يجدر التنويه إلى أن الوكالة اليهودية سـاهمت بشـكل كبير في إضعاف الروح المعنوية للعرب. فخلال شـهر إبريل أعدت إدارة «الحرب النفسـية» التابعة لرئاسـة أركان الهاغاناه وسـجلت ستة بيانات بثتها بشكل مسـتمر إذاعة الهاغاناه، وأيضـا كررتها مكبرات الصوت المثبتة على حافلات، وقد حمل أحدها عنوان "لصالح مـن تحاربـون؟"، لاعبا على وتر فرار النخبة الحضرية. «أنتـم هنا في ميادين القتال في الوقت الذي فروا هم فيه من البلاد، إنهم يجلسـون في فنادق بدمشـق ومصر... أيـن يوجد اليوم جمال الحسـيني؟، وأين يوجد إميل الغوري؟ ... إنهم يسـتمتعون بالحياة في الملاهي الليلية ببيروت مع الفتيات والراقصات...». وتحدث بيان آخر عن العناصر غير النظامية الأجنبية التي ورطت القرى في القتال ثم تخلت عنها بعد ذلك ليواجهـوا عمليات السـلب من قبل اليهود: «عندما تمنع وسـائل النقل.. من يبقى جائعاً؟... عندما تهجرون قرية... ممتلكات من التي سـيتم تدميرها؟». لم تطلب أي من البيانات أو الخطب المسجلة من العرب الفرار[20]. ولكنها كانت جميعها مصممة لإضعاف الروح المعنوية، مما دفع بعمليات رئاسة أركان الهاغاناه إلى اقتراح استثمار هذه الأداة (من دون أن توضح كيفية تحقيق ذلك)[21].

بالتوازي مع التيار السـائد المتمثل في «مناخ الترانسـفير» والإرشـادات العامة للهاغانـاه والتوجه الخاص بإبعاد العرب وتدمير قراهم على طول الطرق الرئيسـية والمناطق الحدودية، برز على السطح - خلال الفترة من إبريل إلى يونيو- تيار ثانوي أو سياسـة مضادة تدعو إلى تـرك العرب الأصدقاء والمجتمعـات العربية المحيطة باليهود يعيشـون في أماكنهم. تمحور ذلك التيار، الذي لم يصبح على الإطلاق سياسة رسمية لليشوف أو الهاغاناه والذي أثر بشكل طفيف للغاية على الأجهزة التنفيذية خلال العمليات، حول شـخص بيخور شـتريت (الذي أصبح، منذ الخامس عشر من مايو وزيرا للشرطة وشؤون الأقليات) والمسؤولين في وزارة الأقليات. كذلك لعبت كل من إدارة الشـؤون العربية في حزب مابام وبعض الكيبوتسـات التابعة للحزب من وقت لآخر دور المفسد أو المقيد للنشاط المفرط للتيار الرئيسي.

في الثاني والعشرين من شـهر أبريل أصدرت السـلطات (على الأرجح القسـم العربي بالوكالة اليهودية) مجموعة من الخطوط الاسترشـادية الرسمية حول احتلال

القـرى المحيطـة، وتضمنت النـص على أنه: «أثنـاء الأحداث، ربمـا نواجه ظاهرة القرى أو الأشـخاص المستسـلمين الذين يطلبون حماية الهاغاناه والحق في البقاء في المنطقة اليهودية». فإذا كان المطالبون بذلك يعيشـون «في المنطقة الحدودية أو خط المواجهة يلزم نقلهم إلى المناطق الخلفية»، حيث يمكن حمايتهم بشـكل جيد. وبعد إتمام نقلهم إلى الداخل، يلزم تقييد حريتهم في الحركة ولا يجب السـماح لهم بالاتصال بالعرب الآخرين لأسـباب اسـتخباراتية. وتم التنبيه على الهاغاناه بتوخي الحـرص "ففي كل حالة يتم فيها طلب الحصول على الحماية اليهودية، يلزم تقييم الأمـر بعناية لمعرفة ما إذا كان من الممكن تـرك العرب في أماكنهم أو يجب نقلهم إلى الخلف»[22]. ومع ذلك، فإن تلك الخطوط الاسترشـادية لم تؤخذ بشكل عام على محمـل الجد من قبل وحـدات الهاغاناه، على الرغم من أنه تـم في نهاية المطاف السماح لعدد قليل للغاية من القرى المحيطة في ذلك الوقت بالبقاء.

بعد مرور أقل من ثلاثة أسـابيع، وفي العاشر من شهر مايو، قدم شتريت مذكرة إلى «إدارة الشـعب» (التـي حلت محل الجهاز التنفيذي للوكالـة اليهودية كوزارة لليشـوف وكانت على وشـك أن تصبح خلال أيام «الحكومة الانتقالية لإسرائيل»). ويبـدو أن تلـك المذكرة لم تناقش قط مـن قبل هذه الإدارة التي كانت مشـغولة بإعداد إعلان الدولة ومواجهة الغزو الوشـيك. جاءت الوثيقة تحت عنوان: «مذكرة من وزارة شـؤون الأقليات، الموضوع: المشكلة العربية». كتب شتريت في وثيقته إن القادة الصهاينة أعلنوا على الدوام رغبتهم في العيش في سـلام مع جيرانهم ومنحهم «حقوقا مدنية متساوية». والشعب اليهودي الذي عانى لقرون من الاضطهاد سيتم الحكـم عليه طبقا لكيفيـة معاملته الأقلية التي توجد لديـه. ويقع على الحكومة الجديدة مسـؤولية حماية الممتلكات التي هجرها العرب الذين فروا، «للإبقاء على علاقـات طيبة مع أولئك الذين بقوا ويرغبون في البقاء بيننا أو أن يعودوا [للعيش] بيننا، وقد اعترف شـتريت بأنه ارتكبت «أعمال إجرامية» في أماكن استولى اليشوف عليهـا، ملمحا على وجه الخصوص إلى عمليات السـلب والنهب. غير أنه أضاف أنه على القيادة الصهيونية أن تنظر إلى المستقبل وأن «تُقيد من دوافعنا الشريرة».

طالب شتريت بأن يتم وضع المسائل المتصلة بالممتلكات العربية والمجتمعات العربيـة في دائـرة اختصاصاته، بمـا في ذلك «إجـلاء القرى»، «عـودة العرب إلى

أماكنهم»، و«إدماج العرب في مؤسسات الدولة واقتصادها إذا ما سمحت الظروف بذلك»، وأخيرا أوضحت المذكرة ضرورة التأسيس لتعاون وثيق مع قوات الدفاع في هذا الخصوص[23].

تضمن أرشيف قوات الدفاع الإسرائيلية وثيقة ثانية تم إعدادها في ذلك الوقت، قد يكون ذلك بواسطة شتريت أو موظفيه، وتتضمن تفصيلا السلوك المطلوب اتباعه من قبل الجيش عند استيلائه على المدن والقرى العربية، فضلا عن النص على ضرورة الإلحاق الفوري لموظف من وزارة الأقليات بفريق العمل التابع للحاكم العسكري في أي منطقة محتلة، وأن تقام اتصالات فورية مع السلطات العربية المحلية، وضرورة إلقاء القبض على القادمين من الخارج والمحاربين ومصادرة الأسلحة والوقود والسيارات التابعة لهم. كما يلزم على السلطات أن توفر الغذاء والرعاية الصحية للسكان إذا ما تطلب الأمر ذلك. وأوضحت الوثيقة أنه يجب على الجميع أن يتذكر أن «التعاون مع السكان المحليين سوف يوفر قوة بشرية مطلوبة في عمليات أخرى». كذلك ركزت الوثيقة على ضرورة حماية دور العبادة والأماكن المقدسة؛ وميزت بشكل دقيق بين المواقع داخل حدود التقسيم والتجمعات خارجها، موضحه أنه داخل الدولة اليهودية يلزم تعيين «محافظين» وليس «حكاما عسكريين»[24].

تمثلت الفرضيات التي استندت إليها هذه الوثيقة في أن إسرائيل لن تعارض الوجود المستمر للمجتمعات العربية (المسالمة) داخل الدولة؛ وأنه ستكون هناك أقلية كبيرة الحجم؛ وأن إسرائيل ستكون منفتحة على ملف عودة اللاجئين العرب. غير أن هذه التوجهات لم تكن، ولن تكون، سياسة التيار الرئيسي للقيادة. وبالرغم من ذلك، فإن أيا من بن غوريون أو الحكومة المؤقتة أو الهاغاناه (قوات الدفاع الإسرائيلية - رئاسة الأركان) لم يتبن أو يُعلن عن سياسة معارضة. ومن ثم تُرك شتريت تحت اعتقاد، كلي أو جزئي، أن خطوطه الإرشادية مقبولة لدى بن غوريون ورفاقه، وقام بالتصرف لمدة قصيرة وفقا لذلك. وفي المقابل استمرت الأجهزة الحيوية للدولة (الهاغاناه أو قوات الدفاع الإسرائيلية؛ أجهزة الاستخبارات؛ حركات الكيبوتسات) في العمل بطريقة عكسية (على النحو الذي سنراه لاحقاً) مشجعة االنزوح الجماعي العربي بطرق متعددة، وتطلب الأمر شهوراً من شتريت ليفهم ذلك ويحذو حذو الآخرين وإن كان ذلك على مضض.

كانت فعالية شـتريت محدودة في فرض إرادته المعتدلة؛ حيث حققت الهاغاناه/ قـوات الدفاع الإسرائيلية النصر تلو النصر. وبشـكل عام لم يكن القادة العسـكريون في الضواحـي سـعداء بالإبقاء على المجتمعـات العربية في أماكنها، بمـا يتطلبه ذلك من إقامة الحاميات العسـكرية والتأمين ضد عمليات السـلب من قبل اليهود. ومن ثـم فإنهم لم يفعلوا ذلك. وبالمقابل فإنه في حفنـة من المدن حيث ظلت مجتمعات عربية باقية (يافا، عكا، الناصرة) تم الالتزام بشكل جزئي بخطوط شتريت الاسترشادية، حيث تم ضم موظفين للشؤون العربية إلى طاقم موظفي الحكام العسكريون، وتوفير الغذاء والرعاية الصحية، وتقلصت عمليات السـلب والنهب إلى أن تم القضاء عليها تماما. وبطريقة مماثلة قام مسـؤولو مابام، بدعم من شـتريت، بدور فعال في إجبار الجيـش على ترك حفنة من المجتمعـات العربية الريفية في أماكنها، بما في ذلك جسر الزرقاء والفريديس. وفي ملحق لـ «الخطة د»، أصدرته عمليات رئاسة أركان الهاغاناه في الحادي عشر من شـهر مايو، تم النص على توفـير حاميات للقرى والمدن التي تم الاسـتيلاء عليها، وتأسـيس «جهاز خاص لإدارة الشـؤون (المدنية) في تلك الأراضي»، الأمر الذى ولد توقعات بأن المجتمعات العربية ستبقى في أماكنها. لم ترد في أي مكان تعليمات بـ «طرد العرب» أو ترحيلهم[25]. وهنا أيضا يمكن أن نلمس بصمات شتريت.

في نهاية المطاف ساد مناخ الترانسفير (على النحو الذي سنراه لاحقاً) خلال الفترة من أبريل إلى يونيو: أغلب المجتمعات التي هُوجمت تم ترحيل سكانها، وفي الأماكن التي لم يحدث فيها إجلاء تلقائي كان يتم غالبا طرد سـكانها. وفي جميع الأماكن مُنع العرب الذين فروا من العودة إلى ديارهم. كما أنه في مناطق أخرى نُزع سـلاح القرى التي استسـلمت وتلا ذلك طرد سـكانها. رفضت الهاغاناه (والإرغون والهستدروت) في بعض الحالات قبول الاستسـلام مما دفع السـكان إلى الرحيل. إلا أنه نتيجة لغياب سياسـة مركزية واضحـة للطرد قامت بعض الوحدات العسـكرية بالتصرف بطريقة مختلفـة، فكل من لواء غيفعـاتي وحاريل يفتاح قام بالتحقق مـن أنه لم يعد هناك سـكان عرب باقون في المناطق التي قاموا بالاستيلاء عليها، أما لواء غولاني فقد تصرف بطريقة أقل تشدداً.

كان للتغـير في السياسـة الذي حدث في النصف الأول من شـهر أبريل أثره كذلك على السـلوك إزاء الممتلكات المهجورة، وهـو مصطلح انطبق آنذاك على

جميع المناطق المدنية المجاورة والعشرات من القرى، بمنازلها وأراضيها. وتمثلت المشكلة الأولى التي واجهتها السلطات في هذا الخصوص في عمليات السلب والنهب التي قام بها غالبا الجيران اليهود للمنطقة. وفي البداية كانت رئاسة أركان الهاغاناه قلقة بشأن قرى وقطع أراض محددة، من قبيل تلك الواقعة بين نهر العوجا وهرتسليا[26]، وأصدرت التعليمات لكل لواء بالإشراف على الممتلكات المتروكة في منطقة اختصاصه من خلال تعيين مفتشين للممتلكات المهجورة[27]. لكن سرعان ما تبين أن المشكلة تحتاج إلى أن يتم التعامل معها بشكل مُمنهج وشامل على المستوى«الوطني». ففي منتصف شهر مارس تم تعيين ديفيد هورويتز ممثلا لإليعازر كابلان في هذا الشأن. (وخلال أسابيع أصبح كابلان أول وزير للمالية لدولة إسرائيل وعين هورويتز مديرا عاما للوزارة)[28]. وبنهاية شهر مارس، قام غاليلي بتعيين لجنة الممتلكات العربية التي ضمت كلا من ماكنس، وهورويتز، ودانين[29].

في الأول من أبريل أرسلت اللجنة، برئاسة هورويتز، نشرة تُخطر الجميع بلا استثناء باختصاصاتها وسلطاتها، وركزت على أن الهدف هو استغلال الممتلكات العربية لتلبية احتياجات اليهود ومتطلباتهم أكثر منه حمايتها. أمر هورويتز من تلقوا النشرة (قادة وحدات الهاغاناه والسلطات المحلية) بضرورة موافاة اللجنة «خلال فترة أسبوع» بحصر «الممتلكات العربية» في المناطق العاملين فيها، بما في ذلك نوعية الملاك (أصحاب أراض غائبون، فلاحون، بدو...الخ.) وقائمة بأسماء اليهود الذين تم منحهم توكيلات من العرب لإدارة أملاكهم[30]. قامت اللجنة بالبدء في تنظيم عملية حصاد اليهود للحقول المهجورة ومنع العرب من ذلك[31]، فضلا عن قيامها بالتسجيل المنهجي لأنواع الممتلكات المهجورة[32]. وخلال شهر أبريل أضحت هذه العملية (منع العرب من الحصاد وتنظيم قيام اليهود بذلك) التي كانت تتسم ببعض التردد في البداية تتم بشكل مُمنهج، على النحو الذي عكسته مداولات مستشاري الشؤون العربية للواء إسكندروني[33]. أصدر غاليلي تعليماته إلى كل الألوية بالتعاون مع اللجنة وأخطرهم بأنها «مخولة بإعطاء التعليمات لهم فيما يتصل... بالتصرف إزاء الممتلكات العربية». وكما سبق إيضاحه، فإن اللجنة كانت مخولة باتخاذ قرارات بالطرد من قرى معنية[34]. وقد ضاعفت اللجنة من أنشطتها

خلال شهري مايو ويونيو بحلول موسم جني المحاصيل، وطافت أرجاء البلاد لتلتقي بالمجالس الإقليمية وتخصص الحقول التي سيتم حصد محاصيلها للمستوطنات، التي تنافست فيما بينها للحصول على المنفعة من وراء ذلك[35].

لكن في ضوء حالة الحرب الأهلية المتقلبة وطبيعة السلطة الناشئة للمؤسسات الجديدة للدولة، لم يكن سلوك الهاغاناه (والمدنيين) تجاه الممتلكات المهجورة في كل موقع على المستوى الذي كانت اللجنة ترغب في أن يكون عليه، حيث استمرت عمليات السلب والنهب. وفي مطلع شهر مايو قدم هورويتز استقالته نظرا لشعوره بالاشمئزاز، معلنا أن اللجنة «لم يكن لها تأثير على مجرى الأحداث»، فقد روعته أعمال النهب، ونفرته عمليات تدمير القرى وتسويتها بالأرض[36].

خلال النصف الثاني من شهر مايو تحولت لجنة الممتلكات العربية إلى إدارة في وزارة شؤون الأقليات، ثم عقب ذلك داخل مكتب الحراسة على الممتلكات المهجورة (وتم تعديل الاسم لاحقا ممتلكات الغائبين) بوزارة المالية. وتم تعيين غويرتز مديرا عاما لها. وبالرجوع إلى الوراء، يمكن القول إنه بينما نجحت اللجنة / الإدارة جزئيا في تنظيم عملية الحصاد، فإنها فشلت في نهاية المطاف في منع أعمال السلب والنهب لمنازل العرب، وظل مصير القرى (تهجير، تدمير ... الخ.) في نطاق اختصاص بن غوريون والمؤسسة العسكرية.

مر المجتمع العربي الذي كانت هجمات «الخطة دالت» موجهة إليه، كما سبق ورأينا، بشهور من التوتر والتآكل. نجح السلاح الفلسطيني، معززا بتدفق منتظم للمتطوعين الأجانب، جزئياً في إنهاك قوى الهاغاناه وقيد بشكل كبير من استخدام اليهود للطرق. إلا أنه في الوقت الذي ظلت فيه العديد من المستوطنات اليهودية تحت حصار شبه دائم، فشل العرب في الاستيلاء على أي منها على الرغم من محاولاتهم ذلك. والأسوأ من ذلك أن الكمائن التي أعدها اليهود والحواجز التي أقاموها على الطرق عزلت بدورها العديد من القرى العربية وساد شعور عميق بالحصار والقابلية للسقوط في يد الأعداء في مركزين عربيين رئيسيين هما حيفا ويافا. وكان لهروب الطبقات الوسطى والعليا من هاتين المدينتين بالإضافة إلى القدس خلال الشهور السابقة- أثر كبير في إضعاف الروح المعنوية، الأمر الذي ساهم في حدوثه كذلك الانهيار التدريجي للقانون والنظام نتيجة لتدفق المتطوعين

الأجانب وتدهور الأوضاع وتوقع قرب انتهاء الحكم البريطاني. وعلى العكس من اليشوف، فشل الفلسطينيون في إقامة حكم ذاتي حقيقي عندما حان موعد انسحاب البريطانيين.

تزايدت وتيرة عملية التحلل خلال شهر إبريل. فر رجال الشرطة بأسلحتهم؛ وتوقف الموظفون عن الذهاب إلى أعمالهم. وقامت العناصر غير النظامية بسرقة الملكية وبالتحرش بالنساء وترويع السكان، وفي الوقت ذاته لم تكن فعالة عسكريا؛ فقد السكان ثقتهم في قدرتهم على التصدي للهاغاناه، فما بالك بهزيمتهم. يضاف إلى ذلك أن شعور الفلسطينيين بالعزلة «القومية» عن العالم العربي المحيط ما فتئ أن تزايد إزاء رفض الدول العربية التدخل في فلسطين قبل الخامس عشر من مايو، وعدم موافقتها المستمرة على طلبات الحصول على السلاح. وأخيرا فإن النقص في الغذاء والوقود وارتفاع الأسعار وانتشار البطالة كانت كلها عوامل زادت من حدة انخفاض الروح المعنوية.

بشكل عام، كانت الأحوال في القرى أفضل منها في المدن. حيث تمتعت بشكل أو بآخر بدرجة من الاكتفاء الذاتي، كما أن القتال لم يصب كل أرجاء البلاد بشكل حاد. ومع ذلك، تأثرت أغلب القرى، بدرجة ما، بما يحدث في المدن التي كان يتم التطلع إليها إما للقيادة أو للحصول على المعلومات أو الدعم. كان القرويون في ضواحي يافا، وممر القدس، والجليل الشرقي، والنقب يتعرضون للقتال ويعانون من هجمات الهاغاناه، مما كبدهم خسائر كبيرة. وفضلا عن ذلك أثرت مجموعة من العوامل الإضافية على القرويين جاء في مقدمتها: الانزلاق نحو حالة من انعدام القانون؛ الخوف على المحاصيل ومن الهاغاناه والإرغون؛ والقلق بشأن ما يمكن أن يحدث في أعقاب انسحاب البريطانيين.

أصابت الهجمات التي شنتها الهاغاناه في شهر أبريل وما ترتب عليها من نزوح جماعي ضخم الدول العربية واللجنة العربية العليا بالمفاجأة. وعلى مدار أسابيع فشل العالم العربي في التعامل مع الموقف، إلى أن وقع النزوح الجماعي من يافا (22 أبريل - أوائل مايو). وبالنظر إلى ضعف وسائل الاتصال والغموض الذي أحاط بالمعركة، تطلب الأمر - على الأرجح - بضعة أيام لمعرفة وفهم مجريات الأحداث، خاصة في المناطق الريفية، وربما لم يشأ بعض قادة الدول التركيز بشكل

كبير على النزوح الجماعي خشية إثارة ضغوط شعبية في اتجاه بدء عملية الغزو قبل الانسحاب البريطاني. وعلى الرغم من ذلك فإنه بلغة الدعاية وكتبرير مسبق لعملية الغزو - التي كانت محل دراسة - لم يكن هناك مادة أكثر مناسبة من النزوح الجماعي والتي يمكن تصويرها للعالم - وهو ما تم بالفعل - على أنها عملية طرد متعمد من قبل اليهود للفلسطينيين. حتى إن كانت هناك حالات إخلاء طوعية، فإن ذلك كان يبرهن على أن العرب غير مستعدين للعيش تحت الحكم اليهودي - وهو ما يصب في صالح الدعاية العربية - مما يفرغ النصوص المتصلة بالأقليات في قرار التقسيم من مضمونها. وفي جميع الأحوال لم ينظر أحد إلى النزوح الجماعي على أنه أمر دائم؛ سيعود اللاجئون بالتأكيد خلال أسابيع، على أثر الغزو العربي، أو التدخل البريطاني أو الوساطة من قبل الأمم المتحدة.

أيا كان منطق وسلوك قادة الدول العربية، فإنني لم أجد أي دليل معاصر يُظهر أنهم - أو المفتي - أصدروا أوامر مباشرة أو غير مباشرة تُشجع على الهجرة الجماعية الضخمة خلال شهري أبريل ومايو. أما فيما يخص القادة الفلسطينيين، فإنه من المفيد ملاحظة أنه على مدار العقود كانت سياستهم هي التمسك بثبات بالأرض ومقاومة طرد أو ترحيل التجمعات البشرية. لكن هناك عاملين مهمين، خلال شهر أبريل كثفت اللجنة العربية العليا وبعض اللجان الوطنية من ضغوطها على القرى في مناطق عديدة وعلى بعض المدن من أجل إرسال النساء والأطفال وكبار السن إلى مناطق آمنة، وقد امتثلت بعض المناطق لهذا؛ كذلك فإنه في العديد من المواقع أمر القادة العسكريون أو السياسيون بالإجلاء التام للقرى.

خلال شهر أبريل استمرت بعض العناصر غير النظامية، وعلى الأقل بعض اللجان الوطنية، بشكل واضح بناء على أوامر اللجنة العربية العليا، (سواء نتيجة الكسل أو التماشي مع السياسة المقررة) في تشجيع رحيل النساء والأطفال وكبار السن من مناطق القتال الفعلية أو المحتملة. وقد سجل بن غوريون هذه الظاهرة وقدم تفسيرا لها (بالنسبة إلى قرى السهل الساحلي): «من الممكن أن يكون ذلك قد تم نتيجة لضغوط قادة العصابات بعيدا عن الاحتياجات الإستراتيجية العربية؛ حيث يتم إخراج النساء والأطفال وتدخل العصابات المحاربة بدلا منها»[37].

في السابع عشر من شهر أبريل أفاد جهاز استخبارات الهاغاناه عن وجود «أمر عام» بإبعاد النساء والأطفال من الأحياء المتاخمة للمناطق اليهودية في القدس(38). وبالفعل أمرت اللجنة الوطنية في القدس في الثاني والعشرين من الشهر نفسه - استنادا إلى منشور من اللجنة العربية العليا - فروعها في الأحياء المحيطة (الشيخ جراح، وادي الجوز، مصرارة، قطمون، وغيرها) بإرسال النساء والأطفال وكبار السن «إلى مناطق أكثر بعدا، بعيدا عن المخاطر». وحذرت اللجنة من أن أي معارضة لهذا الأمر سيتم النظر إليها على أنها «عقبة في طريق الحرب المقدسة... حيث إنها ستعيق أعمالها في هذه المناطق»[39]. وبحلول الخامس من الشهر كان سكان مصرارة (الواقعة على خط التماس) قد «أجلوا بالفعل أغلب النساء والأطفال إلى أريحا»[40]؛ وقرابة التاسع عشر من الشهر تم تسجيل إجلاء نساء وأطفال وادي الجوز[41]. وجرت عمليات مماثلة في مدن أخرى؛ حيث تم ترحيل عدد من النساء والأطفال من يافا عبر البحر[42]. وتلقت مدينة بيسان الواقعة بالقرب من الحدود مع الأردن أوامر من الجيش العربي مطلع شهر مايو بإجلاء النساء والأطفال، ربما في إطار الاستعدادات لغزو عربي[43]. وقد رصد جهاز استخبارات الهاغاناه في التاسع من مايو هذه العملية[44].

كانت عملية إجلاء الأشخاص المُعالين أكثر وضوحا في الريف؛ حيث قامت أغلب القرى المحيطة بالقدس بإجلاء نسائها وأطفالها خلال الفترة من أواخر مارس إلى بدايات مايو[45]. فالعديد من النساء والأطفال تم إجلاؤهم من القسطل إلى صوبا وبيت سوريك نهاية شهر مارس[46]. وقد نُقل عن كمال عريقات (زعيم إحدى الجماعات المسلحة) طلبه من سكان بيت نقوبا إجلاء «عائلاتهم إلى عمواس» غير أنهم تلكأوا حيث لم يكونوا راغبين في ذلك[47]. أما فيما يخص بيت حنينا (الواقعة شمال المدينة)، فمع دخول ثلاثمائة من العناصر غير النظامية العراقية قامت بإجلاء نسائها وأطفالها[48]. وكانت قالونيا (بالقرب من القسطل) قد أجلت النساء والأطفال تقريبا في العاشر من أبريل قبل أن تسقط في أيدي الهاغاناه[49]. كذلك كان الحال بالنسبة إلى صوبا، التي قامت بإجراء مماثل في ذلك التوقيت[50]. وفيما يخص قلنديا (شمال القدس) والتي كان قد تم إخلاؤها بالكامل خلال شهر يناير ثم عاد سكانها إليها، فإنها قامت بإجلاء أغلب نسائها وأطفالها بحلول الحادي عشر من شهر أبريل[51]. كما أنه بحلول نهاية شهر أبريل كان معظم أو كل نساء وأطفال قرية

شعفاط قد رحلوا[52]. وقامت المالحة (جنوب غرب القدس) بترحيل النساء والأطفال إلى الولجـة، وتم الترحيل من عين كارم إلى بيت جالا وبيت لحم[53]. كذلك أعيد نقل النســاء والأطفال من بيت إكســا (غــرب المدينة) لتوفير مــكان لمائتين من العناصر العراقية[54]. وفي الوقت ذاته، أجلت العيســوية نساءها وأطفالها بناء على أوامر من الجماعــات المســلحة[55]. أما فيما يتصل بكل من قرية أبوديــس، والطور والعيزرية (غــرب القدس) فقد تم تفريغها من النســاء والأطفال لترك المكان للعناصر العراقية غير النظامية[56]. ويبدو أن كل ذلك تم استجابة للأمر العام «بإجلاء النساء والأطفال من جميع القرى في منطقة القدس حتى لا يعيقوا العمليات [الهجومية]»[57].

تــم انتهاج النموذج نفســه في كل من الغرب والشرق. ففــي الثامن من أبريل نقلت الإدارة العربية باســتخبارات الهاغاناه بدء عملية إجلاء النســاء والأطفال من صرفند الخراب (بالقرب من الرملة) على الأرجح بسبب ضغط العناصر غير النظامية الأجنبيــة[58]. كذلك كانت الحال بالنســبة إلى مجدل يابا في منطقــة الرملة، والتي قامت بإجلاء النســاء والأطفــال خوفا من هجوم الهاغانــاه[59]. وفي مرج ابن عامر أجلت زرعين النساء والأطفال في أعقاب غارة قامت بها الهاغاناه بداية شهر مايو[60]. أما في الجليل الشرقي، فقد تلقت الدوارة والعابســية أوامر بإجلاء النساء والأطفال لــترك المكان للعناصر غــير النظامية[61]. وكان من الواضح أن ســقوط حيفا العربية (21 - 22 أبريل) قد أطلق العنان لعمليات إجلاء للنســاء والأطفال من العديد من القرى المجاورة[62]. ففي الرابع والعشرين من الشهر ذاته أصدر جيش الإنقاذ أوامره لسكان قرية الفريديس (جنوب حيفا) بإجلاء نسائهم وأطفالهم «والاستعداد لإجلاء القرية بالكامل»[63]. وعلى بعد عدة كيلومترات إلى الشــمال تم إجلاء نساء وأطفال قرية الطيرة بمســاعدة الجيش العربي إلى نيوردوورف بالقرب من حيفا، ثم بعد ذلك إلى الأردن[64]. كذلــك تم إجلاء المُعالين من خربــة السركس بالقرب من حديرا (إلى باقة الغربية، جت)[65]. أما فيما يتصل بنساء وأطفال قنير فقد بدأ إجلاؤهم في الثاني والعشرين من شــهر أبريل بناء على «أوامر عليا»[66]. وفي مطلع شهر مايو تم إجلاء أم الزينات[67]. وإلى الشــمال من حيفا تم إجلاء الكابري تماما[68]. وسبق ذلك بعدة أيــام صدور الأوامر للمجتمعات العربية حول روش بينا (في الجليل الشرقي) بإجلاء نسائهم وأطفالهم، على أن يتولى الرجال حراسة المواقع[69].

في جميـع الحالات ثبـت أن عملية إجلاء المُعالين كانـت دائمة؛ حيث أعقبها بوقـت قصير اسـتيلاء الهاغاناه/قوة الدفاع الإسرائيلية عـلى المواقع وما تبعه من إجـلاء تام وتدمير. غير أنه في بعض الحالات اتسـمت عملية الإجلاء بقصر مدتها، حيـث كان الدافـع وراءها هو مخاوف مـن هجوم يهودي وشـيك، ومع تلاشي الخوف عاد النساء والأطفال مجددا. فعلى سبيل المثال، تم إجلاء النساء والأطفال في قرية عراق السويدان في النقب الشمالي بداية شهر مايو لليلة واحدة ثم عادوا في اليوم التالي[70].

ترتب على الغـزو الذي قامت به الدول العربية حدوث عمليات إجلاء جديدة قامت بها المجتمعات العربية الأخرى للمُعالين فيها خشـية أن يتورطوا بدورهم في الحرب. وعلى سبيل المثال، قام سكان قرية قسطينة بإبعاد نسائهم وأطفالهم تقريبا في الخامس عشر من مايو (بيد أنهم سرعان ما رجعوا من تل الصافي بعد اكتشافهم عدم وجود مياه كافية في القرية)[71].

خلال النصف الثاني من الحرب اسـتمرت عمليات إجلاء النسـاء والأطفال، وإن كانت بمعدلات أقل - حيث فهم العرب في ذلك الوقت أن ذلك كان بشـكل حاسـم لمصلحتهم. فعلى سبيل المثال، أصدر جيش الإنقاذ أوامره بإجلاء النساء والأطفال من كل من معلول والمجيدل غالبا لإفسـاح المكان للفرقة الوافدة للاسـتعداد لعمليات عدوانية متوقعة[72]. وقامت القريتان بإرسـال النسـاء والأطفـال إلى الناصرة؛ وقد جـرت عمليات مماثلـة في القرى الأخرى بالمنطقة[73]. وفيـما يتعلق بقرية معلول كان مـن الواضح أن جيش الإنقاذ غضب من إعلان القرويين اسـتعدادهم للتعاون مع أي حكومة تتولى مقاليد الأمور، وأنهم لن يشاركوا في الحرب. وقد أدى ذلك إلى قيام قوات جيش الإنقاذ بضرب القرويين وقتل الماشـية والغنم، وهو ما أدى بدوره إلى عملية هروب مذعورة من قبل السـكان[74]. وفي الرابع والعشرين من يونيو قام عـرب المزاريب وعرب صيدا (من قبائل مرج ابن عامر البدوية) بتجميع مقتنياتهم والرحيل في أعقاب «تهديد صارم صادر عن مركز قيادة جيش الإنقاذ في الناصرة»[75]. وشهد السابع من شهر يوليو صدور أوامر من ضباط القاوقجي في عيلوط للقرويين بإجلاء نسائهم وأطفالهم[76]. وفي اليوم التالي (ربما في إطار الاستعداد لتجدد الأعمال القتاليـة بنهايـة الهدنة الأولى) أمر قاوقجي القرويـين في منطقة الناصرة بأنه «من

الآن فصاعدا يتعين عليهم قضاء الليل خارج القرى»[77]. أما فيما يخص البدو الذين أقامـوا خيامهم على المنحدرات الجنوبية لجبـل طابور (بالقرب من قرية دبورية)، فقـد تلقوا أوامر «بنقل خيامهم باتجاه الشـمال داخل المرتفعات»[78]. وبعد مرور شـهر على ذلك (أثناء الهدنة الثانية) أمر قاوقجي سـكان كفـر مندا بإجلاء القرية التي كانت آنذاك تحت سيطرة قوات الدفاع الإسرائيلية وذلك تمهيدا لمهاجمتها[79]، وأصدر جيش الإنقاذ أمرا مماثلا للقرويين في مجد الكروم بعد مرور شـهر لأسـباب مشابهة[80]. واستمر هذا التوجه في جميع الأماكن حيث تم إرسال نساء وأطفال دير أيوب (بالقرب من اللطـرون) إلى مناطق داخلية[81]. كما جرى في الحادي والثلاثين مـن أكتوبر إجلاء سـكان قرية دمرة (بالقـرب من غزة) لنسـائهم وأطفالهم على الأرجح تحسبا للتقدم المرتقب لقوات الدفاع الإسرائيلية[82].

خلال الفترة من شـهر أبريل - مايو أُجلي ما يزيد على عشرين قرية بشـكل تام بناء على أوامر من القادة العرب العسكريين المحليين أو الحكومات أو اللجنة العربية العليا، وقد رجع ذلك في أغلب الأحوال إلى أسـباب تتصل بالإعداد للغزو العسكري، فصدرت الأوامر لعرب السطرية (بالقرب من الرملة) إما من قبل القادة العسكريين المحليين أو اللجنة الوطنية - بالإجلاء التام قبل حلول نهاية شهر أبريل. وفي التوقيت نفسه غادر سكان قرية بيت دجن لتحل محلهم قوات عراقية غير نظامية[83]. ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه عن العرب في حيفا قولهم إن «جميع القرى الواقعة بين حيفـا وتل أبيب تلقت أوامر من مركز القيادة العامة العربي بإجلاء قراهم في أقرب وقت ممكن اسـتعدادا لغزو (عربي) شامل»[84]. وبشكل أكثر تحديدا ودقة، نُقل في منتصف شـهر مايو أن «قرى صغيرة» تقع إلى جنوب حيفا تلقت تعليمات بالجلاء «والتحرك إلى منطقة أبعد»، في حين كانت الأوامر للرجال «بالانتقال إلى القرى التي تم تحديدها كمناطق للتجمع» (على سـبيل المثال: عين غـزال، إجزم الجبعة)[85]. وبنـاء على تعليمات قائد الجيش العربي تم في الفترة من 11 - 12 مايو إجلاء قرى: شعفاط، بيت حنينا، الجيب، جديرة، بير نبالا، ورافات في منطقة رام الله[86]، كذلك أصدر الجيش أوامره «لجميع سـكان» أحياء وسط القدس الشرقية والواقعة خارج المدينة القديمة بالتحرك في اتجاهها، وقد انتقل معهم العديد من العائلات المسيحية في عين كارم بناء على «نصيحة» القائد العسكري المحلي[87]. وكانت العيسوية قد تم

إجلاؤها، في الثلاثين من شهر مارس، بعد صدور تعليمات من قيادة اللجنة العربية العليا بذلك. وفي العشرين من شهر مايو أمرت قوات العناصر غير النظامية القرويين في العيسوية، نين، طمرة، كفر مصر، الطيرة، الطيبة وتاعورة، وكلها قرى قريبة من جبل فقوعة، بمغادرة المنطقة (حيث كانوا يخشون بشكل واضح من انضمامهم إلى اليشوف)[88]. يُذكر أنه قبل ذلك بعدة أسابيع أمرت قيادة «العناصر غير النظامية» (المقصود على الأرجح اللجنة العربية العليا) بإجلاء قرى سرين، عولم، حدثا، ومعذر المجاورة لأسباب مماثلة[89].

باتجاه الشمال يبدو أن أمرا سوريا قد صدر للعرب الذين قطنوا المناطق الحدودية بين فلسطين وسورية بالابتعاد عنها في إطار الإعداد للغزو العربي[90]. ضغط السوريون على سكان قرية النُقيب (عرب الرقيبات) في الساحل الشرقي لبحيرة طبريا (والمعروفون تقليديا بعلاقاتهم الودية مع كيبوتس عين غيف) ليرحلوا، غير أنهم امتنعوا عن القيام بذلك لبضعة أيام[91]. وفي أعقاب غارة قامت بها الهاغاناه في نهاية شهر أبريل على قرية سمخ بدأ سكان الرقيبات في الرحيل خوفا من اليهود، وقد طلب منهم وسيط من الهاغاناه البقاء[92]. وعلى الرغم من كل ذلك فإنه بحلول منتصف شهر مايو، وقبيل بدء الغزو العربي بساعات، تغيرت الأمور. ففي ليلة 13 - 14 مايو طلبت الهاغاناه من القرية قبول الإدارة اليهودية وتسليم أسلحتها؛ الأمر الذي لم يقبله القرويون وفضلوا الرحيل في اليوم التالي، وقد تلى ذلك تدمير منازلهم[93]. وبعد مرور أسبوعين على ذلك، وعلى وجه التحديد في السابع والعشرين من شهر مايو، طردت الهاغاناه عائلة «ذكر الله» الإيرانية التي امتلكت مزرعة واسعة إلى الجنوب من عين غيف، بالإضافة إلى العاملين العرب هناك الذين بلغ عددهم ثلاثين، نصفهم من الأطفال. حيث إنه «في وقت الحرب، لا مجال للعواطف» كما ورد في سجلات عين غيف وتم اقتيادهم إلى طبريا حيث أسكنتهم الهاغاناه في فندق. وعقب ذلك أعيد توطينهم في عكا[94].

لم تبدو اللجنة العربية العليا والحكومات العربية حتى الأسبوع الأخير من شهر أبريل منزعجة بشكل كبير من النزوح الجماعي. وعلى الرغم من قيام عزام باشا (الأمين العام لجامعة الدول العربية) خلال شهر أبريل باستخدام الهروب ومذبحة دير ياسين (انظر ما يلي) لتسجيل نقاط في حملة الدعاية المناهضة للصهيونية في

الداخل، فإنه بدا وكأنه لم يكن هناك شعور بأن شيئا مهما يحدث. لم تقدم الدول العربية على القيام بأي عمل، وبشكل عام، تصرفت بطريقة لا تزيد من الهجرة الجماعية، ولا توقفها[95].

تنازعت اللجنة العربية العليا خلال شهري أبريل ومايو مجموعة من المصالح المتضاربة. فمن جانب، لم يكن أعضاؤها - الذين كانوا في نهاية شهر أبريل دون استثناء خارج فلسطين - سعداء برؤية التحلل المستمر والهجرة من داخل مجتمعهم، فالنزوح الجماعي خيب أملهم في مقاومة فلسطينية ناجحة لليشوف. ومن جانب آخر، فإن اللجنة، بقيادة المفتي، أدركت بنهاية شهر أبريل أنها تعتمد على تدخل الدول العربية. وكان الحسيني يعلم تماما تقلب القادة العرب، كما أنه فهم أن كلا من فاروق في مصر، وعبدالله في الأردن، ورياض الصلح (رئيس وزراء لبنان)، والآخرين لا يرغبون بشكل كبير في القتال في فلسطين. وربما يكون المفتي قد اقتنع، مع قرب الخامس عشر من مايو، بأنه كلما كانت المأساة كبيرة كان هناك ضغط كبير - من قبل الرأي العام الداخلي، والدول الأخرى ومقتضيات «الشرف» العربي - على أولئك القادة للالتزام بتعهداتهم بالتدخل. لم يكن هناك ما يمكن أن يلزمهم باحترام كلمتهم أكثر من كارثة فلسطينية كبيرة. يضاف إلى ذلك أن اللجنة العربية لم يكن يسعدها احتمال استسلام المجتمعات العربية وقبولها الحكم اليهودي. وفي ضوء تلك الاعتبارات، التزم الحسيني واللجنة العربية العليا - إلى حد كبير - الصمت إزاء حالة النزوح الجماعي المتجلية للعيان.

في ضوء عدم وجود توجه واضح من قبل الدول العربية واللجنة العربية العليا، وقع عبء مسؤولية صنع القرار في هذا الصدد بشكل رئيسي على كاهل القادة المحليين، سواء كانوا مدنيين أو عسكريين. ومن ثم فقد لزم النظر إلى مواقف هؤلاء فيما يتصل بعملية صنع القرار الخاص ببقاء أو مغادرة هذه الجماعة العربية أو تلك خلال شهر أبريل 1948. وربما كان القادة المحليون متأثرين في قراراتهم بما كانوا يعتقدون أنه ما تريده اللجنة العربية العليا منهم، كما كانت عليه الحال في حيفا في الثاني والعشرين من أبريل، ولكن بشكل عام كان الأمر متروكا لتقديرهم.

عملت اللجان الوطنية المحلية في أغلب الحالات على كبح جماح عملية الهروب من مناطقهم خلال شهري أبريل ومايو خاصة بين الذكور في سن التجنيد. ففي

القـدس أمرت اللجنة الوطنية في نهاية شـهر أبريل عناصر المليشـيات باسـتيقاف السـيارات التي تقل السـكان الفارين لتعيدهم أدراجهـم[96]، وتم في هذا الصدد إصدار البيان التالي:

> *هناك أشـخاص ينشرون إشـاعات مُضللـة أدت إلى قيـام بعض العرب بمغـادرة المدينة... إن مثل هذه الشـائعات تسـاعد العدو الموجـود بيننا... وبموجـب هذا البيان، تعلن اللجنـة أن حالة القدرات الدفاعية في المدن قوية نسـبيا، كما تطلـب من المواطنين عدم إيلاء الاهتمام للشـائعات المضللة وأن يظلوا في أماكنهم*[97].

قـررت اللجنـة الوطنية كذلك معاقبـة القـرى التابعة لها والتـي جرت فيها عمليات فرار غير مرخص بها، وصدرت الأوامر للقرويين بـ «البقاء في أماكنهم وعدم الرحيل»[98]. وفي ضوء احتلال الهاغاناه في منتصف شهر مايو مناطق في وسط القدس وتهديدهـا «المدينة القديمة»، تواجدت جموع من العرب أمام مقر اللجنة الوطنية مطالبـين بالسـماح لهم بالرحيل، غير أن مسـؤولي اللجنة رفضوا ذلك وتم إرسـال عناصر مسلحة لتعقب السيارات التي تقل الفارين من المدينة دون ترخيص[99].

تعاملت اللجنة الوطنية في حيفا مع الموقف بطريقة مماثلة، فطالب رئيسها الأعضاء الذين سـبق لهـم المغادرة بالعودة[100]، وتوعـد أصحاب المحال الذين فـروا بإلغاء تراخيصهم[101]. كما حاولـت اللجنة إيقاف الهروب من خلال فرض غرامـات والتهديد بمصادرة الممتلكات. وأجبرت العائـلات التي ترحل على دفع ضرائـب خاصة[102]. ومع ذلك فإن تلك الجهود بدا أنها انتهت مع الهجوم الذي نفذته الإرغون في الفترة من الخامس والعشرين إلى السابع والعشرين من أبريل (انظر ما يلي).

بذلت اللجان الوطنية المحلية في عدد من المدن الأصغر جهودا مماثلة للتصدي لموجة الفرار. ففي مطلع شـهر أبريل نقل جهاز اسـتخبارات الهاغاناه قيام صدقي الطـبري ببـذل «جهود مضنية يائسـة لإعادة» أولئـك الذين فروا مـن طبريا[103]. وصدرت أوامر إلى العرب الذين فروا إلى حماة بالعودة وهو ما تم بالفعل[104]. ومن جانبها منعت اللجنة الوطنية في بيسان الذكور البالغين من ترك المدينة، وتم تعزيز

الحراسة حول المدينة «خوفا من الهروب منها»[105]. بيد أن سقوط حيفا العربية أسفر عن مزيد من التآكل في الروح المعنوية وتبع ذلك موجة فرار: «لقد بذلت اللجنة الوطنية في بيسان جهودا كبيرة لكبح الهروب، غير أنها أخفقت على الرغم من الإجراءات القاسية التى اتخذتها ضد الفارين ... ومع ذلك فقد استمرت حالة عدم السماح للذكور البالغين بالرحيل...»[106].

هناك دليل قوي على أنه في مناطق ريفية كثيرة قامت اللجان الوطنية المجاورة، وجيش الإنقاذ، والقادة المحليون، والعمد، بمساعٍ جادة خلال الفترة من أبريل إلى يونيو لتطويق عمليات الفرار (وبالتوازي كانت هناك جهات أقل عددا وسلطة في مناطق أخرى تشجع على الفرار)؛ ففي البيرة، المجاورة لرام الله، منعت العناصر غير النظامية الأجنبية السكان من الرحيل[107]، كما حاول قائد العناصر غير النظامية الأجنبية في برير (في حي غزة) كبح جماح عملية الفرار[108]. وفي اللد نُقل في نهاية شهر أبريل أن ضابطا عراقيا أجبر - إلى حد استخدام السلاح - الفارين على العودة[109]. كذلك أجبر ضباط من جيش الإنقاذ عائلة المرشد من السنديانة على الرجوع[110]. وفي شمال غزة قام رجال مجدل المسلحون بنفس الشيء تجاه القرويين الفارين من بيت دراس[111]. كما أصدرت اللجنة الوطنية في مجدل بعد مرور بضعة أيام الأوامر إلى سكان: برق، البطاني الغربي، البطاني الشرقي، ياصور، بيت دراس، وثلاثة قرى أخرى (غربية، شمالية، شرقية) بعدم الفرار «وإلا خضعوا للعقاب». وتلقت عناصر المليشيات المشرفة على الحواجز على الطريق المحيط بمجدل وغزة أوامر بعدم السماح لأي من القرويين بالمرور حاملا أمتعته. كذلك تلقى سكان يبنى تعليمات مماثلة بالبقاء في أماكنهم[112]. وفي مطلع شهر مايو منع شكيب وهاب (ضابط كبير في جيش الإنقاذ) سكان شفا عمرو من ترك المدينة. غير أنه وفقا لمصادر جهاز استخبارات الهاغاناه، نجح بعضهم في ذلك بعد قيامهم بدفع رشوة قيمتها مائة جنيه إسترليني[113]. ويبدو أنه تم تهديد الراغبين في الرحيل بأنه سيتم مصادرة منازلهم[114]. وفي بداية شهر مايو أمرت قرية أم الفحم الكبيرة جارتها الصبارين الأصغر بعدم إجلاء سكانها[115]. وإلى الشمال الغربي منع جيش الإنقاذ المتبقين من سكان الطيرة من الرحيل[116]. ومجددا هددت العناصر غير النظامية بمصادرة الممتلكات[117].

خلال فترة الهدنة الأولى استمر عدد من القادة العسكريين للعناصر غير النظامية في إصدار الأوامر لسكان القرى بالبقاء، وقد حدث ذلك على سبيل المثال في منتصف شهر يونيو في المنطقة الواقعة جنوب الرملة[118] وفي ترشيحا ولوبيا في الجليل (بناء على تعليمات من القاوقجي)[119]. وخلال فترة الهدنة الثانية تردد أن القاوقجي ترك عددا من الفرق الصغيرة في قرى الجليل من المغار إلى المالكية للتأكد من أن الأهالي لن يفروا خوفا[120].

أخبر القاوقجي مختار كفر سابا (بالقرب من كفر قاسم) أنه «يجب عدم هجر المناطق السكنية مادامت هناك علاقات طيبة مع [الجيران] اليهود. وفي الوقت ذاته تحدث عن أولئك الذين أجلوا منازلهم بغضب شديد»[121]. ولكن في بداية شهر مايو كان السكان الذين شعروا بأنهم تحت التهديد اليهودي على استعداد للرحيل. صدرت إليهم الأوامر من جيش الإنقاذ بالبقاء في أماكنهم[122]. وعندما تمت مهاجمة القرية في نهاية المطاف، في الثالث عشر من مايو، هرب السكان. وعلى الرغم من أنهم أصبحوا في الشتات قام القائد السوري لجيش الإنقاذ بتحصيل خمسة جنيهات إسترلينية من كل فرد[123].

قبل يومين من ذلك، وربما تحت تأثير سقوط حيفا العربية والنزوح الجماعي الضخم من يافا، أصدر المركز الرئيسي لجيش الإنقاذ في رام الله تحريما شاملا للهرب. كما انتبهت الدول العربية أيضا وبشكل مفاجئ للمشكلة. وفي هذا الخصوص رصدت الهاغاناه منذ نهاية شهر أبريل أن عبدالله كان يضغط على اللاجئين من بدو بيت شيان للعودة إلى ديارهم[124]. كذلك منع جيش الإنقاذ - في الفترة من 5 - 6 مايو من خلال بيانات رددها المذياع ونقلتها الصحف - سكان منطقة رام الله من ترك ديارهم: «إن منازل القرويين الفارين سيتم تدميرها وستصادر حقولهم. وتم أمر أولئك الذين فروا بالعودة»[125]. وصدقت الأردن على هذا الأمر. ووفقا لمصادر الهاغاناه كان سكان منطقة رام الله على وشك الهروب، وهو ما دفع جيش الإنقاذ إلى غلق الطرق. وذكرت الهاغاناه في هذا الخصوص: «يسعى القادة العسكريون العرب للحد من تدفق اللاجئين ويتخذون إجراءات قاسية وصارمة تجاههم». وفي الخامس من مايو نقلت إذاعة كل من راديو القدس وراديو دمشق أوامر جيش الإنقاذ لأولئك الذين فروا منذرة إياهم بـ «العودة خلال ثلاثة أيام»[126]. ومن جانبه

استثمر راديو الهاغاناه الموقف وأذاع في السادس من الشهر أنه: «في مسعى لإيقاف الهـرب... أصدرت القيادة العربية بيانا حذرت فيه من أن ... أي عربي يفر... سـتتم معاقبته بقسوة»[127].

خلال الفترة من الخامس إلى الخامس عشر من مايو أصدر كل من الملك عبدالله وعزام باشا، فضلا عن اللجنة العربية العليا - التي كانت أكثر ترددا - بيانات مماثلة، بطريقة شبه منسقة، هدفت إلى إيقاف الهروب وترغيب اللاجئين في العودة. كذلك كانت هناك مناشـدة خاصة، تم تشجيعها من قبل سلطات الانتداب البريطاني، تم توجيهها إلى اللاجئين من حيفا. وفي الخامس عشر من شهر مايو أصدر فايز الادريسي («مراقب الأمن العام» باللجنة العربية العليا) أوامر لرجال المليشيات الفلسطينيين بمواجهـة «الطابـور الخامس وأولئك الذين يبثون الشـائعات التـي تؤدي إلى فرار السـكان العرب». كما ناشـدت اللجنـة العربية العليا، في الفترة مـن 1 - 11 مايو، الموظفين والأطباء والمهندسين الذين فروا العودة، وعاودت المطالبة بذلك مجددا في الفترة من 14 - 15 مايو محذرة الموظفين الذين لن يمتثلوا بفقدان «الأحقية لشغل هذه الوظائف الإدارية في المستقبل». ومن جانبها بدأت الحكومات العربية في منع دخول اللاجئين - علي سبيل المثال، على امتداد الحدود اللبنانية[128].

بنهاية شـهر مايو، ومع تدخل جيوشـها، قامت الدول العربيـة (فضلا عن اللجنة العربية العليا) بممارسـة الضغـوط على مجتمعات اللاجئـين في المخيمات على امتداد الحدود للعودة إلى ديارهم. ووفقا للإذاعات العربية الموجهة، كانت اللجنة العربية العليا تشـير إلى أن «أغلب القرى [المهجورة] أضحت آمنة بفضـل الانتصارات العربية»[129]. غير أن الاهتمام العربي المفاجئ بالملف جاء متأخرا، كما أنه لم يتم الإعلان عنه كسياسة رسـمية، فضلا عن أنه لم يتم ترجمته إلى عمل مُمنهج. يضاف إلى ذلك اسـتمرار لجنة الشـؤون السياسـية بجامعة الدول العربية في حث الدول الأعضاء على «منح اللجوء... للنسـاء والأطفال وكبار السن» (في حين طلبت إليهم منعه عن الذكور البالغين)[130]. لم يقتصر الأمر على فشـل الدول في إيقـاف عملية الهروب، وإنما أثبتت عدم قدرتها على التقليل من معدلاتها، لاسيما إعادة اللاجئين. وربما كان اللجوء إلى وسائل أكثر قوة عديم الفائدة أخذا بعين الاعتبار الخوف الفلسطيني من اليهود الناتج عن هجمات الهاغاناه والإرغون والهستدروت، وهو الخوف الذي دعمته الإذاعات العربية طوال الشهور التي

سبقت ذلك بإبرازها فظائع، حقيقية أو مدعاة، قام بها اليهود فلم يكن هناك ما يمكنه أن يقنع أولئك الذين فروا بأن يسلكوا الطريق العكسي. وفي كل الأحوال، فإنه بحلول نهاية الشهر وبداية يونيو كان القادة العرب منشغلين بأداء جيوشهم، والخلافات بينهم، والحرب الديبلوماسية ضد الصهيونية في الأمم المتحدة ولندن وواشنطن، أكثر من اهتمامهم بمشكلة اللاجئين. وأخيرا مع دخول الهدنة الأولى حيز التنفيذ، في منتصف شهر يونيو، تحول اهتمام الدول العربية بعيدا عن ميادين القتال وتغيرت الظروف بشكل تام. وأضحت الحدود خطوط قتال دائمة بها مناطق تفصل بين الجيوش، كما أن اليشوف المنتصر كان عازما على منع العودة. ومن ثم فإن الضغوط التي مارستها بعض الدول العربية لدفع اللاجئين إلى العودة عبر الحدود كانت، وفقا لاستخبارات الهاغاناه في بداية يونيو، محدودة الأثر[131]. وبحلول شهر أغسطس أضحت الدول ذاتها تجادل ضد إعادة اللاجئين خشية أن يمثل ذلك «اعترافا بدولة إسرائيل» ويضع العائدين تحت رحمة السلطات اليهودية[132]. ولكن في العموم فإن ما فعلته الدول العربية واللجنة العربية العليا وجيش الإنقاذ واللجان الوطنية المحلية والمليشيات المتعددة - أو ما لم تفعله، سواء لتشجيع أو تقييد النزوح الجماعي - هو أمر ذو أهمية ثانوية، فقد كان اللاعبون الرئيسيون في هذا الخصوص هم اليشوف ومنظماته العسكرية. وكانت عملياتهم هي الباعث الرئيس وراء الهروب ولفهم حقيقة ما حدث فإنه من الضروري دراسة ماذا حدث في الميدان بالتفصيل. سوف أركز على المدن الرئيسة والعمليات الأساسية في الريف وسأبدأ بالمدن حيث مثل سقوطها والنزوح الجماعي لسكانها دافعا قويا حرك عمليات مماثلة من الريف.

المدن

طبريا

مثلت طبريا أول مجتمع عربي حضري يسقط، وكانت تلك المدينة مختلطة السكان (6 آلاف يهودي و4 آلاف عربي) على الشاطئ الشرقي لبحيرة طبريا تطل على الطريق الشمالي - الجنوبي الذي يربط المستوطنات الداخلية في الجليل مع مستوطنات وادي الأردن الأدنى. وقد ضمن قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة تلك المدينة في أراضي الدولة اليهودية.

في الرابع من شهر ديسمبر أطلق الشيخ نايف الطبري - وهو من الأعيان البارزين في المدينة (ترجع أصول عائلة الطبري إلى عجلون بشرق الأردن وكانت أكثر عائلات المدينة ثراء واحتراما)[133] - محادثات مع القادة اليهود المحليين من أجل التوصل إلى «اتفاق سلام»[134]. وعلى الرغم من ذلك فإن العائلات العربية، التي كانت تخشى الاضطرابات، بدأت في مغادرة ديارها؛ حيث رحل البعض إلى المناطق العربية المجاورة بينما غادر البعض الآخر، كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى المجتمع الشيعي الصغير، المدينة نهائيا[135]. كذلك فرت العائلات اليهودية من «المدينة القديمة» التي هيمنت عليها الأغلبية العربية، ولم يتبق في مطلع شهر فبراير سوى حي يهودي واحد في المدينة (في حين كانت هناك شقق مهجورة تم ملؤها باللاجئين العرب من المناطق اليهودية المجاورة)، وقد هدد اليهود الذين بقوا في المكان بالرحيل إن لم تتوافر حماية الهاغاناه سريعا. (وطالبوا كذلك بأن تُصدر الهاغاناه أوامرها لأولئك الذين هجروا «المدينة القديمة» بالعودة، وأولئك الذين ظلوا في المنطقة بالتمسك بأماكنهم)[136].

بذلت عائلة الطبري التي كانت تسيطر على اللجنة الوطنية جهودا مستمرة لإحباط مساعي الشباب المتهور بإطلاق العنان للعمليات القتالية[137]، ودعوا إلى التعايش السلمي[138]. وقد أكد يوسف نحماني (أحد قادة المجتمع اليهودي ورئيس مكتب الصندوق الوطني اليهودي في الجليل الشرقي) أنهم كانوا يسعون إلى سلام مستمر على الرغم من أن الشباب اليهودي المتهور كانوا يعملون بدورهم وبشكل مستمر على استثارة العرب، محذرا من أن مثل هذه الأفعال قد تقود إلى «انفجار» و«كارثة». وطبقا لنحماني، كان اليهود الشرقيون في المدينة «يميلون إلى التباهي وتمجيد الذات شأنهم في ذلك شأن العرب». وفي هذا الصدد روى تفاصيل الحادث الذي وقع في الرابع من فبراير نتيجة توجه ثلاثة من اليهود «الشرقيين» المخمورين إلى «المدينة القديمة» وتوجيههم الإهانات إلى بعض الحراس العرب مما أدى إلى اندلاع شجار أسفر عن إحداث جرح طفيف بأحد اليهود وقامت الهاغاناه بالرد باستخدام القنابل والأسلحة الخفيفة من دون أن يصاب أحد. وفي تلك الليلة أو اليوم التالي التقى رئيس اللجنة الوطنية صدقي الطبري بقادة اليهود في المدينة، بما في ذلك العمدة شيمون دحان، وتم التوصل إلى اتفاق بعدم القيام بأعمال عدائية[139]. لم

يكن كل من قادة الهاغاناه المحليين «المفتقدين للوعي» (وفقا لنحماني) و«الشباب» (طبقا لجهاز استخبار الهاغاناه) سعداء بالتوصل إلى هذا الاتفاق[140]. وعلى الرغم من ذلك عاد الهدوء إلى المدينة إلى الحد الذي أدهش أحد أفراد الإدارة العربية لجهاز استخبارات الهاغاناه أثناء زيارة للمدينة لرؤيته كيف يتحرك العرب بحرية في الأسواق اليهودية ويستقلون الحافلات اليهودية ويجرون معاملات تجارية مع اليهود، كما لو كانت الجماعتان «لا تعرفان أو تسمعان شيئا عما يحدث بين اليهود والعرب في باقي أرجاء البلاد»[141].

في منتصف شهر مارس انهارت الهدنة الهشة بين الطرفين وسُمع دوي إطلاق النار في وسط مدينة طبريا في الثاني عشر من الشهر في أعقاب محاولة الشرطة اليهودية نزع سلاح عرب. استمر إطلاق النار بشكل متقطع على مدار ثلاثة أيام اجتمع خلالها قادة المجتمعين اليهودي والعربي في مبنى بلدية المدينة في الرابع عشر من شهر مارس؛ حيث اتهم العرب اليهود باستثارة إطلاق النار، الأمر الذي «أقره» نحماني في مذكراته[142]. وعاد الهدوء بعد ذلك وبارك يسرائيل غاليلي الاتفاق الجديد وأخبر القادة اليهود بما يلي: «من الجيد أنكم فعلتم ذلك، حيث إن لدينا العديد من الجبهات ولا يمكن أن نشتت أنفسنا في أماكن أخرى»[143]. وقد تزامن ذلك مع فرار يهود إضافيين من «المدينة القديمة» ومحاولة الهاغاناه إيقاف هذه الموجة من النزوح[144]. وعلى صعيد آخر، طلب قائد جيش الإنقاذ في الجليل (أديب الشيشكلي) أن يتولى زمام الدفاع عن العرب في طبريا، إلا أن اللجنة الوطنية التي آثرت الهدوء رفضت الإذعان لهذا المطلب[145]. وعلى الرغم من ذلك قامت كتائب من العناصر غير النظامية الأجنبية بالتمركز في الأحياء العربية بنهاية شهر مارس وبداية شهر أبريل. وبحلول منتصف شهر مارس، كانت عمليات الهاغاناه قد أدت إلى نقص كبير في السلع وارتفاع كبير في الأسعار «بما في ذلك الأسماك» مما دفع «العديد من المحال العربية» إلى إغلاق أبوابها[146].

بدأت معركة طبريا النهائية في الثامن والتاسع من شهر أبريل، عندما اندلع إطلاق النار مجددا في منطقة وسط المدينة. وفي العاشر من أبريل قصفت الهاغاناه «السكان العرب [المنطقة السكنية]» بقذائف الهاون[147]. وفي حين فشلت محاولات البريطانيين للتوصل إلى هدنة، هاجمت الكتيبة الثانية عشرة من لواء غولاني في

الثاني عشر من الشـهر واستولت على قرية خربة نصر الدين والشيخ قدومي على قمـة التـل المجاور، مما مكنها مـن أن تهيمن على طبريا من أعـلى وتعزل المدينة عن المراكـز العربية الرئيسـية إلى الغرب (لوبيا والناصرة). وقـد كانت التعليمات الصـادرة تتضمن «تدمير تجمعات العدو» في القرية. وخلال المناوشـات على مدار أربع ساعات، والتي واجهت فيها الهاغاناه مقاومة غير متوقعة، هرب أغلب السكان إلى طبريـا وتـم احتلال القرية. وأحصـت الهاغاناه 22 قتيلا من بين العرب وسـتة جرحـى، في حين تم أسر ثلاثة (وفيما يتصل بخسـائر الهاغانـاه فقد اقتصرت على إصابة عنصرين بجروح خفيفة)[148]. وقد ادعى العرب أن «دير ياسين ثانية وقعت في نصر الدين»[149]، وبالفعل قتل بعض العناصر من غير المقاتلين - من بينهم نساء وأطفـال - في القرية[150]. وعلى صعيد آخر، أدى وصول اللاجئين من نصر الدين إلى إضعاف الروح المعنوية بين عرب طبريا[151]. وفي رد فعله على ما حدث كتب نحماني في مذكراته:

> *لا يمكننـي أن أبرر هذا العمل من قبل الهاغاناه، ولا أدري إذا كان هناك مبرر للانقضاض وقتل مثل هذا العدد الكبير من العرب. لقد ترك فرار النسـاء والأطفال مذعورين من القرية انطباعا سيئا علي"*[152].

في ضـوء عدم تدخل البريطانيين في نصر الدين، قررت الهاغاناه أن تُخضع طبريا العربية والتي تهيمن على الطريق إلى المستوطنات في اللسان الداخلي بالجليل[153]. وفي ليلة 17/16 أبريل قامت وحدات من لواء غولاني والكتيبة الثالثة التابعة للبالماخ (والتـي دخلـت حديثا إلى المنطقـة) بمهاجمة المدينة القديمة مسـتخدمة قذائف الهاون والديناميت لنسـف ثمانية منازل، مما أسـفر عن حالة «ذعر كبيرة». وقوبل التماس الأعيـان العرب التوصل إلى هدنة برفض قادة وحـدات الهاغاناه للتفاوض وعـدم قبولهم إلا بالاستسـلام[154]، مما حدا العرب على مناشـدة البريطانيين لرفع الحصار عن «المدينة القديمة» وبسـط حمايتهم عـلى الأحياء العربية. من جانبهم، ذكر البريطانيون أنهم ينوون إجلاء المدينة خلال أيام ولا يمكنهم توفير الحماية فيما بعد الثاني والعشرين من أبريل، مما دفع العرب إلى «الموافقة على الجلاء»، ربما بناء على اقتراح من البريطانيين[155]. منذ السابع عشر من أبريل كان العرب - بما في ذلك

أعضاء من عائلة الطبري - قد بدأوا في التدفق خارج المدينة «مذعورين»، وطالب رجال الدين المحليون البريطانيين بمساعدة السكان على «مغادرة طبريا»[156]. وقام الكولونيل أندرسون، الضابط البريطاني عالي الرتبة، بإبلاغ ممثلي اليهود أن قواته ستغادر خلال أيام وأنهم لن يكونوا قادرين على ضمان سلامة العرب بعد رحيلهم، ومن ثم تم اتخاذ قرار بإجلاء العرب من المدينة[157].

في الحادي والعشرين من أبريل، نقل ضابط في الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه أن أحد قادة المليشيات في طبريا (صبحي شاهين) قد غادر المدينة في السابع عشر من الشهر ليعود في اليوم التالي بصحبة «عدد كبير من الحافلات من شركات نقل عربية متعددة في الناصرة». ربما دل هذا على أن فكرة الإجلاء التام قد تبلورت في السابع عشر من أبريل - أكثر من كونها نتاج اقتراح بريطاني في الثامن عشر من الشهر[158]. ووفقا لضابط استخبارات الهاغاناه، كان شاهين هو الذي أكد ضرورة إجلاء طبريا، مستخدما «التهديد والقوة»، خاصة أن سبعمائة من السكان كانوا قد «رفعوا الرايات البيضاء» وقرروا البقاء[159].

مع إتمام إجلاء سكان طبريا، كان أغلب قادة اليشوف العسكريين (وربما السياسيين) واقعين تحت تأثير المفاجأة. وقد كان الاضطراب والحيرة واضحين بشكل ظاهر على ما كتبه أحد ضباط استخبارات لواء غولاني خلال اليومين التاليين، من تحليل وشرح، في صفحتين تحت عنوان «لماذا أجلى العرب طبريا؟». فبشكل لافت للنظر، لم يتطرق على الإطلاق إلى أوامر عربية (أو حتى شائعات تشير إلى مثل هذه الأوامر) من «الخارج» أو من «أعلى» أو إلى «نصيحة» من قبل البريطانيين، كسبب للنزوح الجماعي. وتعلق الأمر، وفقا له، بالمحصلة النهائية لتدهور الروح المعنوية. وذهب إلى أن النزوح الجماعي الذي بدأ - وفقا له مباشرة عقب سقوط نصر الدين - كان بسبب: (أ) إحساس بالضعف العسكري نبع من توزع القوة بين ثلاث مليشيات منفصلة وغالبا ما كانت متنافسة، (ب) تدهور الأوضاع الاقتصادية نتيجة لسيطرة الهاغاناه على مداخل الطرق للمدينة وارتفاع الأسعار، (ج) «الفساد» المجتمعي وفرار القادة، (د) عدم وصول الدعم من الخارج، (هـ) ثبات كتائب الهاغاناه في المدينة القديمة، الذي استمر على الرغم من التهديدات البريطانية والحصار والمضايقات العربية، (و) سقوط نصر

الدين وما أحدثه وصول لاجئيها من إضعاف للروح المعنوية بما حملوه معهم من «قصص خيالية شرقية» عن فظائع اليهود، ي) هجوم الهاغاناه الناجح في 16 - 18 أبريل، الذي تم خلاله تدمير فندق طبريا[160].

مع حلول منتصف يوم الثامن عشر من شهر أبريل، تم فرض الهدنة كأمر واقع، وفــرض البريطانيون حظر تجوال لمدة أربع ســاعات. وقامــوا (ومعهم رجال أعمال عرب) بإحضار عشرات الحافلات والشــاحنات، اســتقلها السكان، وتوجهت القافلة تحت حراســة بريطانية إلى الناصرة. في حين قامت بعض العائلات بقيادة ســياراتها نحو الجنوب باتجاه الأردن. تابع السكان اليهود رحيل جيرانهم السابقين عبر النوافذ والشرفات[161]. من جانبها، ســجلت الفرقة الثالثة التابعــة للبالماخ أن «البريطانيين يجلــون كل العرب مــن طبريا، وأن هناك احتمالا كبــيرا لأن تصبح طبريا خالية من العرب غدا»[162]. وفي المساء، نقلت دورية تابعة للواء غولاني: «لقد استكملنا عملية الاســتطلاع لــكل أرجاء المدينة الدنيــا، ولا يوجد غرباء]عــرب[في الموقع». كذلك أوضحت الدورية أنها تقوم بحراســة المحال والمنازل العربية من أعمال النهب، وأن «الروح المعنوية للجنود عالية»[163].

لكن سرعان ما اختلفت الصورة خلال ســاعات، حيث «انقض رعاع اليهود]على المناطــق التي تم إجلاؤهــا [وبدأوا في نهب المحلات... وقــد توقفت عملية النهب بعد التدخل المســلح للشرطــة اليهودية...»[164]. وقد نقلــت الإدارة العربية لجهاز اســتخبارات الهاغاناه أن كلا من السكان اليهود وجنود الهاغاناه شاركوا في «السرقة على نطاق واســع، وكانت هناك حوادث مقززة للسرقة من قبل القادة ومشاجرات بين الأفراد الذين تصارعوا على الغنائم». واســتمر النهب بشكل متقطع خلال الأيام التاليــة وتم القبض على العديد من المجرمين[165]، أصيب عدد منهم بإصابات بالغة عــلى يد قــوات الهاغاناه. وقد أدى إطلاق النار من قبــل أحد عناصر الهاغاناه على يهودي شرقي (ســفارديم) شــارك في عمليــة النهب إلى إصابته وفــارق الحياة بعد ذلك. ولاحظ سكان المدينة وأغلبيتهم من الشرقيين «أن الاشكيناز (اليهود الغربيين) يطلقون النار فقط على السفارديم (اليهود الشرقيين)...». استؤنفت عمليات السلب في الثاني والعشرين من أبريل عندما فقدت الهاغاناه والشرطة الســيطرة تماما[166]. وفي هذا الصدد كتب نحماني في مذكراته:

تحركت مجموعات مكونة من عشرات اليهود معا لتنهب المنازل والحوانيت العربية... ولم يكن بحوزة عناصر الهاغاناه القوة الكافية للسيطرة على الرعاع بعدما أعطوا بأنفسهم مثلا سيئا... بدا الأمر كما لو كان هناك سباق بين فصائل الهاغاناه الموجودة في مغدال، وغينوسار، ويافنيل عين غيف الذين قدموا إلى المدينة في سيارات وقوارب وقاموا بتحميل جميع أنواع السلع من قبيل الثلاجات، الأسِرّة، إلخ... وكان من الطبيعي أن تسعى التجمعات اليهودية في طبريا إلى التصرف بطريقة مشابهة... كان كبار السن من الرجال والنساء، بغض النظر عن كبر سنهم ... المتدينون (وغير المتدينين)، منشغلين بأعمال السرقة والنهب... فشعرت بالخجل يغطي وجهي» [167].

وبموافقة الهاغاناه، عاد عدد قليل من العرب إلى طبريا في 21 - 22 أبريل، تحت حماية بريطانية، لاستعادة ممتلكاتهم[168].

لم تتلق القوات اليهودية أوامر بطرد السكان العرب، ولم يقوموا بذلك. كما أنهم لم يتوقعوا أن يقوم السكان بالرحيل. ومع ذلك فإنه عندما اتخذ القرار وبدأت عملية الإجلاء بالفعل لم تقدم الهاغاناه في أي لحظة على إيقافها. وخلال ليلة 18 - 19 أبريل طبع قادة الجماعة اليهودية إعلانا يشرح ما حدث. كتبوا فيه أن العرب بدأوا القتال، وأن الهاغاناه قامت بالرد، واستتبع ذلك قرار العرب بالرحيل، وكتب على اللافتات: «لم نقم بحرمان السكان العرب من ديارهم». كما طلبت النشرة من اليهود عدم المساس بممتلكات العرب، حيث «سيأتي اليوم الذي يعود فيه السكان العرب إلى منازلهم...»[169].

بعد مرور ثلاثة أيام، أخبر جمال الحسيني الأمم المتحدة أن اليهود «أجبروا العرب على مغادرة طبريا». وبعد سنوات، اتفق قائد لواء غولاني، بشكل غير مباشر، مع هذا الرأي عندما ذكر أن استيلاء قواته على المواقع العسكرية العربية الرئيسية في المدينة «أجبر السكان العرب على الجلاء»[170]. من جانب آخر، اتهم الياس كوسا (محام عربي من حيفا) العام 1949 «السلطات البريطانية بأنها قامت بنقل السكان العرب [في طبريا] بالقوة وبأعداد ضخمة إلى شرق الأردن». فبدلا من استعادة النظام في المدينة بالقوة، كما كان «واجبهم»، قاموا «بإجبار العرب على هجر ديارهم وممتلكاتهم والسعي إلى اللجوء في الأراضي العربية المجاورة»[171]. وعلى

الرغم من ذلك، واستنادا إلى الدلائل، فإن قرار إجلاء طبريا قد اتخذ بشكل مشترك بين القادة العرب المحليين والسلطات العسكرية البريطانية. ومن الممكن أن تكون فكرة الإجلاء، تحت حماية بريطانية، قد اقترحت أولا من قبل الضباط البريطانيين، إلا أن الأعيان العرب هم من كان عليهم أن يقرروا البقاء أو الرحيل. وقد كان عدم استعداد البريطانيين، أو على الأحرى عدم قدرتهم، لعرض حماية طويلة المدى وإعلانهم انسحابهم الوشيك بمنزلة الحافز على اتخاذ القرار. أما القرار قبل وفي بداية المعركة من قبل كبار أعيان طبريا، والأحداث الحقيقية أو المزعومة التي وقعت في نصر الدين (التي عززتها الأخبار عن المذبحة التي سبقت ذلك بأسبوع في دير ياسين) وقيام الهاغاناه بالاستيلاء على قرية المنارة (إلى الجنوب) في العاشر من أبريل، مما أدى إلى قطع الطريق المؤدي إلى الأردن، كل هذه كانت عوامل ساعدت على حدوث النزوح الجماعي[172].

أطلق سقوط طبريا العربية وإجلاء سكانها الشرارة الأولى لعمل مماثل في سلسلة من القرى المحيطة بالبحيرة. غادرت عشيرة عرب قادش البدوية (من عرب الدليكا) التي كانت تخيم بالقرب من بوريا (جنوب المدينة) تحت حراسة الهاغاناه (بناء على طلبهم) إلى سمخ والأردن[173]. وهرب أصحاب المحال السوريون في سمخ (جنوب المدينة) في الثاني عشر من أبريل أو قبل ذلك[174]. وشوهدت شاحنات تقل النساء والأطفال تغادر القرية في الرابع والعشرين من الشهر ذاته متجهة إلى لوبيا[175]. ورحل المتبقي من السكان في العبيدية (جنوب غرب بحيرة طبريا) في الحادي والعشرين من أبريل[176]. وأجلي سكان مجدل (قرية واقعة على ضفة البحيرة شمالي طبريا) من ديارهم بعد أن أقنعهم رئيس المجتمع اليهودي المجاور في مغدال وغينوسار بذلك، وتلقى القرويون مبلغ 200 جنيه إسترليني مقابل ثماني بنادق وذخائر وحافلة قاموا بتسليمها، وتم نقلهم إلى الحدود الأردنية بحافلات يهودية. ومما لا شك فيه أن سقوط طبريا العربية قد ساعد في عملية «إقناع» السكان. كما أن الحث اليهودي سرع من عملية إجلاء المناطق المجاورة في غوير أبو شوشة[178]. وتم إجلاء السمرة، في الجزء الجنوبي من البحيرة، جزئيا كرد فعل على سقوط طبريا، كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى كل من كفر سبت والشجرة[179].

حيفا

كان سـقوط حيفا العربية والنزوح الجماعي لسكانها من بين الأحداث الرئيسة في الحرب، فرحيل عرب المدينة، الذين بلغ عددهم قبل الحرب 65 ألف نسمة، مثل بحـد ذاته 10 في المائة من إجمالي عدد اللاجئين العرب. وبالنظر إلى الدور المحوري لحيفا، سياسـيا وإداريـا واقتصاديا، فإن سـقوطها والفرار منها كانا دافعا رئيسـيا لهجرات تالية من مناطق أخرى في الشمال وبقاع أخرى في البلاد، بما في ذلك يافا.

مـن الـضروري النظر إلى النزوح الجماعي من حيفـا في الحادي والعشرين من شـهر أبريل عـلى خلفية قيام المدينة بعملية إجلاء تدريجـي لما يقارب 20 ألفا إلى 30 ألفا من سكانها، بمن في ذلك أغلبية الطبقات المتوسطة والعليا، خلال الفترة من شـهر ديسـمبر 1947 إلى أبريل 1948، فغالبية أعضاء اللجنة الوطنية والمستشارين بالبلديـة - بصحبة عائلاتهـم - كانوا من بين الذين رحلـوا. كانت المدينة معرضة للخطر مع الإغلاق التدريجي لمعسـكرات وأجهزة ومكاتـب حكومة الانتداب مما أدى إلى ارتفاع حاد في مسـتويات البطالة خلال شـهري مـارس وأبريل[180]. تضافر ذلك مع ما خلفته أشهر من المناوشات والقصف والنقص في الغذاء (خاصة الدقيق والخبز) والشعور بالعزلة عن الأرض العربية الداخلية ليثير- بشكل مطرد - أعصاب السكان الباقين ويثبط من عزمهم[181].

نقلت اسـتخبارات البالماخ خلال الأسـبوع الأول من شهر أبريل أن 150 عربيـا يغادرون المدينة يوميا[182]. وفي وقت ما من النصف الأول من الشـهر رحل رشـيد الحاج إبراهيم (رئيس اللجنة الوطنية) بشكل واضح بعد مشاحنات مع قائد الميليشيات الجديد، أمين عز الدين النبهاني، (الضابط الدرزي اللبناني)[183]. كما نقلت مصادر اسـتخبارات الهاغاناه أن «أكثر من 100» من عناصر الميليشـيات معظمهم من السـوريين والعراقيـين، الذين لم يتلقوا رواتبهم، غادروا المدينة خلال الأسـبوع الثالث من أبريل[184]. ومما لا شـك فيه أن النجاحات التي حققتها الهاغاناه خلال اليوم السـابق على ذلك في مواجهة جيش الإنقاذ في معارك مشمار هعيمك ورمات يوحنان (على بعد عدة أميال جنوب شرق المدينة) كان لها أثر كبير. وبحلول الحادي والعشرين من أبريل، عندما بدأت الهاغاناه انقضاضها، كان سـكان المدينة الباقون مهيئين للإجلاء.

طبقا للجنرال هيو ستوكويل (القائد العام العسكري البريطاني للقطاع الشمالي) اندلعت المعركة النهائية بسبب العناصر العربية غير النظامية التي قامت بحلول منتصف الشهر:

> *بتكرار هجماتها في العديد من الأحياء... لتحقيق هدف تكتيكي يسعى للتقدم إلى الأمام من جناحين: وادي النسناس ووادي صليب حتى تتمكن من أن تفرج ساقي... الطريق الرئيس في هدار الكرمل... وتعزز مواقع كل من أمين بيك عز الدين ويونس نفعه، اللذين توليا قيادتهما*[185].

في السادس عشر من أبريل أسفرت النيران العربية عن مقتل أربعة من اليهود وإصابة خمسة بجراح. وطبقا لمصادر الهاغاناه، فإنه «بدءا من ذلك اليوم ضاعف العرب من استخدامهم لقذائف الهاون»[186].

كان في نية الهاغاناه أن تترك حيفا إلى النهاية في ضوء الوجود البريطاني الكبير هناك، فضلا عن حقيقة أن المدينة كانت حيوية للانسحاب البريطاني من فلسطين المقرر اكتماله في الخامس عشر من شهر مايو، حيث إن الهاغاناه لم تكن راغبة على الإطلاق في الاشتباك معهم. إلا أن الضغط العربي منتصف الشهر، الذي بلغ ذروته مع إعادة الانتشار المفاجئة للقوات البريطانية خارج مناطق التماس في الحادي عشر من أبريل، وقيام العرب في وقت مبكر من ذلك الصباح بإطلاق النار على السيارات اليهودية في وادي رشميا وأماكن أخرى[187] أجبر لواء كارملي على الدخول في المواجهة.

طالبت الخطة «دالت» بضرورة تشديد القبضة اليهودية على المدن المختلطة من خلال:

> *السيطرة على جميع الممتلكات والخدمات الحكومية، طرد العرب من الأحياء المختلطة بل طردهم جميعا من المناطق [العربية] التي تعرض خطوط الاتصالات في تلك المدن للخطر، أو تلك التي تستخدم كقواعد لشن الهجمات. كذلك، [طالبت الخطة] بإحكام السيطرة على السكان العرب في منطقة من المدينة تكون محاطة بقواتنا.*

أوكلت الخطة للواء كارملي مهمة تحييد حيفا العربية، وصدرت إليه التعليمات على وجه الخصوص بما يلي:

الاستيلاء والسيطرة على كهف إيليا المدينة القديمة، المستوطنة الألمانية، شارع يافا، الأحياء التجارية القديمة والحديثة، شارع الناصرة، وادي رشميا، وأحياء الأكواخ (من قبيل أرض الجمال وقرية بلد الشيخ)[188].

طوال فترة الأزمة كان ستوكويل مدفوعا بشكل رئيسي برغبته في تأمين سلامة قواته وضمان عدم إعاقة عملية جلاء القوات البريطانية عن فلسطين - التي ستجري بشكل رئيسي عبرميناء حيفا. وقد كان منشغلا بشكل خاص بأمن الميناء وخطوط السكك الحديدية ومصفاة البترول. وأخيرا، فإنه كان مهتما بالإبقاء على السلام بين العرب واليهود[189]. وفضلا عن ذلك كان ستوكويل على دراية تامة بأن قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة قد خصص حيفا للدولة اليهودية، وأن لواء كارملي أكثر قوة من خصومه العرب، كما أنه كان متعاطفا بشكل أكبر مع القضية الصهيونية. وفي منتصف شهر مارس خلال اجتماعه مع هاري بيلن، ممثل الإدارة السياسية للوكالة اليهودية في المدينة، وأبا خوشي (شنلر) الرجل القوي ورئيس الشعبة المحلية لحزب ماباي، عبر الجنرال البريطاني بشكل واضح عن «رغبته في التعاون مع [اليهود] بطريقة يمكن من خلالها تسليم حيفا اليهم كمدينة نظيفة». وقام بلين باصطحاب ستوكويل إلى كيبوتس مشمار هعيمك، حيث تناولا الغذاء، وبدا الجنرال البريطاني متأثرا بشكل ايجابي بما شاهده[190].

في منتصف شهر أبريل، أجرى ستوكويل محادثات مع كل من الضباط العرب واليهود طالبهم خلالها بتخفيف وتيرة هجماتهم، الأمر الذي قابله الطرفان بتقديم «وعود غامضة وغير مفيدة». ولقد أقنعت الاستفزازات العربية في تلك الفترة لواء كارملي (الذي قام بدوره بإقناع المركز الرئيسي للهاغاناه) بالحاجة للقيام بـ «عملية كبرى»[191]. وقام كل من خوشي وبيلن بعد ظهر التاسع عشر من أبريل بمحاولة استقراء السلوك البريطاني إزاء مثل هذه العملية المحتملة. وطبقا لستوكويل أوضح خوشي أن موقف اليهود «لم يعد من الممكن احتماله»، وأن هدار الكرمل مهددة «بهجوم عربي». ومن جانبه حذر ستوكويل من أن شن هجوم يهودي كبير سيكون «عملا غير حكيم على الإطلاق». وقد نقل خوشي هذا التعليق إلى تل أبيب، الأمر الذي استتبعه التأجيل المؤقت للفكرة. وعلى الرغم من ذلك، كان ستوكويل (ربما جزئيا استنادا إلى حديثه مع خوشي) مقتنعا بأن «صداما كبيرا» على وشك الوقوع،

واعتقد أنه أخذا في الاعتبار بـ «القوة الضئيلة» التابعة له والموجودة في المدينة لن يكون قادرا على إيقاف القتال، فضلا عن إمكانية وقوع خسائر في صفوف قواته. وبناء على ذلك قرر أنه من بين الخيارات الثلاثة المتاحة أمامه - «الإبقاء على مواقعي الحالية في حيفا والجليل الشرقي»، «تركيز قوات الجليل الشرقي في حيفا»، أو «الإبقاء على مواقعي الحالية في «الجليل الشرقي» وإعادة انتشار القوات في حيفا بما يمكنني من تأمين بعض الطرق والمناطق الحيوية لي وتأمين قواتي قدر الإمكان» - كان الخيار الثالث هو الأكثر جاذبية.

أصدر ستوكويل أوامره إلى قواته، اللواء الملكي الأول والوحدات التابعة له، بإعادة الانتشار مع حلول «الضوء الأول لفجر الحادي والعشرين من أبريل»، والتحرك بعيدا عن المواقع داخل مركز المدينة وعن خطوط التماس بين الأحياء اليهودية والعربية، وهو ما تم تنفيذه بحلول الساعة السادسة من صباح اليوم نفسه. وأعقب ذلك مباشرة اندلاع القتال بين اليهود والعرب للسيطرة على المنشآت التي أخلاها البريطانيون على امتداد خطوط المواجهة[192]. ونقل بيلن عن ستوكويل قوله: «لقد أنزل العلم، لينتصر الأفضل»[193].

وفقا لرواية نمر الخطيب: «في الصباح الباكر من يوم 21 أبريل أخبر ضابط بريطاني اللجنة الوطنية بعملية إعادة الانتشار البريطانية الوشيكة[194]». وربما تم توجيه إخطار غير رسمي مماثل للهاغاناه. أما من الناحية الرسمية، فقد قام ستوكويل في العاشرة صباحا باستدعاء القادة اليهود، وأعقبهم العرب، وسلمهم وثيقة معدة سلفا تعلن إعادة الانتشار، الذي كان قد تم إنجازه بالفعل. وطلب ستوكويل من الطرفين إنهاء القتال ووعد بشكل غامض بقيام البريطانيين بالمساعدة في الحفاظ على السلم والنظام. وفي الوقت ذاته أوضح أن قوات الأمن البريطانية ستمتنع عن التدخل في الصدامات[195].

أدت عملية إعادة الانتشار البريطانية المفاجئة إلى عقد مناقشات على عجل في مركز قيادة لواء كارملي. وخلال الصباح وبداية الظهيرة، تشكلت ملامح عملية «تنظيف عيد الفصح»، التي استندت في جانب منها إلى خطة سبق وضعها أواخر مارس «عملية المقص» نصت على الانقضاض من محاور متعددة على مواقع المليشيات وتحييد قدرة العناصر غير النظامية على إرباك حركة المواصلات والحياة

في الأحياء اليهودية. وعلى حين هدفت «عملية المقص» إلى إحداث التدمير وإيقاع الصدمة أكثر منها إلى الاستيلاء، فإن عملية «تنظيف عيد الفصح» سعت إلى «كسر العـــدو من خلال هجمات متزامنة من عـــدة جهات من أجل فتح طرق الاتصالات إلى جنوب المدينة (على ســـبيل المثال منطقة وســـط المدينة والميناء) والوصول إلى السيطرة على وادي رشميا من أجل تأمين الوصلة البرية بين حيفا والشمال...»[196]. لم يكـــن من أهـــداف التخطيط أو من بين توقعاته الاســـتيلاء عـــلى أغلب مناطق حيفـــا العربية، وقد اعتبر قائد لواء كارملي، موشـــيه كرميـــل، أن مثل هذا الهدف طموح جدا وعلى الأرجح لا يمكن الوصول إلى تحقيقه بسبب قوة العرب والتدخل البريطاني المحتمل.

قبـــل أن يكتمل التخطيـــط لعملية «تنظيـــف عيد الفصح» تم إرســـال وحدة عســـكرية للاســـتيلاء على مبنى لجنة الأحيـــاء العربية الشرقية المعروفة باســـم دار النجادة التي كانت تهيمن على جسر رشميا والمدخل الشرقي لحيفا. وقد ترتب على المحاولات العربية لإعادة الاســـتيلاء على الدار وما تزامن معها من محاولات يائسة طيلـــة النهار والليل لتعزيز ما تبقـــى من الوحدة العســـكرية المحاصرة في الداخل نشـــوب معركة ضارية على أحياء الحليصة ووادي رشميا، ونتيجة لانتصار اليهود في النهايـــة، تم تأمين فتح وصلة الطريق بين حيفا اليهودية والمســـتوطنات الواقعة إلى الشرق والشـــمال. وقد كان قتال ذلك اليوم الأصعب والأطول ويمكن اعتباره، بالنظر إلى الوراء، حاسما.

في الوقت الذي شق فيه طابور النجدة الحربية اليهودي طريقه إلى دار النجادة، مدعوما بنيران الهاون لمنع تقدم العدو، انكسرت المليشيات العربية ولاذت بالفرار، وهو ما تبعه فرار الجانب الأكبر من ســـكان الحليصة ووادي رشـــميا باتجاه الشمال نحو وادي صليب ومنطقة وسط المدينة. وقد ترتب على وصول اللاجئين المذعورين والمنهكـــين خلال ليلـــة 21 - 22 أبريل أثـــر كبير في نشر مشـــاعر مماثلة من الذعر والرعب لدى سكان الأحياء العربية في مركز المدينة، حيث قدم لهم سابقة لنموذج السلوك الذي اتبعه الآخرون.

وصل طابور النجدة إلى دار النجادة الســـاعة التاســـعة من صباح الثاني والعشرين من أبريل، وســـبق ذلك بســـاعات - أثناء الليل - قيام ثلاث من كتائب الهاغاناه وكتيبة

من البالماخ وأخرى مستقلة بشن هجمات متزامنة على مراكز الدفاع العربية الرئيسية وسط مدينة حيفا على امتداد شارع ستانتون وعلى مبنى مكاتب السكك الحديدية (دار الخوري) في وادي النسناس، ومكتب الاتصالات السلكية، ومقر المليشيات العربية في المدينة بالقرب من موقع السوق القديم. وفي إطار الإعداد للهجوم، أطلقت الهاغاناه منتصف ليلة 21 - 22 أبريل - على مدار خمس عشرة دقيقة - خمسين دورة من قذائف الهاون الثقيلة باتجاه جنوب المدينة، مما أوقع «ذعرا كبيرا... وبدأ النزوح الجماعي». كما تم إطلاق المزيد من القذائف بشكل متقطع خلال الليل وفي صباح الثاني والعشرين من أبريل. ومع بداية فترة ما بعد الظهيرة كانت الهجمات قد قصمت ظهر المقاومة العربية. قبل ذلك بساعات، في الساعة التاسعة صباحا من الثاني والعشرين من أبريل، تمكنت وحدات الهاغاناه من الوصول إلى ساحة الحمراء ووجدتها خالية: «كان كل شيء مهجورا، الحوانيت مغلقة، ولا توجد حركة سير ... ولم يكن هناك إلا عدد من كبار السن المرضى من الرجال والنساء يحومون في المكان وهم مرتبكون»[198].

في الساعة السادسة من صباح اليوم نفسه، وقبل ما تقدم، اندفعت مجموعة ضخمة من العرب إلى الميناء، وبحلول الواحدة ظهرا كان ستة آلاف شخص قد استقلوا مراكب وأبحروا في اتجاه عكا. في هذا الصدد كتب أحد أعضاء الكشافة التابعة للبالماخ لاحقا:

> *رأيت أناسا يحملون مقتنياتهم يجرون في اتجاه الميناء وتنطق وجوههم بالارتباك. وقابلت رجلا مسنا جالسا على درجات يبكي، فسألته عن سبب بكائه، فأجاب أنه فقد أبناءه الستة وزوجته ولا يعلم أين هم. قمت بتهدئته وإخباره أنه يجب عليه ألا يبكي هكذا وهو لا يعلم شيئا بعد [عن مصيرهم]، قلت إنه من الممكن أن يكون قد تم نقل زوجته وأبنائه إلى عكا، لكنه استمر في العويل. فقمت باصطحابه إلى الفندق... وأعطيته جنيهين إسترليني فخلد إلى النوم. وأثناء ذلك وصل أناس آخرون [لاجئون] من الحليصة...»*[199].

وصف نمر الخطيب لاحقا حالة الاندفاع المذعور من قبل سكان الجزء الجنوبي من المدينة إلى الميناء كما يلي:

> *انتشرت فجأة إشاعة بأن الجيش البريطاني في منطقة الميناء أعلن عن استعداده لحماية حياة أي شخص يترك المدينة ويصل إلى هناك. ومن ثم بدأ*

اندفاع محموم باتجاه بوابات الميناء. دهس الرجال بعضهم بعضا كما دهست النساء أطفالهن. وسرعان ما امتلأت القوارب في الميناء، وليس هناك من شك في أن ذلك كان السبب وراء انقلاب العديد منها.

من جانبه، قدم ضابط استخبارات بريطاني وصفا للمشهد في مدخل الميناء بعد مرور ساعات قليلة:

خلال فترة الصباح كان اليهود يطلقون النار بشكل مستمر على كل العرب الذين يتحركون في كل من وادي النسناس والمدينة القديمة. وقد شمل ذلك قذائف مدافع، وهاون، ونيران قناصة لا تقوم بالتمييز أصابت نساء وأطفالا كانوا يحتمون بالكنائس ويحاولون الخروج... عبر البوابات إلى أرصفة السفن.. وقامت قوات البحرية الملكية التي تحمي الأرصفة بإدخال العرب عبر البوابات في دفعات، إلا أنه كان هناك اكتظاظ ضخم خارج البوابة الشرقية من النساء والأطفال العرب في حالة هستيريا وذعر، فضلا عن كبار السن الذين قام اليهود بفتح النيران عليهم من دون شفقة. وقد أصيب اثنان من ضباط البحرية الملكية بجراح خطيرة جراء ذلك[201].

في نهاية فترة الظهيرة يوم الثاني والعشرين من أبريل أورد لواء كارملي ما يلي:

أصبح المقر الرئيسي للعرب فارغا. لا أحد يرد على الاتصالات الهاتفية... المستشفيات العربية مليئة بالموتى والجرحى، الجثث والجرحى يملأون الشوارع وليس هناك من يتولى نقلهم نتيجة للافتقار إلى التنظيم والوسائل الطبية، وتخيم حالة الذعر على الشارع العربي[202].

أصدرت قيادة الهاغاناه تعليماتها إلى القوات بمعاملة أماكن العبادة باحترام، خاصة المساجد، والامتناع عن عمليات السلب والنهب[203].

في جميع المناطق، استخدمت الهاغاناه إذاعات باللغة العربية وسيارات مجهزة بمكبرات الصوت، وأعلنت إذاعة الهاغاناه أن «يوم الحساب قد حان» وطلبت من الأهالي «طرد المجرمين الأجانب» و«الابتعاد عن كل منزل وكل شارع وكل حي يحتله المجرمون الأجانب». كما طلبت الإذاعة من السكان «إجلاء النساء والأطفال وكبار السن بشكل فوري وإرسالهم إلى أماكن آمنة»[204]. أعلنت مكبرات الصوت

في السيارات أن الهاغاناه سيطرت على كل مداخل المدينة بشكل لا يسمح بوصول أي تعزيزات إلى المليشيات التي مازالت تعد للمعركة، مطالبة العرب بإلقاء السلاح، والعناصر غير النظامية «من سورية، شرق الأردن، العراق بالعودة إلى عائلاتهم»[205].

كانت التكتيكات اليهودية على أرض المعركة مصممة لصعق وسرعة هزيمة المعارضة، كما مثل إضعاف الروح المعنوية هدفا رئيسا. وكان من المعتقد أنه إذا كان من المهم الانتصار فإنه من المهم كذلك أيضا إحداث التدمير النفسي للوحدات العربية. وفي هذا الخصوص تم اللجوء إلى سيل من قذائف الهاون والحرب النفسية من خلال الإذاعات والإعلانات، والتكتيكات التي اتبعتها كتائب المشاة بالتحرك من منزل إلى آخر، وكانت كلها مسخرة لخدمة هذا الهدف. كانت أوامر رئاسة لواء كارملي للفرقة 22: «قتل كل عربي [من الذكور البالغين] يتم مقابلته»، وإضرام النيران بالقنابل الحارقة في «كل الأشياء التي يمكن حرقها، وسنقوم بتزويدكم بلافتات مكتوبة باللغة العربية لنشرها في الطريق»[206]. وطبقا للتقديرات البريطانية، فإنه خلال المعركة كان هناك «2000 عنصر من المليشيات العربية في مقابل 400 من الجنود اليهود المدربين المدعومين بعدد غير محدد من الاحتياط». وعلى حين بدا تقدير عدد المقاتلين العرب مبالغا فيه، فإن ذلك المتصل بالقوات اليهودية كان أقل من الواقع. ومع ذلك، فإن العناصر الرئيسية لم تكمن في الأعداد أو قوة النيران، وإنما في الطبيعة الطبوغرافية، والتنظيم، والقيادة، والسيطرة، والتصميم، والروح المعنوية (التي كانت مرتبطة بشكل قوي بعنصر المفاجأة). وقد دخلت حيفا العربية المعركة بمعنويات منخفضة إلى حد كبير، وبانعدام في الاستعداد من الناحية النفسية، وبافتقار إلى هدف واضح. ووفقا لأحد تقارير الاستخبارات البريطانية عشية المعركة: «أقر العرب صراحة بأن اليهود أكثر قوة منهم في الوقت الراهن». وكان رجال المليشيات غير مدربين أو مسلحين بشكل كاف، كما أنه تم تجاهل أو رفض أغلب المطالبات المتكررة الموجهة لكل من دمشق واللجنة العربية العليا على مدار الأشهر السابقة لإرسال تعزيزات وأسلحة، وذكرت الاستخبارات البريطانية في هذا الصدد:

> *أن الرحيل المتعجل لأحمد بك خليل، رئيس قضاة المدينة والممثل الوحيد المتبقي في حيفا للجنة العربية العليا، بحرا إلى لبنان في الحادي عشر من شهر أبريل كان تجسيدا له مغزاه لرأي العرب المحليين فيما يتصل بنتائج أي عمليات يهودية شاملة في الوقت الحاضر*[207].

تماشى تقرير ستوكويل بعد وقوع الأحداث مع ما سبق: «أعتقد أن الرأي العربي المحلي كان يعكس الشعور بأن اليهود سيسيطرون إذا ما قاموا بشن الهجوم». أكد الجنرال البريطاني أيضا على شعور العرب بالعزلة والهشاشة[208].

لم يكن فرار خليل في الحادي والعشرين من شهر أبريل مجرد حدث يعطي مثلا على انخفاض الروح المعنوية. لكن، إذا ما تم النظر إليه في سياق فرار - في اليوم ذاته أو التالي - العديد من القادة المحليين الذين كانوا قد ظلوا في المدينة، يمكن اعتباره أحد الأسباب الرئيسة في تدهور الروح المعنوية. فقد لحق بخليل، في بداية فترة الظهيرة، أمين بيك عز الدين، القائد العسكري للمليشيا في المدينة، ونائبه يونس نفعه، وتلاهم في وقت مبكر من صباح اليوم التالي مفتش صحة سابق في حيفا[209]. وعلى الأرجح أن خبر رحيل القادة الكبار للمليشيات عرف بشكل فوري من قبل الضباط والعديد من الرتب والأفراد، وخلال ساعات أصبح الأمر معروفا لدى جميع مكونات المجتمع، وقد حرصت إذاعة الهاغاناه على ترويجه[210]. ووفقا لما تضمنه تقييم أعده جهاز الاستخبارات البريطاني قرب نهاية شهر أبريل، فإن «الهروب المتعجل لـ «أمين بك عز الدين» كان على الأرجح العامل الفردي الأكثر تأثيرا» في إضعاف الروح المعنوية للمجتمع العربي»[211]. وقد ذهب المفوض السامي في الاتجاه نفسه. ففي السادس والعشرين من أبريل خصص كانينغهام برقية كاملة موجهة إلى وزير المستعمرات البريطاني، كريتش جونز، لتناول موضوع فرار القادة العرب من حيفا ويافا[212]. وقد تم التعبير عن وجهة النظر البريطانية حول هذا الموضوع ببلاغة واختصار شديد في السادس من شهر مايو بالقول: «إن فرار قادتهم، وهو مشهد للجبن في أعلى المستويات، قد أفقد السكان [العرب في حيفا] معنوياتهم [213]». من جانبهم، أرسل الديبلوماسيون الأمريكيون تقارير مماثلة إلى واشنطن تضمنت أن «القيادة العليا العربية بالكامل غادرت حيفا بضع ساعات قبل بدء المعركة»، أما نائب القنصل، ليبنكوت، فقد كان محتقرا بشكل تام للأداء العربي: «إن العربي في حيفا، خاصة العربي المسيحي... وبشكل عام... جبان وليس مهتما قيد أنملة بالمشاركة في معارك بلاده»[214].

تراوحت الخسائر العربية في معركة حيفا بين 100 و150 قتيلا وعلى الأرجح عدد أكبر من ذلك من الجرحى[215]. أما خسائر الهاغاناه فكانت 14 - 16 قتيلا وما يقارب الـ 50 جريحا[216].

في وقت مبكر من صباح يوم الثاني والعشرين من أبريل، وعلى خلفية انهيار الميليشيات والنزوح الجماعي، طلب أعضاء في اللجنة الوطنية مقابلة ستوكويل بهدف «التوصل إلى هدنة مع اليهود». استفسر الأخير من ضابط اتصال الهاغاناه، المحامي ياكوف سالومون، عن «شروط اليهود للموافقة على استسلام العرب». من جانبه، كان كارميل في غاية الدهشة. حيث إن العرب لم يكونوا على شفا الانهيار، كما أنه لم يكن هناك ما يبرر الاستسلام، وفقا له فإن «فكرة استيلائنا الكامل على حيفا كانت لا تزال تبدو خيالية ولا يمكن فهمها». وعلى الرغم من ذلك، قام كارميل بكتابة شروط وأرسلها إلى ستوكويل الذي قال إنه «وجدها عادلة ... والعرب سيقبلون بها...»[217].

جاءت مناشدة العرب لستوكويل بعد اجتماع للأعيان ليلة 21|22 أبريل في منزل عضو اللجنة الوطنية ورجل المال فريد سعد، وقام المجتمعون الذين أسسوا من أنفسهم «لجنة الطوارئ لعرب حيفا» بصياغة وثيقة ذهبت إلى تحميل ستوكويل المسؤولية عما حدث، وناشدوا القائد العسكري البريطاني التدخل لـ «إيقاف مذبحة العرب» أو أن يسمح بدخول التعزيزات العربية إلى المدينة[218].

هناك روايتان حول ما دار في الاجتماع التالي مع ستوكويل في العاشرة من صباح الثاني والعشرين من أبريل. حضر الاجتماع كل من سيرل ماريوت (القنصل العام البريطاني المعين في حيفا)، وفيكتور خياط (رجل أعمال والقنصل الفخري الإسباني في المدينة)، وإلياس كوسا (المحامي)، وأنيس نصر (قاضي منطقة حيفا)، وجورج معمر (عضو اللجنة الوطنية). وتمثلت الرواية العربية في أن الوفد طلب بشكل مباشر من ستوكويل إيقاف الهاغاناه والسماح بدخول التعزيزات العربية. ورفض ستوكويل قائلا إنه يلزم على العرب قبول «مبدأ الهدنة» (المقصود أن يستسلموا). وقد طالب العرب المسؤول البريطاني بأن يضع ذلك في وثيقة مكتوبة، الأمر الذي أعقبه توقيع كل من ستوكويل و«لجنة الطوارئ» على وثيقة تنص على أنه (المقصود ستوكويل) رد على مطالبة العرب له بالتدخل بقوله:

> *إنه غير مستعد للتصادم مع أي من الطرفين المتنازعين، وأنه لن يسمح للقوات المسلحة العربية بدخول المدينة... وأنه كان فقط مستعدا للعمل كوسيط سلام إذا ما قبل العرب من حيث المبدأ شروط الهدنة.*

وأعقب ذلك طلب العرب معرفة شروط الهاغاناه للهدنة [219].

جاء بالرواية البريطانية المعاصرة لذلك وصف مخالف بعض الشيء لمحضر الجلسة، ولم يركــز على المطالبــات التي تم توجيهها إلى ســتوكويل للتدخل أو الســماح بدخول التعزيزات، لكن على اســتعداد العرب لقبــول هدنة تقوم على الاعتراف بأنه تم بالفعل خسارة المعركة. وفي تقاريرهما لم يذكر أي من ستوكويل أو ماريوت أن الأول قام بالتوقيع عــلى وثيقة. كذلك فإنه طبقا للتقارير البريطانية، ســعى العرب فقط إلى الحصول على مساعدة ستوكويل للتوصل إلى هدنة، غير أن الوفد خشي أن يرى البعض هذا التوجه على أنه استسلام غادر، ومن ثم فإنهم رغبوا في أن تقع المسؤولية على الجانب البريطاني، الأمر الذي كان يعني أنه يلزم المناورة مع ســتوكويل ليقوم بالإعلان أن العرب كانوا «مجبرين على الاستســلام». حيث يقــوم العرب بالطلب من البريطانيين إمــا محاربة الهاغاناه أو الســماح بدخول التعزيزات، ويرفض ستوكويل، وبناء عليه تذعن اللجنة لشروط الهدنة في ظل الظروف القهرية. وقد مثل ما ســبق، على الأقل، الطريقة التي رأى بها ستوكويل الاجتماع: «لقد شــعروا بأنهم لم يتم تفويضهم بأي شــكل من الأشــكال في طلب هدنة، لكــن إذا مــا قمت بتغطيتهم فإنه يمكنهــم القبول بها». وقد ســجل الجنرال أن العرب «أرادوا منه أن يقول إنه لن يتدخل ضد الهاغاناه ولن يســمح بدخول التعزيزات»[220]. ومن تقارير ســتوكويل وماريوت يظهر أن مصالح وآراء البريطانيين والعرب التقت ذلك الصباح، فكلا الطرفين كان يخشى، بل ويعارض، تجدد عمليات القتال الواســعة؛ وكلاهما فهم أن العرب قد خسروا بالفعل؛ كما خشي الطرفان وقوع مزيد من نزيف الدماء؛ وكلا الطرفين كان يريد الهدنة، وكان على ستوكويل أن «يجاري» ذلك.

طلب العرب الاطــلاع على شروط الهاغاناه فقدمها ســتوكويل لهم، ثم غادروا لمناقشتها في «منزل خياط». على أن يلتقوا بممثلين بريطانيين ويهود في مبنى البلدية في الســاعة الرابعة مساء. ويبدو أنهم شــعروا أن القبول الفوري سيعرضهم للاتهام بالخيانة، ومن ثم حاولوا من خلال القنصل السوري ثابت العريس، الذي كان لدية جهاز إرسال راديو، الاتصال باللجنة العسكرية للجامعة العربية في دمشق للحصول عــلي تعليماتها، غير أن دمشــق لم تــرد[221]. وعوضا عن ذلك قامت دمشــق بدفع الحكومة اللبنانية للتحرك، فقامت باســتدعاء الوزير البريطاني في بيروت، هوســتون بوسوول، للاحتجاج على إحجام بلاده عن التصرف إزاء «العدوان اليهودي». وفي ذات الوقت قابل الرئيس الســوري شــكري القوتلي بصحبة كبار وزرائه الوزير البريطاني

فيليب برودميد وقرأ له رسـالتين واردتـين من ثابت العريس تضمنتا وصفا للهجوم اليهودي وحذرتا من «مذبحة للأبرياء». واتهم الرئيس السـوري البريطانيين «بعدم القيام بأي شيء» مهددا بشـكل ضمني بالتدخل السـوري. وقد حذره برودميد من الإقدام على مثل هذه «الأفعال الغبية»[222].

لم يكـد برودميد يغـادر حتى تم اسـتدعاؤه مجددا على الفـور، حيث أخبره القوتـلي أنه في حالة من الحيرة وليطلعه علي برقيـة جديدة من العريس متضمنة رفض سـتوكويل لمناشدة الأعيان له التدخل أو السـماح بدخول التعزيزات، وأنهم ينتظـرون تعليمات تمهيـدا للاجتماع المرتقب في مبنى بلديـة المدينة. ذكر الرئيس القوتلي أنه «قلق جدا» بشـأن الرأي العام السـوري طالبا من برودميد إبداء رأيه حول مضمون التعليمات التي يمكنه أن يرسـلها، وما الذي يقترحه برودميد في هذا الصـدد. أوضح برودميد أنه لا يعرف الوقائع وحث على الاعتدال، وفي أعقاب ذلك أرسـل إلى لندن طالبا القيام بعمل «شيء» يمكن أن «يهدئ من روع القوتلي»[223]. ولم يكـن القوتلي يدري ما الـذي يمكنه أن يقدمه كتعليمات لعـرب حيفا الباقين: الاستسلام؟ رفض شروط الهاغاناه؟ البقاء والقبول بالسيادة اليهودية؟ إجلاء المدينة؟ على الخيارات كانت مثيرة للجدل. فامتنع القوتلي ببساطة عن الرد.

في تلك الأثناء، وخلال مراجعته لشروط الهاغاناه، لم يشـعر ستوكويل «بالرضاء التام» مما دفعه إلى اسـتدعاء الممثلين اليهود. وحضر بناء على ذلك كل من: بيلن، وسالومون، وموردخاي مكليف (قائد عمليات لواء كارملي) الذين قبلوا بعد المناقشة التعديلات التي أدخلها سـتوكويل. نصت النسخة النهائية على المطالبة بنزع سلاح المجتمع العربي (مع تسليمها إلى السلطات البريطانية التي ستقوم بدورها بتسليمها إلى الهاغانـاه فقط في الخامس عشر من شـهر مايو)؛ ترحيـل العرب الأجانب من الذكور في سـن القتال؛ إزالـة كل الحواجز التي أقامها العـرب على الطرق؛ القبض على النازيين الأوروبيين الموجودين في أوساط العرب؛ فرض حظر التجوال لمدة أربع وعشرين ساعة في الأحياء العربية لتأمين عملية «نزع السلاح التامة»؛ فضلا عن:

> *إعطاء كل فرد في حيفا... الحرية في مباشرة عمله وطريقة حياته، وسيقوم العرب بممارسة أعمالهم باعتبارهم مواطنين متساوين وأحرارا في حيفا كما أنهم سيتمتعون بكل الخدمات شأنهم في ذلك شأن الأفراد الآخرين في الجماعة*[224].

نقلت السيارات المصفحة البريطانية القادة العرب إلى قاعة المدينة في حين وصل اليهود بطرقهم الخاصة. وقد مثل البريطانيون كل من: ستوكويل، وماريوت، وعدد ضئيل من كبار الموظفين؛ ومن الطرف اليهودي كان حاضرا كل من العمدة شاباتي ليفي، وسالومون، ومكليف، وعدد من الموظفين؛ ومثل العرب: خياط، سعد كوسا، أنيس نصر، محمد أبو زياد (رجل أعمال)، معمر، الشيخ عبد الرحمن مراد (رئيس جماعة الإخوان المسلمين في حيفا). وفي الخارج كانت الهاغاناه تدفع بوحداتها إلى أحياء وسط المدينة مبقية على إطلاق متقطع، وإن كان كثيفا، لقذائف الهاون، بغية «الاستمرار في الضغط» علي عناصر المليشيا المتبقية من جانب، وعلى الأعيان المجتمعين في مبنى البلدية من جانب آخر[225]. طبقا لرواية كل من ستوكويل وماريوت، «وافق الوفدان بالإجماع» على وقف إطلاق النار، الأمر الذي كان يعادل استسلاما عربيا، استهل العمدة ليفي الحديث بإعلان أن «مكونات المجتمعين في حيفا يجب أن تعيش في سلام وصداقة معا». وعقب ذلك قام ستوكويل بقراءة شروط الهاغاناه، وهو ما تلاه مناقشات؛ حيث رغب العرب في الاحتفاظ بالأسلحة المرخصة، كما طالبوا بأن تتولى القوات البريطانية عوضا عن الهاغاناه الإشراف على حظر التجوال والتفتيش من منزل إلى آخر؛ كما أنهم «عارضوا بقوة» أن تنص الوثائق على تسليم الأسلحة العربية إلى الهاغاناه. وقد علق ستوكويل على ذلك الموقف بأنه «كان على الأرجح لحماية أنفسهم من استياء السلطات العربية العليا [أي اللجنة العربية العليا]»[226]، ومن جانبهم، أصر اليهود على الاحتفاظ بالنص كما تمت صياغته من دون تغيير، لكنهم وافقوا علي التوصل إلى حلول وسط في أغلب القضايا الأخرى، وطبقا لما أورده بيلن، كان العرب «يساومون على كل كلمة»[227].

كان ممثلو اليهود «تصالحيين» وفقا لستوكويل. وقد كان ماريوت، الذي تحول بعد ذلك ليصبح معاديا شرسا للإسرائيليين، أكثر تأكيدا على هذه الصفة حيث كتب: «ترك أعضاء الوفد الإسرائيلي انطباعا جيدا بشهامتهم في النصر، واعتدال شروطهم للهدنة، واستعدادهم للموافقة على التعديلات التي طلب الجنرال ستوكويل إدخالها». كما وصف ماريوت ليفي بأنه رجل «شجاع له شخصيته... كريم وودود، وأن انشغاله الرئيسي كان بالسلام والرفاهية في حيفا»، أما فيما يتعلق بسولومون فقد رأى أنه لا يفتقر إلى التميز وروح الدعابة - على الأقل عندما يكون في الجانب

المنتصر». ووصف ماريوت ضابط اتصالات الهاغاناه (بي ولف ريبك) بأنه «يتحدث بلهجة أكسفورد ولكنه لم يكن مجردا من الذكاء». وعلى الجانب الآخر «ترك الوفد العربي انطباعا مؤسفا». ويكتسب هذا الوصف قوته عند قراءة وصف ماريوت لنفسه وخبرته عن اليهود حيث ذكر أنه شخص:

استقى خبراته من اليهود في رومانيا (حيث كان من المعلوم أنه إذا كان هناك منزل قذر في القرية فإنه منزل لشخص يهودي)؛ وفي نيويورك (حيث كان من النادر الالتقاء بهم في الأوساط المحترمة، وأنه كان ينظر إليهم في دوائر الأعمال على أنهم مخادعون يلجأون إلى الأساليب الملتوية)؛ وفي جنوب أفريقيا (حيث ترجع أصول العديد من العائلات الكبرى، على الرغم من أنهم أصبحوا الآن كاثوليك، إلى سلالة الفارين من محاكم التفتيش المقدسة)(*).

وفيما يتصل بوجهة نظر ماريوت (الذي جاء إلى الشرق الأوسط حديثا) في العربي، فقد وصفه بأنه: «شخصية رومانتيكية تعيش في الهواء الطلق وتقضي معظم حياتها على ظهر الجمال أو في قيادة الخيول الأصيلة». لكنهم في مبنى بلدية المدينة لم يرتقوا إلى مستوى توقعاته بشكل عام، باستثناء مراد، الذي وصفه ماريوت بأنه «رجل بسيط... أنا متأكد من أنه بعيدا عن «الجهاد» يرغب في السلام». أما خياط فكان «بشكل واضح، حتى لا نقول لافتا للنظر، ثريا ويُقال إنه لا يزال يمتلك متجرا في الشارع الخامس في نيويورك حيث يتم بيع المقتنيات الفنية الثمينة». وفيما يتصل بسعد فإنه «رجل أعمال صعب المراس» يكن كراهية واضحة للبريطانيين. وكتب القنصل البريطاني: «أن الكلمة الوحيدة التي يمكن أن تصف السيد إلياس كوسا هي أنه «ثائر»:

إنه يعاني من عين صناعية مركبة بشكل سيئ تبرز في لحظات الإثارة إلى الخارج وتُظهر حافة الحدقة بنية اللون. وعلى الرغم من أنه محام فإنني لا أرغب لا في توكيله ولا في رؤيته يمثل الطرف الآخر في خصومة.

لم يتقبل ماريوت إعلان كوسا أنه رغم أن العرب قد خسروا جولة فسيكون هناك جولات أخرى[228].

(*) المقصود بذلك محكمة كاثوليكية نشطت بخاصة في القرنين الخامس عشر، والسادس عشر وكانت مهمتها اكتشاف الهرطقة ومعاقبة القائمين بها. [المترجم].

توقف الاجتماع في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر، حيث طلب العرب مهلة أربع وعشرين ساعة لدراسة الشروط، وهو ما اعترض عليه اليهود. وبناء على إلحاح البريطانيين، تم الاتفاق على إعطاء العرب مهلة ساعة. عادت الوفود للاجتماع في الساعة السابعة والربع مساء، حيث أعلن العرب - الذين لم يعد وفدهم يضم سوى الأعيان المسيحيين، نتيجة لبقاء المسلمين، أبو زياد ومراد، بعيدا:

أنهم ليسوا في موقع يخولهم توقيع هدنة، حيث إنهم ليست لهم أي سيطرة على العناصر العربية المسلحة في المدينة، كما أنهم... لا يمكنهم تنفيذ شروط الهدنة حتى لو قاموا بتوقيعها. وكبديل لذلك عبروا عن رغبة السكان العرب في الجلاء عن حيفا... رجال، ونساء، وأطفال[229].

أصيب اليهود والمسؤولون البريطانيون بالدهشة، بل وبالصدمة. ناشد ليفي «بطريقة عاطفية مؤثرة... العرب إعادة النظر في الموقف». وذكر أنه يجب عليهم عدم مغادرة المدينة التي «عاشوا فيها لمئات السنين، وحيث دُفن أجدادهم، وحيث عاشوا لزمن طويل في سلام وأخوة مع اليهود». غير أن العرب أفادوا بأنه «ليس أمامهم خيار آخر»[230]. ووفقا لكارميل (الذي أفاده مكليف عن فحوى الاجتماع)، فقد«شحب» وجه ستوكويل عند سماعه قرار العرب، وقام بدوره بمناشدتهم إعادة النظر فيه، وألا يرتكبوا مثل «هذا الخطأ الخطير». كما ناشدهم قبول الشروط قائلا: «لا تدمروا حياتكم من دون مبرر». وعقب ذلك توجه بالسؤال إلى مكليف: «ماذا لديكم لتقولوه؟» ورد الأخير: «إن القرار يرجع لهم [المقصود العرب]»[231]. وعند تذكره للأحداث كتب سالومون أنه كذلك ناشد العرب إعادة النظر في القرار ولكن من دون جدوى[232].

جزم المؤرخون الإسرائيليون لتلك الأحداث فيما بعد بأن قيادة عرب حيفا تلقت أوامر من اللجنة العربية العليا بإجلاء المدينة. وقد كتب كارميل أنه في وقت ما بعد الثاني والعشرين من أبريل:

علمنا أنه خلال فترة التوقف [في الاجتماع] اتصل العرب باللجنة العربية العليا للحصول على تعليمات. وتمثلت أوامر المفتي في ترك المدينة وعدم قبول شروط استسلام من اليهود؛ حيث إن الغزو من قبل الجيوش العربية كان قريبا وأن البلاد بكاملها ستقع في أيدي العرب[233].

اعتقــد بعض المســؤولين اليهود، الذين أصابتهم حالة مــن الارتباك إزاء النزوح الجماعــي من حيفا، في ذلك الوقت، أن ذلك كان جزءا من مؤامرة عربية أو عربية- بريطانية شــاملة، كانت كذلك وراء النزوح الجماعي من أجزاء أخرى من فلســطين في نهاية شــهر أبريل[234]. وفي الثالث والعشرين من الشــهر أرسل ساسون برقية إلى شيرتوك الذي كان آنذاك في نيويورك:

> *من الواضح أن الهروب الجماعي الذي نشــهده هنا في فلسطين، كما هي الحــال في طبريا وحيفا وأماكن أخرى، ليس نتيجة لمجرد الخوف والضعف. إن الهروب منظم من قبل أتباع الحســيني ويتم تنفيذه بتنســيق مع «المقاتلين» الأجانب بهدف: (1) تشــويه ســمعة اليهود ووصفهم بأنهم طاردون يقودون العــرب خارج أراضي الدولة اليهودية. (2) إجبــار الدول العربية على التدخل بإرســال جيوش نظامية. (3) خلق انطباع لدى الرأي العام العربي والعالمي أن هذا التدخل لانقاذ الفلسطينيين المضطهدين.*

أكــد ساســون كذلك على أن هروب القادة العســكريين العــرب في بداية كل معركــة كان جزءا من مؤامرة «لنشر الاضطراب، والذعر» بين العرب، مما يقودهم إلى الفرار[235].

على الرغم من ذلك، إذا كان ساسون يشير إلى أن النزوح الجماعي كان منظما أو نتيجة لأوامر قادمة من الخارج، فإن وزن الأدلة المتوافرة يشير إلى عدم صحة ذلك. فكما رأينا، حاولت القيادات المحلية وفشلت في الحصول على تعليمات من دمشق؛ حيث فضلت الأخيرة الالتزام بالصمت. كما أنه لا يوجد أي دليل مقنع على أن هناك تعليمات جاءت من الحســيني أو اللجنة العربية العليا. وببساطة، تُرك عرب حيفا ليقرروا بأنفسهم[236]، ومن المحتمل أن مؤيدي الحسيني المحليين، الأعيان المسلمين - متصرفين بالطريقة التي اعتقدوا أن اللجنة العربية العليا/الحســيني، كان يريد أن يجري التصرف بها- قاموا بإكراه زملائهم من الأعيان المســيحيين المجتمعين في بلدية المدينة بعد الساعة السابعة يوم الثاني والعشرين من أبريل على رفض الهدنة أو أي شيء تفوح منه رائحة الاستســلام والقبول بالحكم اليهودي، ومالوا إلى الإجلاء. ومما لا شــك فيه أن ذكريات الفترة 1936-1939 والإرهاب الذي مارسه المفتي ضد رموز المعارضة/المسيحيين كانت ماثلة بشكل كبير في الأذهان.

وإذا كانـت الأدلة المتوافرة تقود إلى الاعتقاد بأن القرار الأصلي بالجلاء نبع من القيـادة المحليـة، فإن هناك وفرة في الأدلة التي تشـير إلى أن اللجنة العربية العليا ومؤيديهـا المحليين قد اعتمدوا هذا القرار بأثر رجعـي في الأيام التالية وحثوا على استمرار عملية الإجلاء. وفي الخامس والعشرين من أبريل نقل ليبنكوت أن «القادة المحليـين الذين يخضعون لسـيطرة المفتـي يحثون كل العرب على تـرك المدينة»، مضيفـا في اليوم التالي: «يتردد أن اللجنة العربيـة العليا تأمر العرب بالرحيل»[237]، وهـو الأمر الذي اتفق معه المراقبون البريطانيـون. أما كانينغهام فقد أخبر كريتش جونز في الخامس والعشرين من أبريل أن «السـلطات البريطانية في حيفا قد يكون لديهـا انطباع بأنه تم حث عرب حيفا على الإجلاء التام من قبل جهات عربية عليا، وأن سـكان المدينة أنفسهم ضد ذلك». وكانت الفرقة البريطانية السادسة المجوقلة أكثر وضوحا في هذا الصدد:

> *إن أحد الأسباب الممكنة لتفسير أوامر الجهة التنفيذية العليا [أي، اللجنة العربيـة العليا] بإجلاء حيفا هو تجنب إمكانية أن يتم اسـتخدام عرب حيفا كرهائن خلال العمليات المسـتقبلية بعد الخامس عـشر من مايو. فقد هدد العرب بقصف حيفا عن طريق الجو».*

أشار المركز الرئيس للقوات البريطانية في الشرق الأوسط بشكل مشابه إلى «أن إجلاء سكان حيفا بواسطة اللجنة العربية العليا... يحرج اليهود بشكل كبير»[238]. وفضلا عن ذلك فإن أغلب القادة الذين بقوا شـجعوا سـكان المدينة على الرحيل (وربمـا أكدوا لهـم على عودتهم القريبة وراء الجيـوش العربية المنتصرة، إلا أنني لم أجـد دليلا على ذلـك). أتخذت عملية الحث شـكل التهديـدات والتحذيرات والشـائعات المخيفة. لا يمكن التقليل من الأثر التراكمي لمثل هذه الشـائعات في التشجيع على الهروب.

> *أكثر الشائعات انتشارا كانت تلك القائلة بأنه سيتم أخذ العرب الباقين في حيفـا كرهائن من قبل اليهود في حالة قيام العرب بهجمات مسـتقبلية في مناطـق يهودية أخرى. وهناك أيضا جزء من الدعاية، يشـير إلى الثواب والعقـاب عنـد قيام العـرب بإعادة الاسـتيلاء على المدينة، يشـير إلى أن*

الأشخاص الذين بقوا في حيفا اعترفوا بشكل ضمني بأنهم يؤمنون بمبدأ الدولة اليهودية. ويُزعم أن فيكتور خياط هو المسؤول عن هذه التقارير.

وفقا لوحدة تابعة للاستخبارات البريطانية. ولكن وفقا لمصادر بعض وحدات الجيش البريطاني (القسم الأمني الميداني رقم 257 و317) إذا لم تكن تلك «الشائعات والدعاية قد نُشرت من قبل أعضاء اللجنة الوطنية الذين بقوا في المدينة، فإن العديد من العرب «لم يكونوا ليغادروا خلال الفترة من 22-28 أبريل»[239].

وحتى التاسع والعشرين من أبريل رُوي أن أعضاء اللجنة الوطنية كانوا «في أغلب الأحوال» يشجعون الأهالي على الرحيل، وربما قدم فريد السعد استثناء؛ حيث أخبر لبينكوت أن أعضاء اللجنة الوطنية كانوا يخبرون الناس «أن يحكموا عقولهم فيما إذا كان يلزم البقاء أو الرحيل»[240]. أما معظم أعضاء لجنة الطوارئ فكانوا مشغولين بالتشجيع على الرحيل وفي تنظيم قوافل الخروج، وعندما اعترضت نقطة تفتيش الهاغاناه قافلة مكونة من ثلاث إلى أربع شاحنات في طريقها إلى الناصرة، اشتكت اللجنة من أن البريطانيين لا يحترمون وعدهم الذي قطعوه في 22-23 أبريل بمساندة عملية الإجلاء[241].

تابعت استخبارات الهاغاناه من جانبها أيضا تطورات الأوضاع: «يروى العرب في حيفا أنهم تلقوا أمرا من اللجنة العربية العليا بالرحيل من المدينة بأسرع ما يمكن وعدم التعاون مع اليهود»[242].

في الوقت الذي تتحدث فيه القيادة العربية الحالية في حيفا إلى رجالنا عن إعادة الحياة إلى طبيعتها، فإن سياستها الواقعية هي أن تقوم بأقصى ما يمكن للإسراع بالأخلاء... وتروي الدوائر العربية العليا أنها تلقت تعليمات صريحة لإجلاء العرب من حيفا. والسبب وراء ذلك ليس واضحا لنا... وتفسر الجماهير العربية بأنه ينبع من احتمال قيام قوات شرق الأردن بارتكاب مذبحة شاملة (بالمدفعية، الطائرات، وغيرها)[243].

ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن العرب يتلقون «خطابات تهديد» تتضمن أوامر بأن يرحلوا؛ وإلا فإنه سيتم «اعتبارهم خونة ويُحكم عليهم بالإعدام»[244].

وقـام الجهـاز بتقديم وصف دوري لآليـات اللجنة العربية العليا في تشـجيع النزوح الجماعي. ففي الخامس والعشرين من شهر أبريل نقل حيرام أنه بعد ظهيرة 23 أو 24 أبريل توجه سـالومون ومعمر معاً إلى «اللاجئين» في شـارع عباس وحثوا النسـاء والأطفال والرجال الذين تجاوزوا الأربعين عـلى «العودة إلى ديارهم». وفي الوقت الذي كان فيه أولئك على وشـك القيام بذلك ظهر الشـيخ مراد وشـخصية مسلمة أخرى على المسرح، وطبقا لجهاز استخبارات الهاغاناه أخبر مراد اللاجئين:

> *تطوع الجيش العربي بتوفير 200 شـاحنة لنقل اللاجئين إلى مكان آمن خارج حيفا، حيث سيتم تسكينهم وإعطاؤهم الطعام والملابس من دون مقابل، وهددهم بأنهم إذا بقوا في حيفا فسيقتلهم اليهود ولن يستثنوا نساءهم وأطفالهم».*

وقد كان لذلك تأثيره في تغيير الحشـد لرأيـه واتجه العديد إلى نقطة الإجلاء في المرفأ[245].

لم يمثل إعلان الإجلاء من قبل الأعيان مسـاء الثاني والعشرين من أبريل مفاجأة مذهلة. فعشرات الآلاف، بمن فيهم أغلب أفراد الطبقتين الوسطي والعليا في المدينة، كانوا قد رحلوا خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مطلع أبريل 1948. وفي 21-22 أبريل كان لدى الأعيان مثل حديث أمام أعينهم، ذلك الخاص بطبريا. وبحلول مساء الثاني والعشرين من الشـهر كان الآلاف قد صوتـوا عمليا لصالح الرحيل من خلال الفـرار المذعور من مركز المدينة إلى الأحيـاء المجاورة المُحصنة، ثم بعد ذلك الهرب إلى المينـاء ومنه عن طريق القوارب إلى عكا. وهكـذا قدم الفارون لقادتهم طريق الخـروج من المعضلة المتمثلة من جانب في اسـتمرار المعركـة الميئوس منها، ومن جانب آخر في القبول المشين للحكم اليهودي.

كانت هجـمات الهاغاناه في 21-22 أبريل باسـتخدام قذائف الهاون مخططة بشـكل أسـاسي لإضعاف الروح المعنوية مما يؤدي إلى تلاشي المقاومة والوصول إلى استسـلام سريع. ولا يوجـد دليل على أن القادة المنخرطـين في تلك الهجمات كانوا يأملون أو يتوقعون أنها ستقود إلى نزوح جماعي ضخم (على الرغم من أن الأحداث في طبريـا قبل ذلـك بأربعة أيام كانـت ماثلة في أذهانهم). لكـن كان من الواضح أن الهجـوم، وبصفة خاصة القصف، قد حث على النـزوح الجماعي. ووفقا للرواية

الرسمية التي قدمتها الهاغاناه لاحقا: «أدت قذائف الهاون (عيار 3 بوصات) التي تم إطلاقها على ميدان السوق (حيث الزحام الشديد... إلى نشر الذعر والهلع، واندفعت الحشود داخل الميناء منحية رجال الشرطة جانبا لتقوم بتحميل القوارب والفرار من المدينة»[246].

غادر ما يقرب من 15 ألف عربي على الأرجح حيفا بين 21 و22 أبريل، أغلبهم عن طريق البحر، أو البر إلى عكا ولبنان قبل أن يُعلن الأعيان عن قرار الإجلاء. وبحلول ليلة الثاني والعشرين كان هناك من 30 ألف عربي إلى 40 ألفا مازالوا في المدينة (وفقا للجنة الطوارئ بلغ العدد 37 ألفا)[247]. وافق ستوكويل على المساعدة في إجلائهم. ومنذ الثالث والعشرين من أبريل بدأت طائرة تابعة للبحرية الملكية وأسطول صغير من الحافلات، تحت حراسة سيارات مدرعة، في نقل النازحين إلى عكا. واستمرت الطائرة حتى الثامن والعشرين من الشهر تعمل متنقلة عبر خليج حيفا، في حين سلكت الشاحنات، في قوافل، الطريق الساحلي عبر نقاط تفتيش متتالية تابعة للهاغاناه والبريطانيين والعرب. غادرت العشرات من العائلات المصرية حيفا على مركب شراعي مستأجر باتجاه الإسكندرية، وغادر سوريون باتجاه لبنان على مركب آخر. وفي الوقت ذاته نظمت لجنة الطوارئ ومقاولون عرب قوافل خاصة من الحافلات، قام البريطانيون بتأمينها، نقلت مئات العائلات إلى عكا، والناصرة ونابلس[248]. وبحلول الحادي عشر من مايو نقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن «عملية الإجلاء من حيفا مازالت مستمرة». وعلى الرغم من أن عددا من اللاجئين عاد لفترة قصيرة، فإن ذلك كان لاستكشاف ما يحدث لممتلكاتهم أو لأخذ بعض المقتنيات التي تركوها وراءهم[249]. وفي المقابل عاد «عدة مئات» بشكل دائم خلال النصف الأول من شهر مايو كان أغلبهم من بين عمال مصفاة التكرير وغيرها من المؤسسات الحكومية[250].

في بداية عملية الإجلاء الجماعية ذهب القادة العرب إلى حد طلب تعاون السلطات اليهودية في تنظيم الرحيل نتيجة شكواهم من عدم قيام البريطانيين بتوفير وسائل نقل كافية. وقد استجاب بيلن بحماس لذلك: «لقد أجبت بأننا سنكون سعداء للغاية بتقديمنا لهم كل مساعدة يحتاجون إليها»[251].

بيد أن بيلن لم يكن في تلك المرحلة يمثل القيادة اليهودية المحلية، التي كانت تشعر، في جانبها الأعظم، بالارتباك وعدم الراحة إزاء هذا الرحيل الجماعي، فالعديد

من مسـؤولي البلدية (وبشكل واضح الهاغاناه) سعوا خلال الفترة من 22-28 أبريل إلى إقنـاع العرب بالبقاء. ونقل جهاز اسـتخبارات الهاغانـاه أن أحد الضباط اليهود كان يقـوم «بدعاية في أوسـاط اللاجئين في منطقة عباس تهـدف إلى إقناعهم بعدم المغادرة»[252]. وقد تذكر سـالومون في وقت لاحق أنه في صباح يوم 23 أبريل ذهب إلى شارع عباس ووادي النسناس بعد تلقيه «تعليمات بأن يتوجه إلى الأحياء العربية ويناشـد العرب عدم الرحيل». وعلى الرغم من أنه لم يحدد مصدر هذه التعليمات (الهاغاناه، أو شـبتاي ليفي أو شـخص آخر) فإنه أشـار إلى أنه كان بصحبة «ضابط مـن الهاغاناه». وعلى الرغم من التحذيرات التي تلقاها من أصدقائه من أن الوضع هنـاك مازال خطيرا فقد «تنقل من شـارع إلى آخر ليخـبر العرب... لا ترحلوا، إلا أن المحصلـة النهائية كانـت رحيل العديد من العرب في نهاية اليـوم وفي الأيام القليلة التالية...»[253]، وقد يكون الرجل الذي صاحبه هو توفيا ليشانسكي (ضابط استخبارات رفيع المسـتوى في الهاغاناه)، الذي أشـار لاحقا إلى شيوع «جو من الانزعاج... فكلما اسـتولينا على مدينة... هجرها العرب. ماذا سـيقول العالم؟ لا شـك أنهم سيقولون: هكذا هم اليهود، والعرب لا يمكن أن يعيشـوا تحت حكمهم»، وأشار ليشانسكي إلى مساعيه لإقناع العرب بالبقاء في أماكنهم[254]. وقد كانت تلك الجهود ملحوظة حيث نقل راديو بغداد في الخامس والعشرين من أبريل أن «الهاغاناه تحاول إقناع العرب بالبقاء في حيفا»[255]. كما أشـارت الشرطة البريطانية في الثامن والعشرين من الشهر نفسه إلى أن اليهود «يبذلون كل مسعى ممكن لإقناع السكان العرب بالبقاء والعودة إلى حياتهم الطبيعية...»[256].

الأمر الذى اتفقت معه الاستخبارات العسكرية البريطانية:

> *أصبـح الإجلاء العربي الآن شـبه كامل. وعلى الرغم مـن أن اليهود بذلوا جهـودا كبيرة لمنع الإجلاء التام، إلا أنه بـدا أن دعايتهم كانت محدودة الأثر. وخـلال محاولتها كبـح النزوح الجماعـي للعرب لجأت الهاغانـاه في حالات عديـدة إلى التدخل الفعلي... وتم بث مناشـدات عبر الإذاعـة اليهودية، كما تم إصدار نشرات تصب في الاتجاه نفسـه، وقامت الهستدروت بتوزيع نشرة تناشد العرب الذين كانوا أعضاء بالمنظمة سابقا العودة. وعلى الرغم من ذلك، ظل العرب إجمالا غير عابئين لمثل هذه الدعاية*[257].

ذكـر ليبنكوت، نقلا عن فريد السـعد، أن قادة الهاغانـاه قاموا «بتنظيم حملة دعاية واسـعة لإقناع العرب بالعودة»، لكن العرب لم تكن لديهم ثقة في اليهود، كما قال السـعد[258]. وهو الشيء نفسه الذي لاحظه مراسـل التايمز في المدينة: «يرغب اليهود في أن يعود العرب مجددا إلى حياتهم الطبيعية، إلا أن عملية الإجلاء استمرت... ويبدو أن أغلب العرب يشعرون بأنه لا يوجد ما يستحق البقاء من أجله»[259]. ونُقل كذلك أن القساوسة والراهبات كانوا أيضا يناشدون المسيحيين البقاء[260].

اعتقـد كل مـن البريطانيين، بمن في ذلـك كانينغهام، وليبنكـوت - على الأقل في البداية - أن يهود حيفا أرادوا أن يبقى العرب أساسـا لأسباب اقتصادية. حيث خشوا على «المسـتقبل الاقتصادي للمدينة» عندما تغادرها الطبقـة العاملة العربية، وفقا لما ذكره المفوض السـامي[261]. وبشـكل أكثر وضوحا كتب ليبنكوت أنه إن لم يتمكن اليهود من إقناع العرب بالبقاء أو العودة «سيحدث نقص حاد في القوة العاملة»[262]، (كذلك أوضح ليبنكوت أن اليهود رغبوا في بقاء العرب «لأسـباب سياسـية، تتمثل في الرغبة في إظهار أسلوب التعامل الديمقراطي»[263]. وقد نقلت الوحدات البريطانية أن «اليهود كانوا مضطرين لتسـيير المصانع والأماكن التي استلزم الأمر عملها بعناصرهم بدلا من العرب الذين كانوا يعملون فيها سـابقا، وقد ثبت أن النتيجة لم تكن مرضية في أغلب الأحيان بالنسبة إليهم، حيث إن العمالة العربية كانت أقل تكلفة»[264].

لم تكـن الهاغاناه تشـعر بالنفور من رؤية العرب يقومـون بالجلاء، على النحو الذي أوضحه قول مكليف ردا على سـؤال سـتوكويل حول إعـلان قرار الإجلاء من قبل الأعيان العرب خلال اجتماع قاعة المدينة في الثاني والعشرين من أبريل، حينما قـال: «لا تعليق». كذلك يمكن أن نجد دليلا آخر عـلى ذلك في البيان الثاني الصادر عن الهاغاناه في حيفا، الذي تم نشره في المدينة وتحدث عن عملية التدمير الجارية «للعصابات العربية» ودخول وحدات الهاغاناه إلى الأحياء العربية. حيث تم إصدار الأوامر إلى القوات (والسكان المدنيين اليهود) باحترام «أماكن العبادة العربية. وأنه سـيتم بذل جميع الجهود لعدم دخول المسـاجد أو إطلاق النيران عليها أو منها أو اسـتخدامها لإيواء الجنـود». منع البيان كذلك أعمال السـلب والنهب «لممتلكات العرب المهجورة،... [التي يمكن] إعادتها إلى ملاكها القانونيين عندما يحين الوقت...»، إلا أنـه لا يوجـد أي نص في البيان تطلب أو تنصح فيه الهاغانـاه العرب بالبقاء أو

التوقف عن الهرب وحثهم على العودة[265]. وفي الواقع، كان تقييم جهاز استخبارات الهاغاناه في الأيام التي تلت بداية النزوح الجماعي العربي كما يلي: «في أعقاب الخطوات التي قام بها رجالنا في حيفا، ودعايتنا وتحذيراتنا، فر العديد من العرب عن طريق الزوارق والطائرات إلى عكا»[266]. وقد كان قادة لواء كارميلي علي علم قاطع بأن النزوح الجماعي سيحل مشكلة اللواء الرئيسية: تأمين حيفا اليهودية بأقل قدر ممكن من القوات ضد الهجوم من خارج المدينة، في الوقت الذي يلزم الإبقاء على عدد كبير من القوات داخلها للحماية من تمرد عدد كبير من السكان العرب يميل إلى أن يكون معاديا[267].

على الرغم مما تقدم، كانت الصورة بسيطة وفقا لأغلب المراقبين البريطانيين في الأيام التي تلت الثاني والعشرين من أبريل: كان اليهود راغبون في بقاء العرب، في حين كانت القيادة العربية المحلية عاقدة العزم على رحيل جماعي كامل. وتمثل الاستثناء الوحيد الذي سجله البريطانيون في الإرغون، التي دخلت بعض مناطق وسط مدينة حيفا في الثالث والعشرين من أبريل. ووفقا للفوج الأول لحرس كولد ستريم البريطاني، تمثلت سياسة الإرغون في «الدفع بالعناصر المسلحة داخل السوق وغيره من الأماكن التي لا يزال يقطنها عرب...لحسم الموضوع من خلال خلق المزيد من اللاجئين وموجة جديدة من الرعب»[268].

كان الوضع في حيفا في الفترة من 23 أبريل حتى أوائل شهر مايو غير واضح بل ومعقد. فقد أدى تركيز البريطانيين فقط على المناطق المحاصرة وشبه المعزولة وتصميمها فقط على شيء واحد - وهو الخروج الآمن - إلى فشلهم في متابعة الإطار الشامل للأحداث. تبدل السلوك اليهودي الأولي إزاء النزوح الجماعي خلال أيام؛ وما نقله ضباط الاتصال اليهود إلى البريطانيين لم يتطابق دائما مع الحقائق على أرض الواقع أو مع سلوكهم المتغير بشكل سريع. فالقيادة اليهودية المحلية أرادت في البداية وبصدق بقاء العرب (وحرصت على أن يدرك البريطانيون ذلك). إلا أن الهجوم الذي تم شنه في 21-22 أبريل قد أوقع الأحياء العربية في أيدي الهاغاناه، مما همش دور القادة المدنيين، لما يقارب الأسبوعين، فيما يتصل بالتعامل مع السكان العرب. وفي الوقت ذاته تغير سلوك بعض هؤلاء القادة المحليين بشكل جذري وأصحبوا يرحبون بالفرصة التاريخية التي وفرها النزوح الجماعي لتحويل

حيفا بشكل دائم إلى مدينة يهودية. وكما ذهب مراقب يهودي مُطلع إلى القول بعد مرور شهر: «بدأت رياح جديدة في الهبوب مفادها أن الأمور أفضل وأسهل من دون العرب، وتغير كل شيء خلال أسبوع»[269]. وفي الوقت ذاته فهم قادة الهاغاناه منذ البداية أن إجلاء العرب سيسهل ويحسن بشكل كبير موقفهم الاستراتيجي ويقلل من عبء العمل.

أدى انسحاب البريطانيين من وسط مدينة حيفا في الحادي والعشرين من أبريل وانتصار اليهود، إلى سيطرة الهاغاناه على المناطق العربية حتى الثالث من شهر مايو. وخلال تلك الفترة التي كانت فيها قوات لواء كارملي القليلة نسبيا قلقة من إمكانية تدخل القوات العربية من الخارج، كان عليها القيام بعمليات عسكرية معقدة في ظروف فوضى شاملة: أن تبحث وسط مئات الآلاف من العرب الخائفين في أحياء مهجورة أو شبه مهجورة ويسودها الخراب عن المقاتلين السابقين والأسلحة؛ وأن تنظف المنطقة من القذائف التي لم تنفجر والألغام. وكل ذلك كان يجب القيام به بسرعة، في وقت استمر فيه آلاف اللاجئين في مغادرة المدينة؛ لتتفرغ الكتائب لمهام أخرى سواء كانت دفاعية أو هجومية. وفي الوقت ذاته كان على السلطات اليهودية أن توفر الطعام وأن تعيد الخدمات الأساسية للعرب الذين بقوا، والذين تعرضت بنيتهم التحتية وخدماتهم للانهيار. وفي هذا السياق مثلت الإمدادات بالخبز والماء مشكلة كبيرة.

استمرت العملية الأمنية التي قامت بها الهاغاناه - بما في ذلك فرض حظر التجوال، التفتيش، الاستجواب، وحجز صغار الذكور البالغين[270]- قرابة أسبوع، وبحكم الظروف فإنها تضمنت قدرا كبيرا من السلوك التعسفي والبغيض. فقد تم إخراج السكان العرب من المنازل أو الشوارع، ولم يسمح لهم بالعودة إلا بعد التفتيش الدقيق للمناطق - سمحت القوات للنساء والأطفال بالعودة أولا يليهم الذكور بعد إخضاعهم لعملية استجواب، وسارت العملية ببطء وحملت معها صعوبات غير مقصودة للسكان. وأيضا كان الموقف ملائما لوقوع تجاوزات من قبيل السلب والنهب، الترويع، والضرب. وقد فضل البريطانيون والهاغاناه - بتبريرات غير محايدة- نسب تلك التجاوزات إلى الإرغون. ويلاحظ أن عمليات السلب والنهب والسرقة التي استمرت حتى شهر مايو كانت «تتعارض مع التصريحات الرسمية

التي ناشدت العرب العودة إلى حيفا»، وأيضا مع «روح إسرائيل»، وفقا لمصطلحات «غرفــة حيفا اليهودية للتجارة والصناعة»[271]. وقد تم تناول الوضع خلال الاجتماع الــذي عُقد في الخامس والعشريــن من أبريل بين القادة المحليــين العرب واليهود. وهــو اجتماع دُعي إليه لإيجاد الوســائل التي يمكنهــا أن تخفف من وطأة الموقف عــلى عرب المدينــة، فضلا عن مســاعدة أولئك الذيــن يرغبــون في الرحيل. وعلى الرغم من أن مضمــون الاجتماع والبيانات التي تم الإدلاء بها خلاله يعارض النزوح الجماعــي، لم يقم أي من المشــاركين اليهــود (ومن بينهم: ليفي، ســالومون، بيلن، ديان) بتجديد المناشــدات الســابقة للســكان بالبقاء. ومع ذلك قامت الهاغاناه في صباح اليوم ذاته بإخراج عناصر الإرغون من وادي النســناس قسرا نتيجة لتجاهلهم تحذيراتها وارتكابهم عمليات «ســلب منظــم»[272]. وخلال عملية تبادل النار جُرح عــلى الأقل عنصر من عنــاصر الإرغون بجراح خطيرة. وطبقا لأحــد التقارير، كانت عمليــة النهب قد امتدت إلى «كنيســتين»، وعيــادة طبية، وتم سرقــة آلتي بيانو، ثلاجات، سيارات[273]. وطبقا لجورج معمر، ظلت الظروف المعيشية للسكان العرب «كارثية» ولم تتوقف عن «الانحدار إلى الأســوأ». وقد اشــتكى من عدم سماح قوات الهاغانــاه لــه بتوزيع الدقيق عــلى آلاف العرب الذين تم إيواؤهم بشــكل مؤقت في المكان المخصص للســوق (أغلقت جميع المخابــز العربية في 21-22 أبريل). كما ذكر أن عمليات الســلب والسرقة انتشرت وتزايدت. فخلال قيام الهاغاناه بتفتيش المحــال، قامت بكسر أبوابها وتركتها بعد ذلك فريســة لمن يقوم بأعمال النهب من العرب واليهود. كما أن «المنازل في وادي النسناس تم نهبها بالكامل، فهل كانت هذه نية اليهود في حيفا؟، تســاءل معمر، مضيفا أن ســليمان قطران أحد الأعيان العرب ضُرب صباح ذلك اليوم؛ في حين تعرض عرب آخرون للسرقة خلال عمليات التفتيش والتحقق من الهوية، واختتم معمر بقوله: «لو كان شــعبنا يفكر [ســابقا] في البقاء بالمدينة، فإن هذا التفكير تم تدميره بالكامل».

ذكر مشــارك عربي آخر، جــورج الطويل، بقوله خلال الاجتماع الســابق، في الثالــث والعشرين من الشــهر: «إذا كانــت هناك ظروف مناســبة فإن العرب سيبقون»، مضيفا: «حاولت بعد الاجتماع إقناع السكان بالبقاء، ومع ذلك فإنني أقول بحزن إن الهاغاناه كانت قاســية، حتى لا أســتخدم كلمة أعنف». وأوضح

الطويل للمشـاركين كيف قامت الهاغاناه بتفتيـش داره، خاتما بقوله: «توصلت إلى نتيجـة مفادهـا أنني سـأغادر المدينة إذا ما كان عـلي أن أقضي حياة ذليلة هنا»[274]. وقد أخبر ديبلوماسي أمريكي الهاغاناه أنه بعد مرور أربعة أو خمسـة أيـام عـلى إدارتها للمدينة «لم يعـد العرب راغبون في البقـاء... فهم من جانب يخشـون أعمالا انتقامية تجاههم من قبل المؤسسات العربية، ومن جانب آخر ليسوا متأكدين من سلوك اليهود إزاءهم»[275].

نتيجة لغياب الفهم الكامل لما يجري، وصف العرب ما وصل إليه الأمر على أنه انفصال مؤقت بين المدنيين اليهود المحليين والسلطات العسكرية، الذي عكس - بل كان جـزءا من - انفصال أكبر نطاقا بين تلك السـلطات ليـس فقط في عملية صنع القرار في اليشوف بل أيضا التنفيذ والعمل خلال الحرب. ففي حيفا، وعلى مدار أيام، كانت السلطات المدنية تقول شيئا في حين تفعل الهاغاناه شيئا مختلفا تماما. والأكثر مـن ذلـك، تصرفت وحدات الهاغانـاه في الميدان ذاته بطريقة غير متناسـقة غالبا ما كانت تفتقر إلى الذكاء مع السـكان العرب. فأولئك الذين تعايشـوا مع المدنيين اليهود لعقود كانوا غير معتادين على السلوك العسكري اليهودي أو قواعده، التي لم يتم رفع العمل بها إلا في الثالث من شـهر مايو[276]. لم يفهم العرب أسباب الافتقار إلى القوة من جانب السـلطات المدنية خلال الأسـبوعين السابقين. وقد مثل انعدام الفهـم هذا صميـم الحوار الذي دار خلال اجتماع الخامـس والعشرين من أبريل؛ حيث اشـتكى فيكتور خياط من أن العـرب كان يتم منعهم من العودة إلى ديارهم التي تم تفتيشها. وهو ما كان يخالف الوعود التي قدمها القادة المدنيون قبل ذلك بيومين. وخلال الاجتماع نفسه طمأن سالومون العرب إلى أن «أوامر صدرت بالفعل من قائد الهاغاناه تتضمن إمكانية عودة كبار السـن والنسـاء والأطفال إلى ديارهم في هذا المسـاء ذاته»[277]. وعلى الرغم من ذلك، جاء الخامس والعشرين من الشهر والعـرب مازالوا ممنوعين من العودة إلى منازلهـم. وقد وصف خياط الموقف بأنه «مشـين وجدير بالازدراء للمجتمع اليهودي». ومـن جانبه طمأن بنهاس مارغولن، عضو في المجلس البلدي، العرب بأنه سـيتم «قريبا» تصحيح الأوضاع. وهو ما علق عليه نصر بقولة: «بحلول الوقت الذي تسـيطرون فيه على الموقف لن يكون هناك عربي واحد في حيفا».

وقد خاطب توفيا أرازي، ضابط اســتخبارات الهاغاناه، المشــاركين في الاجتماع، باســم الهاغاناه، بقوله: «إننا نبذل جهــدا فائقا لإعادة الأمور إلى الوضع الطبيعي»، واختتم حديثة بالقول:

> *أصدرت الهاغاناه أوامر صارمة [ضد السرقة]، ومن المحتمل إطلاق النار على السـارقين... كما أن النساء وكبار السـن والأطفال يجب أن يعودوا إلى منازلهم... غـير أنهم لا يمكنهم القيام بذلـك في كل الأماكن في الحال؛ حيـث إنه يلزم أولا تنظيف المدينة من العصابات العربية. وهذا لمصلحة العرب أنفسهم*[278].

في غفلــة من القــادة اليهود، جددت لجنــة الطوارئ في اليوم ذاته مناشــدتها للبريطانيين التدخل. وطلبوا من ســتوكويل إعادة فرض الإدارة البريطانية في وســط مدينــة حيفا لتحقيق «الأمن والنظــام». وفضلا عن ذلك طالبــت اللجنة بـ«إبعاد أعضاء القوات المســلحة اليهودية عن الأحياء العربية». معللة ذلك بأنه سيعيد ثقة العرب، «ويقلل من عدد النازحين]وهي حجة غريبة[أخذا بعين الاعتبار أن أعضاء اللجنة أنفســهم كانوا يشجعون على النزوح الجماعي»[279]. وقد استمرت ازدواجية لجنــة الطوارئ حتى منتصف شــهر مايو وبروز خياط باعتباره الشــخصية العربية الأكثر ســيطرة. وقد نقل الكرمل أنه كان يســتمر في تشجيع جلاء السكان من خلال «تقليل» حصة الخبز التي ترســلها المســتودعات الخاضعة لسيطرته (في حين حقق فوائد من ذلك)[280].

شــهدت ظروف المعيشــة في الأحياء العربية في 27 - 28 أبريل تحســنا كبيرا؛ حيــث سُــمح لأغلب الذين بقــوا في المدينة بالعــودة إلى منازلهم عــلى الرغم من اســتمرار العمل بالأحــكام العرفية، وكان يلزمهم تصريحــات تنقل خاصة للانتقال مــن حي إلى آخر يحصلون عليها بعد الاصطفاف في طوابير انتظار طويلة والخضوع لاســتجواب دقيق. كانت أغلب المناطق العربية محرومــة من الكهرباء (مما يعني عدم القدرة على ســماع المذياع)، فضلا عن عــدم وجود صحف عربية، أو حافلات، ولم يكن مســموحا للعرب بقيادة سيارات (دافعت الهاغاناه عن ذلك بخشيتها من قيام عناصر الإرغون بمصادرتها). ظلت عمليات الاعتقال وتفتيش المنازل أمرا شائعا. وقد ذكر أهارون كوهين أن زيادة أو انخفاض، أو ثبات عدد السكان العرب في حيفا

توقف إلى حد كبير على «سياسة المؤسسات اليهودية»، بغض النظر عن المناشدات المستمرة من قبل الأعيان العرب لاستكمال الجلاء[281]. وقد نشرت الهستدروت في الثامن والعشرين من شهر أبريل مناشدة باللغتين العبرية والعربية موجهة لعرب حيفا للعودة إلى سياسة التعايش السلمي مع اليهود، والبقاء في المدينة:

> *لا تدمروا منازلكم... وتخسروا مصادر دخلكم وتجلبوا على أنفسكم كارثة بالرحيل... إن مجلس العمال في حيفا والهستدروت ينصحانكم لمصلحتكم بالبقاء ... والعودة إلى عملكم المنتظم*[282].

بيد أن العرب لم يتجاوبوا مع هذا النداء. وقد نقلت الشرطة البريطانية وجود طوابير انتظار طويلة في الميناء بحثا عن أماكن على القوارب المتجهة إلى عكا: «بعض العائلات بقيت ونامت على جوانب الأرصفة عدة أيام في انتظار فرصة للفرار[283]. وبعد مرور عدة أيام على استئناف الإدارة المدنية لم تتحسن الأوضاع كثيرا، وبادرت كل من لجنة الممتلكات العربية وجولدا مائير، التي شغلت منصب رئيس الإدارة السياسية بالإنابة في الوكالة اليهودية، بتعيين لجنة محلية من اليهود للاهتمام بالعرب الباقين ورعاية الممتلكات العربية. وقد توصل اجتماع مشترك ضم غولدا مائير ولجنة الممتلكات العربية، واللجنة المشكلة حديثا إلى ضرورة: «معاملة السكان العرب الباقين باعتبارهم مواطنين لهم حقوق متساوية». وقد شكلت اللجنة المحلية عددا من اللجان الفرعية حسنة النية (لجنة السجناء والمحتجزين، لجنة الإشراف على الأماكن المقدسة، وغيرهما)[284]. ومع ذلك لم يبد أن هناك شيئا قد تغير. ونقل كارملي في نهاية الأسبوع الأول من شهر مايو ما يلي:

> *إن عرب حيفا في حالة يأس. لا يعلم أحد منهم ماذا يفعل. وأغلب المسيحيين ينتظرون رواتبهم الحكومية ويفكرون في الرحيل. وكل من يبقى يُنظر إليه على أنه خائن. أما عن الأوضاع الصحية في المدينة، فإنها مزرية. أغلب المنازل اقتُحمت ونُهبت. ولاتزال جثث ملقاة في بعض المناطق...*

كان الخوف من استيلاء الجيوش العربية على المدينة ومعاقبتهم بتهمة الخيانة من بين أسباب رحيل من تبقى[285]. ومع ذلك عاد عدد محدود من العائلات إلى المدينة - بتشجيع من البريطانيين - بعد انتقالهم بشكل مؤقت إلى عكا[286].

ومـن جانبه وجـه الحزب الشـيوعي الإسرائيلي في العاشر من شـهر مايو اتهامات للسـلطات تضمنت أن عرب حيفا المتبقين (4 آلاف) مازالوا يفتقرون في أغلبهم إلى الميـاه الجارية والكهرباء، كما أن القمامة لا تُجمع، بل تتكدس على جوانب الطرق، واسـتمرت عمليات نهب الممتلكات، وظلت العديد مـن المحال مغلقة، ولم تعاود مكاتـب التوظيف فتح أبوابها، وفُرضت قيـود صارمة على حرية الحركة، مما جعل السكان العرب يعيشون في «نظام سجون»[287].

خلال الأسـبوع الذي تلا هجوم الهاغاناه في 21-22 أبريل عكسـت الأوضاع في الأحياء العربية، بشـكل أو بآخر، حالة الاضطراب وتبعات الحرب، غير أنها تفاقمت نتيجة الوضع العسـكري والسياسي العام في فلسـطين، وأيضا بسبب أوضاع محلية خاصة - اسـتمرار عملية الإجلاء، اسـتمرار السـيطرة البريطانية عـلى بعض أجزاء المدينة، وجود وحدة من الجيش العربي في معسـكرات حول المدينة، احتمال شـن هجـوم عربي من الخـارج، وانهيار الخدمات البلديـة والحكومية. وفضلا عن ذلك، اتسمت الأعمال التي قامت بها الهاغاناه لإحكام قبضتها على حيفا بتعسف وقسوة الحكم العسكري، مما أسهم بالتأكيد في استمرار النزوح الجماعي.

ولكن، هل كانت الأعمال التي قامت بها الهاغاناه خلال الفترة من 23 أبريل إلى أوائل شهر مايو مدفوعة بالرغبة في الحث علي الرحيل؟ على مستوى المركز الرئيسي لقيـادة كارملي، لم تصـدر أوامر على الإطلاق - على حد علمنـا - للقوات بالتصرف بطريقـة تدفع إلى الفرار. على العكس، صدرت أوامـر - وإن كانت متأخرة إلى حد مـا - تمنـع عمليات النهب، كما وُزعت منشـورات تدعو العـرب إلى التزام الهدوء والعودة إلى العمل، وإن لم تطلب بشـكل واضـح بقاءهم في المدينة[288]. ولكن إذا كانت هذه هي السياسـة الرسـمية، فقـد كان هناك بالتأكيد اتجـاه خفي يناقض الاتجـاه الظاهر ويؤيد الفكر الداعي إلى الطرد بشـكل يماثـل منهج الإرغون. فقد كان العديـد من عناصر الهاغاناه متأثرين بالفكر القائل بأن النزوح الجماعي يعتبر «شـئيا جيدا بالنسبة إلى اليهود» ويلزم تشجيعه. ويمكن العثور على آثار هذا الفكر في مقر القيادة العامة للواء كارملي من خلال مذكرات يوسـف ويتز التي خطها في الفـترة من 22-24 أبريل، التـي قضاها في حيفا. ففي الثاني والعشرين من الشـهر كتب: «أعتقد أنه يجب اسـتثمار هذه الحالة الذهنية [التي تميل إلى الهروب] بين

العرب، ويلزم علينا أن نضغط على السكان الآخرين لا ليستسلموا [ولكن ليرحلوا]. يجب علينا إقامة دولتنا». وفي الرابع والعشرين من الشهر ذهب ويتز للقاء مساعد كارميل الذي أخبره أن قريتي بلد الشيخ وياجور المجاورتين أُجلي سكانهما بالكامل، وأن عكا «ترتجف» من الوضع. وفي هذا الصدد كتب ويتز: «كنت سعيدا أن أسمع منه أن هذا المسار تبنته قيادة الهاغاناه، والمقصود بذلك تخويف العرب مادام الخوف يدفعهم إلى الفرار»[289]. وحقيقة الأمر أنه كان هناك تداخل في المصالح اليهودية - كما رآها ويتز، ومن شابهه في التفكير من قادة اليشوف - ورغبات القادة العرب المحليين واللجنة العربية العليا، التي اعتقدت أن النزوح الجماعي من المدينة سيخدم القضية الفلسطينية (أو على الأقل فإن عدم رحيل السكان سيصب في مصلحة القضية اليهودية). وبدا أن ويتز قد ضرب على وتر قابل للاستجابة في مركز قيادة كارملي. وكان ذلك مفهوما عسكريا وسياسيا: أن حيفا من دون العرب يسهل الدفاع عنها وأقل أثارة للمشاكل، بالمقارنة بحيفا التي تضم أقلية عربية كبيرة.

تحركت الهاغاناه في الأيام التي أعقبت 21-22 أبريل لإحكام قبضة اليهود على المدينة من خلال تأمين مداخلها وفتح الطرق المؤدية إلى سلسلة المستوطنات الواقعة في الجنوب والشمال، والشرق. وقد كانت قرية بلد الشيخ وقريتان أخريان تدوران في فلكها (ياجور والحواسة) تهيمن على طريق الخروج إلى الشمال والشرق، أما بالنسبة إلى المخرج الجنوبي فكانت تسيطر عليه قرية الطيرة التي كان يدعمها بشكل كبير اللاجئون من حيفا.

في الرابع والعشرين من أبريل هاجمت الهاغاناه بلد الشيخ، كما هوجمت الطيرة خلال اليومين التاليين. وليس من الواضح ما إذا كانت الهاغاناه قد أرادت أن تطلق شرارة النزوح من بلد الشيخ، ومع ذلك فإن أسلوب الهجوم والمفاوضات اليهودية – العربية - البريطانية التى تلته تجعل الأمر يبدو على أنه كان يهدف إلى تحقيق ذلك. وهو ما فهمه على الأقل المراقبون البريطانيون المعنيون.

أُجلي السكان جزئيا من بلد الشيخ والحواسه المجاورة على إثر الضربة الانتقامية التي وجهتها الهاغاناه في ليلة 31 ديسمبر 1947-1يناير 1948[290]. وقد ترتب على انسحاب وحدة الجيش العربي المتمركزة في القرية، في مطلع شهر أبريل أن هُجر العديد من المنازل في أطرافها الجنوبية، حيث انتقل السكان إلى مركز القرية[291].

وفي ذلك الوقت كان معظم سكان الحواسة قد غادروا منازلهم[292]. وبعد مرور أسبوع أو أسبوعين رحل معظم سكان ياجور في رد فعل على التقارير الواردة حول مذبحة دير ياسين. وبحلول نهاية شهر أبريل أضحت القريتان (الحواسة وياجور) يقطنهما بشكل رئيسي العناصر غير النظامية[293]. وبشكل واضح أدى سقوط حيفا العربية إلى إطلاق شرارة عملية إجلاء كبرى للنساء والأطفال في بلد الشيخ؛ حيث توقع القرويون، طبقا للمراقبين البريطانيين، هجوما من قبل الهاغاناه[294].

في الصباح الباكر ليوم 24 أبريل طوقت وحدات الهاغاناه القرية، وبدأت في الساعة الخامسة صباحا إطلاق قذائف الهاون من عيار ثلاث بوصات فضلا عن المدافع. ربما بعد فشل طلبها في أن تسلم القرية أسلحتها. وقد قام عديد من الذكور الشباب بالفرار «تاركين وراءهم النساء والأطفال». لم يكن هناك «عمليا أي رد» من داخل القرية. وفقا لتقرير وحدة بريطانية وصلت إلى موقع الأحداث بعد ذلك بساعة، وفرضت لاحقا وقف إطلاق النار. وخلال الاجتماع الذي أعقب ذلك بين ممثلي الهاغاناه والعرب والبريطانيين في مصنع أسمنت نيشر طالبت الهاغاناه بأن يسلم القرويون أسلحتهم، وقد سُلمت بالفعل «22 بندقية قديمة ومسدسات عديمة الجدوى»، فضلا على مدفع قديم، وفي المقابل طالب العرب بهدنة (وفي رواية أخرى «طلبوا حماية الهاغاناه»[295]. وبعد مرور ساعات قليلة أخبر ضابط استخبارات الهاغاناه مختار قرية الحواسة أنه «لا يهمه إجلاء القرية»، ومع ذلك فإن السماح للسكان بالبقاء مشروط بالتسليم الكامل للأسلحة[296]. وقد مُنحت القرى الثلاث مهلة حتى الثانية بعد الظهر، وكان من الواضح أن القادة المحليين قد طلبوا تدخل البريطانيين، وقد بادر الأخيرون حينئذ، إما بنصح[297] أو بأمر[298] القرويين بالاستعداد لإجلاء بلد الشيخ (وربما انطبق ذلك أيضا على القريتين الأخريين التابعتين لها)، وتبع ذلك دخول20 حافلة نقل تابعة للجيش البريطاني إلى القرية. ومع تحذير السكان الباقين من أن الهاغاناه «ستقصف الموقع استقلوا الحافلات واتجهت القافلة - تحت حراسة بريطانية - إلى الناصرة. وبحلول فترة ما بعد الظهيرة كانت القرى الثلاث قد أُفرغت بشكل شبه تام من سكانها[299]. ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه انه في التاسع والعشرين من الشهر تبقى ما يقرب من 30 عائلة في الحواسة، 20 في بلد الشيخ، و20 في ياجور. وتنقل هؤلاء بدورهم من مكان إلى آخر أو طُردوا [300].

ليس هناك أدنى شك في أن سقوط حيفا العربية والأخبار التي ترددت عن النزوح الجماعي لسكانها أقلقت بشكل كبير سكان المواقع الثلاثة، كما أنها زودتهم بنموذج للتصرف. وفضلا عن ذلك فقد كان جليا أن ضغوط الهاغاناه والبريطانيين قد ساعدتهم على اتخاذ قرارهم[301].

فيما يتصل بالطيرة التي أعاقت، خلال شهر، المواصلات على طول الطريق بين تل أبيب وحيفا- فقد هاجمتها الهاغاناه بشكل محدود ليلة 21-22 أبريل من أجل «منع المساعدات التي كانت تقدمها لعرب حيفا»، وفقا لما ورد في أحد التقارير البريطانية[302]. أدى ذلك إلى عملية إجلاء عفوية للنساء والأطفال[303]. وفي فجر الخامس والعشرين من أبريل قصفت الهاغاناه الطيرة فترة قصيرة [304]. وشنت في الساعات الأولى من اليوم التالي هجوما كبيرا، باستخدام قذائف الهاون والمدفعية، هدف بشكل واضح إلى الاستيلاء عليها. وتمكنت وحدة مشاة من الوصول إلى الأطراف الشرقية والاستيلاء على مواقع على منحدرات الكرمل المطلة على القرية - غير أن النيران البريطانية أوقفتها. وفي فترة الهدوء المؤقتة التي تلت ذلك جرت عملية «إجلاء منظم» إلى عكا لغير المقاتلين من سكان القرية على متن حافلات تابعة للفيلق العربي، وبقي الشباب من الذكور. وفي الوقت ذاته كانت خربة الدامون، الواقعة إلى الجنوب، قد طوقتها الهاغاناه من دون قتال، وأقامت الأخيرة حامية بها وزودت السكان، الذين بقوا آنذاك فيها، بتصاريح مرور خاصة[305]. وفي مطلع شهر مايو رتب البريطانيون لعملية «إجلاء منظم» أخرى من الطيرة شملت ستمائة شخص باتجاه جنين ونابلس[306]. وبقي مئات الرجال الذين نجحوا في الدفاع عن القرية حتى شهر يوليو، عندما سقطت على أيدي جيش الدفاع الإسرائيلي، وتم إجلاؤهم بالكامل.

في تلك الأثناء، وعلى وجه التحديد في ليلة 25|26 أبريل شنت الهاغاناه غارة شديدة على عكا المكتظة باللاجئين الوافدين من حيفا، قذفت خلالها المدينة بقذائف الهاون والمدفعية، مما أسفر عن تدمير ثلاثة منازل في ضواحي المنشية، والاستيلاء لفترة قصيرة على تل الفخار التي تطل على المدينة من ناحية الشرق. كما سقطت قذائف الهاون على سجن عكا، ما أدى إلى فرار جماعي للمسجونين. وقد تدخلت القوات البريطانية وفتحت النيران على قاعدة الهاغاناه في كيبوتس عين هاميفراتس

وتل الفخار، مما أدي إلى انسحاب الهاغاناه[307]. ومع ذلك أحدثت الغارة حالة هلع وفــرار من المدينــة[308]. ووفقا للتقييم العام الذي قدمته فرقة حرس كولدســتريم، أراد اليهود فتح مداخل الطرق إلى حيفا، وأنهم «سيستمرون على الأرجح في قصف المناطق المحيطة بحيفا للدفع باتجاه إجلاء السكان العرب»[309].

كان لســقوط حيفا أثر مدوٍّ ليس فقط في الشــمال ولكن في كل أرجاء البلاد. حيــث أُعلن يوم حداد في اللدّ أغلقت فيه أغلب المحال أبوابها لتســجيل «المذبحة الكبيرة»[310]. ومن جانبه نقل كارميل إقدام القرى المحيطة بحيفا على إجلاء نسائها وأطفالهــا[311]. أما الوكالــة اليهودية فقد لخصت الموقف عــلى النحو التالي: «مثل إجلاء الســكان من حيفا (إضافة إلى الاســتيلاء على طبريا) نقطة تحول أثرت بشكل كبير على الروح المعنوية للعرب في الداخل والخارج...»[312].

في منتصف مايو، بقي نحو 4 آلاف عربي في حيفا؛ انتهت أكبر، وربما أهم موجات النــزوح في الحرب، من حيــث تأثيرها في رحيل المجتمعات الأخــرى. أضحت حيفا مدينة يهودية. وخلال أسابيع، نفذت السلطات اليهودية مشروعين حضريين مهمين: حشــد السكان العرب الباقين في حيين في وســط المدينة؛ والتدمير المنهجي للمنازل العربية في عدد من المناطق.

في الثامن والعشرين من يونيو 1948 أمر قائد الجبهة الشمالية، الجنرال موشيه كارميــل، بتعبئة القوات لكل من الأســباب الأمنية (كانت الحرب لاتزال مســتمرة، كــما أن العرب الذين يمثلون طابورا خامســا محتملا يمكن الإشراف عليهم بشــكل أســهل إذا ما قُيدت حركتهم)، والحاجة إلى اســتيعاب المهاجرين (فمنذ صيف عام 1948 كانت هناك حاجة متزايدة وماســة إلى المساكن التي يمكنها إيواء المهاجرين اليهــود الوافديــن)، وقد حدث ذلك يومــين فقط قبيل الانســحاب المقرر للقوات البريطانيــة المتبقية في مناطق داخل حيفا وخارجهــا (قاعدة رامات ديفيد الجوية، مجمع معســكرات كرداني، وثكنات شــبه جزيرة حيفا وخارجها في حي بات غاليم، منطقة الميناء، والعديد من المعسكرات في الكرمل بما في ذلك ستيلا ماريس). وطبقا لكارميل، توقعت الخطة «دالت» احتشــاد العرب في وادي النسناس ووادي صليب قبــل حدوثــه. وأوضح كارميل الحاجــة إلى تنفيذ العملية بمصطلحات عســكرية - إســتراتيجية (مــن دون أن تُذكر احتياجات الإســكان)[313]. وفي الأول من يوليو أمر

القائد العسكري في منطقة حيفا وحداته بطرد العرب من «الكرمل الفرنسية، والمستعمرة الألمانية، وغيرهما»، إلى وادي النسناس ووادي صليب، على أن يتم الانتهاء من العملية بحلول الخامس من الشهر[314]. وقد استُدعيت لجنة الطوارئ (خياط، شحادة صلاح، توفيق طوبي، بولص فرح)(*) والتي رفضت في البداية، ثم اقتنعت بالمساعدة في تنفيذ عملية الحشد والتجميع، حيث هدد الجيش باستخدام القوة في حالة عدم التعاون[315]. بدأت عملية «الترانسفير» في الثالث من يوليو[316]. جُمع العرب في وادي النسناس وفي عدد صغير من المنازل في شارع عباس، ولم يتطلب العدد تخصيص منازل إضافية في وادي صليب (التي تُركت خالية تماما لتسكين اليهود). ومن جانبهم أثار موظفو وزارة شؤون الأقليات العديد من العقبات[317]، كذلك رجال الدين المسيحيون[318]، وعلى الرغم من ذلك تم الانتهاء من العملية خلال أيام. وبحلول منتصف شهر يوليو كانت الإدارة العربية في جهاز استخبارات الهاغاناه قادرة على القول بأن «الأغلبية العظمي من عرب حيفا قد جُمِّعت في وادي النسناس، تماشيا مع الخطة دالت»[319].

بعد مرور أيام على سقوط حيفا صاغت إدارة الشؤون الفنية وإدارة التنمية العمرانية التابعتان للبلدية، بالتعاون مع قائد قوات الدفاع الإسرائيلية في المدينة، ياكوف لوبليني، مقترحا «للتنفيذ الفوري» يهدف إلى تجديد مساحات كبيرة في وسط المدينة والشوارع الكبرى، وبعد أن نصت في مقدمتها على مقتبس من سفر الجامعة (3/3) «يحين وقت لـ...»(**) بدأ المقترح المعنون بـ«مذكرة لأعمال تحسينات عاجلة في حيفا» كما يلي:

> *1 - إن النزوح الجماعي للسكان العرب من حيفا والإجلاء الكامل تقريبا للمدينة، والأحياء العربية المجاورة الموجودة بينها وهدار الكرمل يقدم فرصة استثنائية لأعمال تحسين لها صلة بالتدمير. وهذه الأعمال يمكنها أن تصحح من الظروف الأمنية، وشبكة الطرق، والوضع الصحي في المدينة. وحقيقة أن المباني التي كانت محددة للهدم قد تأثرت خلال تلك الفترة بشكل كبير*

(*) ورد الاسم في الكتاب الأصلي «نابلس فرح» Nablus Farah، والأرجح أن المقصود هو بولص فرح، وهو من أبرز أسماء الحركة العمالية في فلسطين. ولد في حيفا عام 1912، وتوفي فيها عام 1993 [المحررة].

(**) سفر الجامعة هو أحد أسفار العهد القديم (أو التناخ)، والإشارة هنا إلى الفقرة الثالثة من الإصحاح الثالث، التي ورد فيها: «للقتل وقت وللشفاء وقت. للهدم وقت وللبناء وقت». [المحررة].

مـن آثار القتال وأصبح من الـضروري تدميرها بمقتضى قوانين البلدية المتصلة بالمباني الخطرة، تسهل وتقدم سببا إضافيا لتنفيذ الأعمال المطلوبة.

وفي ضوء هذا الوضع، أضحت عملية إعادة التجديد ملحة:

فحقيقــة أنــه تم البــدء في الأيام الأخــيرة في توطين [اليهــود] القادمين، و[اليهــود] اللاجئــين [من مناطق أخرى في فلســطين] ومؤسســات الدولة في المناطــق الخاليــة في المدينة، وإدراكا بــأن المدينة لا يمكــن أن تظل مهجورة وخاليــة، ونحن نتوقع جميعا موجــات من الهجرة الوافــدة فضلا عن عودة الكثــير من العــرب الذين هجروا حيفا، كل هذا يجــب أن يحفزنا على القيام بالأعمال الضرورية من دون تأخير.

إن أغلــب المباني التي تم النص على هدمها كان قد ســبق تحديدها في العديد من الخطط في الفترة التي ســبقت الحرب؛ كما أن هناك مباني أخرى شُيدت بشكل غــير قانوني. وقد أكد مُعدو المذكرة على عنصر العجلة لأن مثل تلك الفرصة «قد لا تتكرر»، وأيضا لأنه ســيكون من الأرخص، فيما يتصــل بدعاوى التعويض المتوقعة، تنفيــذ عمليات الهدم بسرعة، كما «يمكن للمرء أن يفترض أنه بســبب عدم وجود أدلــة لن يُرفَع الكثير من دعاوى التعويض». وقد تضمنت القائمة التفصيلية للمباني المقرر هدمهــا 46 «منزلا صغيرا» في حي فارديا، والتي كانت تعرض المرور والصحة للخطر (بســبب عدم توافر الصرف الصحي)؛ 15 مبنى تقع بين شــارع ابن جبيرول وهرتزل؛ 17 مبنى في شــارع ابن رشــد؛ 214 مبنى في شارع الملك جورج الخامس - فضلا عن هدم أحياء الأكواخ في وادي رشميا والحواسة[320].

في الســادس عشر من يونيو التقى بن غوريون مع يريل فريدلاند، مدير مصنع وضابط رفيع المستوى في الهاغاناه، وحثه على التعامل مع هذا الملف «بشكل فوري عقــب الجلاء البريطاني النهــائي»[321]. وعلى الفور أمرت شــعبة التخطيط في قوات الدفاع الإسرائيلية بالبدء في عمليات الهدم:

لتوفــير طريق مناســب وآمن... بين هدار الكرمــل والمنطقة الصناعية في المدينة والكريوت [الضواحي الشــمالية]، لتأمــين الطريق إلى الميناء، وللتقليل من القوى العاملة التي تتطلبها عملية حراسة المدينة حاليا[322].

بدأت عملية الهدم في الأسبوع الثالث من شهر يوليو، مع دخول الهدنة الثانية حيز التنفيذ، مما جعل وحدات جيش الدفاع الإسرائيلي، بمن فيهم المهندسون، متفرغة للعمل. وعلى الفور عبر الأعيان العرب المتبقون عن تضررهم من ذلك، مشيرين إلى أنهم لم يُستشاروا أو يعوَّضوا[323]. وقد رد العمدة ليفي بقوله إنه لا يعلم من المسؤول عن ذلك، ولماذا تجري عملية الهدم، مضيفا أنه ليست له أي مسؤولية مالية في هذا الخصوص؛ (وقد عكس ذلك الرد خشيته من أن تتم مقاضاته). وعلى مدار شهور لم تكن الأسس القانونية التي ارتكزت عليها العملية واضحة إلى أن طرح شتريت الموضوع على مجلس الوزراء في الأول من شهر سبتمبر. ومع ذلك تفادى بن جوريون الرد مكتفيا برد مخادع، قائلا إن الموضوع هو مسؤولية المسؤول الرسمي عن الأراضي المحتلة[324].

في تلك الأثناء أُشرك ليفي في العملية بعدما أقنعه وزير الداخلية بأهميتها وضرورتها - وهي العملية التي أطلقت عليها قوات الدفاع الإسرائيلية «عملية شيكمونا». وقد وضع حدا لقلقه فيما يخص قضية التعويضات؛ وشرح غروينبوم الموقف باعتبار العملية سياسية وليست مدنية، ومن ثم فإنه ليست هناك تعويضات يلزم بها القانون[325]، وقد استمرت عملية الهدم على نحو غير منتظم خلال الصيف وأُنهيت بشكل تام في أكتوبر[326].

يافا

في الساعات الأولى من صباح الخامس والعشرين من أبريل شن الإرغون ما عُرف فيما بعد بأنه هجومه الرئيسي في الحرب - الانقضاض على يافا، أكبر المدن العربية في فلسطين. وطبقا لغورني: «أعطى العرب قيمة ليافا لأسباب تاريخية ونفسية أكبر من المدن الفلسطينية الأخرى باستثناء القدس»[327]. وقد أخضعت خطة التقسيم المدينة للحكم العربي داخل المنطقة ذات الهيمنة اليهودية على السهل الساحلي؛ وتحكَّم موقعها الجغرافي في ظروفها وطريقة عملها طوال الأشهر الأولى للحرب. وعند بداية المعركة النهائية، كان لايزال يقطنها ما يقرب من ثلثي عدد سكانها قبيل الحرب، والذي تراوح بين 70 ألف نسمة و80 ألفا[328]، كما كان هناك ما يقرب من 80 جنديا بريطانيا بآلياتهم المدرعة[329]. ولكن السكان كانوا يعلمون أن البريطانيين على وشك الرحيل، ولا يمكنهم حمايتهم فيما بعد 14- 15 مايو.

اعتقــدت الهاغاناه طوال فــترة الحرب الأهلية أنه لا حاجة إلى الهجوم على يافا بشــكل مباشر. فعلى الرغــم من أن عملية إطلاق النــيران المتقطعة من المدينة قد تسـببت من وقــت إلى آخر في مضايقة جنوب تــل أبيب، فإنها لم تشــكل تهديدا إستراتيجيا. وقد كان لدى الهاغاناه اعتقاد بأن شعور السكان بالعزلة والحقائق التي فرضها الحصار ســوف تقود حتما إلى تركيع شــعبها؛ وأنها ستسقط من تلقاء ذاتها كالثمــرة الناضجة لحظة الانســحاب البريطاني. ولم تدعُ الخطة دالت إلى الاســتيلاء على يافا، بل الضغط على ســكانها والاســتيلاء على ضواحيها في المنشــية، وأبو كبير، وتل الريش[330]. فشــل مخططو الهاغاناه تماما في توقع للنزوح الجماعي لسكانها لا سيما التخطيط له.

لم تكن للهاجاناه وحدها الكلمة النهائية، فمنذ مطلع شهر أبريل، عندما بدأت الهاغانــاه هجومها، كان الإرغــون يتطلع إلى تحقيق إنجاز رئيــسي، وقد رجع ذلك جزئيــا إلى الرغبة في إثبات أن الهاغاناه ليســت القوة العســكرية الوحيدة الفاعلة لليشــوف. وكانت الاعتبارات السياســة جلية للعيــان[331]. وفي هذا الخصوص كان بيغــن يدرس اختيار القدس الشرقية، و«المثلث»، وتلال ميناش، وجنوب شرق حيفا ويافــا، وفي الثالث والعشرين مــن أبريل وقع اختيار قادة الإرغــون على يافا التي نظروا إليها باعتبارها «سرطانا» في الجســد الســياسي اليهودي ووبالا على تل أبيب التي كانت مركزا لقوة الإرغون.

حشــد الإرغون ما يعادل ســت سرايا عســكرية من عناصره، وأخرج مدفعي هاون من عيار 3 بوصات - سبقت سرقتها من البريطانيين عام 1946 - من مخبئهما، مــع عدد وفير من القنابــل. وفي الصباح الباكر ليوم 25 أبريل ضرب الإرغون ضربته مهاجما حي المنشــية في الطرف الشمالي لمدينة يافا، بهدف التقدم عبره إلى الطرف الجنوبي على البحر، بشكل يفصله عن المدينة. وإذا كانت الأمور سارت على ما يرام لكان من الممكن حينئذ مهاجمة يافا ذاتها. وقد تزامن الهجوم مع إطلاق ستار من قذائف الهاون على المنشية ومركز مدينة يافا.

كانت المدينة في حالة معنوية يرثى لها؛ وشــعر سكانها «بعدم الأمان... وفقدان الأمل»[332]. فقد مرت عليها أسابيع شهدت خلالها أعمالا انتقامية قامت بها الهاغاناه شملت إطلاق قذائف الهاون[333]. في نهاية شهر أبريل كان الطعام، باستثناء الدقيق،

لايــزال متوافرا. وبالمقابل كان هناك نقص حاد في الوقود وارتفاع للأســعار بشــكل خيــالي، كما أن خطوط الاتصالات الهاتفية كانت مقطوعة بشــكل عام[334]، في حين توقفت تقريبا عملية النقل من المدينة وإليها. كان أغلب أفراد الطبقتين الوســطى والعليا قد غادروا؛ أما فيما يتصل بالمليشيات فقد كانت منقسمة وجامحة، وعمت البطالة وتدهورت التجارة وتزايدت حالات الإفلاس[335]. وفي اليوم الســابق للهجوم تدافــع الكثيرون على البنوك لســحب أرصدتهم، مــما أدى إلى إغلاق البنوك أبوابها خلال بضع ساعات بعد نفاد الأموال منها[336].

أثنــاء تقدمها في الخامــس والعشرين من أبريل، من منــزل إلى منزل، واجهت قــوات الإرغون مقاومــة عنيفة وتوقف الهجوم على المنشــية. وأعقبت ذلك إعادة الإرغون تجميع قواته وتغيير تكتيكاته ليعاود الهجوم في السابع والعشرين، مخترقا المنطقة، ليصل إلى شــاطئ البحر، الأمر الذي كبده 40 قتيلا وضعف هذا الرقم من الجرحى. أما سكان المنشية فقد لاذوا بالفرار باتجاه الجنوب (حي العجمي وجباليا) تحت وطأة قذائف الهاون، وفي مواجهة قوات المشاة.

فــاق الهجــوم على المنشــية - من حيــث الأهميــة والنتائــج - القصف الذي تزامن معه، وبشــكل لا ينقطــع تقريبا على مدار ثلاثة أيــام بقذائف الهاون، على حي العجمي، ومناطق أخرى في وســط مدينة يافا: الســجن، المركز الرئيسي للبريد، شــارعي الملك جورج وبطرس[337]. وقد كان من شأن سقوط حيفا العربية والنزوح الجماعي لســكانها أن ضاعف من انخفاض الروح المعنوية لســكان يافا[338]. ووفقا لنمر الخطيب، شــعر عرب يافا بأنهم قد حان دورهم[339]. وقد أدى الهجوم البري والقصف المستمر بقذائف الهاون إلى كسر معنويات المدنيين والمقاومة العسكرية.

بعــد انتهاء المعركة بقليل كتب بيغن مدعيــا أن عناصر المدفعية كانت لديهم تعليــمات بتجنب إصابة «المستشــفيات، والأماكن الدينيــة» والقنصليات[340]. غير أنــه أخذًا في الاعتبــار أن القائمين علي تصويب وإطلاق القذائــف كانوا من الهواة، فإنــه حتى مع افتراض وجود قيــود عليهم كان ذلك عديم المعنى والفائدة. وفي كل الأحــوال فإن أهداف أيام القصف المتواصل الثلاثة - التي أُطلق خلالها 20 طنا من الذخائر - كانت واضحة على النحو الذي حدده أميخاي باغلين (قائد العمليات) قبل اندلاع الهجوم: «منع وسائل النقل العسكرية في المدينة؛ كسر الروح المعنوية لقوات

العدو؛ وإحداث حالة من الارتباك بين المدنيين؛ مما يؤدي إلى هروب جماعي». وقد صُوبت القذائف بكثافة باتجاه منطقة الميناء، وميدان الساعة، والسجن، وشارع جورج، فضلا عن حي العجمي[341]. وبعد مرور عدة أيام كتب كانينغهام: «يجب أن يكون واضحا أن الهجوم الذي قام به الإرغون باستخدام الهاون لم يميز بين أي شيء وآخر، وكان مصمما لخلق حالة من الذعر بين السكان المدنيين»[342]. وفي واقع الأمر، واستنادا إلى مصادر استخبارات الهاغاناه، وقعت أغلب الخسائر في صفوف المدنيين[343]. ووصف جاك دو رينيه (ممثل الصليب الأحمر في فلسطين) حالة الذعر التي سيطرت على الطاقم الطبي في يافا بالكلمات التالية:

> *بدأ الفرار سريعا. وفي المستشفيات فر سائقو سيارات الإسعاف بصحبة عائلاتهم في تلك السيارات من دون أدنى مراعاة لواجبهم. والكثير من الممرضات وحتى الأطباء تركوا المستشفى فقط بما يرتدونه من ثياب وفروا إلى الريف[344].*

استنادا إلى عمليات استجواب الأشخاص الذين قُبض عليهم، نص تقرير استخبارات الإرغون بتاريخ 28 أبريل على ما يلي:

> *لقد سقطت قذائفنا في العديد من المواقع الرئيسية، على مقربة من مكتب البريد، وإلى جوار مبنى البلدية... وقرب الميناء، وقد أصيب مقهى في سوق الخضراوات مما أسفر عن مقتل العشرات من أفراد العصابات [العناصر غير النظامية]. وأفاد السجناء الذين وقعوا بين أيدينا بأن أكثر من 200 شخص يعرفونهم قد قضوا خلال القصف... أدى القصف إلى تعطيل حركة الحافلات داخل يافا وتلك المتجهة إليها، مما شل دخول المؤن الغذائية. وتحولت الفنادق إلى مستشفيات. وأحدث القصف ذعرا كبيرا، مما أدى إلى امتلاء الميناء بمجموعات ضخمة من اللاجئين، وحتى عملية الصعود إلى المراكب تمت في حالة من الارتباك.*

وأضاف التقرير أن قوات الشرطة في المنشية هربت متخلية عن الشعب[345].

من المرجح أنه عند نقطة معينة من المعركة عرف سكان يافا أن عناصر الإرغون هي من يقوم بالهجوم، الأمر الذي شكل عاملا إضافيا أسهم في حدوث النزوح

الجماعي؛ كانت ذكريات ما حدث في دير ياسين قبل أسبوعين حاضرة في أذهان الجميع. وقد أكد المتحدثون باسم الإرغون لاحقا أن ذلك كان عاملا رئيسيا في الإسراع بالنزوح الجماعي[346].

في كل الأحوال، تمثلت النتيجة الرئيسية للهجوم على يافا في إثارة عملية فرار واسعة بين جموع الناس، عبر البحر أو البر، غالبا تحت حراسة بريطانية، إلى الضفة الغربية وإلى الجنوب باتجاه غزة. كما أنه عقب الهجوم أُغلقت المحال والأسواق، وتوقفت وسائل النقل وامتلأت الشوارع والمستشفيات والفنادق بالمصابين وجثث القتلى؛ في وقت لم يبق فيه بالمدينة أطباء أو ممرضات تقريبا. وقد أعاق نقص الوقود عملية نقل المصابين إلى نابلس[347]. ومع حلول الثامن من شهر مايو لم يكن هناك إلا طبيب واحد وممرضة في مستشفى المدينة الحكومي الرئيسي[348]. وسجل جهاز استخبارات الهاغاناه منذ مطلع شهر يناير تتابع خروج القوافل التي تنقل العائلات والأثاث من المدينة..[349].

ذهب المراقبون البريطانيون إلى أن أحد الأسباب الرئيسية وراء النزوح الجماعي - كما كانت عليه الحال في حيفا وطبريا - تمثل في فرار القادة المحليين قبيل وأثناء المعركة. وحتى قبل المعركة، اتسمت يافا - أكثر من المدن الأخرى - بتفكك القيادة. ففي شهر أبريل كانت هناك سبعة مراكز للسلطة منفصلة ومختلفة، بل ومتنافسة ومتداخلة المسؤوليات: البلدية؛ اللجنة الوطنية؛ ممثل المفتي (توفيق التميمي)؛ النجادة، المليشيا المحلية وقيادتها، الوحدات غير النظامية المتعددة والتي لا تنتمي إلى المدينة، والقائد المستقل المُعين من قبل اللجنة العسكرية لجامعة الدول العربية. وكان من شأن هجوم الإرغون أن يُطلق العنان لعملية التفكك وفرار القادة. وفي هذا الخصوص سجل غورني العبارة التالية: «إنه من المثير للشفقة رؤية كيف تم التخلي عن عرب يافا من قبل قادتهم»[350]. أما كانينغهام فقد ركز بشكل مباشر على فرار القادة العرب كمحفز على النزوح الجماعي، مشيرا إلى أن العمدة (هيكل) سافر في «إجازة» أربعة أيام في منتصف شهر أبريل، ولم يعد حتى الآن، وأن نصف أعضاء اللجنة الوطنية غادروا المدينة»[351]. أما وزارة الدفاع فقد نقلت إلى كبار الوزراء في الحكومة البريطانية، وإن كان ذلك ليس دقيقا تماما، أن «كل القادة العرب غادروا المدينة التي تبدو ساكنة سكون الموت»[352].

في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، في نهاية شهر أبريل، ذهب شيرتوك إلى القول بأنه في كل من طبريا ويافا «فُرض النزوح الجماعي للسكان من قبل القادة العسكريين العرب كمظاهرة سياسية وعسكرية... لقد أمرت القيادة العربية الشعب بالرحيل». أما فيما يتصل بوضع يافا فإن هناك أدلة ضئيلة على مثل هذا التأكيد[353]؛ حيث يبدو أن عملية عكسية حدثت، فالقصف «أسفر عن نتائج تخطت التوقعات»، فقد ولّد «فزعا وخوفا بين السكان» مما أطلق عملية الهروب[354]، والتي أدت بدورها إلى انهيار التشكيلات غير النظامية التي لاذت بالفرار[355].

ترتب على هجوم الإرغون على يافا، والذي أعقب سقوط حيفا المرير، وضع البريطانيين في موقف صعب، أدى إلى إشعال فتيل أزمة محدودة داخل الحكومة البريطانية، حيث لام القادة العرب، داخل فلسطين وخارجها، البريطانيين على ما حدث في حيفا، وادعوا أن ستوكويل تآمر مع الهاغاناه، أو على الأقل تصرف بطريقة عادت على اليهود بالفائدة بإقدامه بشكل مفاجئ على إعادة انتشار قواته خارج مركز المدينة؛ ومنع دخول التعزيزات العربية؛ وعجزه عن وقف هجوم الهاغاناه الذي - وفقا للادعاءات العربية - تضمن القيام بمذابح؛ وتشجيعه على عقد هدنة ارتقت إلى مستوى الاستسلام. وبشكل عام دفع العرب بأن البريطانيين هم من كانوا يسيطرون - رسميا وقانونيا - على فلسطين حتى الخامس عشر من مايو، مما يعني أنهم كان عليهم أن يتصرفوا من هذا المنطلق[356].

رفض كل من كانينغهام وستوكويل ووزير الحرب البريطاني الاتهامات العربية، وأوضح الأخير بشكل مختصر أنه:

> *بعد الهزيمة في حيفا، ورغبة في تبرير عدم كفاءتهم، يتهمنا القادة العرب نحن بمساعدة اليهود ومنع العرب، على الرغم من أن الهزيمة كانت ترجع أساسا إلى المسلك الجبان المفتقر إلى الكفاءة من قبل القادة العسكريين العرب، ورفضهم الأخذ بنصيحتنا بضبط النفس، وقد أدى ذلك... إلى تدهور كبير في العلاقات البريطانية -العربية*[357].

شعرت الحكومة البريطانية بقوة بهذا التدهور الذي جاء في وقت كان فيه الانسحاب البريطاني من فلسطين وشيكا، الأمر الذي قاد بشكل مباشر إلى صدام بين

بيفـن وقادة الجيش، وما تلاه من تدخل بريطاني في معركة يافا. شـعرت الخارجية البريطانيـة بـأن ما حـدث في حيفا قد أضعف موقـع بريطانيا عـلى امتداد العالم العربي. وفي مسـاء الثاني والعشريـن من أبريـل استُدعى رئيس هيئة الأركان العامة الإمبراطورية، الفيلد مارشال (المشير) مونتغمري، إلى مقر رئاسة الوزراء، حيث أُجبر عـلى الإقرار بـأن جنرالاته لم يخبروه على الدوام بالأحداث في حيفا. وثارت مشـاعر بيفن الذي ذكر أن 23 ألف عربي قُتلوا والموقف كارثي. ورد مونتغمرى بأنه سيعمل على التأكد مما يحدث[358].

اجتمع كل من كليمنت أتلي (رئيس الوزراء) وبيفن ومونتغمري في العاشرة من صباح اليوم التالي بمقر رئاسـة الوزراء، وكان بيفن - وفقا لرواية المشـير - «في حالة أكثر هياجا»، حيث ذهب إلى أن الجيش كان عليه أن يوقف الهاغاناه: «إن مذبحة العرب وضعته في موقف صعب مع كل الدول العربية»، واختتم بيفن هجومه بقوله «إن الجيش خذله»[359]. ومن جانبه - ووفقا لروايته الشـخصية - طلب مونتغمري من بيفن سحب الاتهام - الذي تم توجيهه رسميا إلى وزير الدفاع (أ. ب. ألكسندر)، كما هاجم طريقة معالجة بيفن لأزمة فلسطين قائلا إن «وزير الخارجية يحاول الآن أن يجعل مـن الجيش كبش الفداء». هدد مونتغمري - وفقا لروايته الشـخصية - بالاستقالة والكشف عن الأسرار أمام مجلس اللوردات، وقد وصف تصرفه هذا بأنه «وضع الأمور في نصابها»، وكان كل من ألكسـندر وأتلي مضطرا إلى الدعوة إلى عقد اجتماع آخر في مقر رئاسة الوزراء في السابع من شهر مايو.

عـلى النحو الذي انتهت به الأمور، شـعر مونتغمري ببعض السـعادة، وذهب أتـلي إلى أن مونتغمـري أعطى اهتماما كبـيرا «لجملة في سـياق... نقاش»، وانتقد افتقـار الجيـش إلى معلومات محدثة، ومن جانبه ظل بيفـن على موقفه بأنه كان على الجيش «ألا يفقد السـيطرة على المنطقة المحيطة بحيفا، وأن يسمح بطرد مثل هذا العدد الكبير من العرب...». وطبقا لما أورده مونتغمري، انتهى الاجتماع بشكل ودي وجميـع الحاضرين «يضحكـون... لقد عالج أتلي الموقف بشـكل رائع، وكان من المسـتحيل الغضب من إرني بيفن لمدة طويلـة». ومع ذلك لم يتلق مونتغمري أي اعتـذار. وظل كل من سـتروكويل وماريوت (الأخير لمسـاندته الأول) في مرمى انتقادات وزارة الخارجية[360].

وإذا ما نحينا الشجار داخل الحكومة جانبا، تمثلت النتيجة الرئيسة لسقوط حيفا في تدخل بريطاني قوي في يافا سعى إلى «التعويض» عن الدور البريطاني المزعوم في حيفا واستعادة الهيبة والسمعة التي خسرتها بريطانيا في العالم العربي. فعندما وصلت إلى لندن الأخبار الأولى عن هجوم الإرغون على يافا أصبح بيفن «في حالة هياج شديدة... وأصدر تعليماته إلى رئاسة الأركان العامة الإمبراطورية... للنظر فيما يمكن عمله لعدم تمكين اليهود من احتلال يافا، أو لإخراجهم منها إذا ما كان الاحتلال قد تم بالفعل». وقد دفعته الخشية من تكرار ما تم فعله في حيفا إلى أن يسلك طريقا جانبيا بدلا من القنوات الرسمية (وزير الدفاع والمفوض السامي) لمحاولة دفع الجيش إلى التحرك[361]. في السابع والعشرين من أبريل أخطر الجيش البريطاني - الذي لم تكن لديه خطوط اتصال مع الإرغون - عمدة تل أبيب (يسرائيل روكاح) وجهاز استخبارات الهاغاناه أنه ينوى «الإبقاء على يافا بأي ثمن، خاصة في ظل حقيقة استيلاء اليهود على حيفا»[362].

وبدأ تحرك الجيش البريطاني بالفعل في اليوم التالي، حيث دخل 4500 جندي، ومعهم الدبابات إلى يافا، في حين حامت الطائرات النفاثة فوق الرؤوس وفجرت النيران، رست بعض السفن الحربية في المرفأ، كما قصفت مدافع الهاون مواقع الإرجون، وخلال المفاوضات الثلاثية التي ضمت البريطانيين، الهاغاناه، والإرغون، طالب البريطانيون بانسحاب الإرجون من المنشية. وتم التوصل إلى اتفاق بهذا الشأن في الثلاثين من أبريل، وانسحبت بالفعل عناصر الإرجون بعد قيامها بتفجير مركز للشرطة المحلية، وسيطرت القوات البريطانية على المدينة. وقد ذكرت تقارير استخبارات الهاغاناه أن الإرغون ترك وراءه «جثثا عربية مشوهة بشكل كبير»[363]، وأن البريطانيين عمدوا إلى نهب المنازل المهجورة[364].

طبقا لما أورده بيغن، حاولت القوات البريطانية كبح النزوح الجماعي، فذكر:

> *لقد حاولوا تهدئة سكان يافا الذين أصابهم الرعب... وأعلنوا بشكل متكرر أنهم سيدافعون عن يافا بكل قوتهم العسكرية. غير أن كل جهودهم للتهدئة باءت بالفشل... ولم يكن هناك ما يمكنه منع الإجلاء التام للمدينة*[365].

مثلت عملية «حاميتز» أحد الأسباب لعدم نجاح البريطانيين، فقد تضمنت العملية هجوم الهاغاناه - خلال الفترة من 28 إلى 30 أبريل - على سلسلة من

القـرى شرقي يافا، بهدف السـيطرة عـلى: اليهودية، كفر عانة، سـاقية، الخيرية، سـلمة، يازور، بيت دجن، فضلا عن قرية تل الريـش، التي وفرت ليافا وصلة إلى الأراضي العربيـة الداخلية إلى الشرق اللد والرملة. وطبقا لأمر الاسـتعداد الصادر عن رئاسـة أركان الهاغاناه كان هدف العملية هو «اسـتكمال تطويق وعزل يافا وفتـح الطريق أمـام القوات اليهوديـة إلى اللدّ»، ولم يكن هنـاك أي نص واضح حـول المعاملة المتوقعة لسـكان تلـك القرى في الأمر الصـادر، والذي تحدث فن «تنظيـف المنطقة»[366]. في المقابـل نص الأمر التنفيذي النهائي على أن «يُسـمح بالرحيل للسـكان المدنيين في المناطق التي يتم الاستيلاء عليها، بعد تفتيشهم بحثا عن الأسـلحة»، وحذر الجنود من إلحاق الأذى بالنساء والأطفال «بقدر الإمكان»، ومن السـلب و«الأعمال غير الملتزمة، والسرقـة، والإضرار بدور العبادة»، على أن يُنقل السجناء إلى مقر رئاسة اللواء[367].

خلال الفترة من 28 ـ 30 أبريل اسـتولت الهاغاناه على الخيرية، سـاقية، سلمة، ويازور، وقد تم الاسـتيلاء على الثلاثة الأولى من دون قتال. وأرجع جهاز استخبارات الهاغاناه عدم المقاومة من قبل السـكان إلى سابق هزيمة الجيوش العربية في طبريا، وحيفا، ورمات يوحنان، ومشمار هعيمك، قائلة: «من الجلي أن العرب ليست لديهم أي رغبة في الحرب... وأنهم سـيكونون مستعدين للعودة إلى قراهم وقبول الحماية اليهودية»[368]. أما فيما يخص اليهودية وكفر عانة فلم تهاجَما، كما أنه تم الاسـتيلاء على تل الريش لفترة قصيرة والتخلي عنها نتيجة لهجوم مضاد. وقد أصيب السـكان في جميع القرى (بما في ذلك اليهودية وكفر عانة)[369] بالذعر، وفروا مع اقتراب قوات الهاغاناه أو فور بدء إطلاق النار. ففي الخيرية وجدت الفرقة 32 رفات أربعة رجال وثلاث نسـاء وبادرت بدفنهم، كما احتجزت لفترة قصيرة حفنة من الرجال والنسـاء والأطفال[370]. وأُعدِم على الفور اثنان من الذكور البالغين الذين تم احتُجزوا لاتهامهم بقتل أحد عناصر الهاغاناه[371]. وعندما زار بن غوريون قرية سـلمة في 30 أبريل لم يجد هناك «سوى امرأة عجوز عمياء»[372]. وبعد مرور يوم أو اثنين قام بعض شباب العصابـات من حي هاتيكفا في تل أبيب بحـرق العديد من المباني بها [373]، أما فيما يخـص يازور فقد خرجـت منها الهاغاناه تحت ضغـط البريطانيين، ولكن بعد زرع الألغام في مبانيها وأزقتها[374].

نسـبت كل من الإرجون والهاغانـاه الانهيار السريع لمقاومـة المناطق الريفية المحيطة بـ يافا، وهروب سـاكني القرى، إلى هجوم الإرغون على المنشية، وما ترتب عليه من كسر الروح المعنوية لسـكان يافا ونزوحهم الجماعي. بدوره، زاد سـقوط هـذه القرى من إضعاف الروح المعنوية لدى السـكان المتبقـين في المدينة، والذين تـراوح عددهم بين 15 ألف شـخص و 25 ألفا[375]. فقد كانـت يافا معزولة تماما، وتلاشـت أي إمـكان لأي دعم عربي. في وقت لم يعد مـن الممكن فيه الاعتماد على الضواحي الريفية التي كانت تمدها بالطعام[376].

سـادت حالة مـن الارتباك في يافا. وفضلا عن وجود لواء مـن القوات البريطانية، وصلـت عناصر غير نظاميـة من الرملة وقامت، وفقا لما تردد، بالعمل على كبح جماح النزوح الجماعي أو على الأقل بين صفوف الشـباب في سن القتال[377]. وفي الثامن من شـهر مايو أو قبـل ذلك بقليل أمرت اللجنـة العربية العليا موظفـي البلدية بالبقاء في أماكنهـم[378]. غـير أنه في ذلك الوقت كان رجال المليشـيات يفـرون[379]، والقادة المحليـون يتفاوضون مـع البريطانيين لترتيب إجلاء بعض السـكان المتبقين «بحرا إلى بـيروت». طلب آخرون المسـاعدة البريطانية في المغادرة عـبر المناطق التي توجد بها قوات الهاغاناه، الأمر الذي وافق عليه قائد لواء إسكندورني، دان إيفن، مما أسفر عن مغادرة الآلاف[380]. أدرك الجميع أن الوجود البريطاني كان أمرا مؤقتا، وذكر كانينغهام: «نحـن في موقف ضعيف إذا ما حاولنا ثنـي الأهالي عن الجلاء، حيث لا يمكننا ضمان سلامة العرب بعد أسبوعين في حال شننا عملية مضادة ضد اليهود» [381].

بحلول الثامن من شـهر مايو كانت يافا مدينة أشـباح تقريبا، مع وجود قوافل من السـكان ترحل بشكل يومي، وكانت السيطرة على شوارعها للجنود البريطانيين ورجال جماعات المليشـيات الذين يقومون بعمليات نهب. قامت عصابات بسرقة المخازن، عادة بعد رشـوة الحراس البريطانيين[382]. ولم يبق في المدينة سوى خمسة آلاف سـاكن من بينهم العديد من «المرضى، والفقراء، والمعاقين، وكبار السـن»[383].

وقد قدم ضابط استخبارات في لواء كيرياتي صورة بليغة للمدينة التي تحتضر:

سـادت الفوضى والانهيار مدينة يافا. هرب العمـدة [هيكل] من المدينة. أغلقـت كل الإدارات البلدية والبنوك والمستشـفيات الحكومية... كما تم إخلاء مباني المحكمة. شـغلت قوات الجيش البريطاني مكاتب البريد، في حين استمرت

> *عمليات السلب والنهب، وعمدت عناصر غير نظامية - عراقية فيما يبدو - بكسر أبواب المحال وسرقة الطعام من منطقة الميناء. وبدا أن الجنود [البريطانيين] يشاركون كذلك في عمليات السلب. تناقصت إمدادات الطعام والوقود*[384].

كتب كانينغهام في الاتجاه نفسه: «كل المستشارين وأعضاء اللجنة الوطنية تقريبا فروا». ومن الواضح أن الأعيان المثقفين كانوا يأملون أن يسيطر اليهود ويعيدوا النظام، غير أنهم خشوا الإفصاح عن ذلك علنا[385]. ومن جانبه، كتب نمر الخطيب أن فرقة اللجنة العربية العليا التي وصلت نهاية شهر أبريل بقيادة ميشيل عيسى، «تصرفت كأن المدينة ملكها، وشرعت في سرقة السكان ونهب منازلهم، وأضحت حياة الناس بلا قيمة، ولُوث شرف النساء، وقد شجع كل ذلك العديد من السكان على الرحيل...»[386]. وقد اختتم كانينغهام تحليله بقوله: «إن ما حدث في يافا كان نتيجة لعمل عسكري سابق لأوانه حُذر العرب منه بشكل متكرر، حيث إن مثل هذا العمل العسكري من جانبهم لم يكن ليسفر إلا عن إضافة مزيد من المعاناة للعرب في فلسطين...»[387].

في الحادي عشر من شهر مايو كتب العمدة هيكل من غرفته في فندق فلادليفيا في عمان طالبا من البريطانيين منع احتلال اليهود ليافا[388]. غير أنه في اليوم السابق كان لواء كرياتي قد أصدر أمر الاستعداد لـ «عملية درور»، بما يعنيه ذلك من الاستيلاء الوشيك على المدينة - متضمنا تعليمات تفصيلية تتصل بفرض حظر التجوال، تفتيش السكان الباقين مع إمكان تجميعهم في حي أو اثنين، اعتقال المقاتلين السابقين، منع السلب، وحماية دور العبادة[389]. في الثاني عشر من شهر مايو انتقل أعضاء «لجنة طوارئ عرب يافا» (أمين أندروس، صلاح الناظر، أحمد أبو لبان) إلى تل أبيب، حيث التقوا ضباطا في لواء كرياتي لتمهيد الطريق للسيطرة اليهودية ومناقشة شروطها. وقد وعدهم قائد اللواء (ميخائيل بن جال) بأن الاحتلال سيكون خفيف الوطأة، وأنه لن تكون هناك «محاكمات عسكرية أو أعمال انتقامية»، وأن الهاغاناه ستقتصر على القبض على الأشخاص الذين يمثلون تهديدا للسلام، وقد سأل أندراوس: «ما مصير أولئك الذين غادروا يافا أخيرا ويرغبون في العودة، هل سيتم السماح لهم بذلك؟»، وأجاب بن غال: «اتفقنا على أننا سنبحث طلب كل مواطن من يافا يرغب في العودة بالتنسيق معهم [لجنة الطوارئ]، وبما يتفق مع

السجلات البلدية (التي تثبت أن الشخص المعني كان بالفعل من سكان المدينة، وفي حال عدم وجود أي سبب خاص لاعتباره خطرا فإنه لن يُمنع من العودة...»[390]. وخلال اجتماع المتابعة الذي عقد في اليوم التالي كرر بن جال تأكيده: «إننا نرغب في مساعدة سكان يافا الراغبين في العودة، لكن في هذا الخصوص ستكون هناك حاجة إلى اتخاذ بعض الترتيبات حتى يكونوا قادرين على العودة، وقد تمثل مضمون الاتفاق في أن السكان سيكونون قادرون على العودة...»[391]. وفي الاتفاقية التي تم التوقيع عليها تعهد بن غال بالتزام الهاغاناه «باتفاقية فينا وجميع قوانين وأعراف الحرب»، ووافق الموقعون من الطرف العربي على «التعليمات» التي كان اللواء على وشك إصدارها، تحت عنوان: «تعليمات إلى السكان العرب من قائد الهاغاناه - حي تل أبيب ـ صادرة في 13 مايو 1948»، وتضمنت: تسليم جميع الأسلحة ومعاقبة كل من لا يمتثل لذلك، تفتيش جميع الذكور البالغين، اعتقال «المجرمين وأولئك المشكوك في كونهم يمثلون خطرا على السلم». وأخيرا ذكر بن غال أنه سيتم بحث كل حالة على حدة بالنسبة إلى البالغين من الذكور الذين يرغبون العودة، بما يتضمنه ذلك من إمكانية عودة الأطفال والنساء إلى يافا من دون حاجة إلى تقصٍّ أو بحث[392].

في الثالث عشر من مايو أصدر لواء كرياتي أمر التنفيذ لعملية درور[393]، وفي اليوم التالي بادرت وحدات الهاغاناه - بصحبة قوات رمزية من الإرغون - باحتلال يافا في عملية انتشار منظمة، وأصدر كرياتي أمرا خاصا أوضح أن «يافا تقريبا خالية من السكان، وقد وعدنا بتمكين السكان من العيش في سلام واحترام، وعلى كل منا الالتزام بهذا الوعد»[394]، وأعقب ذلك تعيين إسحاق شيزيك حاكما عسكريا، وأجرى بن غوريون زيارة للمدينة علق خلالها بقولة: «لا أستطيع أن أفهم: لماذا رحل السكان؟»[395].

بذل شيزيك قصارى جهده لحماية السكان - حيث أُجري حصر سريع لهم وتسجيل ما يقرب من 4100 فرد - من القوات المحتلة: فوضع حراسا خارج المباني العامة، ونظم دوريات للشرطة العسكرية، وأمر بتأمين المنازل والمحال، التي تم تفتيشها، من أعمال السلب والسرقة. غير أن الأيام التالية شهدت قدرا كبيرا من المضايقات وبعض الأساليب القاسية تجاه أفراد الشعب المحتل، الذين جرى

إخراجهم عنوة وتفتيشــهم وتجميعهــم في منطقة أو منطقتين خلف أســيجة من الأسلاك الشــائكة، وسُرقت ممتلكاتهم. كما أكره الجنود، لفترة قصيرة، السكان على ممارسة أعمال من دون مقابل[396].

في الخامس والعشرين من شــهر مايو عُثر على جثث خمســة عشر رجلا أُطلق الرصاص عليهم في حي جباليا بالقرب من المياه، وكان في حوزة أربعة منهم هويات صــادرة من مكتب الحاكم العســكري، وهو ما يدل على أنهــم - كلهم - قُتلوا بعد دخــول الهاغاناه المدينــة. وقد قرر الأطباء الذين فحصــوا الجثث بعد مرور يومين أن النــار أُطلقت عليهم قبل ذلك بنحو أســبوع[397]. وفي ليلة 14 - 15 أبريل، أقدم جنديان في الهاغاناه على اغتصاب فتاة تبلغ من العمر 12 عاما[398]. كما كانت هناك أيضا محاولات عديدة للاغتصاب. وانتشرت عمليات السلب المنظمة أو الفردية على يد قوات الهاغاناه والإرغون ومواطنين تســللوا من تــل أبيب، في حين كانت هناك سرقات على الطرق من قِبل قوات الدوريات اليهودية (بما في ذلك سرقة الســاعات، والحلي، والنقود، وغيرها)، وشــاعت عمليات سرقة الممتلكات. وبشــكل عام اشتكى العــرب من أنهم «تجري مضايقتهم على نحو متواصل»[399]. بلغت عملية الســلب والنهب حدا سيئا دفع شيزيك لمناشدة بن غوريون التدخل على نحوٍ مباشر، وقد أمر الأخير في الثاني والعشرين من مايو الإرغون والهاغاناه بطاعة تعليمات شيزيك[400]. وأعلــن زيفــي أورباخ (ضابط رفيع المســتوى في كرياتي) أنه بريء من المســؤولية عن الممتلكات في يافا[401]. وذكر أحد المســؤولين في الخامس والعشرين من مايو ما يلي: «تجولت طوال اليوم في الشــوارع... ورأيت جنودا ومدنيين، وشرطة عسكرية، وشرطة الوحدات تسرق وتنهب بعد قيامها بتحطيم الأبواب والجدران...»[402].

بعــد أيام قليلة تمكن شــيزيك من رفــع تقرير عن تحســن الأوضاع: تقلصت عمليات نهب الأفراد بشــكل كبير على الرغم من استمرارها بالنسبة إلى المؤسسات المرخــص لها[403]. وقد كان هناك كثير من هذه العمليات إلى الحد الذي حدا رئيس هيئــة أركان جيــش الدفاع الإسرائيلي، دوري، على أن يكتــب إلى بن غال في الثالث والعشرين من شــهر يونيو: «أريد أن أعلم بشكل واضح: هل يمكننا أن نضع الأمور في نصابهــا في يافــا أم لا؟ يجب عليَّ التوصل إلى نتائج في هــذا الخصوص»، وأمهله يومين للرد[404].

يذكر أنه قبل ذلك بشهر أخبر ضابط رفيع المستوى في قوات الدفاع الإسرائيلية (من الممكن أن يكون بن غال) مندوبَ الصليب الأحمر أنه على علم بجميع «الحوادث» التي وقعت بما في ذلك الاغتصاب، وأكد له أن المسؤولين عن ذلك قُدموا إلى المحاكمة، مضيفا أن هذه هي الحربَ الرابعة التي يشارك فيها، وأن ما حدث في يافا، بالمقارنة بالأشياء الفظيعة التي رآها في أماكن أخرى، كانت «بمنزلة الجنة»[405]. ولكن لم تُعقد سوى محاكمات قليلة، إن كانت قد عُقدت أصلا. وفي الحادي والعشرين من يونيو، اشتكى شيزيك من أنه «على الرغم من تعدد الحالات التي قُبض فيها على الجنود وهم يسرقون... لم أتلقَّ حتى الآن تقريرا واحدا يتضمن حكما على أي منهم». من الواضح أن شيزيك كان على اقتناع بأن أحدا لم يتعرض للعقاب[406].

على الرغم من تحسن الوضع تدريجيا في يافا، ظل العرب الباقون معرضين للسلب والنهب من قِبل الجنود غير الملتزمين بالنظام. وعلى مدار أسابيع، بدا أن المجرمين الرئيسيين كانوا من أفراد البحرية. ومع حلول نهاية شهر يوليو كان الحاكم العسكري في يافا لايزال يشتكي على نحو متكرر من اقتحام جنود البحرية منازل عديدة واعتدائهم بالضرب على مالكيها قبل أن يقدموا على سرقتهم[407]. بعد ذلك بأيام قليلة اقتُحمت كنيسة كاثوليكية، وسُرقت منها مشغولات فضية وصلبان. وعندما علمت رئاسة الأركان بذلك أمرت بتعقب الجناة ومعاقبتهم «بقسوة»[408]. وبالفعل، أُلقي القبضُ على ثمانية عشر من جنود البحرية وعُثر على بعض المسروقات[409]. وبدا أن مضايقات سكان يافا وسرقة ممتلكاتهم قد انتهت في شهر أغسطس.

المدن الصغيرة

في السادس عشر من أبريل أخلت القوات البريطانية صفد، كما جلت عن ريش بينا المجاورة في الثامن والعشرين من الشهر ذاته. وفي الحادي والعشرين من أبريل - عقب ثلاثة أيام من النزوح الجماعي من طبريا - وصل قائد قوات البالماخ، آلون، لتقييم الموقف. وفي اليوم التالي أوصى كلا من يادين وغاليلي بشن سلسلة من العمليات، بما يتماشى مع الخطة دالت، بغية تقوية المنطقة للتعامل مع الغزو

العربي المتوقع. كما أوصى «بالضغط على بيت شيان العربية [بيسان] لزيادة عملية الهــروب منها... والضغط على صفد العربيــة للإسراع من عملية إجلائها». وكلتاهما كانت مدينة حدودية حساسة (تقع بيسان على بعد خمسة كيلومترات من الأردن، وصفــد على بعد اثني عشر كيلومترا من ســورية)، ولم يرغــب آلون في الإبقاء على مراكز تجمع سكانية عربية فيما وراء المناطق التي ستصبح الخطوط الأمامية لجهاز استخبارات الهاغاناه[410].

صفد

فــور تقديمه توصياته عُــيِّن آلون قائــدا للحملة المكلفة الســيطرةَ على الجليل الشرقي، والتي حملت الاسم الرمزي: عملية يفتاح. ومثّل الاستيلاء على الجزء العربي من صفد العنصر الرئيسي في الحملة. وضمت صفد ما بين 10 آلاف و 12 ألف عربي أغلبيتهــم من المســلمين و 1500 يهودي، وهــي أقدم مراكز المشــناه والكابالا [*]، وكانت القاعدة الرئيسية في الجليل الشرقي لجيش الإنقاذ ومناهضة الصهيونية[411].

مــن الناحية العســكرية كان عرب صفــد ضعفاء وغير منظمــين[412]. وقد وصف كشــافة البالماخ في نوفمبر 1947 ســكان المدينة بأنهم منفعلون، ســاد عليهم «الخوف من اليهود»، والأكثر تعليما بينهم كانوا «مكتئبين»[413]. كان لوضع المدينة داخل الدولة اليهودية وفقا لقرار التقســيم أثر موجع على معنويات ســاكنيها. ومع ذلك قام أنصار الحسيني بعمليات عنف. ففي الثالث عشر من ديسمبر 1947، أطلقوا النار على نسيم ميزراحي، رجل استخبارات الهاغاناه، في السوق العربي وأردوه قتيلا. وقد ردت الهاغاناه بقتل ثلاثة من العرب[414]. وخلال الأشهر التالية كان هناك تبادل متقطع لإطلاق النار، وهجــمات للهاغاناه على المناطق الريفية المحيطة بالمدينة. وفي ليلة 2 - 3 يناير فجرت البالماخ دار صبحي الخضراء، القائد المحلي الموالي للحسيني [415].

تولى قيادة مليشيا المدينة إحسان كم الماز، ضابط سوري ملحق بجيش الإنقاذ. وفي منتصــف أبريل 1948 حل محله ســاري فنيش ونائبه أمــين الجميعان (الاثنان ضابطــان أردنيان في جيــش الإنقاذ). وعــلى الرغم من معانــاة المجتمعين (العربي

(*) المشــناه هــي مجموعة الشرائع والشروح التي تتناول أســفار العهد القديــم، والكابالا هي أحد المذاهب اليهودية لتفسير الكتاب المقدس. [المحررة].

واليهودي) في صفد بسبب العزلة والحصار لم يكن هناك نقص في الغذاء، واستمرت الحياة المدنية بوتيرة عادية. كما لم يكن هناك هروب ملحوظ للسكان قبل أواخر شهر أبريل[416].

أجلت القوات البريطانية قاعدتيها في المدينة، وسلمتهما إلى العناصر غير النظامية في السادس عشر من شهر أبريل، وهاجمت الأخيرة الحي اليهودي، غير أنها مُنيت بالهزيمة. وتلا ذلك إلقاء الهاغاناه قنبلة من طراز «ديفيدكا» داخل المنطقة العربية أسفرت عن مقتل «13 من العرب أغلبهم من الأطفال». ولّد ذلك حالة من الذعر والحزن[417]. وخلال الفترة من 16 - 18 أبريل بدأت كل من البالماخ وجيش الإنقاذ في دعم وتقوية كلا الطرفين اللذين استمرا في تبادل إطلاق النار. كما شهدت تلك الفترة اندلاع خلافات بين جيش الإنقاذ وضباط المليشيا المحلية حول مناطق الرعي، مما دفع بالعديد من المتطوعين السوريين والأردنيين إلى الرحيل في الأيام التالية[418]. وربما أسفرت تلك الخلافات عن هروب بعض المدنيين، وقد هدد أحد قادة جيش الإنقاذ بمصادرة ممتلكات وتدمير منازل الفارين[419].

بدأت المعركة النهائية في الأول من شهر مايو عندما استولت الكتيبة الثالثة للبالماخ على القرى المجاورة: عين الزيتون، وبيريا، مغلقةً بذلك الطريق إلى المدينة من الناحية الشمالية، ومخففة بشكل جزئي من الحصار المفروض على الحي اليهودي. في العام 1929 أقدم القرويون من عين الزيتون على قتل العديد من المستوطنين في عين زيتم(*) المجاورة، وكانوا مع أقرانهم في بيريا[420] ناشطين في أحداث 1936 - 1939[421]. وفي ليلة 2 - 3 يناير 1948 أغارت الهاغاناه على القرية وفجرت العديد من المنازل وقتلت عددا من العرب[422]. وكان يتم استخدام عين الزيتون قاعدةً للهجمات ضد وسائل النقل اليهودية وعين زيتم، ولم تعمل المليشيا العربية في صفد (التي تراوح قوامها بين 700 و 800 فرد) أي شيء لمساعدة القريتين خلال هجوم الأول من مايو.

كما جرت عليه العادة، بدأ الهجوم على عين الزيتون في الصباح الباكر بإطلاق كثيف لقذائف الهاون تلاه هجوم سريتي مشاة. وخلال ساعة، أصبحت «قرية

(*) عين زيتم تعني عين الزيتون في اللغة العبرية، وهي مستوطنة بنيت بالقرب من القرية العربية «عين الزيتون» واتخذت اسمها. [المحررة].

القتلة تحت سيطرتنا»، كما ذكر القائد العسكري اليهودي في صفد. وفي حين تمثلت خسائر البالماخ في هذا الهجوم في قتيل وستة مصابين، فإنها تمكنت من القبض على 300 شخص[423]. وفي الوقت ذاته قامت سرية أخرى بالاستيلاء على بيريا. وعلى الرغم من فرار بعض سكان عين الزيتون خلال القصف، فإن العديد من النساء والأطفال لزموا أماكنهم، وجرى بعد ذلك تجميعهم وطردهم مع إطلاق النار في الهواء لحثهم على إسراع الخطى[424]. وعندما حاول عدد من القرويين العودة إلى عين الزيتون في اليوم التالي - ربما لنقل ممتلكاتهم الشخصية - أُطلقت النار عليهم، مما أسفر عن مقتل أحدهم وفرار الآخرين[425].

ذكر أحد تقارير القيادة العامة لعملية يفتاح أن «30 سجينا عربيا سُلّموا إلى لواء غولاني»[426]. ولكن بعد مرور يوم أو اثنين، وبناء على أوامر من قائد الكتيبة الثالثة موشي كيلمان، فتح جنديان من البالماخ النار على عدة عشرات من السجناء، بمن في ذلك شباب صغار السن من عين الزيتون، وذلك في المنطقة الواقعة بين عين الزيتون وصفد[427].

خلال ليلة 1 - 2 مايو، فجر خبراء المتفجرات التابعون للبالماخ، وحرقوا منازل في القرية. ووفقا لأحد المشاركين في هذه العملية (غافرييل كوهين المعروف بغابي) كان وراء ذلك هدف مزدوج: «تدمير قاعدة للعدو وإضعاف الروح المعنوية لسكان صفد»، الذين شاهدوا تدمير القرية عبر الوادي»[428]. وقد نقل بليد أن عناصر البالماخ كانوا سكارى، وأعمتهم فرحة النصر، مما دفعهم إلى سرقة الممتلكات وتدمير المنازل. شعر يهود صفد ـ الذين شاهدوا ذلك من بُعد ـ بالفرح، معتبرين الأمر انتقاما «مما فعله عرب عين الزيتون في يهود صفد وعين زيتم في 1929، و1936 - 1939»[429].

أصاب الاستيلاء على عين الزيتون وبيريا - الذي فتح الباب أمام تعزيزات البالماخ على أبواب صفد - الروح المعنوية للسكان العرب بالمدينة في مقتل. وقد كان هؤلاء أصلا مضطربين من جراء سماعهم أخبار دير ياسين وسقوط طبريا ويافا العربيتين، فضلا عن عملية إجلاء السكان من الجاعونة (الواقعة إلى الشرق) وغوير أبو شوشة (في الجنوب الشرقي). وفي واقع الأمر غادرت العديد من العائلات البارزة سواء قبل أو مباشرة بعد الأول من شهر مايو[430]. في الثاني من مايو وصل الجانب الأكبر من الكتيبة الثالثة التابعة للبالماخ إلى الحي اليهودي، وبدأوا على الفور بفتح نيران قذائف الهاون

على الأحياء العربية: «سـيطر الذعر على سكان صفد، وبدأت طوابير طويلة من العرب في مغـادرة المدينة باتجاه قرية ميرون»، وشرقا نحو نهر الأردن[431]. في ذلك اليوم أعلن راديـو الهاغاناه، قبـل الأوان، أنه «تم إخلاء صفد من قبل السـكان العرب». لاحظت الاسـتخبارات البريطانية كذلك بداية الإخلاء، ناسـبة إيـاه إلى التدهور العام في الروح المعنوية الذي ولده سقوط طبريا وحيفا العربيتين [432].

وقع أول هجوم بري من قبل البالماخ على صفد العربية في السـادس من مايو. وعلى الرغم من فشـل الكتيبة الثالثة في الاسـتيلاء على الهدف الرئيسي، المتمثل في القلعة التي تهيمن على الأحياء العربية، فإنه «أرهب» السكان بدرجة كافية لتوليد المزيد من عمليات الفرار، كما تصاعدت المناشـدات العاجلة للحصول على مساعدة خارجيـة، وبُذلت مسـاعٍ للتوصل إلى هدنة. غير أن آلون رفـض العرض[433]. وعلى الرغم من نجاحهم، كان رجال المليشيا العرب والسكان في حالة من «الذعر»[434].

أثـار مأزق صفد العربية موجات من الاحتجـاج في العالم العربي، ووصف عزام باشا بدقة هدف الخطة دالت - التي كانت عملية يفتاح جزءا منها - بقوله:

> *كان اليهـود يتبعـون خطة شـديدة الوضـوح والقسـوة... حيث إنهم يقومون الآن بدفع السكان خارج القرى العربية على امتداد الحدود السورية واللبنانيـة، خاصة الأماكـن الواقعة على الطرق التي يمكـن للقوات النظامية العربيـة أن تدخـل منها إلى البـلاد. وتعرضت كل من عـكا وصفد على وجه الخصوص بشـكل كبير لخطر الاحتلال اليهـودي. وكان من الواضح أنه إذا ما اسـتمر ذلك الأمر فإن الجيوش العربية سـتواجه صعوبة كبيرة لمجرد دخولها فلسطين بعد 15 مايو* [435].

وبادر السوريون بتحذير برودميد من أن:

> *الموقـف في صفد يائـس، وإن لم يحدث تدخل بريطاني فوري فسـتكون هناك دير ياسين ثانية... وفي حالة وقوع مذبحة ستُنتقد سورية في جميع أرجاء العالم العربي لعدم تدخلها*[436].

تبع برقيةَ الوزير السـوري رد من لندن شـابه ذلك الـذي حدث عقب هجوم الإرغون على يافا. وعمد وزير المسـتعمرات كريتش جونز - بعد مشاورات مفترضة مع بيفن - إلى الترخيص لكانينغهام بالتدخل عسكريا للحيلولة دون انتصار اليهود:

تشعر الدول العربية بقلق كبير إزاء إمكان وقوع كارثة، وأنه من الأهمية بمكان بالنسبة إلى علاقاتنا معهم أن نتجنب وقوع أي شيء من هذا القبيل. إن حدوث ذلك من شأنه أن يفتح الباب بالتأكيد أمام دخول قوات الدول العربية إلى فلسطين قبل نهاية الانتداب. وإذا رأيتم منع ذلك، فإنكم مخولون (مع القائد العام للعمليات) باستخدام كل الوسائل العملية، بما في ذلك الضربات الجوية لإعادة الموقف إلى ما سبق[437].

غير أن هجوم الهاغاناه فشل، ولم يتدخل البريطانيون.

كما لم يتدخل البريطانيون - قبيل أقل من أسبوع من نهاية الانتداب - ضد الهجوم الثاني والنهائي الذي استهلته الهاغاناه، بدءا من مساء التاسع من مايو، بقصف كثيف بقذائف الهاون على المواقع الرئيسية. وبعد مرور عدة ساعات - في صباح العاشر من مايو - استولت الكتيبة الأولى التابعة للبالماخ على قرية عكبرة (على بعد 2.5 كيلومتر جنوب المدينة. وكان أغلب القرويين قد فروا منها بالفعل متأثرين بالأخبار عن دير ياسين وسقوط عين الزيتون[438]. كانت العملية مصممة لمنع وصول التعزيزات إلى صفد من الجنوب، فضلا عن «خلق شعور بين عرب صفد بأنهم على وشك محاصرتهم، ولن يكونوا قادرين فيما بعد على الفرار». وقد عمدت البالماخ إلى تفجير القرية[439].

مما لا شك فيه أن سقوط وتدمير عكبرة كان لهما كبير الأثر في نسف الروح المعنوية في صفد - كما كان كذلك شأن الإطلاق الكثيف لقذائف الهاون. وقد اعتقد بعض السكان بالفعل أن قنابل «ديفيدكا»، المصنعة من قبل الهاغاناه، كانت قنابل «نووية» بسبب الضوضاء الكبيرة التي تحدثها والوميض الكبير عند انفجارها، فضلا عن قوة القصف غير المعتادة تلك الليلة واليوم التالي[440]. وتمكن مشاة البالماخ بعد القصف، وفي أعقاب معارك ضارية، من السيطرة على القلعة، وبيت شلفا، ومركز الشرطة، وهي المباني الرئيسية في صفد. وعلى الرغم من الدعم الذي قدمه جيش الإنقاذ من خلال المدفعية المتمركزة في ميرون، بدأت العناصر غير النظامية في الفرار. في حين استمرت الهاغاناه طوال يوم العاشر من مايو في قصف الأحياء العربية بقذائف الهاون[441]، محدثةً «حرائق في منطقة السوق ومحطات البنزين التي انفجرت. خيمت الفوضى على المدينة وبدأ الهروب من جميع أرجاء المنطقة العربية وسط العويل

والـصراخ...». ونقل مركز قيـادة عملية يفتاح أنه عند الفجر رصدت طائرة اسـتطلاع تابعـة للهاغاناه «آلاف اللاجئين متجهين على الأقـدام إلى ميرون، فضلا عن تجمع عدة مئات من اللاجئين بالقرب من عين تينا غربي صفد»[442]. وبعد ذلك بفترة وردت تقارير عن أن بعض القادة «نصحوا» السـكان بالفرار[443]. وذكر آلون أن البالماخ «تركت عن عمد طرقَ الخروج مفتوحة للسكان «لتسهيل» نزوحهم الجماعي... وشكل الـ 12 ألف لاجـئ (طبقا لبعض التقديـرات15 ألفا) عبئا ثقيلا على المجهود الحـربي العربي»[444]. ووفقا لأحد التقارير تقدم طابور تعزيزات مكون من 120 عنصرا تابعين لجيش الإنقاذ باتجـاه صفـد، وقابل في طريقه موجة السـكان الراحلين «محملين بالأمتعة، والنسـاء يحملن أطفالهن بين أذرعهن، البعض سيرا على الأقدام والبعض الآخر على ظهور الحمير والبغـال». ولم يكن من شـأن هذا اللقاء أن يرفع من روح القـوات المعنوية، ونُقل أن أغلبهـم فر من صفد بعـد الوصول[445]. ومن جانبها، قامـت الهاغاناه بإلقاء عدد من القنابل من طائرة استطلاع، كما أطلقت سلسلة من قذائف الهاون على جموع اللاجئين أو بالقرب منهم، ليسرعوا الخطى[446].

في الحادي عشر من شـهر مايو قامت قوات البالماخ بتأمين الأحياء العربية التي باتـت خاوية وصادرت «الأشـياء التي يمكن أن تكون مفيـدة للوحدات المقاتلة»، وحصنـت المنطقة ضد من ينوون القيام بعمليات سـلب[447]. وفي تلك الأثناء خرج يهود صفد، «ثملين بالبهجة، يرقصون ويغنون في الشوارع»[448].

شـكل غياب أو/ وفرار قادة المليشـيا سـببا رئيسـيا في انهيار المقاومة العربية والنزوح الجماعي. ففي الحادي عشر من مايو اشتكت العناصر غير النظامية الفارة مـن «خيانة قادتهم الذين فروا في بداية المعركة»[449]. وقد كان فنيش وكم الماز على خلاف لأسـابيع. وفي الفترة من 2 ـ 8 مايو كان الجميعان في زيارة لكل من دمشـق وعمان. وفي التاسـع من مايو انسـحب فنيش (الذي كان ضابطا سـابقا في الجيش العـربي وطُرد مـن وظيفته بتهمة الاختلاس وجنده الجيـش العربي بعد ذلك)[450]، وغادر بدوره إلى دمشق بناء على تعليمات من الملك عبد الله. وقد أخبر الجميعان لدى عودته سـكانَ المدينة أنه تلقى أوامر بسـحب المتطوعـين الأردنيين نظرا إلى كون صفد في منطقة السـيطرة السـورية – اللبنانية. وأقدم بالفعل على الانسحاب في الواحدة من صباح العاشر من مايو، أي قبل سـاعات من الهجوم النهائي من قبل

البالماخ. والأكثر من ذلك لم يكن أديب الشيشكلي (قائد الكتيبة الإقليمية) في المدينة خلال المعركة، شأنه في ذلك شأن كم الماز، حيث تبين أنهما غادرا قبل الأول من شهر مايو[451].

خلال تطهيرها الأحياء العربية عثرت قوات البالماخ على ما يقرب من مائة مسلم «بمتوسط عمر ثمانين عاما»، وقد أوضح الحاكم العسكري الذي تم تعيينه في صفد (أفراهام هانوخي من كيبوتس أيلت هاشاهار) أنهم طُردوا إلى لبنان في أواخر الشهر[452]. ولم يبق سوى 34 - 36 مسيحيا ميزوا أنفسهم عن «العرب الذين هاجروا»، وطالبوا بالبقاء تحت الحكم اليهودي[453] رافضين التزحزح من موقعهم[454]. غير أن جهاز استخبارات الهاغاناه رأى في ذلك مخاطرة استخباراتية، وأوصى بنقلهم إلى حيفا[455]. وفي الثالث عشر من شهر يونيو نُقلت تلك البقية الباقية من المجتمع العربي في صفد إلى حيفا وسُلموا إلى ديرين - «فتيات الإحسان للقلب المقدس» و«سيدات الناصرة» - وتحملت لجنة الشؤون العربية في يافا بعض نفقات إعاشتهم، وعلى الرغم من ذلك فقد أحدث هذا الملف منازعات بيروقراطية مع وزارة الخارجية التي طلبت أن يسمح جيش الدفاع الإسرائيلي لهم بالعودة إلى صفد لـ «تحسين علاقاتنا بالأقليات». كذلك كانت الوزارة قلقة من التأثير المحتمل للطرد في العلاقات مع الكنائس. غير أن الجيش رفض[456]. وعلى غير عادته أصر شيرتوك على موقفه. وفقا لما نقله معاونه، يهوشافات هاركابي، فقد تمثل موقفه في أنه على حين ترفض إسرائيل بشكل مطلق «عودة العرب اللاجئين من خارج إسرائيل، يجب علينا أن نتصرف تجاه العرب في داخل الدولة باعتدال أكبر؛ حيث إنه في ضوء ذلك ستُختبر قدرتُنا على حكم أقلية عربية». طالب شيرتوك - الذي حظي بتأييد وزارة شؤون الأقليات - بالسماح على الأقل لعدد من المسيحيين بالعودة [457]. بيد أن الجيش ظل متمسكا بموقفه الرافض على خلفية بدء توطين اليهود الجدد المهاجرين في المناطق المهجورة. وبقيت مجموعة صفد في حيفا، واستمر تقديم الخدمات الاجتماعية لهم من قبل البلدية والعرب المحليين والأديرة. ومن بين أفراد هذه المجموعة كان هناك ثلاثة في الثمانينيات وستة في السبعينيات من أعمارهم. وبحلول ربيع العام 1949 كانوا قد قضوا نحبهم، ووُضع خمسة في مستشفيات، في حين أصيبت سيدتان بحالة من العته وفقا لما أورده ماريوت[458].

أضعف سـقوط صفد بشكل كبير الروح المعنوية في المناطق الداخلية المحيطة؛ حيث نقل جهاز اسـتخبارات الهاغاناه أنه في اليوم التالي قرر سـكان كل من الرأس الأحمـر، الجش، صفصاف، طيطبا، قدّيتا، وسعسـع «هجر قراهم إذا ما استسـلم العرب في صفد»[459].

بيسان (بيت شيان)

اعتبرت هيئة أركان الهاغاناه وادي بيت شـيان، الذي توجد مدينة بيسـان في قلبه وتضم 5 آلاف نسـمة (وهو الموقع التوراتي حيث قام الفلسـطينيون بعرض جثة الملك شاوول بعد هزيمته ومقتله في جبل جلبوع)(*) - اعتبرتها نقطة محتملة لدخول القوات الأردنية الغازية لفلسطين. وعكست توصيات آلون في الثاني والعشرين من أبريل، والتي قضت بالاسـتيلاء على المدينة ومضايقة سـكانها حتى يفروا، تفكير الهاغاناه في عشـية الغزو، وتماشـت مع الخطوط العريضة للخطة دالت. كذلك كان هناك ضغط قوي من قبل المسـتوطنات المحلية لطرد العرب من المدينة وضواحيها. ففي الرابع من مايو جاء وفد من مستوطني وادي بيت شيان ومرج ابن عامر إلى تل أبيب، لإقناع قادة اليشوف بالتحـرك في اتجاه بيسـان. وخلال أحد الاجتماعات حذر الوفـد من أن قوات الجيش العربي قد دخلت المدينة وتقوم بتحصين مواقعها. وحث المستوطنون يوسف ويتز على الضغط على الهاغاناه لشـن الهجوم. ووافق الأخير عـلى ذلك قائلا: «إن تفريغ الوادي من العرب مُدرج على جدول الأعمال». وفي تلك الليلة تحدث ويتز إلى شكولنيك الذي وافق بدوره على ضرورة بدء الهاغاناه في الهجوم[460].

كانت المدينة مُحاطة من كل الجهات بمستوطنات يهودية. وخلال شهري مارس وأبريل كانت السيارات العربية المتجهة إلى بيسان تُمنع من المرور في أغلب الأوقات، كما قُطعت خطوط الهواتف والكهرباء من وقت لآخر. ومع بداية شهر مايو بلغت أسعار الوقود أرقاما خيالية. كما كان لتخريب اليهود صهاريجَ المياه تأثير مربك.

شـنت البالماخ غارة على بيسان في منتصف شـهر فبراير دُمر خلالها العديد من المنازل[461]؛ وعقب ذلك أرسـلت اللجنة العسـكرية لجامعة الـدول العربية أحمد الجيوسي لتنظيم المليشـيا، وقد اشـتكى في الثامن عشر من مارس من نقص الأسلحة

(*) جبل فقوعة.

والذخـيرة[462]. ومـن جانبه قاد إسـماعيل الفاروقي (أحد موظفـي الانتداب) قوة ضمـت 60 من عنـاصر الشرطة. غير أن الجيوسي والفاروقـي واللجنة الوطنية كانوا على خلاف دائم[463]. وقد أدت الأخبار الواردة عن سقوط طبريا وحيفا العربيتين إلى حالة من النزوح الجزئي، فشـلت اللجنة الوطنية في إيقافه. واسـتولت الهاغاناه على مركز شرطة غيشر، إلى الشمال، في السابع والعشرين من أبريل، مما زاد من إضعاف الروح المعنوية[464]. ومنذ الثامن والعشرين من الشهر، عندما سيطر لواء غولاني على معسكر الجيش البريطاني القريب (واحتل رجال المليشيا العرب مركز شرطة المدينة) وضع الهاغاناه بيسـان تحت حصـار متقطع[465]. ومن جانبـه نجح جيش التحرير العـربي في تدعيم المدينة بعدد يتراوح بين 150 و200 من العناصر غير النظامية[466]. وتـم إجلاء معظم النسـاء والأطفال إلى نابلس وطوباس والأردن، في حين لم يُسـمح للذكور البالغين بالمغادرة[467]. وكان هناك نقص شديد في الأطباء والدواء[468].

في ليلـة 10|11 مايـو احتلـت وحدات غـولاني القريتين الرئيسـيتين التابعتين للمدينـة: فرونة والأشرفية، ومع اقتراب القوات فر السـكان إلى الأردن. وبدأ خبراء المتفجـرات في الهاغاناه في تدمير المنازل. وفي الليلـة التالية قصفت وحدات غولاني بقذائف الهاون بيسان واقتحموا تل الحصن، تل يطل على المدينة من الشمال. وبدا أن الفاروقي قد فر تلك الليلة آخذا معه مبلغ 9 آلاف جنيه إسـترليني من حصيلة الضرائـب[469]. وخلال المعركة على تـل الحصن أجرى ضابط مـن الهاغاناه اتصالا هاتفيا بمركز قيادة مليشيا بيسان و«نصحهم» بالاستسلام، وهو ما رد عليه ضابط في المليشيا بتحدٍّ. غير أنه بعد سقوط التل ناشد العرب بشكل متكرر الهاغاناه التوصل إلى وقف لإطلاق النار، وهو ما وافقت عليه الأخيرة خلال اجتماع عُقد صباح يوم 12 مايو وفقا للشروط التالية: تسليم الأسلحة وطرد العناصر غير النظامية الأجنبية[470]، وأُخبر العرب «أن أي ساكن يرغب في البقاء ... يمكنه ذلك»[471]؛ وأولئك الراغبون في الرحيل سيُمنحون مرورا آمنا، وهو ما رد عليه الأعيان - حنا النمري، هاشم الصلح، والعمدة رشاد درويش - بأنه يلزمهم الحصول على موافقة المركز الرئيسي في نابلس (أو جنـين)، وتوجه وفد منهم إلى المثلث. وفي تلك الأثناء فرت قوات جيش التحرير العربي وأغلب السـكان إلى الأردن بشـكل رئيسي. وأعلن الأعيان استسـلام المدينة ودخلت القوات الإسرائيلية في اليوم التالي[472].

بقي في المدينة 1000 - 1200 ساكن[473]، وهو عدد كبير كان من شأنه أن يصيب ويتز بالحزن[474]. وزودتهم الهاغاناه بالماء والطعام[475]. كما أُعلنت الأحكام العرفية وحظـر التجوال، وعمد الجيش إلى جمع الأسـلحة، وعُيِّنت لجنة من المسـتوطنين اليهود للإشراف على الممتلكات والحياة في المدينة. كما عُين شـمويل غوفرين حاكما مدنيا، إلى جانب قوة شرطة عربية[476].

شكل وجود مثل هذا التجمع للعرب مباشرة خلف خطوط الجبهة، وعملية الذهاب والإياب المسـتمرة للمقيمين في بيسـان - والذين قاموا بسلب المنازل المهجورة - مصدر قلق لقـادة الهاغاناه، الأمر الذي دفعهم إلى طلب الترخيص لهم بطرد السـكان الباقين، وهو ما حصلوا عليه على الأرجح من رئاسـة أركان الهاغانـاه. «كان هناك خطر أن يقوم السـكان بالثورة في الخطوط الخلفية إذا ما أحسـوا بتغيير في الموقف العسـكري لمصلحة الغزاة العرب، لذا صدر خلال أيام أمر بطرد السـكان من المدينة»، ونُفذ ذلك في نحو الخامس عشر من مايو عبر الأردن[477].

كتب غوفرين لاحقا:

> *تلقيـت أمرا بإخلاء المدينة مـن العرب، وانتقلنا مـن منزل إلى منزل وأخبرنا سـكان المدينة عبر مكبرات الصوت بأن عليهم الرحيل بحلول صباح اليوم التالي. كانوا في حالة رعب كبيرة، لم تكن هناك سـيارات متوافرة، مما اضطرني إلى أن آمرهم بالرحيل سـيرا على الأقدام إلى جسر الشـيخ حسـين ليعبروه. كان من الصعب عليّ رؤية كبار السن بأحمالهم والنساء والأطفال. لقـد كان الطرد صعبا - ليس عنيفا ولكنه صعب... ولقد أعطيتهم الطعام، وكان القـس هـو آخر من رحل... فجأة خلت المدينـة وتحولت إلى مدينة أشباح تُحيطها الألغام*[478].

قام غيـورا، الضابط في الإدارة العربية بجهاز اسـتخبارات الهاغاناه، بزيارة المدينة في الثامن عشر من مايو، ونقل أن المدينة «فارغة تماما»، فيما عدا 300 شـخص، الكثير منهم مسـلمون. وثبت المفتشـون اليهود علامات صفراء على أبواب المحال في إشـارة إلى أنها فُتشـت؛ ومن جانبهم تجول المفتشـون العرب من مكان إلى آخر واضعين على أذرعتهم شـارات صفراء اللون. وقد علق غيورا على ذلك بقوله إن ذلك ذكره بـ «شارة

العار»(*) التي كان «يرغب لو جرى تجنبها». وفي حين اســتقبله كل من القاضي المحلي والعمدة رشــاد بطريقة ودية؛ حيث مدح الرجلان ســلوك حاكم المدينة، فإن رشاد بدا «مُحبطــا للغاية» وفقا لتعليق غيورا[479]. وفي الثامن والعشرين من مايو خُيِّر الســكان المتبقون بين الترانسفير إلى الأردن أو الناصرة (التي كانت في ذلك الوقت خارج الأراضي اليهودية). وقد فضلت الأغلبية، ربما المســيحيون، الناصرة، ونقلتهم إليها حافلات قوات الدفاع الإسرائيلية في اليوم ذاته[480]. وعادت بيسان لتصبح بيت شيان.

للإبقاء على المدينة يهوديةً، بدأت الهاغاناه بشكل منهجي في وضع الألغام على مداخلها وفي أزقتها، لمنع التســلل إليها مجددا. وفي العاشر من شهر يونيو نقل قائد في الهاغاناه أنه في الليلة الســابقة تسبب عدد من العرب الذين يسعون إلى النهب (وكذلك كلاب وحمير) في تفجير ما لا يقل عن أحد عشر لغما، مما أسفر عن خسائر بشرية وجرحى تماشــت مع حجم الانفجــارات[481]. وكان المنفيــون الذين حاولوا العودة - وقاموا كذلك بحرق ونهب المباني[482] - مدفوعين بالجوع والفقر[483].

تحت تأثير النزوح الجماعي من المدينة، فضلا عن الضغوط التى مارستها الهاغاناه، غادر العرب المتبقون، وأغلبهم من البدو، وادي بيت شيان إلى الأردن أو منطقة جنين. كذلك فر ســكان قرى الحميدية (شمال المدينة)، والسامرية (إلى الجنوب) من البلاد في الثاني عشر من شهر مايو[484] (تلقت الحميدية تعليمات «من مركز قيادة العناصر غير النظاميــة» بالإجلاء في 30 مارس، غير أنهم لم يلتزموا بها) [485]. وكانت المحصلة هي أن ما ســبق أن رغب فيه ويتز والمســتوطنات المحلية قد تحقق بالفعل. وفي هذا الصدد كتب ديفيد يزهار، أحد المشاركين في كتابة التاريخ الرسمي لحملات لواء غولاني في العام 1948: «للمرة الأولى... أصبح وادي بيت شيان واديا يهوديا خالصا»[486].

عكا

وفقا لقرار التقســيم كان من المقرر أن تقع مدينة عكا، التي تراوح عدد ســكانها بين 12 ألف نســمة و15 ألفا، تحت الســيادة العربية. غير أنه منذ البداية كان السكان يخشــون وقوع هجــوم يهودي. وكما كانــت عليه الحال في يافا، عــارض أغلب أعضاء

(*) إشــارة إلى النجمة الصفراء التي أُجبر اليهود على وضعها على ملابســهم لتمييزهم أثناء الحكم النازي في أوروبا. [المحررة].

اللجنة الوطنية بمن فيهم العمدة حسين حليفي شن هجمات ضد الأحياء أو المواصلات اليهودية خوفا من الأعمال الانتقامية. بيد أن العناصر غير النظامية المحلية والأجنبية استخفت بذلك[487]. في العشرين من شهر يناير قام أعضاء في اللجنة الوطنية بزيارة السميرية، إلى الشمال، وحذروا القرويين من الدخول في صدامات مع جيرانهم (ريغبا وشافي زيون)، موضحين أن اليهود يمكنهم أن يقطعوا طريق عكا - لبنان في تلك الحالة[488]. وفضلا عن ذلك طلب حليفي من الشرطة البريطانية التوسط للوصول إلى وقف إطلاق نار فوري[489]. ترتب على الأكمنة التي نصبها اليهود خارج المدينة إقدام عناصر المليشيات على الانتقام، ما أدى إلى مقتل سائق يهودي. وقد أدت دائرة العنف المتبادل إلى رحيل «العديد من العائلات» من المدينة[490]. في منتصف شهر مارس نجحت قوات الهاغاناه في عزل عكا نتيجة لتدميرها سلسلة من الجسور، مما منع الناس من الذهاب إلى أعمالهم، وأدى إلى زيادة معدلات الاعتداءات على الممتلكات[491]. ونقل جهاز استخبارات الهاغاناه أن الدقيق لم يتوافر حتى وصلت شحنة كبيرة في الثامن من شهر إبريل. ومع ذلك توافرت اللحوم والخضراوات بشكل كبير[492]. ومجددا سعت اللجنة الوطنية للتوصل إلى هدنة[493].

انعكست معركة السيطرة على حيفا والنزوح الجماعي منها على الحياة في عكا، فعلى مدار أسبوعين تقريبا عمت الفوضى التامة. وبادرت الهاغاناه بقطع الماء والكهرباء عن المدينة، وبلغت أسعار السلع أرقاما فلكية. وظهرت أزمة في الإمداد بالوقود والتزود بالدقيق، وتحولت عكا بين ليلة وضحاها إلى محطة وسيطة رئيسية ومركز استيعاب ضخم للاجئين. وزودت اللجنة الوطنية الأشخاص بالمساعدات المؤقتة والطعام المجاني من احتياطيات المدينة المخصصة لمواجهة حالات الطوارئ[494]. أشاع الهجوم الذي شنته الهاغاناه في 25|26 أبريل - والذي سقطت خلاله قذائف الهاون بكثافة في مركز المدينة - حالة من الاهتياج بين السكان على الرغم من أنه أسفر فقط عن جرح شخصين وإيقاع الخسائر بأربعة منازل (وفر المساجين «فيما عدا المجانين»)[495]؛ وفي السادس والعشرين من أبريل كتب أحد السكان:

> *غادر أغلب السكان أو كانوا على وشك المغادرة. ربما نتوجه إلى بيروت. جرت الاستعدادات للرحيل في صفوف كل الطبقات: الأغنياء، الطبقة المتوسطة والفقيرة - الجميع يستعدون للرحيل ويبيعون كل ما يمكنهم بيعه. ففي*

أعقاب إجلاء حيفا، الحواسة، وبلد الشيخ... ارتفع سكان عكا إلى 50 ألف نسمة وسادت المدينة درجة عالية من التوتر[496].

رصدت استخبارات الهاغاناه الأوضاع المزرية في المدينة؛ حيث كان اللاجئون ينامون في المساجد و«الشوارع والمقاهي»[497]. وكان الموقف مضطربا: هرب الأغنياء، انهارت الحكومة المحلية، وسيطرت على المدينة مليشيات متنافسة (برئاسة خليل كلاس، محمود الصفوري، موسى النجمي، أحمد الطوبي)[498]. وفي هذا الصدد كتب كارميل قائلا: «انتشرت البطالة وعم الخوف والقذارة والجوع»[499]. وكان من شأن إرسال جيش الإنقاذ تعزيزات للمدينة في نهاية شهر أبريل أن يزيد من توتر السكان الذين رأوا في ذلك مؤشرا على معركة وشيكة[500].

دفع سقوط حيفا وما تبعه من آثار البريطانيين إلى السعي لتجنب سقوط عكا قبل موعد انسحاب قواتهم. تدخل البريطانيون بشكل متكرر في نهاية شهر أبريل لمواجهة الهجمات اليهودية على المدينة. وعلى الرغم من ذلك استمرت عملية النزوح الجماعي إلى لبنان. وخلال الأيام الأولى من شهر مايو انسحبت القوات البريطانية من المعسكرات حول المدينة كجزء من عملية الانسحاب إلى منطقة حيفا، مما أدى إلى تصاعد معدلات البطالة الذي زاد بدوره من إضعاف الروح المعنوية في المدينة[501].

كان بدء ظهور مرض التيفوئيد (الذي جاء ربما نتيجةً مباشرة أو غير مباشرة لعمليات الهاغاناه والتي أجبرت السكان على حفر آبار مياه غير صحية)[502] من بين العوامل التي ساعدت في الإسراع من عملية الفرار. وقد توقع المراقبون البريطانيون، في نهاية شهر أبريل، انتشار المرض في المدينة ذات الكثافة السكانية العالية[503]. وعبر كانينغهام عن خشيته من «ظهور عدد كبير جدا من حالات الإصابة» بالتيفوئيد، وفي واقع الأمر تدهورت الأوضاع في المدينة في بداية شهر مايو إلى الحد الذي رغب معه العديد من اللاجئين في العودة إلى حيفا، وقد منعتهم من القيام بذلك «حملة ضخمة من الدعاية المناهضة للعودة»، وفقا لما أورده البريطانيون. وفي الوقت ذاته، رأى كل من كانينغهام والهاغاناه والسلطات المدنية في حيفا مثل هذه العودة أمرا «لا يُنصح به» على وجه التحديد خوفا من انتشار الوباء[504]. بيد أنه سرعان ما تم احتواء المرض. وقدر جهاز استخبارات الهاغاناه أن

رئيس جهاز اســتخبارات الهاغاناه في الشمال، بأن يُطرد اللاجئون الذين مثلوا ما يقرب من ثلثي ســكان المدينة[522]. ومن جانبه ســجل الضابط غيورا ملاحظات حول عمل وحدته - الذي تضمن تفتيش المقاتلين، وتسليم الرخص من بين أشياء أخرى - قائلا: «لا أعلم ماذا كانت عليه السياســة أو ما إذا كانت أُقرت سياســة تتصل بكيفية معاملة الســكان المحليين». وخلال هذه الأثناء كان يرفض طلبات قدمها لاجئون من حيفا للعودة إلى ديارهم[523].

خلال الأســابيع التي تلت الاستيلاء على المدينة، وصف ممثل للصليب الأحمر عــرب عكا كمن يعيــش «تحت نظــام رعب»، في ظــل حياة اقتصاديــة مصابة بالشــلل[524]. ومن جانبه وصف ضابط بجهاز اســتخبارات الهاغاناه المدينة بأنها «تقريبــا ميتة»[525]. في حين قالت صحيفة الحزب الشــيوعي الإسرائيلي (الاتحاد) بأن سكان عكا يعيشون في «قفص»، ويجري استغلالهم من قبل الأعيان المتعاونين مع السلطات[526].

امتــدت خطوط المواجهة خلال الهدنــة الأولى (11 يونيو) بين الهاغاناه وقوات الدفــاع الإسرائيليــة وجيش الإنقاذ على طول 7 - 10 كيلومترات إلى الشرق من عكا. ومــع اقتراب الهدنة من نهايتهــا لاحت في الأفق نذر المواجهــات، مما دفع بقيادة الجهة الشــمالية في قوات الدفــاع الإسرائيلية إلى التفكير في طرد ســكان عكا، إما إلى يافــا وإما إلى مــا وراء الحدود؛ حيث لم ترغب قوات الدفاع في وجود تمركز كبير للســكان المدنيين العرب مباشرة خلف خطوطها، كما أنها افتقرت إلى القوة البشرية لمراقبة هؤلاء الســكان. وقد ســأل الجيش وزارة الخارجية عــن رأيها، ونقل ياكوف شــيموني (القائم بأعمال مدير إدارة الشرق الأوسط) الأمر إلى شيرتوك. ووفقا للأول فإنه «لم يكن لدى شيرتوك أي اعتراض من حيث المبدأ على نقل السكان العرب من عكا إلى أي مكان آخر (يافا) لتخليص جنودنا من العبء...». ولكن السؤال الرئيسي تمثل فيمن ســيعتني بهم؟ اتصل شيموني بـ شــتريت في هذا الخصوص[527]. واستاء الأخير؛ حيث كانت تلك هي المرة الأولى التي يســمع فيها عن عملية طرد محتملة لسكان عكا - فبعد كل شيء، فهم كانوا ضمن دائرته. وفي واقع الأمر كان هناك أمر قائم من رئاســة أركان قوات الدفاع الإسرائيلية في هذا الخصوص (بتاريخ الســادس من يونيو - انظر ما يلي)، كما أخبر شيموني، بأن:

لـن تُقتلع جذور أي تجمعات سـكانية ... من دون أمـر كتابي من وزير الدفـاع... وما لم يصـدر وزير الدفاع أمـرا مكتوبا، فإنه يتعين على سـلطات الجيـش المحلية عدم إجلاء سـكان مدينة كاملة بما يحملـه ذلك من معاناة وتشتيت للنساء والأطفال وكبار السن.

وأوضح شـتريت أنه لا يمكن طرد السـكان. كما أنه لا يمكن أن تصبح يافا أرضا يُلقـى فيها بالمنقولين. فضلا عن أن وزارته لا يمكنها أن تتحمل أعباءهم المعيشـية. وأخيرا فإن هناك احتياجا إلى منازل يافا الخالية لإيواء اليهود[528].

لم يقتصر شـتريت على تقديم الحجج، بل سعى وحصل على مساندة قوية مـن وزير المالية كابلان؛ حيث وصف الأخير مقـترح الطرد بأنه «غريب»[529]. وتمسـك شـتريت بموقفه متحديـا بن غوريـون أن يصدر قـرارا صريحا بنقل السكان. وبالفعل تراجع بن غوريون عن الفكرة. ومن الجدير بالذكر أنه طوال عـام 1948 تجنب بن غوريون عـلى الدوام أن يصدر شـخصيا أوامر صريحة بالطرد أو النقل.

الريف

خـلال عملية النزوح الجماعي من الريـف زار ويتز المنطقة المحيطة بكيبوتس مشـمار هعيمك؛ حيث وجـد القرى العربيـة في حالة «خراب. لم يتبـق بها أحد، المنـازل والأكواخ مدمرة تماما... ومن بـين الحطام تعالت صيحات الدجاج المهجور، كـما يتخبط حمار بائس ووحيد في طرق القرية»، وهو ما دفعه إلى التسـاؤل: لماذا رحل العرب؟

بعيدا عن التحليل النفسي للخوف... هُجرت القرى، الواحدة تلو الأخرى، في حالـة ذعر لا يمكن وصفه... فقرى السـهل السـاحلي كانت تُفرغ بشـكل مطرد. وبين تل أبيب وحديرا لا يمكن للفرد أن يجد اليوم عربيا واحدا، وخلال الأيام الماضية غادر عديدون القرى الكبري حول تل أبيب.

وذهـب ويتز إلى أن ذلـك كان للأفضل، «فمجرد وجود كثـير من اللاجئين بين العرب يضعف من موقفهم ويجعل من نصرنا أكثر قربا»[530].

كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى المدن، فإن إجلاء القرى في الفترة أبريل - مايو أعقب الهجمات اليهودية بشكل مباشر – وكان بسببها بدرجة كبيرة. عادة ما أعقب النزوح الجماعي تتابع الهجمات اليهودية في كل منطقة، غير أن الضغط العسكري العربي - في المناطق الرئيسية - هو ما دفع الهاغاناه إلى شن مثل تلك الهجمات بشكل سابق لأوانه، والتي اعتُبرت - بأثر رجعي - بدايات لتنفيذ الخطة دالت، والتي تضمنت للمرة الأولى الاستيلاء والاحتلال الدائم لمساحات من الأرض وطرد مجموعات من المجتمعات العربية.

عملية نحشون

خلال الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 قامت عناصر غير نظامية ومليشيات في القرى التي تهيمن على النصف الشرقي من طريق تل أبيب - القدس (بما في ذلك دير محسين، بيت محسير، صوبا، القسطل، قالونيا) بشكل متقطع بمهاجمة وسائل النقل اليهودية المتوجهة من وإلى القدس. وبنهاية شهر مارس كانت القدس اليهودية – على الرغم من التدخل البريطاني المرحلي - تحت الحصار، وكان سكانها البالغ عددهم 100 ألف نسمة يضغطون بشدة للحصول على الطعام والوقود والذخيرة.

في ليلة 31 مارس - 1 أبريل قرر بن غوريون ورئاسة أركان الهاغاناه أن تكون الأولوية الأولى للهاجاناه تخفيف الضغط عن القدس، ومن جانبهم ناشد ممثلون عن يهود القدس الوكالة اليهودية القيام بـ «عمل فعلي». «إن الجماعة جائعة بالفعل وإذا، لا قدر الله، انكسرت معنوياتها فسيكون هناك خطر لانهيار شامل في خط قتال الهاغاناه الأول»[531]. عُبئت قوة قوامها 1500 جندي، بناء على تعليمات بن غوريون، لشن أضخم هجوم يهودي حتى ذلك التاريخ، بهدف دفع العديد من القوافل إلى القدس. ومن الناحية الإستراتيجية - كما ذكر ضابط رفيع المستوى في الهاغاناه لاحقا - مثلت نحشون مرحلة انتقالية بين المنهج الدفاعي المُسيس الذي اتُّبع سابقا والمتصل بتأمين القوافل اليهودية من خلال تزويدها بحراسة، والمنهج العسكري القائم على حماية القوافل من خلال الاستيلاء والتحكم في الطرق ذاتها والمرتفعات التي تهيمن عليها[532]. وخلال العملية - التي استمرت أسبوعين - تلمست الهاغاناه طريقها نحو إستراتيجية جديدة.

عُين شمعون أفيدان (قائد لواء غيفعاتي) قائدا لعملية نحشون. وقد اتسمت أوامــره الميدانية الأولى بقــدر كبير من التردد. ففي أول تلــك الأوامر (2 أبريل) تحــدث فقط عن نصــب «كمائن» بالقرب مــن القرى العربية التي تُســتخدم كقواعــد بغية منع العنــاصر غير النظامية مــن الوصول إلى القوافــل اليهودية ومهاجمتهــا[533]. وكان الأمر التنفيذي الحقيقي الصــادر في 3 أو 4 أبريل بدوره ملتبســا فيما يتصل بالأهداف. فقد نصت مقدمتــه على أن «يجري التعامل مع جميــع القرى العربية الواقعة عــلى طول المحور (خُلــدة - القدس) كجماعات عدائية أو كقواعد هجومية» (حددت الخطة دالت أنه إذا ما أبدت القرى المشار إليهــا مقاومة، يتعين تدميرها وطرد ســكانها). وخلال الفــترة الأولى من عملية نحشون دعت الأوامر إلى الاستيلاء على ثلاث قرى عربية تقع على المدخل الغربي للممر المؤدي إلى القدس - دير محسين، خلدة، صيدون. أما فيما يتصل بالمناطق الأخــرى، فقد تحدث الأمر فقط عــن إقامة كمائن أو مواقــع فوق قمم التلال بالقــرب من القرى (مثل السريس وبيت ثول) لمنع عناصر المليشــيات فيها من الوصول إلى الطريق أو القواعد التي أجلاها الجيش البريطاني في وادي سرار[534]. عكس الأمر بشكل كبير الغموض الذي ساد القيادة العليا فترة قصيرة فيما يتصل بكيفية التعامل مع القرى العربية. وفي الثاني من أبريل تحدث غاليلي عن التحول مــن الدفاع المنتشر إلى الهجوم المركز، مع دخول الهاغاناه في «عمليات اســتيلاء واحتلال»[535]. غير أنه كتب بشــكل مختصر في الخامس من الشهر ذاته: «أُصدر قرار بالسيطرة على القرى من القدس إلى باب الواد إذا ما كان السكان هجروها، وإذا مــا كان من الممكن تفــادي الصدام مع الجيش البريطــاني»[536]. وفي اليوم السابق، خُوِّل يادين (قائد عمليات الهاغاناه) إصدار تعليمات إلى قوات نحشون لتحــاول «كلما كان ذلك ممكنا اتخاذ مواقع بالقرب من القرى وعدم الاســتيلاء عليها، وفي حال عدم توافر مثل هذه الإمكانية فعليها الاستيلاء على القرى»[537]. فقد كان يادين لايزال مضطربا أمام فكرة الاســتيلاء على قرى، وباستفســاره من قادته السياسيين، أجاب غاليلي:

1 - إذا مــا تطلب تأمين طريق القدس ســيطرة وحداتنا عــلى قرى تخلى عنها سكانها فإنه يلزم القيام بذلك.

2 - فيما يتصل بالقرى التي لم يهجرها سكانها، ويتطلب تأمين الطريق عزلها أو تطويقها وتخويفها من قبل وحداتنا، فإنه يلزم القيام بذلك.

وإذا تدخل الجيش البريطاني وأمر الهاغاناه بالجلاء عن القرى، فيتعين عليها اتباع تكتيكات لكسب الوقت - ولكن في نهاية المطاف يجب الاستجابة[538]. وقد عكست تلك المراوغة الخوف من التدخل البريطاني.

بدأت عملية نحشون عمليا باستيلاء الفرقة الرابعة من البالماخ - من دون مقاومة - على القسطل ليلة 2|3 أبريل. وقد كانت تلك القرية - التي تهيمن على الطريق إلى القدس - منخرطة في القتال على مدار أسابيع. ففي السادس عشر من شهر مارس أغارت عليها قوات البالماخ. وفي الأول من أبريل هاجمت عناصر المليشيا مواقع يهودية بالقرب من حي موتسا، مما دفع الهاغاناه إلى الرد بإطلاق نيرانها. أدى ذلك إلى هروب أغلب سكان القسطل خشية الانقضاض على القرية ليلا. ومن جانبها خشيت الهاغاناه أن تقدم العناصر غير النظامية على احتلال القرية، ومن ثم بادرت قوات البالماخ بدخولها في الساعات الأولى من صباح 3 أبريل[539]. كانت التعليمات الصادرة للقوات تفيد بأنه «إن لم تكن هناك مقاومة، فلا تفجروا منازل القرية». وكان ذلك متماشيا مع التوجيهات العامة في الخطة دالت التي قضت بعدم تدمير القرى التي لم تبد مقاومة. غير أن قائد القوات في الموقع ذهب ضد هذا الأمر قائلا إن ترك المنازل سليمة من شأنه «أن يجعل من الدفاع عن المدينة أمرا صعبا»[540]. ومع ذلك فإن الحصول على تعليمات تسمح بمحو القرية لم يكن أمرا مسلما به، مما حدا بالقائد المحلي لقوات البالماخ يوري بن أري، على توصيف عدم تدمير القرية على أنه «خطأ فادح»[541]. وبالفعل في الثامن من أبريل أعادت العناصر العربية غير النظامية الاستيلاء على الموقع بعد شنها هجمات متكررة؛ وكان من بين العرب الذين قتلوا في المعارك عبد القادر الحسيني، القائد الفلسطيني لحي القدس، حيث أُطلقت النار عليه وهو يسير في اتجاه منزل تسيطر عليه البالماخ خلال فترة هدوء القتال[542]. في التاسع من أبريل، وبعد سقوط القرية مرة أخرى في أيدي البالماخ إثر هجوم جديد صُحح «الخطأ» (المتمثل في عدم تدمير القسطل بعد السيطرة الأولى عليها)، حيث بدأت عملية «تدمير جميع المنازل التي لا حاجة إليها في الدفاع عن المدينة»، وفقا لما قاله قائد القوات[543].

تحققت الاستفادة من درس قسطل في مواقع أخرى. ففي الحادي عشر من أبريل استولت وحدات البالماخ على قالونيا المجاورة، التي هرب سكانها في الثاني من أبريل، وكانت تحت سيطرة قوات أجنبية. تضمنت التعليمات الصادرة للمهاجمين قتل كل من يجدونه وتدمير القرية. وربما يكون بعض العرب قد لقوا حتفهم خلال الهجوم؛ والبعض الآخر الذين وُجدوا في الموقع - يبدو أنهم شملوا مصريين، وعراقيا، وبريطانيا (عرفته البالماخ باسم تيلور؟) قُبض عليهم وأُعدموا. قضت وحدات الهاغاناه طوال اليوم واليوم التالي في تدمير القرية. وشمل ذلك 55 منزلا «مما ترك أثرا كبيرا في المنطقة...»[544]. وذكر صحافي غربي صاحب القوات:

> *عندما غادرتُ كان خبراء المتفجرات يفجرون المنازل. انفجرت المباني المصنوعة من الأحجار الصلبة الواحد تلو الآخر. وعلى مقربة من القدس مازلت أسمع أصوات الانفجارات تتردد في المرتفعات؛ وفي مكان ما موحش وبعيد مازال يتعالى عواء خافت من كلب القرية*[545].

مع البداية الرسمية لعملية نحشون، في السادس من أبريل، سقطت كل من خُلدة ودير محيسن في أيدي قوات الهاغاناه. وبعد معارك القسطل تلاشى التردد فيما يتصل بمصير القرى ليحل محله تصميم واضح ومحدد، وتغير مناسب في المصطلحات المستخدمة. ففي العاشر من الشهر دعت التعليمات الصادرة عن الهاغاناه إلى «تصفية» القرى[546]. ومع حلول الرابع عشر من الشهر أمر مركز قيادة عملية نحشون - في إطار «عمليات التطهير» - بشكل عام «باستمرار أنشطة التخويف والتطهير كمرحلة أولى في عمليات تهدف إلى تدمير قوات العدو والاستيلاء على قواعده [القرى]». وقد حدد الأمر تدمير قواعد العدو في: القباب، عاقر، بدو، بيت سوريك، بيت إكسا، بيت محسير، صوبا، والرملة[547]. في الخامس عشر من شهر أبريل أصدر مركز قيادة نحشون سلسلة من الأوامر المحددة: أمر للفرقة الثانية بمهاجمة قرية بيت سوريك «بغرض المحو والتدمير والإحراق للمباني»[548]، أمر للفرقة الأولى «بمهاجمة قرية بيت جيز» بغرض المحو والتدمير والاحتلال المؤقت، وتدمير «7 منازل على الأقل في القباب»[549]. أمر للفرقة الثالثة بمحو وتدمير قرية سجد[550]. في السادس عشر من شهر أبريل استولت قوات نحشون على قرية السريس ودمرتها

«بما في ذلك المسجد والمدرسة»، قبل أن تنسحب منها[551]. وانتهت العملية بشن غارات على بدّو وبيت سوريك في 19 - 20 أبريل وتسوية خلدة العربية بالأرض في العشرين من الشهر.

مثلت عملية نحشون حدا فاصلا من الناحية الإستراتيجية، وتميزت بتوافر النية وبذل الجهد لتطهير منطقة كاملة بشكل دائم من القرى المعادية، أو التي يمكن أن تكون كذلك. فتدمير قرى الممر للقدس كان يرمز ويجسد نهاية عملية التحول في إستراتيجية الهاغاناه، وعكس ذلك التغييرُ الأوامرَ المتوالية الخاصة بالتعامل مع قرية القسطل: فالأمر الصادر من لواء أتزيوني في 2 أبريل بعدم تدمير القرية إذا لم تكن هناك مقاومة سرعان ما حلت محله أوامر أخرى في الفترة من 8 إلى 10 بتسوية القرية بالأرض (كذلك الحال بالنسبة إلى قالونيا المجاورة). ومن الناحية العملية فإن ما تضمنته الخطة دالت من النص على ترك القرى التي لا تبدي مقاومة استُبدل به قرارٌ تدمير قرى في المناطق ذات الأهمية الإستراتيجية، أو التي تمتد على الطرق الحيوية بغض النظر عما إذا كانت مقاومة أم لا. وقد قدمت حالة القسطل دليلا قويا ومكلفا على ضرورة استخدام الأسلوب الأكثر قسوة؛ فالقرى التي تُترك في حالة سليمة يمكن أن تتحول سريعا لتصبح قواعد عربية. منذ البداية - نتيجة إدراكهم إمكان التدخل البريطاني - فكر مخططو عملية نحشون في تأمين الطريق من خلال احتلال مواقع على التلال المطلة عليها وفي القرى المهجورة، فضلا عن نصب أكمنة بالقرب من القرى التي يمكن أن تنطلق منها المليشيات المسلحة. بيد أنه خلال عملية التنفيذ غيرت رئاسة أركان الهاغاناه والمركز الرئيسي لعملية نحشون تلك الإستراتيجية من خلال إصدار أوامر باحتلال أو تدمير قرى مثلت، أو يمكن أن تمثل خطرا على قوافل النقل. ومنذ 9 - 10 أبريل فصاعدا كان التركيز في أوامر مركز قيادة العملية على تسوية القرى بالأرض، وهو ما تضمن بطبيعة الحال إجلاء أو طرد قاطنيها، كما أنه شكل ضمانة على ألا يبقى للسكان أو للعناصر النظامية مكان يمكنهم الرجوع إليه.

كان للتغير الاستراتيجي خلال عملية نحشون مغزى أوسع. فإذا كان اليشوف في بداية الحرب قبل (على مضض) بالإقرار بدولة يهودية ذات أقلية عربية ضخمة ولكن مسالمة، فقد تغير تفكير الهاغاناه بحلول أبريل بشكل جذري: إن الضريبة

الفادحة من أرواح اليهود والأمن خلال معركة الطرق والمشهد الأليم لغزو عربي محتمل كلها عوامل وضعت اليشوف في موقف لا يتوافر فيه سوى هامش ضئيل للأمن. لم يكن باستطاعة اليشوف تحمل الإبقاء على جيوب من العرب الناشطين الذين يمكن تحولهم إلى أعداء وراء خطوطه، وكان ذلك بالتأكيد صحيحا بالنسبة الى الطرق والمناطق الحيوية مثل ممر القدس. وعلى الرغم من أن توجيهات شاملة تتضمن الطرد لم تصدر على الإطلاق، وأنه لم تصل قادة القوات على الجبهة أوامر سريعة وقاسية بطرد «العرب» أو «تسوية القرى بالأرض»، فإن المنتج الديموغرافي للخطة دالت كان مقبولا من أغلبية قادة الهاغاناه في تلك الفترة الحاسمة التي واجه فيها اليشوف معركة حياة أو موت، مما تطلب البعد عن الأساليب الرقيقة في التعامل، وهو ما حدث بالفعل. وقد تُرجمت عملية التغيير تلك في أوامر نحشون، والتي انتقلت من التردد (3 - 6 أبريل) إلى تسوية القرى بالأرض والتصميم على الطرد (8 - 15 أبريل).

نجحت عملية نحشون بشكل جزئي؛ حيث إنها استطاعت، فترة قصيرة، فتح طريق تل أبيب - القدس، مما مكن الهاغاناه من الدفع بثلاث قوافل إمداد ضخمة من خلاله إلى المدينة المحاصرة. غير أن المرتفعات وبعض القرى سرعان ما عادت إلى سيطرة العناصر غير النظامية، وأُغلق الباب إلى القدس مجددا، الأمر الذي أدى إلى القيام بعمليات أخرى، تبعت نحشون، في النصف الثاني من شهر أبريل وخلال شهر مايو تحت مسميات هاريل، يبفوسي، ماكابي، هدفت جميعا إلى إعادة تأمين وتوسيع نطاق القبضة اليهودية على الممر وانتزاع مناطق في القدس والمناطق المحيطة بها من أيدي العرب. تلقت الوحدات المشاركة في تلك العمليات أوامر باحتلال وتدمير مجموعة من الضواحي والقرى شمال وغرب مركز المدينة، بما في ذلك شعفاط، الشيخ جراح، النبي صموئيل، بيت إكسا، وبيت حنينا، وبيت محسير. كما تضمن أمر العمليات الصادر من رئاسة أركان الهاغاناه لعملية يبفوسي - المرحلة (أ): «الاستيلاء على وتدمير» الشيخ جراح وشعفاط الضاحيتين في شمال القدس وقرية تابعة لهما في الشمال[552]. جرى توسيع نطاق العمل لدى صدور أوامر لواء حاريل لكتائبه متضمنة الاستيلاء على قرية النبي صموئيل الواقعة على قمة التل، وتدمير شعفاط وبيت إكسا – وتقع جميعها في شمال وشمال غرب

القدس - وأيضا إمكانية تدمير قرية بيت حنينا المجاورة[553]. قامت وحدات البالماخ في 22 من أبريل بمهاجمة واحتلال شعفاط وبيت إكسا ودمرتهما جزئيا [554]. وفي 24 من الشهر هاجمت ودمرت جزئيا الشيخ جراح[555].

مـن المثير للسـخرية أن العملية التي كان لها الأثـر الأكبر من أي حدث منفرد خلال الحرب في الإسراع من نزوح الفلسطينيين لم تكن عملية الهاغاناه، نحشون، وما تبعها من عمليات، بل عملية صغيرة قادتها عناصر الإرجون والهسـتدروت، بموافقة عـلى مضض من الهاغاناه[556]. ففي التاسـع من أبريل عمد 80 من عناصر الإرغون و40 من الهسـتدروت، بمسـاندة من قاذفي القنابل التابعـين للهاغاناه من غيفات شاوول المجاورة وفرقتين مدرعتين تابعتين للبالماخ[557]، إلى مهاجمة دير ياسين، والتي وقعت - كما سـبق أن رأينا - اتفاق عدم اعتداء متبادل مع جيرانها اليهود، ومنعت بشكل متكرر دخول العناصر غير النظامية إليها. لم تكن العملية في تناغم وثيق مع هدف عملية نحشون المتمثل في تأمين المداخل الغربية للقدس.

واجـه المهاجمون مقاومـة قوية غير متوقعـة، وفي ضوء افتقارهم نسـبيا إلى الخـبرة وقع بين صفوفهم أربعة قتلى وعدة عشرات مـن الجرحى قبل أن يتمكنوا مـن إخضـاع القرية بعد يوم كامل من القتال. ولقـد انتقلت القوات من منزل إلى منـزل ملقيةً قنابل يدوية وفاتحةً قاذفات اللهب داخلها، كإجراء روتيني في معارك المنازل[558]. وفجرت العديد منها باستخدام المتفجرات[559]. فضلا عن إطلاق القوات النار عـلى أفراد وعائلات بمجرد تركهم منازلهم وهروبهم إلى الأزقة[560]. كما عمدوا كذلك إلى تجميع القرويين - بمن في ذلك عناصر من المليشـيا ومدنيون غير مسلحين من الجنسـين- وقتلوهم، وأعدموا سـجناء في السـجن المجاور. وفي الثاني عشر من أبريل نقل إسحاق ليفي، قائد جهاز استخبارات الهاغاناه في القدس، ما يلي:

> *نُفذت عملية الاسـتيلاء على القرية بوحشـية كبيرة؛ حيث قُتلت عائلات كاملة (نسـاء، كبار في السـن وأطفال)... ونُقل بعض السـجناء - بمن في ذلك النساء والأطفال - إلى أماكن اعتقال حيث قتلهم معتقلوهم*[561].

وأضاف ليفي في اليوم التالي: «أشـار عناصر الهسـتدروت إلى السلوك الهمجي الذي اتبعه عناصر الإرغون مع السجناء والموتى. كما ذكروا أن رجال الإرغون اغتصبوا

عـددا من بنات القرية وقتلوهن بعد ذلك (لا نعلم إذا ما كان ذلك صحيحا)»[562]، أما فيما يتعلق بمردخاي غيشـون، منسق جهاز استخبارات الهاغاناه في الموقع، فقد ذكر في تقرير له في العاشر من أبريل:

> *يقـول قائدهم [عناصر الإرغون] إن الأمـر [الأولي] تمثل في: القبض على الذكور البالغين وإرسـال النسـاء والأطفال إلى موتسا. وفي فترة ما بعد الظهيرة [يـوم 9 أبريـل] تغير الأمر ليصبح قتل كل السـجناء... فجـرى اقتياد الذكور البالغين في شـاحنات في عرض بشـوارع المدينة، وبعد العـودة قُتلوا برصاص الأسـلحة الآلية، وقبل وضعهم في الحافلات [المقصود السكان الآخرون]، أخذ رجال الإرغون والهسـتدروت حليهم وسرقوا أموالهم. كان السـلوك تجاههم همجيا بشـكل خاص وشـمل الركل، الضرب بأعقاب البنادق، البصق، والسب (وشارك بعض سكان غيفات شاؤول في التعذيب).*

أضاف غيشـون أن «ابن المختار (الذي كان مصدر معلومات مستمرا للهاغاناه) أُعدم [أمام والدته وأخواته] في أعقاب القبض عليه»[563]. ومن جانبه نقل مير بائيل، ضابط اسـتخبارات في البالماخ والذي قال إنه قضى جزءا من فترة ما بعد ظهيرة يوم 9 أبريل في دير ياسين ضيفا على الهستدروت، في اليوم التالي ما يلي:

> *خلال المطاردة بالقرب من غيفات شاؤول، شاهدت خمسة من العرب سبق المرور بهم في استعراض في شوارع المدينة، ثم قتلهم وتكديسهم الواحد فوق الآخر... رأيت بعيني العديد من العائلات التي قُتلت بنسائها وأطفالها وشـيوخها، وكانت جثثهم ملقاة الواحدة فوق الأخرى... وكان المشاكسون يجولون بالمدينة ينهبون ويسرقون كل شيء: الدجاج، أجهزة المذياع، السكر، النقود، الذهب وغير ذلك... كل شـخص يسـير في المدينـة ملطخا بالدماء ويتفاخر بعدد الأشـخاص الذين قتلهم. كان واضحـا افتقارهم إلى التعليم والـذكاء بالمقارنة بجنودنـا [الهاغاناه]... وفي أحد المنازل في وسـط القرية تجمـع ما يقرب مـن 200 امرأة وصغار الأطفال، وكانت النسـاء صامتات لا ينطقـن بكلمـة. وعندما وصلت أوضح لي «القائـد» أنهم ينوون قتلهم جميعا. ولكني في المسـاء سـمعت أن النسـاء والأطفال نُقلوا إلى مصرارة وأُطلق سراحهم هناك [564].*

أمـا العديد من السـكان الذين اختبأوا أو تظاهروا بأنهـم من بين القتلى فقد قتلهم عناصر الهستدروت في العاشر أو الحادي عشر من أبريل[565].

إجمالا قضى ما بين 100 و120 شـخصا نحبهم في ذلك اليوم[566]. عمدت قوات الإرغون والهسـتدروت بعد ذلك إلى نقل ما تبقى من القرويين في حافلات اخترقت غربي القدس في استعراض للنصر، وألقت بهم بعد ذلك في حي مصرارة خارج أسوار المدينة القديمة[567]. وبالتمحيـص في الدلائل وقوتها فإن الأمر يدفع إلى الاعتقاد أن المنشقين لم يدخلوا القرية بنية ارتكاب مذبحة، ولكنهم فقدوا صوابهم خلال المعركة الطويلة التي دارت. وفي المقابل تمثلت نية الإرغون منذ البداية في طرد السكان.

أدان التيار السـائد داخل السلطات اليهودية المذبحة، بما في ذلك الهاغاناه [568] ومؤسسـة الحاخامية الكبرى[569]، والوكالة اليهودية؛ كما أرسلت الأخيرة أيضا رسالة إدانة واعتذار وتعاز للملك عبدالله[570].

بلغت أخبار ما حدث على الفور إلى سـلطات الانتداب والدول العربية والغرب مـن خلال الذين بقوا عـلى قيد الحياة ووصلوا إلى شرق القـدس، وأيضا عن طريق مسـؤولين صهاينة وتابعين للصليب الأحمر. وعلى مدار الأيام والأسابيع التالية بثت وسائل الإعلام العربية قصة الرعب والوحشية كوسيلة لكسب الرأي العام والحكومات في مواجهة اليشوف[571]. وقد كتب كانينغهام «أن المرارة الناجمة عن المذبحة ولدت مناخـا جعل العرب المحليين غير ميالين للمطالبة بوقف القتال». كذلك فإن المذبحة وطريقة عرضها في وسائل الإعلام العربية عززتا من الضغوط على قادة الدول العربية لمسـاعدة الفلسـطينيين الذين يعدون للمعركة، كما أنها قوّت من عزمهم على غزو فلسـطين. فقد سادت بعد نشر الأخبار حالة من السخط الشعبي لم يكن في مقدور القـادة تجاهلها. ومع ذلك فإن الأثر الأكثر مباشرة للمذبحة والحملة الإعلامية حول الفظائع التي شهدتها تمثل في زيادة مستوى الرعب والإسراع في الهروب المذعور من القرى والمدن الفلسطينية[572]. وفي محاولاتها اللاحقة لتبرير أعمال منتسبيها، تعلقت الإرجون بتلك النتيجة الثانوية لدير ياسين، والتي عززت من:

> *الرعب والفزع بين العـرب في كل القرى المحيطة؛ ففي المالحة، وقالونيا، وبيت إكسـا، بدأت عملية هروب مذعور مما سـهل من استئناف الاتصالات الأرضية... بين العاصمة [القدس] وباقي أجزاء البلاد* [573].

في الرابع عشر من شهر أبريل كررت إذاعة الإرغون مثل هذه الرسالة: «تم الإجلاء عن القرى المحيطة بسبب ما حدث في دير ياسين»، وتفاخرت المنظمة قائلة: «لقد تمكنا بضربة واحدة من تغيير الوضع الإستراتيجي لعاصمتنا»[574]. وبعد مرور أشهر قليلة أعلنت الهستدروت: «الجميع يعلم أن دير ياسين هي التي زرعت الرعب في قلوب الجماهير العربية مما أدى إلى فرارهم الجماعي...»[575]. أما بيغن، الذي أنكر أن يكون المدنيون قد تعرضوا لمذبحة، فقد ذكر لاحقا أن حملة الدعاية العربية بثت الخوف بين العرب، وأن «الأسطورة كانت أكثر فائدة من نصف دستة فرق للقوات الإسرائيلية... فالذعر الذي سيطر على عرب أرض إسرائيل... ساعدنا وبصفة خاصة... في طبريا وفي الاستيلاء على حيفا»[576].

ربما كانت لدى قادة الإرغون مصلحة، آنذاك وفيما بعد، في تضخيم أثر ما حدث في دير ياسين لخلق حالة من الذعر، ومع ذلك فإنهم بالتأكيد لم يكونوا بعيدين عن الصواب. فمن المؤكد أنه في منطقة ممر القدس كان الأثر فوريا وعميقا، وقد نقل جهاز استخبارات الهاغاناه في الرابع عشر من شهر أبريل أن المنطقة تموج بالحديث عن «الاستيلاء على المدينة القديمة»، وأن الفظائع قد ضُخمت وبولغ فيها في الروايات التي تناقلها العرب[577]. وبشكل أكثر تحديدا نقل الجهاز أن ظاهرة «الخوف من دير ياسين» حطت على قرية الفُريديس التي طلبت من اللجنة الوطنية في حيفا تزويدها بالسلاح[578]. وفي بيت إكسا أحدثت أخبار دير ياسين حالة من الهلع وأطلقت إشارة البدء في عملية الإجلاء[579]. وحدث الشيء نفسه في المالحة[580]. وسارع القرويون في فجّة (بالقرب من بتاح تيكفا) والمنصورة (بالقرب من الرملة) بالاتصال بجيرانهم اليهود ووعدوهم بأن يلزموا الهدوء[581]. وفي ياجور (القريبة من حيفا) قرر السكان الجلاء، في حين طلب جيرانهم في بلد الشيخ والحواسة النصيحة من القيادة في حيفا[582]. أما في حيفا ذاتها فقد لاحظ بن غوريون أن الأخبار عن دير ياسين حثت المسلمين على القتال[583]. وفيما يتعلق بخربة عزون (في السهل الساحلي) أُجلي سكانها بسبب «عدم القدرة على ضمان أن ما حدث في دير ياسين لن يتكرر هنا»[584]. من جانبهم لاحظ البريطانيون أن الهاغاناه - سواء كانت متورطة في دير ياسين أم لا - «استفادت منها. فمستوى العنف الذي مُورس أثر في العرب في كل أرجاء البلاد إلى حد أن هجوم الهاغاناه على السريس لم تقابله

أي معارضة»[585]. وبشكل أكثر عمومية قدر قادة مابام خلال شهري مايو ويونيو أن دير ياسين كانت أحد حدثين رئيسيين ساهما في النزوح الجماعي لعرب فلسطين (أما الحدث الثاني فتمثل في سقوط حيفا العربية)[586]. وقد كان ذلك - بشكل أو بآخر - أيضا رأي الإدارة العربية في جهاز استخبارات الهاغاناه، التي حددت - في تقريرها الصادر في منتصف الحرب عن أسباب وطبيعة النزوح العربي- دير ياسين بوصفها عاملا «حاسما زاد من سرعة النزوح»، ونص التقرير على أن «دير ياسين... أثرت بشكل كبير في تفكير العرب»، خاصة في وسط وجنوب البلاد[587].

معركة مشمار هعيمك

بدأت معركة مشمار هعيمك بمبادرة من جيش الإنقاذ بقيادة القاوقجي. وقام اليهود بعملية دفاعية يائسة تحولت فيما بعد إلى هجوم مضاد شنته الهاغاناه بما يتماشى مع الخطوط العامة للخطة دالت. وتشير الأدلة المتاحة إلى أنه في هذا السياق، وللمرة الأولى، وافق بن غوريون بشكل صريح على طرد العرب من منطقة كاملة في فلسطين (على الرغم من أن الطرد - كما سنرى لاحقا - قد سبقته عملية هروب ضخمة نجمت عن القتال).

بدأت المعركة في الرابع من أبريل عندما قصف جيش الإنقاذ وحاول السيطرة على مشمار هعيمك، كيبوتس أقامه مابام على طريق جنين - حيفا، واعتبره قادة الهاغاناه الطريق الأكثر ترجيحا لشن هجوم عربي واسع على اليشوف في الخامس عشر من مايو أو بعد ذلك. وتمكن أعضاء الكيبوتس، الذين تلقوا تعزيزات من الهاغاناه من دحر الهجوم. كما نجح طابور من القوات البريطانية وصل آنذاك في وقف القصف الذي تلا ذلك وأسفر عن تدمير كبير في الكيبوتس. وقد نظر إلى هجوم جيش الإنقاذ، خاصة بعد فشله، بتوجس ونفور على الأقل من قبل بعض العرب المحليين. فقد كانوا - وفقا لضابط بريطاني - «يخشون جيش الإنقاذ ويفعلون ما يأمرهم به، في حين كان ضباطه يعاملون المحليين باحتقار»[588].

في السابع من أبريل وافق جيش الإنقاذ على وقف إطلاق النار لمدة 24 ساعة وطلب من الكيبوتس تسليم أسلحته والخضوع للإدارة العربية. وخلال فترة وقف إطلاق النار أجلى أعضاء الكيبوتس الأطفال[589]. وفي الوقت ذاته طلب القادة

العسكريون العرب - والوسيط البريطاني - أن يعد اليهود «بعدم شن أي أعمال انتقامية ضد القرى المحلية» أو المرور[590]. ورد الكيبوتس بأنه لن يهاجم القرى المجاورة غير أنه لا يمكنه أن يضمن تصرف الهاغاناه في الخارج. وفي كل الأحوال ذكر قادة الكيبوتس أنهم يريدون التشاور مع تل أبيب[591]. وبعد مرور عدة ساعات أضافوا: «لم يتفق رجال مشمار على شيء»[592].

في تلك الأثناء، في 8 و9 أبريل، وفي الوقت الذي بدأت فيه الهاغاناه الإعداد على عجل لشن هجوم مضاد، توجه وفد من قادة مشمار هعيمك للقاء بن غوريون، ووفقا للأخير:

> *لقد قالوا إنه من الحتمي طرد العرب [في المنطقة] وحرق قراهم. كان الأمر صعبا بالنسبة إليّ. لكنهم قالوا إنهم ليسوا متأكدين من أن الكيبوتس يمكنه أن يصمد إذا ما بقيت القرى سليمة، وإذا لم يُطرد سكانها العرب؛ حيث إنهم [القرويين] سيعمدون لاحقا إلى مهاجمتهم وإحراق الأمهات والأطفال.*

روى بن غوريون هذه القصة خلال شهر يوليو، في سياق الجدل مع مابام، الذي اتهمه بتنفيذ سياسة طرد. اتهم بن غوريون قادة المابام بالنفاق، موضحا أنهم أدركوا، أثناء مشكلة مشمار هعيمك، أن الأيديولوجية (على سبيل المثال الأخوة اليهودية - العربية) هي شيء، والضرورة الإستراتيجية شيء آخر. «لقد واجهوا الحقيقة القاسية... ورأوا أن هناك [فقط] طريقا واحدا، وهذا الطريق هو أن يُطرد القرويون العرب وتُحرق قراهم. ولقد قاموا بذلك. بل كانوا أول من يقوم به»[593].

في حقيقة الأمر بدأت رئاسة أركان الهاغاناه التفكير في تدمير القرى المحيطة بالكيبوتس بعد شن القاوقجي هجومه بفترة قصيرة؛ حيث أصدرت عمليات رئاسة الأركان تعليماتها إلى لواء غولاني: «يجب عليكم إخطار القرى التالية... بأنه لا يمكننا ضمان أمنهم وسلامتهم، وأن عليهم الإجلاء على الفور». ومن بين القرى الأربع التي سُميت: أبو شوشة (المجاورة لمشمار هعيمك) ودالية الروحاء وريحانية (تقع على بعد 4 - 5 كيلومترات إلى الغرب والشمال الغربي)[594].

قرر بن غوريون ورئاسة أركان الهاغاناه رفض مقترح جيش الإنقاذ، وشنّ هجوم مضاد شامل لدفع كل من جيش الإنقاذ والسكان العرب خارج المنطقة وتسوية

القـرى بالأرض، مما يزيل الخطر الجاثم على مشـمار هعيمك بشـكل دائم ويحرم أي قـوى غازيـة آتية من جنين من طريق مرور سـهل إلى حيفـا. وفي 8 - 9 أبريل أرسل إسحاق سديه (مؤسس البالماخ) لقيادة الوحدات المتناثرة التي حُشدت لشن الهجـوم المضاد. وخلال جلسـة التخطيط لذلك، والمنعقـدة في كيبوتس هازوريعا، تحدث الضباط على وجه الخصوص عن «تطهير أبوشوشة وأبو زريق المجاورة».

في بداية الهجوم المضاد استولت وحدات الهاغاناه ليلا على قرية ودمرتها جزئيا قبل أن تنسحب في الصباح (بسبب قذف مدفعية القاوقجي). غير أنه منذ منتصف يوم العاشر من أبريل اسـتولت الهاغاناه واحتفظت بشـكل دائم بقرى[595]. هرب الجزء الأكبر من السـكان العرب قبل أو أثنـاء الهجوم. ثم هُدمت القرى وطُرد من تبقى من سكانها باتجاه جنين.

خـلال المعركة - ونتيجـة لانخفاض الروح المعنوية من جـراء التقارير عن دير ياسـين، فضلا عن مقتل عبد القادر الحسـيني[596] - تقهقرت وحدات جيش الإنقاذ متخليـة عن القرويين[597]. وفي ليلـة 8 - 9 أبريل أغارت قوات الهاغاناه على الغبية التحتـا، الغبيـة الفوقا، وخربة بيـت راس، ودمرتها تماما في الأيـام التالية[598]. كما هاجمت وحدات الهاغاناه في التاسـع من أبريل أبو شوشة التي كان أغلب سكانها قـد هربوا بالفعل[599]. في حين طُرد من تبقى منهم. ومُحيت القرية جزئيا من على الأرض. في ليلة 11 - 12 أبريل اسـتولت وحدات البالماخ على الكفرين، التي كانت خالية من السكان، وأبو زريق، حيث أُسر ما يقرب من 15 من الذكور البالغين و200 من النسـاء والأطفال، كما تم احتلال أبو شوشة. وفي صباح ذلك اليوم فُجّر نحو 30 منزلا في الكفرين، وبعض منازل أبو زريق في المسـاء[600]. وطُرد نسـاء وأطفال قرية أبو زريق[601]. كما دُمر ما تبقى من منازلها في الخامس عشر من الشـهر[602]. أثناء ليلة 12 - 13 أبريل احتلت وحدات البالماخ غبية الفوقا وهاجمت المنسي والنغنغية (جنوب شرقي مشـمار هعيمك)[603]. أجلى العرب عن القريتـين في 15 أبريل[604]. ودُمرتا خلال الأيام التالية. ووفقا لسـجلات مشـمار هعيمك، بحلول 15 أبريل «تم إخلاء جميع القرى في المنطقة، تقريبا، بقدر ما تستطيع العين أن ترصد»[605]. ووصل أغلب اللاجئين إلى منطقة جنين وأقاموا في خيام مؤقتة[606]. وناشدوا اللجنة العربية العليا على النحو التالي:

> *الآلاف من النســاء والأطفال التعساء من قرى أبو زريق، المنسي، الغبية، الكفرين، وغيرها من الأماكن القريبة من مســتوطنة مشمار هعيمك، الذين دمر اليهود منازلهم، وقتلوا [اليهود] الرضع وكبار الســن منهم، يوجدون الآن في القرى المحيطة بجنين من دون مســاعدة ويموتون جوعا. نطالبكم بمعالجة الموقف... واتخاذ ما يلزم نحو سرعة إرســال قوات للانتقام من اليهود وإعادة أراضينا إلينا*[607].

على الرغم من انتهاء معركة مشمار هعيمك، جرت عمليات أخرى لاحقة. ففي ليلة 15 - 16 أبريل أغارت وحدات البالماخ على قرية اللجُّون الكبيرة، ودمرت أجزاء منها. ونقل مركز قيادة البالماخ في السادس عشر من أبريل: «أضحت المنطقة الواقعة بين قواعدنا [في راموت ميناش] وطريق وادي عارة خالية الآن من العرب»[608]. وفي 19 أبريــل أجرت وحدة تابعة للبالماخ تدريبا قتاليا في الكفرين، في أعقابه سُــويت القرية بالأرض[609].

خلقت معركة مشــمار هعيمك مرارة لدى بعض ســكان الكيبوتسات المحلية. ففــي الرابــع عشر من أبريل وجه إليعــازر بوير (بيري) الباحث في شــؤون الشرق الأوســط وعضو كيبوتس هازوريعا (التابع لحزب مابام) رسالة قاسية إلى القيادات العليا للجنة الدفاع في مابام تضمنت:

> *من المؤكد أننا منخرطون في حرب قاســية، ولا يمكن لنا التصرف بليونة. ولكن لاتزال هناك قواعد للحرب يحاول الشــعب المتحضر أن يتبعها... [ركز بوير على الأحداث التي شــهدتها أبو زريق قبل ذلك بيوم أو يومين]... عندما تم الاســتيلاء على القرية، حاول ســكانها الفرار وإنقــاذ حياتهم بالهروب إلى حقــول الوادي [مــرج ابن عامر]. فخرجت قوات من المســتوطنات المجاورة وحاصرتهــم. ووقع تبادل لإطلاق النار قُتل خلالــه العديد من أولئك العرب، في حين استســلم الآخرون أو قُبض عليهم وهم غير مســلحين. ومع ذلك قُتل أغلبهــم. لم يتعلــق الأمر بأفــراد عصابة كــما كُتب لاحقــا [في جريدة مابام اليومية] ولكــن بقرويين عزل متعَبين... كذلك داخل القرية عندما اكتُشــف ذكور بالغون مختبئين بعد مرور ساعات على انتهاء المعركة تم قتلهم... ونقل البعــض كذلك أنه كانت هناك حــالات اغتصاب، ولكنه من الممكن أن يكون*

ذلك فقط من قبيل القصص المختلقة عن «البطولة» التي ينزع الجنود إليها. بعد ذلك دُمرت كل منازل القرية فضلا عن بئر المياه... وأخذ الجنود ما يمكنهم من الممتلكات والحيوانات في المزارع التي لم يكن هناك من يحرسها: فأخذ أحدهم غلاية للقهوة، في حين استولى الآخر على حصان، والثالث على بقرة... يمكن للمرء أن يتفهم الأمر ويبرره إذا ما كانوا قد أخذوا الأبقار من القرية إلى مشمار هعيمك على سبيل المثال، أو إذا ما كان الجنود الذين استولوا على القرية سيقومون بذبح الدواجن وطهوها لطعامهم. ولكن إذا تحول الأمر إلى أن يقوم كل مزارع من موشاف(*) قريب [في تلميح إلى موشاف يوكنعام] بأخذ دوره في النهب، فإن هذا ليس إلا سرقة...

وناشد بوير قادة مابام الحرص على إصدار التعليمات للقوات بالالتزام باتفاقيات جنيف[610].

نُوقش خطاب بوير والأحداث التي وُصفت بصراحة في اللقاءات العامة لأعضاء مابام في هازوريعا في الفترة من 18 إلى 20 أبريل. وعارض أحد الأعضاء، يوسف شاتيل، أعمال السلب والنهب؛ وذهب آخر، آرزنون، إلى التعبير عن عدم سعادته برؤية ما حدث في أبو زريق، وقيرة وقامون المجاورتين؛ ومن جانبه أدان فريتزي المعاملة القاسية للمعتقلين في أبو زريق، غير أنه أضاف - خلال الاجتماع الثاني - أنه يجب على الأعضاء «الامتناع عن الجدل حول الترانسفير»[611].

على الرغم من أن العناصر غير النظامية قد حاربت بشجاعة هنا وهناك، وصف ويتز بدقة ما حدث حول مشمار هعيمك وما يحدث في كل أرجاء البلاد على النحو التالي:

يحتل جيشنا بثبات قرى عربية، يشعر سكانها بالخوف ويفرون كالجرذان. ليس لديك أدنى فكرة عما حدث في القرى العربية. كان يكفي إطلاق عدة قذائف في الليل فيلوذون بالفرار خوفا على حياتهم. تُفرغ القرى بشكل مطرد، وإذا ما استمررنا في هذا المسار - وسوف نعمد إلى ذلك مع تزايد قوتنا - ستخلو عشرات القرى من سكانها. هذه المرة سيشعر أولئك المعتدون بأنفسهم معنى أن يكونوا لاجئين. وربما يفهموننا[612].

(*) الموشاف Moshava هو شكل من أشكال المستوطنات اليهودية في القرى. [المترجم].

قــدّم الإرغون الفصــل الختامي للمعركة؛ فهاجمت وحداتــه (من زخرون ياكوف، حديــرا، بنيامينا، نتانيا) في الثاني عشر من شــهر مايو آخر القــرى العربية في مرتفعات ميناش (المطلة على مشــمار هعيمك من الغرب) وطهرتها. وهاجم المنشقون صبارين، السنديانة، البريكة، خبيزة، وأم الشوف. كان العديد من القرويين قد فروا خلال الأسابيع التي ســبقت ذلك[613]. تلقت صبارين أوامر من قــادة أم الفحم بالصمود[614]. غير أن أغلب القرويين الباقين فروا مع اقتراب القوات اليهودية وســقوط قذائف الهاون. فيما يخص الســنديانة، التي استمر سكانها حتى بداية شهر مايو 1948 يعملون في كيبوتس زخــرون ياكوف، ومُنعت العناصر غير النظامية الســورية من دخولهــا[615]، فقد بقي مختارها ومعه ما يقرب من ثلاثمائة من الســكان ورفعوا العلم الأبيض. وقد سبق ذلك بعدة أيام أن عرضوا على جيرانهم اليهود أن يقوموا معا بـ «تمثيل» وقوع هجوم يهودي عليهم مما يمكنهم من الاستســلام بشــكل مشرف[616]. وعلى الرغــم من كل ذلك فقد تم طردهم. وبالنســبة إلى صبارين - حيث لاقت قوات الإرغون مقاومة - فر الســكان بعد مقتل 20 خلال تبادل إطلاق النار؛ وفتحت ســيارات الإرغون المدرعة النيران على القرويين الفارين. وفضلا عن ذلك فإن ما يزيد مائة شــخص من النساء والأطفال وكبار الســن الذين بقوا بالقرية ظلوا عدة أيام حبيسي ســياج من الأســلاك الشائكة قبل أن يُطــردوا باتجاه أم الفحم في الجنوب الشرقي، والتي كانت ضمن الأراضي الواقعة تحت الســيطرة العربية. أما فيما يتصل بأم الشــوف فقد تذكر أحد ضباط الإرغون أنه خلال تفتيشــه طابــورا من اللاجئين عثر على مســدس وبندقية، مما دفع جنــود القوات إلى احتجاز ســبعة من الذكور البالغين مــن بينهم وترك الآخرين يتابعون طريقهم. وعقب ذلك طُلب من المحتجزين كشــف هوية مالك الأسلحة، غير أن أيا منهم لم يعترف حتى بعد تهديدهم بالقتل. وعلى أثر ذلك عقد الضباط «محكمة عسكرية في الميدان قضت بإعدامهم جميعا».. وهو ما نُفذ بالفعل[617].

ظل سكان قرية أم الزينات (الواقعة شمالي الريحانية) مسالمين خلال فترة الحرب الأهلية، ولم يســتضيفوا أي عناصر غير نظامية أجنبية. وفي أعقاب هزيمة العرب في مشــمار هعيمك وســقوط حيفا العربية أقدم بعض القرويين على الفرار[618]. ومع حلول السابع من شهر مايو كان أربعمائة من الذكور البالغين لايزالون في القرية[619]. وعندما استولى لواء غولاني على القرية في الخامس عشر من الشهر وجدها فارغة[620]،

غير أن مختار القرية، يوسف العيسى، وما يزيد على عشرة من رجال القرية، قدموا رواية مخالفة ذهبت إلى أن غولاني أمرهم بالرحيل مع النساء والأطفال المتبقين[621]. وفي مطلع شهر أغسطس طوقت قوات الهاغاناه القرية محملة بأوامر بقتل الذكور وطرد النساء، وبالفعل اعتُقل عدد من الذكور، قُتل منهم اثنان على الأقل، وطُرد العديد من النساء[622].

بناء على أوامر من السلطات العربية أُجليت نساء وأطفال قرية قنير بالقرب من صبارين في الفترة من 22 - 24 أبريل[623]. وفي التاسع من شهر مايو أغارت قوات لواء إسكندروني على القرية؛ حيث قتلت أربعة من سكانها العرب وفجرت 55 منزلا[624]؛ مما دفع على الأرجح البقية الباقية من السكان إلى الهروب.

معركة رمات يوحنان

في الوقت الذي احتدمت فيه معركة مشمار هعيمك في الجنوب، اتخذت فرقة تابعة لجيش الإنقاذ مواقع في شفا عمرو، خربة الكساير، وهوشة على ما يقرب من عشرة كيلومترات شرق حيفا، وهاجمت بشكل متقطع وسائل النقل والمستوطنات اليهودية بما في ذلك رمات يوحنان[625]، وربما أراد القاوقجي بذلك تخفيف الضغط عن منطقة مشمار هعيمك. تلقى لواء كارميلي الأوامر بالاستيلاء على هوشة وخربة الكساير، وهو ما تم بالفعل صباح السادس عشر من أبريل. لاذ السكان بالفرار. وتمكن اللواء من دحر هجمات مضادة، شجاعة وإن كانت غير فعالة، شنتها فرقة الدروز التابعة لجيش الإنقاذ بقيادة شكيب وهاب، وتلت ذلك تسوية القريتين بالأرض وتدمير القرى الصغيرة التابعة لهما، بما في ذلك خربة سعسع[626]. أسفرت هزيمة جيش الإنقاذ عن عملية فرار ضخمة للسكان من شفا عمرو[627]، كما كان لها بلا شك تأثير كبير في إضعاف الروح المعنوية لعرب حيفا الذين كانوا على وشك مواجهة قوات لواء كارميلي.

السهل الساحلي

كما سبق أن رأينا، أخلى أغلب عرب السهل الساحلي شمال تل أبيب منازلهم وقراهم خلال الأشهر السابقة. وجاء شهرا أبريل ومايو ليشهدا استكمال عملية النزوح

الجماعي، باستثناء عدة قرى معزولة سُمح لها بالبقاء (جسر الزرقاء، الفريديس) أو احتلتها قوات الدفاع الإسرائيليــة فقط في يوليو (الطيرة، عين غزال، الجبعة، إجزم). كانت عمليات الإجلاء خلال شهري أبريل ومايو مدفوعة بشعور بالضعف والتعرض للخطر، والخوف من الهجوم المرتقب، أو نتيجة للهجوم الفعلي، أو التعرض للضغط أو تنفيذا لأوامر الطرد، فضلا عن الضغوط من قبل قادة العناصر غير النظامية.

أُعلنت سياســة الهاغانـــاه الجديدة فى المنطقة - على النحو الســالف الذكر - والمتصلة بطرد الســكان العرب خلال اجتماع مستشاري لواء إسكندروني للشؤون العربية في الســادس من أبريل[628]. وكان العرب المتبقون في خربة عزون (تبصر) قد تلقوا أمرا، في الثالث من الشــهر، بالرحيل بحلول يوم 16 أبريل[629]. أما سكان قريــة بيارات حنون الصغيرة (إلى الجنوب من نتانيــا) فكانوا قد رحلوا بالفعل في بداية الشــهر[630]. فيما يتصل بالبدو المتبقين حــول حديرا - عرب الفقارة - عرب النفيعات - عرب الضمايرة - فقد تســلموا جميعا أوامــر بالمغادرة في العاشر من أبريل[631]. وغادر النفيعات في الثالث عشر من الشــهر[632]. كما صدر أمر مشابه من الهاغاناه في الخامس عشر من الشهر لسكان خربة السركس - وتقطنها جماعة مــن الشركس كانت على علاقة طيبــة باليهود وتحدت ثلاث مــرات أوامر جيش الإنقاذ بإجلاء النســاء والأطفال[633]. وقد أُجليت نســاء وأطفال القرية ما بين 20 و22 أبريــل[634]. في حين غادر الرجال على الأرجح بعدهم بأيام قليلة. وفي الوقت ذاته غادر ســكان خربة زلفة وخربة المنشــية (جنوب حديــرا) باتجاه الشرق في أعقاب التوصل إلى اتفاق مع ممثلي الهاغاناه تضمن أن يقوم يهود المســتوطنات بالحفــاظ على ممتلكاتهم والســماح لهــم بالعودة بعد انتهــاء الحرب. وفي حالة المنشية يبدو أن ضابط جهاز استخبارات الهاغاناه (أهارون برافرمان، من كيبوتس عــين هاهوريش) طلب من القرويين البقاء وقبول حماية الهاغاناه ولكن من دون نتيجــة. وفي المقابل لم يُوجَّه طلب مماثل لســكان خربة زلفــة المعروفين تقليديا بعداوتهــم، بل على الأرجح ضُغــط عليهم للرحيل[635]. فيــما يتصل بخربة بيت ليد (شرق نتانيا) والتي ســبق لســكانها أن هربوا ثم عادوا مجددا إلى ديارهم في منتصف شهر ديسمبر 1947، فقد تلقت أمرا من الهاغاناه بالإجلاء في مطلع أبريل، وهو ما نُفِّذ في السادس عشر من الشهر [636].

حظي سكان قرية مسكة الكبيرة الواقعة شمال شرق قلقيلية بإعفاء خاص، حيث سُمح لهم في بداية شهر أبريل بالبقاء في ديارهم[637]. غير أنه في التاسع عشر من الشهر، وفي أعقاب عملية قنص شُنت من القرية أسفرت عن عدة ضحايا في صفوف الهاغاناه، أمر رئيس كيبوتس رامات هاكوفيش السكان بـ «المغادرة خلال ساعتين». وقد خُفف الأمر من قبل لجنة الممتلكات العربية التي اقترحت، بدلا من ذلك، أن يسلم القرويون الأسلحة؛ القبول بالإدارة اليهودية، والانتقال إلى الداخل في خربة الزبابدة بالمنطقة اليهودية، وهو ما رفضه السكان وفضلوا عليه الرحيل باتجاه الشرق. وهو ما تم بالفعل فيما بين 20 و21 أبريل. وتضمن أحد سجلات اليشوف وصفا لذلك على النحو التالي: «ذلك اليوم، واليوم التالي لم تتوقف محركات السيارات، والحمير، والجمال من مسكة إلى الطيرة». دخلت قوات الهاغاناه القرية مساء الحادي والعشرين من أبريل[638].

في مطلع شهر مارس 1948 نجح توفيق أبو كشك في التوسط للوصول إلى اتفاق عدم اعتداء بين قرية بيار عدس العربية ومغديل المجاورة (شمال شرق راماتايم)[639]. لكن العناصر المسلحة بالهستدروت خرقت وقف إطلاق النار بشكل متكرر بإطلاقها النار من مغديل[640]، مما أدى إلى رحيل العديد من العائلات، وعاد الرجال فقط في أوقات النهار لزراعة حقولهم[641]. وفي الثاني عشر من أبريل أُجلي سكان القرية[642]. بعد مرور أيام قليلة، وعلى بعد عدة كيلومترات إلى الجنوب، أُجلي سكان قرية جرملة الصغيرة «نتيجة للخوف من هجوم يهودي»[643]. في بداية شهر أبريل، ونظرا إلى موسم الحصاد الوشيك، سعت قرية فجة الكبيرة (الواقعة إلى جانب بتاح تكفا) للتوصل إلى هدنة مع جيرانها اليهود[644]. بيد أن السكان تعرضوا لضغوط من جيش الإنقاذ الذى طلب منهم قطع صلاتهم باليهود[645]، والمشاركة بـ «متطوعين» للتشكيلات، الأمر الذى لم يكن مختار القرية، عبدالله الحاج، يرغب فيه خشية الأعمال الانتقامية[646]. وقد ترتب على ذلك استدعاؤه للاستجواب من قبل قادة جيش الإنقاذ في راس العين[647]، وأخيرا نزح السكان بعد العاشر من أبريل - مع عودة حفنة منهم بعد ذلك بعدة أيام للقيام بأعمال الحراسة[648]. لقد شعروا بالخوف من كل من جيش الإنقاذ واليهود الذين عمدوا بشكل دوري إلى نهب المنازل المهجورة[649]. نظرت الهاغاناه إلى العرب الذين بقوا على أنهم «عنصر مزعج»، وقررت استكمال الإجلاء التام من القرية، فضلا

عن قرية النبي ذاري الصغيرة المجاورة[650]، وفي تلك الأثناء نُظر إلى عبدالله الحاج على أنــه خائن وألقي القبض عليه وتعــرض «لتعذيب قاس» على يد جيش الإنقاذ[651]. وفي نهاية المطاف لجأت الهاغاناه إلى الحرب النفســية والتحذيرات لدفع الســكان المتبقين في فجة إلى النزوح[652].

مع بداية شــهر مايــو لم يكن هنــاك إلا القليل من العرب المتبقين في الســهل الســاحلي. وفي إطار الاستعدادات لصدور إعلان قيام الدولة والغزو العربي المحتمل، قرر خبراء الشــؤون العربية في لواء إســكندروني في التاســع من شهر مايو «طرد أو إخضاع» قرى: كفر سابا، الطيرة، كاكون، قلنسوة، الطنطورة[653].

بالنسبة إلى قريتي الطيرة وقلنسوة فإنهما لم يتم احتلالهما (ولم تنتقلا إلى السيادة الإسرائيليــة إلا في مايو عــام 1949، في إطار اتفاقية الهدنــة الأردنية - الإسرائيلية). وفي المقابل اســتولت وحدات لواء إســكندروني في الثالث عــشر من مايو على كفر ســابا، مما أســفر عن نزوح جماعي. وكانت القرية قد عاشت بعض الوقت في حالة «فزع» من هجوم مرتقب على يد الهاغاناه، وقامت وحدة صغيرة من جيش الإنقاذ بحراســتها[654]. إلا أن الهجوم فاجأهم، وأطلق العنان «لهروب مذعور». ومن جانبه تمركز القائد المحلي الســورى لجيش الإنقاذ في مخرج القرية مشــترطا الحصول على خمسة جنيهات استرليني من كل نازح[655]. لم يتبق في القرية سوى 9 من كبار السن رجالا ونساءا لم يتمكنوا من الهرب السريع أو دفع المبلغ المطلوب[656]، وتم طردهم لاحقا. ونتيجة لتأثير الذعر من الهجمات الإسرائيلية تم إجلاء قلقيلية بشــكل شــبه تام (وإن كان ذلك مؤقتا) وفر العديد من أعيانها إلى طولكرم[657].

اســتولت الكتيبة 33 من لواء إســكندورني على قرية الطنطورة (الواقعة جنوبي حيفا على الســهل الســاحلي) ليلة 22|23 مايو. كانت القرية تستخدم كممر لنقل الإمــدادات، عــبر البحــر، إلى قرى المنطقة بما فيهــا عين غزال وجبــع، وقد انهارت معنويات السكان بعد ســقوط حيفا العربية ووصول اللاجئين منها، وقبل ذلك من قيســارية وعرب البارا. وفي بداية شــهر مايو نُقل أن السكان مستعدون للاستسلام إذا ما تعرضوا لهجوم أو تلقوا إنذارا، على ألا يسلموا أسلحتهم[658]. وفي هذا الصدد تســاءل أحد ضباط الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه: هل كانت الهاغاناه راغبة حقا في استســلام الطنطورة وترك ســكانها يعيشون في المكان؟[659] بدأ النزوح

مــن القرية مطلع شــهر مايو عقب قيام محــلي بقتل يهودي ثم قُتــل بدوره[660]. رحل العديد بالقوارب إلى صور. إلا أنه في اللحظة الأخيرة - ربما بتشــجيع من بداية الهجــوم العربي على إسرائيل وفشــل الهاغاناه في تقديم عرض مناســب لهم - قرر الســكان «البقاء .. والقتال»[661]. وبدأ القرويون في إعداد التحصينات وزرع الألغام على مداخل الطرق، كما صدرت أوامر لســكان القرى الصغيرة التابعة بالتركيز على مساعدة الطنطورة و إجزم[662].

أصدر مركــز قيادة لواء إســكندروني أمرا تنفيذيا للهجــوم في الثاني والعشرين مــن مايو؛ لم يتضمن أي إشــارة إلى مصير الســكان المدنيــين[663] - على الرغم من أنه قد يكون هناك شــك ضئيل في أن القوات ذهبت إلى هناك بنية طرد الســكان. لم يتــم تقديم عرض للقرية للاستســلام بهدوء، وبدأ الهجوم تلــك الليلة بوابل من قذائف المدفعية، أعقبه دخول تشكيلات المشاة بشكل متزامن من الشمال والشرق والجنــوب، فضلا عن وجود الســفن الحربية لمنع الهروب عــن طريق البحر. وعلى الرغم من المقاومة الجادة من قبل القرويين، تم حسم المعركة في الثامنة من صباح الثالث والعشرين من الشــهر وقتل خلالها العشرات من الســكان. وتحدث التقرير المبدئي عن «300 سجين من الذكور البالغين» و«200 من النساء والأطفال»[664].

كــما جرت عليــه العادة، تبع ســقوط القرية عمليات ســلب ونهــب قام بها المستوطنون من المناطق المجاورة، وجهود من قبل الهاغاناه لإيقاف ذلك. وأسفرت إحدى عمليات التفتيش عن استعادة سجادة، وغراموفون (قارئ اسطوانات)، وجوال خيار، ومعزاه...»[665]. كذلك كانت هناك أيضا عملية تدمير واسعة للممتلكات[666]. وعلي مدار أيام ظلت المدينة ومحيطها مليئين بجثث الأفراد والحيوانات مما خلف وضعا صحيا خطيرا[667].

نــزح بعض القرويين إلى الأراضي الخاضعة للســيطرة العربية، في حين انتقل مئات آخــرون - أغلبهم من النســاء والأطفــال - إلى الفريديس (قريــة عربية تقع في الشرق وســبق أن استســلمت، وكان هناك المئات من لاجئي الطنطورة يعيشــون في خيام. في الحادي والثلاثين من شــهر مايو سأل شــتريت (وزير شؤون الأقليات) بن غوريون عما إذا كان يجــب طرد هؤلاء النســاء والأطفــال، حيث إن الإبقاء عليهــم في الفوريديس يمثل مشــكلة[668]. كذلك مارست الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه ضغوطها؛

فالمطـــرودون مـــن الطنطورة يسربون معلومات اســتخباراتية للقـــرى المجاورة التي لم يتم الاســتيلاء عليها، فضلا عن أنه توجد مشـــاكل تتمثل في الازدحام الشديد والصرف الصحـــي[669]. ولم يُعـــرف رد بـــن غوريون على ذلـــك، إذا كان هناك مـــن رد. إلا أنه في الثامـــن عشر من يونيو تم طرد ما يقرب من ألف شـــخص قادمـــين من الطنطورة من «النســـاء، والأطفال، وكبار الســـن» (إلى جانب ثمانين من المحتجزين الذين ينتمون إلى مناطق أخرى) من الفوريديس إلى المنطقة التي يســـيطر عليهـــا العراقيون في طولكرم بالســـامرة[670]. وبقي في الفريديس 200 أمرأة وطفل، وعلى الأرجح بعض الرجال، رهن الاعتقال الإسرائيلي[671].

كانت الفريديس وصرفند من بين القرى الأكثر صغرا من حيث الحجم بالقرب من الطنطورة التي تم إجلاؤها بداية شـــهر مايو[672]. وبحلول منتصف الشـــهر كان بعض القرويـــين قـــد عاد، إلا أن قوات كارميـــلي قامت في الخامس عشر من الشـــهر باحتلال القريتـــين وتحصنت فيهما لفترة قصيرة[673]. وبعـــد مرور يومين أغار كارميلي على المزار (الواقعـــة عـــلى بعد أربعة كيلومترات في الشـــمال الشرقي من صرفنـــد) بهدف «جعل القرية غير صالحة للاستعمال». وقد قابلت القوات 10-20 عربيا فارين، ثم بدأت بعد ذلـــك في «حرق ما يمكـــن حرقه»[674]. ومع ذلك عاد بعـــض القرويين بعد عدة أيام إلى ديارهم[675]. وفي نهاية المطاف أُعيد احتلال القرى الثلاث وتطهيرها أخيرا منتصف شهر يوليو. (انظر ما يلي).

تمت مهاجمة قاقون، شـــمال غرب طولكرم، والاستيلاء عليها من قبل وحدات لواء إســـكندروني ليلـــة 4-5 يونيو، ولم يتضمن الأمر التنفيـــذى للعملية النص على ما يجب فعله بالنســـبة إلى الســـكان، لكنه كرر الحديث عن «تنظيف» و«تأمـــين» القرية[676]، وقد ســـبق الهجوم قذف كثيف للمدفعية مما عجل بإجلاء معظم السكان إلى البساتين المجاورة[677]، وبقي فقط عدد قليل من عناصر المليشيات والعشرات من جنود الجيش العراقي للقتال سرعان ما تم التغلب عليهم من قبل وحدات مشاة اللواء[678].

عملية يفتاح

كجزء من الخطة دالت قامت الهاغاناه في النصف الثاني من شهر أبريل وخلال شـــهر مايـــو بتأمين الحدود من ميتـــولا إلى بحيرة طبريا توقعا لغزو ســـوري. وخلال

عمليــة يفتاح، كما أُطلق عليها، تم طرد الســكان العرب في الجليل الشرقي - الذي كان قرار التقسيم قد وضعه تحت السيادة الإسرائيلية.

تضمــن الأمر التنفيذي للعملية تحديد هدفها في «فرض الســيطرة على منطقة تل حاي (طلحة) وتدعيمها استعدادا لمواجهة غزو خارجي». لم يذكر الأمر شيئا عن السياسة التي يتم اتباعها تجاه السكان المدنيين[679].

بدأت الحملة بهجومين فاشلين من قبل البالماخ في الخامس عشر والعشرين من أبريل، على حصن الشرطة في النبي يوشــع بالطرف الجنوبي الشرقي للسان الجليل. عندئذ عينت رئاسة أركان الهاغاناه إيغال آلون ليتولى مسؤولية العملية، وكان تحت تصرفه ما يقــارب كتيبتين، وواجه عشرات القرى، فضلا عــن مدينة صفد والحدود المفتوحــة مع ســورية ولبنان. وانطلاقا من التقرير الذي أعــده في الثاني والعشرين مــن أبريل، فضلا عن أعمالــه اللاحقة، توصل آلون إلى نتيجــة مفادها أن تنظيف المنطقــة بالكامل من العــرب يمثل ضرورة لتأمين الحــدود[680]. ومع ذلك كان على البالمــاخ الانتظار حتى يتــم الجلاء البريطاني من المنطقة. قام البريطانيون بتســليم بعــض حصون الشرطــة المحلية والمعســكرات إلى العرب. إلا أنــه في 27-28 أبريل تمكنــت وحدات البالماخ من احتلال تلك المواقع في محنايم وحول روش بينا[681]. لم يكن آلون متفائلا كثيرا بالوضع العســكري[682]. ومع ذلك فإنه تحت تأثير ســقوط حيفا العربية والغزو العربي المحتمل الذي كان يعني مواجهات شاملة، كانت الروح المعنويــة لدى العرب منهارة، وقام القادة العســكريون العرب في الفترة من 20-22 أبريل بإصدار أوامرهم بإجلاء النساء والأطفال من الدوارة، والعابسية (وهما قريتان كبيرتان في لســان الجليل)[683]. كذلك قام القرويون في مغــربي والقبائل البدوية في المنطقــة الواقعة غربي وجنوبي بحيرة الحولة بعملية إجلاء شــاملة. ومن بين الذين غادروا عرب الزبيد وأغلب ســكان العلمانية، الحسينية، كراد البقارة، كراد الغنامة، وخربة الخصاص[684].

في الأول مــن شــهر مايو وقبل أن يســتكمل آلون اســتعداداته، قامت عناصر المليشيا المحلية وغير النظامية المتمركزة في سورية ولبنان بهجوم فاشل على راموت نفتالي، كيبوتس دان، كيبوتس كفَر ســالد، وكيبوتس ليهافوت هاباشــان في منطقة لســان الجليــل[685]. وقد انتاب ســكان العديد من القرى الخــوف من أن يقعوا في

مرمى النيران المتبادلة مما دفعهم إلى الهرب، وتمثلت هذه القرى في مداحل، خربة العزيزيات، خيام الوليد، الحمراء، غرابة، وبشكل جزئي المفتخرة[686]. كما طلبت السلطات السورية، أو القادة المحليون، في ذلك اليوم من القرى الواقعة حول روش بينا إبعاد النساء والأطفال[687]. كذلك تلقى سكان قرية هونين الشيعية - الذين كانت لهم علاقات طيبة بجيرانهم اليهود على مدار السنين، وأخرى سيئة مع السنة في صفد - أوامر ربما من قبل السلطات العربية أو اللبنانية - بالإجلاء خلال ستة أيام[688]. وأسفرت الغارة التي شنتها الهاغاناه بعد مرور أسبوعين عن هروب أغلب سكان القرية[689]. (بقي حوالي 400 شخص، وقد رأى شيتريت أن على إسرائيل أن تبني علاقات جيدة مع الشيعة (الفلسطينيين)[690]، إلا أن الجيش كان له رأي آخر، وخلال الصيف تم اغتصاب أربع نساء من القرية قبل قتلهن من قبل جنود قوات الدفاع الإسرائيلية[691]. في شهر أغسطس أجبرت قوات الدفاع الإسرائيلية بعض السكان على الفرار، أما الباقي فقد فر من تلقاء نفسه خلال الشهر التالي في أعقاب غارة شنتها قوات الدفاع تم خلالها قتل 20 شخصا وتدمير 20 مبنى)[692].

بدأ آلون في الثاني من شهر مايو شن هجومه مستوليا على عين الزيتون وبيريا (انظر ما سبق)، ملحقا الرعب - من خلال القصف العنيف لقذائف الهاون- بقرى: فرعم، قباعة، مغر الخيط (شمال شرق صفد) مما أسفر عن عملية إجلاء ضخمة. يُذكر أن القرويين كانوا يتعرضون بشكل دوري لوسائل النقل اليهودية بين روش بينا وأييليت هاشاهار[693].

في تقريره بتاريخ 22 أبريل كان آلون قد أوصى، من بين أشياء أخرى، «بمحاولة طرد البدو المقيمين بين نهر الأردن وجُب يوسف وبحيرة طبريا» فباستهداف صفد تصبح مثل هذه العملية أمرا حتميا[694]. شن آلون في الرابع من شهر مايو «عملية بروم» ضد السكان البدويين وشبه المستقرين - القديرية، عرب السمكية، عرب السياد، عرب الشمالنة، الزنغرية - الذين قاموا على مدار أشهر بمضايقة وسائل النقل اليهودية بين طبريا وروش بينا. حدد مركز قيادة عملية يفتاح أهدافها كما يلي: «(أ) تدمير قواعد العدو ... (ب) تدمير نقاط التجمع للقوات الغازية من الشرق. (ج) الوصل بين الجليل الأدنى والجليل الأعلى بقطاع آمن نسبيا» من الأراضي اليهودية المتصلة. أما بالنسبة إلى الأوامر الصادرة للقادة العسكريين في العملية فقد تضمنت أنه يلزم

مهاجمة الزنغرية، الطابغة، وعرب الشمالنة و«طرد سكانها وتدمير منازلهم»؛ أما العرب الأصدقاء والكنائس فإنه «لا يجب إصابتهم بالأذى في أي حال من الأحوال»[695].

بدأت العملية بقصف قذائف الهاون نفذته الكتيبة الأولى من البالماخ بمساعدة من لواء إسكندروني ووحدات الهاغاناه المحلية، وتم «تدمير أغلب المنازل وإحراق الخيام في قيدار» الواقعة بين الطابغة والبطيحة (حيث يصب نهر الأردن في البحر)، وأسفر ذلك عن قتل 14 من العرب فيما فر الآخرون إلى سورية[696]. وفي الأيام التالية قام خبراء المفرقعات في البالماخ بتدمير أكثر من 50 منزلا في الزنغرية وقرى أخرى في المنطقة[697]. وفي وصفه لما رآه آنذاك، ذكر القس بونيفاس بيتلمييه، من الطابغة، ما يلي:

> *ما كدت أنتهي من مراسم عملية المباركة، حتى دوّى انفجار رهيب في الطابغة. سارعنا في الخروج لنرى أعمدة من الدخان تتعالى في السماء. كان يتم تفجير المنزل تلو الآخر وإحراقه، وعقب ذلك امتدت العملية باتجاه نهر الأردن. كافة الأشياء تم قصفها، والخيام والأكواخ تم إحراقها. وتوالت الانفجارات طوال اليوم وكانت أعمدة الدخان والنار مرئية بشكل واضح؛ وبحلول المساء عاد «المنتصرون» أدراجهم بشاحنات محملة بالماشية. وما لم يستطيعوا أخذه قتلوه ... وتم قتل والدة عوض الكبير ودهان العجوز. وفي المقابل لم تصب تكية الدير، كنيسة تكثير الخبز والسمك، أو منزل قاسم شحادة*[798].

قام السوريون بإخطار البريطانيين بأن العملية خلفت 2000 لاجئ إضافي[699]. وكما سبق لعزام باشا أن فهم وتوقع، كان آلون «يُخرج السكان «من المناطق» الواقعة على أو بالقرب من الطرق التي يمكن أن تستخدمها القوى غير النظامية لدخول البلاد... مما سيضع أكبر الصعوبات أمام الجيوش العربية حتى في محاولة دخول فلسطين بعد 15 مايو»[700].

طبقا لآلون كان لعملية بروم «أثر نفسي هائل» على قرى صفد ووادي الحولة ومهدت الطريق للاستيلاء عليها وهروب سكانها[701]، وبدوره أدى سقوط صفد العربية (إلى جانب الخوف من الغزو الوشيك) إلى الإسراع في هجرة سلسلة من القرى المجاورة بما في ذلك: الجاعونة، ديشوم، الظاهرية، آبل القمح، الزوق التحتاني،

الشـوكة التحتا، قديتا، السموعي، الخالصة، والناعمة[702]. كما قام الكثير من سكان ميرون (غرب صفد) على الأرجح بالرحيل في ذلك الوقت[703]. كذلك ساعد سـقوط صفد آلون في أكبر عملية حرب نفسية خلال القتال:

> *مع تردد أصداء (سقوط صفد)... بعيدا اهتزت ثقة آلاف العرب في [وادي] الحولة ... الذين لم يعد أمامنا إلا خمسة أيام ... حتى 15 مايو. وبالنسبة إلينا فإننـا رأينا أنه من المحتم تنظيف الداخـل في الجليل وخلق اتصال مع أراضي الجليـل الشـمالي اليهودية. وقد أدت المعركة الطويلـة إلى تقليل عدد قواتنا، كـما أننا واجهنا مهام رئيسـية في سـد الطرق المحتملة للغـزو. قمنا بالبحث عن وسـائل لا تضطرنا إلى اسـتخدام القوة لإبعاد عـشرات الآلاف من العرب المعاديـن لنا والذين تركوا في الجليل، والذين يمكن - في حالة وقوع الغزو- أن يضربونا من الخلف. وفي هذا الصدد حاولنا اسـتخدام خدعة تستثمر الهزائم العربيـة في صفد والمنطقة التي تـم تنظيفها خلال عملية بروم وهي الخدعة التي نجحت بشكل ممتاز.*

قمـت بجمع العمد اليهود الذين كانت لهم علاقات مع قرى عربية مختلفة، وطلبت منهـم الهمس في آذان العرب بأن هناك تعزيزات يهودية ضخمة وصلت إلى الجليل وأنها على وشك تفريغ قرى الحولة من سكانها. كذلك طلبت إليهم أن يقومـوا بنصح العرب – كأصدقاء - بالهرب مادام ذلك ممكنا. وانتشرت الشـائعة في كل أرجـاء الحولـة بأن الوقت حان للفرار. وقد شـملت عملية الهرب عشرات الآلاف، مما يعنى أن الخدعة حققت هدفها بالكامل ... أصبحنا قادرين على نشر قواتنـا في مواجهة الغزاة المتوقعين على طول الحـدود، من دون خوف من خطر قائم من خلفنا[704].

قـام رجال آلون كذلك بتوزيع منشـور ينصح أولئك الذيـن يرغبون في تجنب إصابتهم بأذى أن يرحلوا «مع نسائهم وأطفالهم»[705]. وقد لخص أحد قادة البالماخ - ربما يكون آلون نفسه - ما حدث على النحو التالي:

> *مثـل تفريغ منطقة الحولة من سـكانها العرب العملية المشـتركة الوحيدة بين اليهود والعرب. فقد قامت أجهزة اسـتخباراتنا بحملة إشاعات واسعة لتقوية أوامر قادة من الخارج (من سورية على ما يبدو) بإجلاء المنطقة بكاملها[706].*

وفقا للإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه فإن «18% من النزوح الجماعي من منطقة لسان الجليل كانت نتيجة لحملة الشائعات»، ونسبت الإدارة كذلك عملية النزوح الجماعي في النصف الثاني من شهر مايو- على الأقل جزئيا - إلى هذه الحملة في: قيطية، لزازة، الزوق الفوقاني، المنشية، الخصاص، المنصورة، الدوارة، العابسية، بيسمون، وملاحة[707].

تم إجلاء العديد من القرى الأخرى بالمنطقة لأسباب مختلفة. فطبقا لاستخبارات قوات الدفاع الإسرائيلية قام سكان الخليصة بإخلاء قريتهم في الحادي عشر من مايو بعد رفض الهاغاناه طلبهم التوصل إلى «اتفاق». (مما لا شك فيه أن سقوط صفد العربية في اليوم السابق كان له تأثيره كذلك)، كما غادر سكان الصالحية في الخامس والعشرين من الشهر لسبب مماثل: «لقد أرادوا التفاوض [معنا]، لكننا لم نحضر مما أصابهم بالخوف». وقد كانت القرية تقليديا على علاقات «طيبة» مع اليشوف[708]. أما فيما يتعلق بسكان البويزية فقد قاموا بالإجلاء بالتزامن مع الخليصة، وغادر السكان المتبقون بالزاوية في ظروف أكثر مأساوية: تم قصف القرية بالهاون والإغارة عليها في التاسع عشر من شهر مايو، وقامت الكتيبة الحادية عشرة، التي كانت لديها أوامر «بالاستيلاء على القرية وتدميرها وطرد سكانها» بتنفيذ ذلك[709]. وبالنسبة إلى قرية فرعيم، التي بدأ سكانها في العودة إليها، تم حرقها في الثاني والعشرين من الشهر[710]. وكنتيجة لهجمات الهاغاناه تم إجلاء قرى أخرى في نهاية الشهر وهي: عموقه، قباعة، ماروس، المالكية، وقدس[711].

في أواخر شهر مايو، بدأ اللاجئون المتضورون جوعا في العودة إلى: المفتخرة، الحمراء، زوق التحتاني، الصالحية، العابسية، فرعم، بشكل أساسي لجمع المحاصيل؛ وقام العديد ببناء أكواخ في أراضي المستنقعات خارج قراهم الأصلية مما يمكنهم من الوصول إلى حقولهم في الوقت الذي يبقون فيه نسبيا بعيدا عن منال الدوريات الإسرائيلية. وقد عملت الهاغاناه على القضاء على ذلك وإقناع العائدين بمغادرة فلسطين[712]. في الرابع والعشرين من شهر مايو بدأت البالماخ في الحرق المنظم لقرى [وادي] الحولة[713].

وبنهاية شهر يونيو كان جهاز استخبارات الهاغاناه في وضع يسمح له بأن يرسل تقريرا (وإن كان غير دقيق إلى حد ما) ينص على أن

جميع القرى العربية من منطقة صفد حتى سعسع باتجاه الشمال الغربي خالية ولم يعد سكانها إليها... وفي وادي الحولة أضحت جميع القرى شاغرة فيما عدا منطقة مستنقع الحولة، وغرابة والدرباشية، حيث وجدت تجمعات كثيفة من اللاجئين العرب... وكانت المنطقة الواقعة من مي ماروم [أي بحيرة الحولة] إلى بحيرة طبريا شرق الطريق الرئيسي الذي يربط بين طبريا - ميتولا خالية من سكانها العرب،كما كانت عليه الحال فى بعض المناطق [غرب الطريق][714].

إجمالا، فإن تأثير الصدمة الذي أحدثه سقوط «العاصمة» الإقليمية، صفد، والهجمات اليهودية، وسيطرة الخوف من أن يكون السكان محاصرين بين النيران المتبادلة، شكلت على الأرجح الأسباب الأكثر تأثيرا في خفض الروح المعنوية والرحيل، أكثر من حملة الشائعات؛ ولوضع المقولة بشكل مختلف يمكن القول إن حيل الحرب النفسية كانت فعالة نظرا لأنها جاءت على قمة العوامل الأخرى التي تضمنت صدور أوامر بالإجلاء الجزئي أو الكلي من قبل القادة العسكريين المحليين والسوريين. إن الصورة التي تظهر في التحليلات الصادرة عن استخبارات جيش الدفاع الإسرائيلي في يونيو 1948عن أسباب الإجلاء تبدو أكثر تعقيدا مما ذكره آلون من أن النزوح الجماعي كان ببساطة نتيجة حملة إشاعات متناسقة.

عملية بن عامي

شكل اندفاع قوات لواء كارميلي من الجليل الغربي إلى الحدود اللبنانية آخر عملية رئيسية شنتها الهاغاناه قبل انتهاء الانتداب، وبالتماشي مع نصوص الخطة «دالت» لتأمين الكتل الاستيطانية خارج حدود التقسيم. فتحت مسمى عملية بن عامي تم تنفيذ الهجوم على مرحلتين في الفترة ما بين 13 و 22 مايو، ونتج عنه الاستيلاء على جميع القرى على امتداد الطريق الساحلي من جنوب عكا إلى روش هانيكرا - البصة وبعض القرى الواقعة شرقي الطريق، فضلا عن هروب كل سكانها تقريبا. وقد تمثلت الأهداف الرئيسية للعملية في توفير الإمدادات والتعزيزات للمستوطنات في الجليل الغربي - نهاريا وعدد من الكيبوتسات - لإبعاد السكان غير المقاتلين استعدادا للهجوم العربي الوشيك، وبشكل عام لتأمين سيطرة يهودية دائمة

على المنطقة. نصت الأوامر الصادرة بشكل محدد على الاستيلاء على القرى الرئيسية المستهدفة وتدميرها (البصة، الزيب، السميرية)[715]، إلا أنها لم تشر بشكل صريح إلى آفاق ومستقبل السكان العرب. وعلى الأرجح رغب كارميل- الذي قاد العملية- في إجلائهم بشكل تام.

اهتزت قرى المنطقة بشدة عقب الهجمة التي شنتها البالماخ على قرية الكابري ليلة 31 يناير-1 فبراير التي تم خلالها تدمير دار فارس سرحان (أحد أعيان القرية التابعين للحسيني)[716]. وما تلي ذلك من فرار سرحان بصحبة عائلته إلى لبنان[717]. أشارت تقارير آنذاك إلى أن القرى الأخرى - الزيب، العابسية، أم الفرج، الكابري، النهر، الشيخ داوود، وكويكات - عبرت عن رغبتها في التوصل إلى اتفاق عدم اعتداء مع الهاغاناه[718]. إلا أن الهجمات على وسائل النقل اليهودية استؤنفت بعد ذلك.

بنهاية شهر أبريل أعدت الهاغاناه مخططا مبدئيا لعملية سُميت عملية إيهود تضمنت الهجوم على: الكابري، النهر، البصة، الزيب، والقضاء على «العصابات والرجال وتدمير الممتلكات»[719]. وشكل هذا المخطط الأساس لأمر التنفيذ العملي لعملية بن عامي. فمع بداية العملية، تحت تأثير الأحداث في يافا وصفد، كان هناك نزوح كبير من المنطقة، ونُقل أن الكابري والمزرعة هُجرا تماما، كما نزح أغلب السكان من عكا[720].

بدأت عملية بن عامي مساء الثالث عشر من شهر مايو مع توجه طابور من العربات المدرعة والحافلات التابعة للواء كارميلي باتجاه الشمال على طول الطريق الساحلي، في الوقت الذي قام فيه تشكيل من السفن بإنزال كتائب في نقاط على طول الطريق. وقد سقطت السميرية قبل بزوغ الفجر. وترك المهاجمون الجانب الشرقي من القرية مفتوحا لتمكين القرويين من الفرار - وبالفعل سلك سكان القرية هذا الطريق مع سقوط أولى قذائف الهاون. ويذكر أن العديد كانوا قد رحلوا قبل ذلك بسبب تدهور الروح المعنوية جراء الهزائم العربية السابقة وعدم توافر الدعم من قبل جيش الإنقاذ[721]. وقامت القوات بتدمير القرية على الفور[722]. أما فيما يتعلق بقريتي الزيب والبصة فإنهما سقطتا بعد مرور ساعات. فقد تم قصف الزيب - التي كانت معادية للصهيونية - بالهاون مما دفع سكانها إلى الفرار أثناء المعركة خوفا من الانتقام اليهودي منهم[723]. وكان أغلب نساء وأطفال البصة قد هربوا إلى لبنان في الأسابيع السابقة. واشتكى القرويون بعد ذلك من أنه عقب استيلاء قوات

الهاغاناه على القرية قامت بإعدام حفنة من صغار السن[724]، وقامت بالتحرش واغتصاب عدد من النساء (على النحو الذي سبق حدوثه في السميرية والزيب[725]. خلال الأيام التالية تم نقل حوالي مائة شخص من كبار السن والمسيحيين من البصة إلى المزرعة، التي كان بها حفنة من الأفراد القادمين من الزيب؛ حيث أضحت المزرعة مركز تجميع للمتبقين من قرى المنطقة وظلت المجتمع العربي الوحيد الباقي في الساحل بالجليل الغربي[726].

أدى سقوط القرى إلى إضعاف الروح المعنوية في عكا التي سقطت بدورها ليلة 17-18 مايو (انظر ما سبق). كذلك فإن سقوط عكا كان له وقع كبير على ما تبقى من قرى، التي قرر كارميلي الاستيلاء عليها في الأيام التالية، فيما أطلق عليه «عملية بن عامي - المرحلة الثانية». تضمن أمر العمليات الصادر في التاسع عشر من مايو تعليمات للكتيبة الحادية والعشرين من لواء كارميلي بفتح طريق لإيصال الإمدادات إلى كيبوتس يحيام ومهاجمة الكابري، النهر، وأم الفرج بهدف «الاستيلاء، وقتل الذكور البالغين، والتدمير والإحراق»[727]. وسعى كارميلي في الأيام التالية للحصول على التصديق اللازم من عمليات رئاسة أركان الهاغاناه[728]، وحصل عليه بالفعل. في ليلة 21-22 مايو هاجم كارميلي قرى أم الفرج والكابري، والتل، والنهر (جميعها شرقي نهاريا) وقام بتدميرها، وقد رغب كارميل في معاقبة القرويين (خاصة في الزيب والكابري) على الأعمال الشريرة السابقة، وأيضا التأكد من أنهم لن يعودوا على الإطلاق[729]. وتم إعدام عدد من القرويين في الكابرى على أيدي القوات اليهودية[730].

كانت آخر قرية تسقط خلال عملية بن عامي-المرحلة الثانية هي العابسية إلى الجنوب من الكابري. وعلى الرغم من أن القرويين - الذين كانوا قد ساعدوا الهاغاناه خلال الشهور الأولى من الحرب - استسلموا، فإن قوات كارميلي دخلت القرية بالسلاح وقتلت حفنة من الأفراد (تم اختيار ستة أشخاص أعدموا بعد الاحتلال) كعمل انتقامي ردا على المشاركة المزعومة في كمين «قافلة يحيام» في مارس عام 1948، والذي قتل خلاله 47 من رجال الهاغاناه[731]. خلال الأشهر التالية، عاد بعض السكان إلى ديارهم بعد حصولهم على إذن من قوات الدفاع الإسرائيلية، إلا أنه تم طردهم في يناير عام 1950[732].

الجنوب (أبريل- يونيو 1948)

احتفظـت الهاغاناه - وفيما بعد قـوات الدفاع الإسرائيليـة- بوضع دفاعي في الجنـوب الـذي لم يشـهد القيام بأي هجوم رئيـسي خلال تلك الفـترة. إلا أنه منذ الغزو المصري في الخامس عشر من شـهر مايـو تم إطلاق أيدي كل من لواء النقب وغيفعـاتي لتفادي الانهيار اليهودي. وقد سـبق للواءيـن القيام بهجمات محلية في أطراف مناطـق عملهم لتحقيق أهداف تكتيكية محددة لتسـهيل عملية مواجهة تقـدم متوقع للقوات المصرية. وقد أسـفرت هجمات لـواء غيفعاتي خاصة شرقي مجدل (عسقلان) وأسدود عن فرار عشرات الآلاف من السكان المحليين.

خولـت التعليمات التـي تضمنتها الخطـة «دالت» للعقيد أفيـدان قائد لواء غيفعاتي سـلطة تقديرية كبيرة من أجل تحقيق الاستقرار على جبهته؛ حيث نصت على ما يلي: «سـيكون عليك أن تقرر منفردا بعد التشـاور مع مستشـاري الشؤون العربية وضباط الاسـتخبارات التابعين لك، القـرى التي يلزم «احتلالها، تنظيفها، أو تدميرها» في منطقتك[733]. وخلال شـهر مايو وبداية يونيو؟ قبل وبعد الغزو- تحرك أفيدان لتوسيع المنطقة الواقعة تحت سيطرته باتجاه الغرب والجنوب.

في منتصف شهر ديسمبر 1947، ومجددا في فبراير 1948، سعى محمد مصطفى مـوسى - مختار قرية عاقر (جنوب رحوفوت)- للتوصل إلى اتفاقية عدم اعتداء مع عقرون المجاورة، كما عمل على كبح جماح الشباب والعناصر غير النظامية ومنعهم من مهاجمة وسائل النقل اليهودية. وبالفعل تم التوقيع على اتفاقية في التاسع من فبراير[734]. إلا أن أعيان القرية كانوا تحت ضغوط مسـتمرة من اللجنة الوطنية في الرملـة لإظهار نشـاطهم في القتال وتجنب الاتصالات مع اليهود واسـتقبال عناصر أجنبية غير نظامية. وبشكل عام تمكن القرويون من البقاء بعيدا عن المشاكل إلا أنه من وقت لآخر تم قفل الطرق أمام وسـائل النقل اليهودية[735] أدي اسـتيلاء قوات الهاغاناه منتصف شـهر أبريل على معسـكر بريطاني مهجور في كفَر بيلو، إلى قطع عاقر عن الرملة، مما ولد حالة انزعاج وقلق شـديد بين سكان القرية[736]. وفي هذا السياق، سعى المختار إلى تجديد الاتفاقية المشار إليها[737].

في الرابع من شـهر مايو أحاطت قوات غيفعاتي بقرية عاقر ودخلتها - بشـكل ظاهر بعد التوصل إلى اتفاق سري على الأقل مع بعض أعيانها - وطلبت من السكان

تسليم الأسلحة. قُتل خلال العملية أربعة قرويين وجُرح خمسة. وتم تسليم 60-70 بندقية، ومدفع وبعض المسدسات[738]. ومع اقتراب دورية بريطانية من المنطقة انسحب اليهود، بعد قيامهم ببعض عمليات السلب. في ضوء اعتقاد القوات المنسحبة أن المدينة قد خرجت عن سيطرتهم فإنهم أخذوا معهم من 6-8 أشخاص كرهائن «للتحقيق معهم... ومقايضتهم بإطلاق سراح أحد مرشدي [الهاغاناه] الذي وقع أسيرا [في أيدي العرب]»[739]. كما وعدت الهاغاناه بإطلاق سراحهم عندما يتم تسليم باقي الأسلحة، وهو ما وافق عليه القرويون وقام موسى بتوقيع خطاب بهذا المعنى[740]. على الرغم مما تقدم، رحل أغلب سكان عاقر في اليوم ذاته باتجاه يبنى والمغار خوفا من أن يتم اعتبارهم خونة بسبب استسلامهم. وفي الوقت ذاته هدد لواء غيفعاتي بإعدام الأسرى إذا ما لم يتم تسليم الأسلحة[741].

عاود لواء غيفعاتي الدخول إلى القرية في السابع من شهر مايو؛ حيث لم يتبق بها سوى عدة عشرات من السكان، وقام بتدمير منزلين[742]. وخلال أسابيع تم طرد ما تبقى من سكان، الأمر الذي أثار العديد من الاحتجاجات في صفوف حزب مابام، الذي كانت تربطه على مدار السنين علاقات مع مجموعة صغيرة من القرى ذات التوجهات اليسارية التي كانت مستعدة للعيش في سلام مع اليشوف[743].

أجرى لواء غيفعاتي عملية مماثلة لجمع الأسلحة في قرية قطرة (على بعد أربعة كيلومترات من عاقر) في 5-6 مايو من دون أن يشن هجوما حقيقيا. وأسفر ذلك عن تسليم 60 قطعة سلاح، إلا أنه خلال عملية تفتيش (أو نهب) أحد المنازل تم إطلاق النار على ضابط يهودي فأرداه قتيلا (إما بنيران عربية أو صديقة)، تلا ذلك القبض على ثلاثة أشخاص حيث طلب منهم الإفصاح عن اسم القاتل، وطلب اللواء تسليم العناصر غير النظامية الأجنبية فضلا عن المزيد من الأسلحة[744]. وأعقب ذلك قيام الهاغاناه بإعادة احتلال القرية ورحل السكان في السابع عشر من مايو إما جراء التخويف أو الطرد، في وقت بدأ فيه الجيش المصري في الاقتراب[745].

تخللت العمليتان أعمال سلب ونهب فضلا عن تصرفات قاسية. ولاحقا أشار ضابط جهاز استخبارات الهاغاناه الذي رافق القوات، إلى العديد من المشاكل، بما في ذلك الافتقار إلى أوامر واضحة فيما يتصل بوسائل التعامل، وعدم وجود معسكرات للمعتقلين، فضلا عن السلب والنهب[746]. وبشكل

أكثر وضوحا تضمن السجل الرسمي للواء النص على أنه بعد هاتين العمليتين سعت القيادة إلى «تقييد النزعة للسلب وإساءة معاملة السجناء»، ومن ذلك الوقت فصاعدا أصبح فقط ضباط جهاز استخبارات الهاغاناه المخولين باستجواب السجناء[747].

لم يكن سكان قرية عرب أبو فضل (عرب السطرية الواقعة شمال غرب الرملة) متحمسين لمساعدة الحسيني، إلا أنهم وجدوا أنفسهم في مأزق بين الهاغاناه، التي طلبت منهم البقاء على الحياد أو الخضوع، والقادة العسكريين الموجودين في الرملة المجاورة الذين كانوا يحثونهم على الانخراط في العمليات القتالية. ومن ثم بدأت العائلات في الرحيل خلال شهر ديسمبر 1947. في أواخر شهر أبريل 1948 طلب الشيخ سليم، مختار القرية، حماية الهاغاناه[748]. إلا أنه وقبل أن تتمكن الأخيرة من الرد أمرت السلطات في الرملة؟ ربما لشعورها بالخيانة التي يجرى الإعداد لها - السكان بالإجلاء[749]. وبالفعل بحلول التاسع من شهر مايو رحل عرب السطرية (وكذلك سكان قرية بئر سالم المجاورة)[750].

في ذلك اليوم بدأت جديا عملية تنظيف الطرف الجنوبي من منطقة عمليات لواء غيفعاتي؟ في إطار الاستعداد للغزو- وذلك بشن عملية البرق بهدف:

> *حرمان العدو من قاعدة لعمليات مستقبلية ... وخلق مناخ من الذعر العام وتحطيم معنويات العدو. وتمثل الهدف في إجبار السكان العرب على «الرحيل»... ويمكن افتراض أن توجيه ضربة إلى أحد مراكز السكان أو أكثر [على سبيل المثال: مجدل، إسدود، يبنى] سيحدث عملية تشتيت [نزوح جماعي] للسكان في التجمعات الأصغر بالمنطقة. وهو أمر مرجح في ضوء موجة الذعر التي سادت مؤخرا بين العرب في البلاد.*

استهدف الأمر التنفيذي الصادر للكتيبتين (52) و(53) أساسا قريتي بشيت وبيت دراس. وفي تناقض واضح مع ما تضمنته المقدمة، تضمن الأمر أن يتم محاصرة القرى ومطالبتها بالاستسلام والتخلي عن أسلحتها. وفي حالة عدم امتثالها يتم قصفها بالهاون والهجوم عليها. أما فيما يتصل بقرية بيت دراس فإنه في حالة المقاومة يلزم «تدميرها ... والتعامل معها بسياسة الأرض المحروقة»[751]. وفي أمر لاحق للمتابعة، صدر مساء العاشر من مايو، تم تكليف الفرقة 53 وقوات البالماخ التابعة

لها بإخضاع قرية البطاني الشرقي وجارتها البطاني الغربي باستخدام «الوسائل نفسها التي تم اتباعها مع عاقر، بشيت، وبيت دراس»[752].

أسـفرت هجمات لواء غيفعاتي عن تحقيق النزوح الجماعي المرغوب فيه، وقد سبق كل هجوم أرضي عملية قصف بقذائف الهاون على القرى. وفيما يتعلق ببيت دراس كان قـد سـبق لها أن تلقت ضربة قاسـية خلال عمليـة انتقامية قامت بها الهاغاناه ليلة 20-21 أبريل، سقط خلالها ما يقرب من مائة قروي بين قتيل وجريح وفر العديد من السـكان إلى مجدل، غير أن بعضهم أجبرتـه العناصر غير النظامية هنـاك على العودة إلى القريـة[753]. وقام لواء غيفعاتي بمهاجمـة بيت دراس للمرة الأخـيرة في 10-11 مايو؛ حيث واجه مقاومـة كبيرة من قبل القرويين الذين خسروا 50 فردا في المعركة. وفي أعقاب ذلك «تم تفجير العديد من المنازل وإحراقها، كما تم تخريـب الآبار ومخازن الحبوب». وأسـفر كل ذلك عن عملية نزوح جماعي في كل أرجاء المنطقة[754]؛ حيث فر القرويـون من عبدس، جولس، وبيت عفا[755]. وخلال تلك الليلة تم أيضا الاسـتيلاء على كل من السوافير الشمالية وبشيت بعد مواجهات شـديدة؛ وهناك أيضا تم تفجير المنازل[756]. وشـهدت الفترة من 10-12 مايو قيام وحـدات من المنطقة الفرعية في إفرايم بعمليات قصف متكررة والهجوم على قرية النبي روبين وإن لم يحالفها النجاح، وكان الهدف هو إجبار السكان على النزوح[757]. كان من بين نتائج الهجوم على بيت دراس أن أثار موجة من النزوح في قرية البطاني الشرقي المجاورة. وعندما دخلتها قوات غيفعاتي في الحادي عشر من الشهر وجدتها خالية باسـتثناء عدد قليل من كبار السن. وطبقا لأحدهم فإن باقي السكان رحلوا «وفقا لتعليمات المخاتير»، وتضمنت تقارير اسـتخبارات الهاغاناه صراحة[758] قيام القوات بإعدام أربعة من الأشـخاص الباقين بناء على تعليمات من قائد الفرقة 54. أما بالنسبة إلى قرية برق فقد تم احتلالها في 12 مايو[759].

في الثالث عشر من شـهر مايو بدأ لواء غيفعـاتي تنفيذ المرحلة الثانية لهجومه تحت مسمى «عملية مكابي». قذفت قرية أبو شوشة (جنوب شرق الرملة) بالهاون ليلة 13-14 وتلا ذلك اقتحام وحدات الفرقتين (51) و (54) القرية التي هرب بعض سكانها وتم تدمير منازلها[760]. إلا أن الكثير من القرويين بقوا في القرية. وفي التاسع عشر من الشـهر نقلت وحدة تابعة للجيش العربي من منطقة قريبة أن «اليهود ...

يقتلون القرويين في أبو شوشة»، وبعد مرور يوم أوضح غيفعاتي أن عدد القتلى من العرب خلال الهجوم ليلة 13-14 بلغ 30 شخصا على الرغم من أن العرب ادعوا أن «أكثر من 70» شخصا قد قضوا. وربما كان هذا التقرير وسيلة ملتوية لتجنب الإشارة إلى القتل بعد 14 مايو[761]. في الحادي والعشرين من الشهر أخطرت السلطات العربية في الرملة الصليب الأحمر أن «اليهود ارتكبوا أعمالا وحشية» في أبو شوشة، مطالبة بتدخل الصليب الأحمر[762]. وقد حاول أحد جنود الهاغاناه مرتين اغتصاب امرأة سجينة في العشرين من عمرها[763]. في نهاية الأمر طرد من تبقى من سكان القرية يوم 21 مايو[764].

خلال الهجوم على أبو شوشة حُوصرت قرية نانا ونُزع سلاحها بعد احتجاز 11 من أعيانها كرهائن[765]. كان الكثير من سكانها قد رحلوا، غير أنهم بدأوا في العودة في 17 مايو[766]. وخلال الهدنة الأولى حاول القادة العسكريون المحليون التأثير في اتجاه خروج السكان بحجة أنهم كانوا معرضين لمخاطر أمنية[767]، وفي الثاني عشر من يونيو - أي اليوم التالي لبدء الهدنة - احتلت قوات الدفاع الإسرائيلية القرية[768]. وأمر القرويون بالرحيل في الأيام التالية أو تم تخويفهم للقيام بذلك[769].

هُوجمت قرية القباب (شمال غرب اللطرون) كجزء من عملية مكابي وتم الاستيلاء عليها في الخامس عشر من شهر مايو[770]. كما استولت الكتيبة (53) من لواء غيفعاتي على قرية المغار (جنوب غرب عاقر) في اليوم ذاته، حيث وجدت القوات «عددا قليلا من كبار السن والنساء»[771].

في الثامن عشر من شهر مايو استولت الكتيبة (51) - للمرة الثانية - على السوافير الشرقية والسوافير الغربية المجاورة. وقد كلف الأمر التنفيذي للعملية (بشكل تقليدي) السرية (ج) من الكتيبة (51) بأن:

> *تطرد العدو من القرى... تنظف خط المواجهة... تستولي على القرى، وتطهرها من السكان (يلزم طرد النساء والأطفال أيضا)، وتلقي القبض على العديد من الأشخاص... وتحرق أكبر قدر ممكن من المنازل*[772].

وُجدت القريتان تقريبا مهجورتين تماما، وفجّر الجنود وحرقوا العديد من المنازل. بيد أنه بعد الانسحاب عاد قرويون وأطلقوا النار على القوافل الإسرائيلية، وعلق على ذلك أحد قادة لواء غيفعاتي بقوله:

> *هناك مشكلة في الاستيلاء على القرى: فنتيجة لنقص المعدات المناسبة لهدم واحتلال القرى التي تم الاستيلاء عليها في معارك صعبة، فإننا مضطرون إلى مغادرتها بعد ساعات قليلة. وكان هذا ما حدث في عاقر، بشيت، بيت دراس، والسوافير. يجب علينا أن نطلب من القادة العسكريين البحث بجدية في أن يكون الاحتلال مستمرا، وأن يكون هناك إعداد مسبق للجرافات، والوقود والمتفجرات[773].*

بحلول نهاية شهر مايو كانت كل من السوافير الغربية والسوافير الشرقية مجددا ممتلئة بالعرب[774].

ظلت المشكلة المتعلقة بترك القرى التي يُستولى عليها من دون حماية وفي حالة جيدة، مما مكن القرويين من العودة بسهولة بعد مغادرة الهاغاناه، تؤرق لواء غيفعاتي. وعلى سبيل المثال، في الثالث والعشرين من شهر مايو تضمن تقرير للإدارة السياسية لجهاز استخبارات الهاغاناه أن فلاحي السوافير والقرى المجاورة لها: بيت دراس، الجلادية صميل (المسعودية)، جسير قد قضوا الليل في الحقول وعادوا إلى قراهم للعمل نهارا [775]. ومع ذلك فإن هجمات الهاغاناه والتدمير الجزئي للقرى أصاب السكان باليأس[776]، وأسهم في نزوحهم الجماعي الدائم.

بالتنسيق مع تقدم لواء غيفعاتي جنوبا، تقدّم لواء النقب التابع للبالماخ خلال شهر مايو بشكل محدود باتجاهي الشمال والشرق؛ حيث جرى الاستيلاء على برير (شمال شرق غزة) في 12-13 مايو. وهرب سكانها إلى غزة. وقتلت قوات الكتيبة التاسعة عددا كبيرا من القرويين، وأُعدم عشرات من الذكور في سن التجنيد. كما تردد كذلك أنهم اغتصبوا وقتلوا طفلة في العاشرة من عمرها [777]. وفي اليوم ذاته طُرد سكان قريتي سمسم ونجد (في الغرب). وفي سمسم لم تجد القوات سوى حفنة صغيرة من كبار السن. ودمروا عددا من المنازل وهددوا بأنه إن لم تُسلّم أسلحة القرية في اليوم التالي فإنهم سيدمرون ما تبقى[778]. استمر القرويون في العودة بشكل متكرر إلى القرية إما للإقامة وإما للزراعة. وبنهاية شهر مايو اقتحمت وحدة من لواء النقب قريتي سمسم وبرير بأوامر واضحة: «طرد السكان وحرق صوامع الحبوب والحقول»، وقد واجهت الوحدة مقاومة في سمسم قُتل خلالها 5 أشخاص (وطبقا لتقرير آخر 20)، ودُمرت الصوامع وبئر المياه[779]. عاودت القوات الدخول إلى القرية في 9 أو 10 يونيو، وحرقت مجددا منازل واحتكت بالعرب[780].

هرب سكان قريتي كوكبا وحليقات (في الشمال) باتجاه الغرب في منتصف شهر مايو متأثرين بسقوط برير[781]. وبعد مرور أسبوعين، وعلى وجه التحديد ليلة 27-28 مايو، أغارت وحدات لواء النقب على قريتي المحرقة وكوفخة (جنوب برير) وطردت سكانهما[782]. وكان القرويون في كوفخة قد سبق لهم التقدم بطلبات متكررة - لم يُستجب لها - للاستسلام والقبول بالإدارة اليهودية على أن يُسمح لهم بالبقاء[783]. فقد نظرت الهاغاناه إلى مثل تلك الطلبات على أنها غير مخلصة ولا قيمة لها، فضلا عن أنه بوجود الجيش المصري على مقربة، كان من المفضل عدم المخاطرة بذلك.

جرى الاستيلاء على قرية بيت طيما (شمال برير) من قبل الفرقة السابعة بلواء النقب في 30 - 31 مايو؛ وقُتل خلال الهجوم 20 عربيا، كما حُرقت صوامع الحبوب ودمرت بئر المياه[784]. وفي 31 مايو طُرد سكان قرية هوج (الواقعة على بعد سبعة كيلومترات جنوب برير) إلى قطاع غزة. وقد كانت القرية تقليديا على علاقات طيبة مع اليهود؛ حيث أخفى سكانها في العام 1946 بعض عناصر الهاغاناه الذين كان البريطانيون يتعقبونهم. وفي منتصف ديسمبر 1947 أُطلقت النار على مختار القرية وشقيقه اللذين كانا في زيارة إلى غزة من قبل مجموعة اتهمتهما «بالتعاون» مع اليهود[785]. بيد أنه في نهاية مايو 1948 قرر لواء النقب - آخذا في الاعتبار تقدم طوابير الجيش المصري واقترابه - طرد السكان، وأعقب ذلك نهب وتدمير منازلهم[786].

إلى الشمال، وبالقرب من رحوفوت، سيطر لواء غيفعاتي في 26 و27 مايو على قرية القبيبة وزرنوقة المجاورة وشبه المهجورة، وكانت زرنوقة قرية «صديقة» لليهود؛ حيث إنها كانت اقتصاديا تعتمد على الرواتب التي يُحصل عليها نتيجة العمل في مزارع البرتقال المملوكة لليهود[787]. وفي مطلع شهر ديسمبر 1947 سعى القرويون إلى توقيع اتفاق عدم اعتداء مع مستوطني رحوفوت[788]. غير أن ذلك لم يوثق رسميا على الإطلاق. خلال شهر أبريل 1948 دخلت كتيبة من العناصر غير النظامية القرية. ومع بدء الغزو المصري في الخامس عشر من مايو أصبحت الحرب قريبة جدا. وفي هذا السياق أرادت إحدى العشائر بالقرية، عشيرة دار الشوربجي، تسليم أسلحتها والقبول بحماية الهاغاناه، الأمر الذي رفضته بقية العشائر، وأجلي

أغلب كبار السن والنساء والأطفال إلى يبنى المجاورة. وبقي رجال عشيرة الشوربجي إلى جانب العشرات من الرجال المسلحين من العشيرتين الأخريين[789].

بدأ هجوم لواء غيفعاتي على القرية في السابع والعشرين من مايو بقصف كثيف من مدافع الهاون[790] أعقبه دخول القوات القرية. وأُرسل وصف تصويري لما حدث بعد ذلك إلى صحيفة حزب مابام اليومية، هاميشمار:

أخبرني جندي كيف فتح أحد زملائه الباب وأطلق النار على رجل عجوز وامرأة عجوز وطفل في سلسلة طلقات متتالية؛ كيف أخذوا العرب خارج منازلهم وأوقفوهم تحت أشعة الشمس الحارقة طوال اليوم وتركوهم يعانون العطش والجوع حتى سلموهم 40 بندقية... وكانوا ادعوا سابقا أنهم لا يملكون سلاحا، وفي نهاية الأمر طُردوا من القرية باتجاه يبنى.

وقد احتج العرب على إرسالهم باتجاه أعدائهم - العرب المعادين للصهاينة - الذين لم يسمحوا لهم بدخول قريتهم زرنوقة، «غير أن ذلك لم يشفع لهم، وغادروا القرية وهم يبكون ويصرخون»[791].

إجمالا قُتل ستة من بين السكان (ثلاثة رجال، امرأتان، وفتاة)، واعتُقل 22 شخصا[792]. وفي اليوم التالي عاد السكان قائلين إن سكان يبنى طردوهم باعتبارهم «خونة لا يستحقون حسن الوفادة». وقد شاهد العائدون القوات اليهودية والمستوطنين من المناطق المجاورة ينهبون منازلهم. وأُمروا للمرة الثانية بالرحيل. وأخيرا دُمرت منازل القرية خلال شهر يونيو[793].

استولى لواء غيفعاتي في الأيام التالية على العديد من القرى بما في ذلك جولس (27 مايو، ومجددا في 11 يونيو)، جسير (11 يونيو)، ويبنى. وكان اللواء مهتما «بإجلاء» قرية يبنى الكبيرة، كما يوضح ذلك التاريخ الرسمي[794]. تحركت كتيبة من المتطوعين العراقيين إلى داخل القرية في منتصف شهر مارس. وفي الثلاثين من الشهر نفسه قتل ما يزيد على عشرين قرويا في عملية انتقام شنتها الهاغاناه[795]. وفي الحادي والعشرين من شهر أبريل قُبض على القائد العسكري العراقي بالقرية، عبد الرازق، في يافا وهو في حالة سكر أطلق خلالها النار على عربيين[796].

استولت وحدات من الفرقتين 51 و57 التابعتين للواء غيفعاتي على قرية يبنى في الخامس من يونيو. وقد تضمن أمر العمليات النص على «استكمال تنظيف

المنطقــة من عناصر العدو المحاربة»[797]. وكان أغلب ســكان قريــة يبنى قد فروا إلى أســدود في الســابع والعشرين من شهر مايو بعد ســقوط القبيبة وزرنوقة، بيد أن رجال المليشــيات هناك أجبروا الذكور المسلحين على العودة إلى القرية[798]. بعد قصــف القرية بالهاون وتبادل قصير لإطلاق النــار، دخلت وحدات غيفعاتي القرية ووجدتها مهجورة «باســتثناء بعض كبار الســن من الرجال والنساء»، الذين أُرسلوا لحــزم أمتعتهم[799]. وأضحت تلال الرمال جنــوب المدينة ممتلئة باللاجئين الفارين باتجاه أســدود، وأطلقت عناصر لــواء غيفعاتي قذائف المدفعيــة بهدف «تضخيم شعورهم بالذعر»[800].

بعد مضي شــهرين عــلى الأحداث أصدر مركــز قيادة غيفعــاتي تقريرا يلخص العمليــات التــي قام بها اللواء في الفــترة من «15 مايو حتــى 2 يونيو» تضمن: في الوقت الذي تركنا فيه فرقة كســتار لمواجهة المصريين الذين يتقدمون، «كانت بقية الفرق منتشرة في خطين دفاعيين ووُظفت في عملية تنظيف المنطقة الداخلية، وهي العملية التي نُفذت كاملة»[801].

عشــية الهدنة الأولى تلقى لواء النقب تعليمات من عمليات رئاسة أركان قوات الدفــاع الإسرائيلية تضمنت: «خلق حقائق ذات أهمية سياســية على أرض الواقع» و«تنظيف كل القرى العربية التي احتلتها القوات المســلحة المصرية». وتعلق الأمر على وجه التحديد بقريتي جولس وياصور اللتين كان يلزم احتلالهما «عدة ساعات» قبــل بدء الهدنــة (للتأكد من أن المصريين لن يكون لديهــم الوقت، قبل أن تدخل الهدنة حيز التنفيذ، لإعادة الاستيلاء عليهما)[802].

لم يكن ســلوك الهاغاناه وقوات الدفاع الإسرائيليــة في كل أرجاء البلاد متناغما. فلــواءا غيفعاتي والنقب مالا إلى طرد التجمعــات القريبة من خطوطهم في الجبهة على خلفية اقترا ب القوات المصرية الغازية، الذين اعتقدت رئاسة أركان الهاغاناه - على مدار أسابيع - أنها أقوى مما كانت عليه. أما فيما يخص عمليات لواءي غولاني وكارميلي فلم يجمعها أي قاسم مشترك من حيث الخصائص وما خلفته من آثار. في السادس عشر من شهر مايو، بعد مرور ساعات على شن القوات السورية والعراقية الغزو، اســتولى لواء غولاني على قريتي إندور وكوكب الهوا. وغادر أغلب السكان في إندور (اسمها التوراتي هو عين دور، أي بيت الساحرة) على الأرجح في بداية المعركة،

والعديد من الذين قُبض عليهم، «وحاولوا [لاحقا] الهروب»، قُتلوا رميا بالرصاص. تم الاستيلاء على ثلاث بنادق. وقد ترك القائد في القرية حامية صغيرة في حين «نُقلت [البقية الباقية] من السكان باتجاه الناصرة»[803]. بعد مرور أسبوعين، في السابع من شهر يونيو، دخلت دورية كبيرة من لواء غولاني على متن سيارة مدرعة وبصحبة ثلاث حافلات عسكرية إندور من دون أن تصادف أي «قوى أجنبية»، ودمرت منزلين، مواصلةً تقدمها بعد ذلك لتدخل قرية طمرة الكبيرة، حيث لم تجد إلا نساء وأطفالا فقط (نظرا إلى هروب الرجال لدى معرفتهم بقرب وصول القوة). وطلبت القوة من القرويين تسليم الأسلحة أو «الرحيل خلال نصف ساعة». وعاد قائد القوة ليمدد الفترة إلى عدة أيام. وانتقلت الدورية بعد ذلك إلى كفر مصر وتمكنت من مباغتة رجال القرية. وطلب القائد منهم تسليم الأسلحة خلال نصف ساعة وإلا سيكون على الرجال الرحيل. وتبع ذلك تسليم القرويين 8 بنادق واعدين بإحضار المزيد صباح اليوم التالي. وفضلا عن ذلك «طلبوا السماح لهم بالاستمرار في الحصاد وأن تكون لهم حرية الحركة إلى الناصرة. قلت إنهم سيتلقون الإجابة عن طلبهم بعد تسليمهم الأسلحة». واصلت الدورية تقدمها لتدخل قرية ناعورة (إلى الجنوب من طمرة)؛ حيث كان أغلب الرجال قد رحلوا، وأوضح المختار أنهم سيسلمون السلاح إلى اثنين من الضباط المحليين. وقد ذكر قائد الدورية: «ليست هناك حاجة إلى طرد هؤلاء السكان وإنما يلزم التوصل معهم إلى اتفاق بعدما يقومون بتسليم الأسلحة»[804].

في المقابل تصرفت قوات أخرى تابعة للواء غولاني بطريقة مختلفة (إن لم تكن شاذة إلى حد ما). ففي الرابع من شهر يونيو استقلت فصيلتان من الفرقة 12 - (فرقة باراك) التابعة للواء- بقيادة حاييم ليفاكوف ثلاث حافلات وسيارة جيب، واندفعت باتجاه قرى حدثا، عولم، سيرين، ومعذر، على بعد ما يقرب من عشرة كيلومترات غربي وجنوب غرب سمخ. وجدت القوة في كل من حدثا، وعولم، ومعذر حفنة من العرب مشغولين بالحصاد. كان في حوزتهم جميعا تصريح مكتوب بالبقاء. أما في سيرين فلم يكن هناك سوى مائة فرد. قامت القوة بالتحقق من بطاقات هويتهم وبالتفتيش بحثا عن الأسلحة (لم يُعثر إلا على بعض السكاكين) ثم غادرت القرية؛ حيث لم يُعثر على عناصر غير نظامية معادية وتُرك السكان في مكانهم – على

الرغم من أن ضابط الاستخبارات في الفرقة كان قد أوصى في تقريره بأنه يلزم «طرد العرب من المنطقة، والقبض على الشباب، ومصادرة المحاصيل...»[805].

بعد مرور نصف قرن، وصف فيكتور أوفيد - أحد الإسرائيليين المشاركين في هذه الدورية أو دورية أخرى مشابهة - الموقف كما يلي:

> *في أحد أيام الصيف الساخنة، وفي إطار الجهود المبذولة لتطهير المناطق من العناصر المعادية، أُرسلنا منتصف الليل للتفتيش في بعض القرى الواقعة خارج رمات يفنئيل... اقتربنا... سيرا على الأقدام... وعلى مسافة قريبة بدأنا في شم الرائحة الخاصة المنبعثة من القرية العربية، وسمعنا أصوات الدواجن والحمير... ونباح العشرات من الكلاب. وفي دقائق قليلة كنا على أطراف القرية... وبدأ العشرات من القرويين في الصراخ: جاء اليهود... استُدعي المختار للقاء القائد الذي أمره بإجلاء القرية في وقت معقول. وهكذا انتقلنا من قرية إلى أخرى وأجرينا تفتيشا دقيقا من منزل إلى آخر (بحثا عن العناصر المعادية) لكن من دون نجاح. وفي آخر وأكبر القرى أُمر المختار - كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى القرى الأخرى - بمنع دخول القوات المعادية.*
>
> *عندما كانت القوة الإسرائيلية على وشك الانصراف اقترب عربي من القائد «وبدأ في تقبيل يديه وقدميه» واشتكى أنه خلال عملية التفتيش اختفت رزمة من الأوراق النقدية من جيب معطف كان معلقا في المنزل، وأخبر القائد الجنود الموجودين بأن القوة لن تتحرك حتى يُعاد المال واعدا بعدم معاقبة المذنب، وفجأة أُلقي المال على الأرض وأُعيد إلى القروي الذي «قبّل يدي وقدمي» القائد مرة بعد مرة... وعدنا إلى القاعدة راضين ولكن نشعر بالمرارة». وبعد ذلك غادر القرويون الموقع آخذين معهم ما يمكنهم حمله بما في ذلك الماشية، و«الأبواب، والنوافذ... وخلال عمليات القتال التي تلت كانت تلك المنطقة هادئة مما وفر على جيش الدفاع الكثير من القوات وجنبها العديد من الصدامات»[806].*

في عملية أخرى جرت بعد مرور ثلاثة أيام، أغارت فصيلة من فرقة باراك بقيادة إسحاق شسترمان على متن حافلة وسيارة جيب على قرى: دنّه، البيرة، كفرة، يبلى، جبول، المرصص (شمال وشمال غرب بيسان)، وقد مرت القوات أولا بقرية الطيبة

وجماعــة تابعة لها في جبل طيرة الحرب (شــمال شرق موليديــت) - مجموعة من الأفراد كان قد سُمح لهم بالبقاء. اتخذت القوات مواقع في مناطق مرتفعة تطل على ضواحي كل من القرى المســتهدفة بدءا بقرية دنّــه، وبدأت بإطلاق قذائف هاون مــن عيــار 2 بوصة على مركز القرية، ثم بدأت عمليــة الاقتحام والتفتيش. وجدت القــوات كلا من دّنه، البيرة، كفرة، يبلى، والمرصص خالية من الســكان. أما في جبول فقد قابلت فلاحين يقومون بالحصاد بادروا بالفرار عند رؤيتهم. «فتحت قواتنا النار من دون أن تصيب أحدا». هرب العرب أيضا من القرية. «وحرق جنودنا المحاصيل والعديد مــن المنازل». وعادت الفصيلة بعد ذلك إلى قاعدتها[807]. لخصت عمليات رئاسة أركان قوات الدفاع الإسرائيلية الموقف كما يلي: «كانت هناك دوريات عنيفة في قــرى الجليل الجنوبي، وكان العرب يرحلــون، وأولئك الذين يعودون إلى ديارهم كانوا يطردون»[808].

في ليلــة 10|11 يونيو، عشــية الهدنــة الأولى، هاجمت وحدة مــن لواء غولاني واحتلــت قرية فقوعــة (الواقعة على بعــد 10 كيلومترات غرب بيســان) وطردت سكانها ودمرت 30 من منازلهم[809]. وإلى الشمال صدرت الأوامر للفرقة (14) التابعة للواء بالاســتيلاء على لوبيا (غرب طبريا) و«طرد ســكانها» - غير أن الفرقة صادفت مقاومة عنيفة وفشــلت في الاســتيلاء على القرية[810]. وغربا تمكنت وحدات تابعة للــواء كارميلي ليلة 5|6 يونيو من الاســتيلاء على قريتــي المكر وجديدة، غربي عكا، بعــد تبادل قصير لإطلاق النار. وكانت التعليمات الصادرة للقوات تشــمل: مصادرة الأســلحة، وفي حالة وجود مقاومة قوية من قبل جديدة تُدمر، أما إذا خضعت فإنه يكون التعامل مع ســكانها «بطريقة طيبة». وكانت التعليمات نفســها تنطبق على التعامل مع قرية المكر. استســلمت كلتا القريتين في واقع الأمر وســلمتا أسلحتهما، وهــرب بعض المســلمين من المكر غير أن الجانب الأعظم من الســكان في الموقعين سُــمح له بالبقاء. ومع ذلك قتل الجنود الإسرائيليون تســعة من العرب في منطقة مجاورة لقرية جديدة: خمســة ســجناء قُبض عليهم قبل بداية العملية، وقُتلوا من قبل حــارس «ظن أنهم يهربــون (أو ادّعى ذلك)»، واثنان قتــلا لمنعهما من إخبار القوات المعادية عن الأماكــن التي زرعت فيها القوات ألغاما، واثنان آخران قتلا في بداية العملية عندما كانت قافلة من «الكلاب والجمال» تقترب من القرية[811].

يتضـح مما تقـدم أن كلا من لواءي غولاني وكارميـلي لم يكن لديهما توجيهات شـاملة وواحـدة فيما يتصل بالتعامل مـع المجتمعات العربيـة خلف وعلى طول خطوط القتال (باستثناء نزع سلاحهم): بعض الوحدات طردت القرويين أو تأكدت مـن أن القرى سـتظل فارغة من السـكان، في حين اكتفت وحـدات أخرى بدخول القرى وتفتيشها ونزع سلاحها. وعلى عكس المنطقة التي عمل فيه لواء غيفعاتي، لم تسـفر عمليات التفتيش عن السلاح عن طرد تلقائي للسكان بعد ذلك. وعلى الرغم مـن أن بعض المجتمعات التـي تُركت في مكانها طُردت بعد ذلك، فإن أخرى تُركت بشـكل دائم ومازالت تلك القرى المسلمة الكبيرة توجد حتى اليوم (المكر، جديدة، وغيرهما...).

خاتمة

يتضـح مما سـبق عرضه أن المحصلة الرئيسـية المتمثلة في الموجـة الثانية من النزوح - التي شـملت 250 ألفا إلى 300 ألف من اللاجئين - لم تكن نتاجا لسياسـة عامة مخطط لها سـلفا من قبل اليشـوف، فنزوح شهري أبريل ومايو أدهش قيادة اليشـوف، على الرغم من أنه نُظر إليه على الفور باعتباره ظاهرة يمكن اسـتثمارها، وقد أوضح ذلك غاليلي في الحادي عشر من مايو قائلا:

> *حتى 15 مايو وكذلك بعد ذلك التاريخ يجب أن نسـتمر في تطبيق خطة العمليات العسـكرية [المقصود الخطة دالـت]... وألا نأخذ في الاعتبار انهيار وفـرار التجمعات في أعقاب سـقوط حيفا... على الرغم مـن أن هذا الانهيار يسهل من مهماتنا*[812].

يمكـن ملاحظـة تحـول رئيسي في سـلوك الهاغانـاه والمنفذيـن المدنيين تجاه المجتمعات العربية خلال النصف الأول من شهر أبريل، عندما أصبح اليشوف يترنح تحت وطأة معارك السـيطرة على الطرق، وبدأ يستجمع قواه لمواجهة الغزو العربي المتوقع. فالخطـوط العامة للخطة دالت التي صِيغت مطلع شـهر مارس تضمنت - إلى درجـة مـا- هذا التوجه الجديد. فقد تمثل جوهرهـا في ضرورة تأمين المناطق الريفية من أراضي الدولة وطرقها الرئيسـية؛ وأن ذلك سـيتم بشكل أفضل مع طرد

المجتمعات المعادية أو التي يمكن أن تكون كذلك وتدمير سلسلة من القرى. وخلال النصف الأول من شـــهر أبريل أقر بن غوريون ورئاســـة أركان الهاغاناه بسلسلة من العمليــات الهجومية - في واقع الأمر هجمات مضادة (عملية نحشـــون، والعمليات في محيط ميشـــمار هعيمك)- عكست الخطوط الرئيســـية للخطة. وخلال الأسابيع التاليـــة، أدت هجمات الهاغاناه والإرغون في حيفا، ويافا، والجليل الشرقية والغربية إلى الإسراع في النزوح الجماعي.

نُظـــر إلى هـــذا النزوح من قبـــل الدول العربيـــة واللجنة العربيـــة العليا خلال الشـــهور الأولى على أنه ظاهرة عابرة ليست لها نتائج ذات مغزى خاص. وقد سعى القادة الفلســـطينيون المدنيون والعســـكريون إلى مقاومة هـــذه الظاهرة من دون أن يحالفهـــم النجـــاح. كان من شـــأن تحول النزوح الجماعي خلال شـــهر أبريل إلى «جيشـــان ديموغـــرافي» أن فاجأ اللجنـــة العربية العليا والـــدول العربية التي كانت تجهله بشكل كبير وأحدث حالة من الارتباك؛ حيث ألقى الضوء على ضعف اللجنة (والفلســـطينيين) وعدم قدرة الدول العربية – مـــادام الانتداب قائمًا- على التدخل. وفي الوقت ذاته فإنه دفعهم أكثر باتجاه الغزو الذي لم يكونوا متحمســـين له بشكل كبـــير. لا يوجـــد أي دليل على أن الدول العربية واللجنـــة العربية قد أرادوا حدوث نزوح جماعي أو أصدروا أوامر مفتوحة أو نداءات تدعو إلى الهرب، وفي الوقت ذاته فإنهم عادة من كانوا يشجعون القرويين (وفي بعض المناطق من قاطني المدن) على إرســـال نسائهم وأطفالهم بعيدا عن مناطق الخطر. كذلك أصدر القادة السياسيون والعســـكريون أوامر لبعض القرى بالإجلاء بهدف أســـتباق إمـــكان قبولهم بالإدارة اليهودية (الخيانة). وأصدرت الدول العربية في بعض المناطق (الأماكن الواقعة حول القدس، وتلك الواقعة على طول الحدود الســـورية) تعليمات لقرى بالرحيل الكامل لدواعٍ استراتيجية.

تميـــزت الصورة التي نتجت عن ذلك بالتعقيد والتنوع؛ حيث اختلفت بشـــكل كبير من موقع إلى آخر ومن أســـبوع إلى آخر، وفي محاولة لاســـتخلاص نماذج في هذا الصدد فإنه يلزم التمييز بين المدن والريف.

يلزم النظر إلى عمليات إجلاء المدن - خلال شهري أبريل ومايو- على أنها مثلت الذروة لسلســـلة من العمليـــات والأحداث، وجاءت على خلفيـــة وضعية الضعف

الرئيســية للمجتمع الفلســطيني: فقد عانى الســكان العرب في حيفا، يافا، طبريا - وبدرجة أقل في صفد وبيســان وعكا - على مدار شــهور من انهيار الإدارة والقانون والنظــام، وصعوبات في الاتصــالات والإمــدادات، والعزلة، والحصار، والمناوشــات وأعمال التحرش المتقطعة من قبل القوات اليهودية. كذلك فإنه في حالة يافا وحيفا والقدس، أسهم النزوح الجماعي المستمر للطبقتين الوسطى والعليا على مدار الفترة من ديسمبر 1947 حتى مارس 1948، بشكل كبير في إضعاف الروح المعنوية للسكان المتبقين، ووفر لهم نموذجــا للرحيل في حالة ما أصبحت الظروف لا يمكن احتمالها. فلطالما تطلعت الجماهير الريفية (والفلاحون) إلى طبقة الأعيان للقيادة.

شــكل سقوط ونزوح ســكان المدن الأخرى أحد الأســباب الرئيسية وراء عملية النزوح الجماعي من المدن، فنزوح عرب طبريا قدم نموذجا لقادة عرب حيفا عشــية اتخاذهم قرار الإجلاء. كما أنه أدى إلى إضعاف الروح المعنوية في صفد. وكان سقوط ونــزوح عــرب حيفا أكثر وضوحا في هذا الخصوص؛ حيث أثر بشــكل قوي في عرب يافا ونشر الروح الانهزامية في كل أرجاء الشمال، ما أثر في صفد، بيسان، وعكا. فإذا كان مقدرا لحيفا أن تســقط وينتزع سكانها من جذورهم، فكيف يمكن لتجمعات ســكانية أصغر ونســبيا ضعيفة التســليح أن تصمد؟ والأكثر من ذلك، أسفر سقوط طبريا عن عملية نزوح جماعي من القرى الممتدة على شــاطئ بحيرة طبريا (غوير، أبو شوشة، وغيرهما). كما أن انهيار يافا كان له أثر مشابه في قرى من قبيل: سلمة، ويزور، والخيرية.

في المقابــل، أدت هزيمــة القرى الداخليــة وهجرة ســكانها إلى إضعاف الروح المعنوية في المدن؛ حيث شــعر ســكان المدن كما لو كانوا معزولين. فســقوط خربة نصر الدين أضعف الروح المعنوية في طبريا؛ وأســهم سقوط سلمة والقرى الصغيرة التابعة لها في النزوح الجماعي من يافا؛ وســقوط بيريــا وعين الزيتون أثر في صفد؛ وسقوط قرى الجليل الغربي أسهم في انهيار عكا.

من المؤكد أن «عامل الفظائع» أســهم في تدعيم العملية وتغذيتها. فما حدث، أو ادُعــي أنه حدث، في نصر الدين أثر في معنويات العرب في طبريا. وبشــكل أكثر عمومية فإن مذبحة دير ياسين، والأوصاف المبالغ فيها التي تناقلتها الإذاعات العربية علي مدار أسابيع، دمرت المعنويات في كل أرجاء فلسطين، خصوصا في الريف.

كان تفكك وهروب القيادة المحلية المدنية والعسكرية قبيل وفي أثناء المعارك النهائية أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في النزوح الجماعي من المدن. فهروب الطبريين من طبريا، وفرار أعضاء اللجنة الوطنية والقادة العسكريين من حيفا العربية قبيل وخلال المعركة؛ وهروب قادة يافا خلال وبعد هجوم عناصر الإرغون؛ ورحيل العائلات البارزة والقادة العسكريين من كل من صفد وبيسان، كل ذلك أسهم في حدوث النزوح الجماعي من كل مدينة ومن المناطق الداخلية التابعة لها.

بطبيعة الحال لم يكن هناك هروب من قبل القيادات قبيل أو خلال الهجمات في القرى. وباستثناء أولئك الذين أجلوا سابقا من النساء والأطفال، فإن القرى هُجرت بشكل عام مرة واحدة؛ حيث رحل المختار وعناصر المليشيات معا بصحبة الذكور من السكان الباقين.

مما لا شك فيه - وفقا لما فهمنا من مصادر استخبارات قوات الدفاع الإسرائيلية- أن الهجمات اليهودية كانت من أهم العوامل التي أسهمت في النزوح في الفترة من أبريل حتى مايو، وقد ظهر ذلك بشكل واضح في حقيقة أن كل حالة من حالات النزوح كانت تقع إما خلال أو مباشرة بعد الهجوم العسكري. ولا توجد مدينة هُجرت من قبل الجانب الأعظم من السكان قبل الهجوم الرئيسي من قبل الهاغاناه والإرغون. أما في الريف، فإنه في حين أن العديد من القرى أُخليت خلال الهجمات من قبل الهاغاناه|الإرغون أو بسببها، فإن قرى أخرى أُجليت نتيجة لمثل هذه الهجمات على قرى أو مدن مجاورة؛ حيث ساد الخوف من أنها ستكون التالية.

بصفة عامة، لم تتضمن الأوامر التنفيذية لهجمات الهاغاناه على المدن النص على طرد السكان المدنيين. لكن منذ أوائل أبريل، تضمنت مثل هذه الأوامر فيما يتصل بالقرى وسلاسل القرى بشكل أكثر النص على تدمير القرى، وأشارت بشكل علني أو ضمني إلى الطرد. ولا شك في أن مشهد الهروب المذعور قد ساعد على إثارة شهية قادة الهاغاناه وربما أيضا رئاسة أركانها؛ حيث أدركوا - كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى بن غوريون- أن نقل (ترانسفير) الأقلية الكبيرة المتوقعة خارج الدولة اليهودية الوليدة قد بدأ، وأنه مع القليل من الجهد أو بدفعة خفيفة يمكن أن يتزايد. وقد أسهمت أسباب سياسية وعسكرية قوية في زيادة الإغراء للقيام بذلك.

إجمالا فإنه عندما تعلق الأمر بطرد المجتمعات العربية تمتع قادة الهاغاناه بدرجة أكبر من الاستقلال والقوة في الريف عنه في المدن، وقد رجع ذلك جزئيا إلى بعد المسافة عن المركز الرئيسي للقيادة؛ حيث كان كبار الضباط والمسؤولين - كما كانت عليه الحال بالنسبة إلى بن غوريون على سبيل المثال- عازفين عن اتخاذ أوامر صريحة بالطرد أو إقرار مثل هذه الأوامر، وفضلا على ذلك فإن الخطوط الرئيسية التي تضمنتها الخطة دالت، التي مكنت القادة المحليين من طرد السكان وتسوية القرى بالأرض، لم تتضمن أي نصوص تتصل بعمليات طرد واسعة النطاق من المدن.

خلال الفترة من أبريل إلى يونيو أثر عامل الوقت بشكل واضح في سلوك الهاغاناه، فكلما اقترب الموعد المحدد للانسحاب البريطاني في الخامس عشر من مايو، أصبح القادة أكثر ميلا إلى عمليات «التنظيف» والطرد لتفريغ مناطقهم الخلفية، والطرق الرئيسية وخطوط المواجهة المتوقعة من التجمعات السكانية المعادية أو التي يحتمل أن تصبح معادية. أما فيما بعد الخامس عشر من مايو فقد أملى التهديد الذي فرضه وجود الجيوش النظامية العربية بالقرب من مراكز التجمعات السكانية في اليشوف اتباع سياسة اللعب - الآمن وعدم ترك أي احتمالات بالنسبة إلى المجتمعات الواقعة وراء الخطوط، ومن ثم قام لواء غيفعاتي بعمليات طرد خلال شهري مايو ويونيو بالقرب من رحوفوت. وبشكل عام فإن الانهيار المفاجئ لأغلب التشكيلات الفلسطينية وغير النظامية؛ وانهيار الروح المعنوية؛ والذعر والهروب التلقائي من أغلب التجمعات كان يعني أن القادة اليهود لم تكن عليهم مواجهة معضلة الطرد: فأغلب القرى كانت إما خالية تماما أو شبه فارغة في الوقت الذي أُستولي فيه عليها.

الهوامش



هوامش المقدمة

(1) على الرغم من أن أغلب هؤلاء الذين تم طردهم لم يصبحوا لاجئين وفقا للمعنـى المحدد للكلمة؛ حيث لم يتم إبعادهم عن بلادهم لكن انتقلوا أو أجبروا على ذلك من منطقة إلى أخرى داخل البلاد، فإن العالم أضحى يقبل اسـتخدام مصطلـح "اللاجئين" لوصف أولئك الذيـن أزيحوا من ديارهم وانتهى بهم المطاف خارج البلاد أو في أجزاء أخرى من فلسطين، وذريتهم، وبغية الاختصار فإننا سنقوم بعمل الشيء نفسه.

(2) المكتبة العصرية، بيروت وصيدا، 1956-1960.

(3) المطبعة العمومية، دمشق، 1951.

(4) Middle East Forum، المجلد 35، 10 ديسمبر 1959.

(5) Middle East Forum، المجلد 35، 7 يوليو 1959.

(6) مكتبة E. Droz في جنيف، ومكتبة Minard في باريس، 1959.

(7) معهد الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1978.

(8) معهد الدراسات الدولية، جامعة كاليفورنيا، بيركيلى، 1983.

(9) Jerusalem Quarterly، العدد 40، 1986.

(10) Sifriyat Poalim/Mishlat, Mehavia, 1949.

(11) Journal of Palestine Studies، 1\4, 1972.

(12) Sussex Academic Press, Brighton, 2001

(13) Massalha, "Expulsion of the Palestinians"; Massalha, "A Critique of Benny Morris"، مصالحة في «طـرد الفلسـطينيين» وكذلك «نقد لبني موريس».

(14) Teveth, "The Evolution of Transfer, in Zionist Thinking"

تيفث، «تطور الترانسفير في التفكير الصهيوني».

(15) Shapira, "land of Power"، ص. 285-286. وقـد تطـرق إفـرام كارش إلى نقد طريقة معالجتي السـابقة لملف «الترانسفير» في كتابه، Efram Karsh, "Fabricating Israeli History: the New

Historians"، غير أن نقده كان أقرب إلى الكذب الوقح والتشــويه، معتبرا ما كتبته وما يتضمنه النص لا يستحق التناول بالتفصيل.

وربمــا يجد القراء في الفصل الــذي أضيف عن «الترانســفير» دفاعا بالحجة وبشكل ضمني إزاء ما كتبه العديد من المنتقدين.

الفصل الأول

(1) للاطــلاع عــلى ملخــص، انظــر الفصلــين الأول والثــاني مــن Morris, "Righteous Victims".

(2) في أعقاب ثورة «بار كوشبا» العام 132 - 135 قبل الميلاد أطلق الرومان اسم «فلســطين» على إقليم «يهودا». وظلت فلسطين إقليما من أقاليم روما ثم البيزنطيين حتى الغزو العربي في القرن الســابع. وطوال العقود التي سيطر فيها العثمانيون لم تكن هناك ولاية أو مقاطعة باسم فلسطين بل كانت الأحياء الفرعية (الســناجق) التي قُسمت إليها فلسطين مجرد أجزاء من إقليم سورية، وفي فترة لاحقة إقليم بيروت (على الرغم من أنه في الأعــوام الأخيرة للإمبراطورية العثمانية تمتعت القدس ويافا والمناطق المجــاورة في الجنوب بوضعية حي فرع مســتقل، وبالنســبة إلى العالم المســيحي كانت فلســطين مجرد مرادف للأراضي المقدسة غير المحددة بشكل واضح، والتي أطلق عليها اليهود على الدوام «أرض إسرائيل».

(3) Lebel, "Haj Amin"، ص. 193 - 202.

(4) Horowitz and Lissak, "Origins".

(5) Pa'il, "Haganah"، ص. 279 - 280.

(6) Gelber, "Jewish Army" ص. 211 - 213. كذلــك Pa'il, "Haganah" ص. 241.

(7) Pa'il، مرجع سابق، ص. 285. وفضلا عن هذه الأرقام يلزم إضافة 2000 إلى 3000 من قوات «إرغون» و300 - 500 من أعضاء الهستدروت، وقد بلــغ عدد القوات العربية التي غزت فلســطين خلال شــهر مايو 1948 نحــو 25 ألفا (انظر على ســبيل المثال مؤلــف Kimche & Kimche,

"Both Sides ص. 162، والــذي يقــدم رقــم 24,000) وقد تزايد الرقم خلال الأسابيع والشهور التالية كما كانت الحال كذلك بالنسبة إلى القوة البشرية في قوات الدفاع الإسرائيلية.

(8) Pa'il, "Haganah" ص. 285.

(9) خلال الفترة 1944 - 1945 كان فقط ثلث الأطفال المســلمين فيما بين الخامســة والخامسة عشرة من العمر يذهبون إلى المدارس (في المقابل كان 100% مــن الأطفــال اليهود والمســيحيين في الشريحــة العمرية نفســها قيد الدراســة). وكانت معــدلات الأمية بطبيعــة الحال أعلى بين البالغين خــلال فترة العثمانيين والأيــام الأولى للانتداب البريطاني، وكانت أعلى بين النســاء عــن الرجال. وفي الفترة مــن 1945 - 1946 تغــير الوضع حيث بلغت نســبة من يذهبــون إلى المدارس 85% من الأولاد المســلمين و65% من البنات، وقد تباينت النسب من المناطق الحضرية (65%) والريفية (10%)، فمن بين 800 قرية فلســطينية لم توجد مدارس إلا في 432 في تلك الفترة. ولقد أظهرت الاختبارات التي أجريت في العام 1931 أن 25% من الرجال المسلمين و3% من النساء المســلمات فقط كانوا يعرفون القراءة والكتابة، في حين كانت النسبة بين المســيحيين في الفترة نفســها 70% للذكــور و40% للإناث. (انظر "Miller, Palestine"، ص. 97 - 98).

(10) Miller, "Palestine" ص. 86. انظــر كذلــك Seikally, "Haifa" ص. 19 - 25.

(11) في كتابــه "One Hundred Years" يضــع Stein الأمــر بشــكل أكثر وضوحا حيث ذهب إلى أن نزع الملكية من الفلاحين والانتقال المســتمر للسكان إلى المدن كان من بين الأسباب في مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ومن هــذا المنطلق كان بمنزلــة المرحلة الأولى في الفصــل بين الفلاحين وأراضيهم ســواء معنويا أو اقتصاديا، الأمر الذي «جهزهم» لما حدث في العــام 1948؛ وانطلاقا من هذا التحليــل ذهب إلى أن الهجرة الجماعية في العام 1948 كانــت «مرحلة ثانية» متأخرة في عملية بدأت قبل ذلك بقرن أو ما يزيد على ذلك.

(12) Grossman, “Arab Village” ص. 154 - 155.

(13) Miller, “Palestine” ص. 86.

(14) Gabbay, “Political Study” ص. 6.

(15) Miller, “Palestine” ص. 24 - 25.

(16) Shoufani, “The Fall of a Village” ص. 120.

(17) Grossman, “Arab Village” ص. 111. انظـر كذلـك: Kark, “Jerusalem and Environs” ص. 279 - 286.

(18) Porath, “Emergence” ص. 287.

(19) Haganah economic intelligence memorandum (p. 1 and title, missing) مـن دون تاريخ ولكن عن شـهر مايو أو يونيو 1948، رقم 105 119/HG

(20) ربما عن شهر مايو أو يونيو 1948 Haganah economic intelligence memorandum, HA/105 /119.

(21) ربما عن شهر مايو أو يونيو 1948 Haganah economic intelligence memorandum, HA/105 /119.

(22) للحصول على قائمة كاملة انظر: Shimoni, “Arabs” ص. 211 - 239.

(23) Porath, “Palestinian Arab” ص. 162 - 273. انظـر أيضا: Sayigh “Peasants” ث. 47 - 51.

(24) Khalaf, “Politics in Palestine”.

(25) Shimoni, “Arabs” ص. 338. ويلاحـظ أن الهوامـش الرقـم 5 و6 تقـدم قائمة جزئية للانتـماءات العائليـة، فقد حظي الحسـيني بولاء الدجانيين وأبو لبن في يافا، والصوراني في غزة، وحسونة في اللد، والتميمي والعنبتـاوي في نابلس، وعابدين وعرفـة والخطيب في الخليل، والطبري في طبريـا، ونحوي في صفد، ومن جانبها حصلت عائلة النشاشـيبي على ولاء كل مـن طوقان والمصري والشـكعة في نابلس، والدجاني في القدس، والكرازنـة والهنيدي في اللد، وعمرو وآل طهبور في الخليل، والهانوس في

طولكرم، والفاهوم في الناصرة؛ ومن بين العائلات البارزة التي بقيت على الحياد منــذ نهاية الثلاثينيات وخلال الأربعينيات عائلة الشــوا في غزة، ونسيبة في القدس وأبو شيش444في جنين.

(26) سجلات 22 ديسمبر 1947 و19 فبراير 1938 ، DBG-YhI,64 and 66 and 253 - 254 ، وشهادات دانيس وساسون "Protocol of Meeting on Arab Affairs 1- 2 January 1948, KMA-IGP".

(27) «Arabs with a Tendency to Cooperation with the Jews», undated, HA/105 /54. هذه المذكرة غير الموقعة للهاغاناه تذكر أسماء شخصين مسلمين كانا على استعداد للتعاون مع اليهود لقاء مقابل مادي.

(28) "George Antwan Bakhut is Dead", unsigned HIS report, 13 Feb. 1947, HA/105/195.

(29) Hanoch - Hadamaska I, "The Situation between Shafa'Amr's Christians and Muslims", HA/105/195.

(30) وثيقة غير موقعة من استخبارات الهاغاناه

"Bishop Giorgius Hakim went to Egypt on 15 February 1947", report, HA 105 /195

انظر كذلك

Hanagid, "Surrounding the Murder of George Bakhut", 19 Feb. 1947, HA 105 /195.

(31) 17 Mar. 1947, HA 105/195. تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه.

(32) Hanagid, "The Shafa' Amr Incidntes", 7 Mar. 1947, HA 105/195

(33) Talmi, "The Christians in Jaffa", 2 May 1947, HA 105/195 bet

(34)"Subject: The Christian Arabs Worry about their Safety", unsigned HIS report, 10 Oct. 1947, HA 105/195.

(35) HIS - AD "Summary of Conversation with Barkai, Nazareth District Officer, (Afula) 5.11.47", HA 105/195

(36) "Hashmonani, Group of Reports", undated but c. 7 Jan. 1948, IDFA 500/48//5

(37) Nir' to HIS - AD, 27 Jan. 1948, HA 105/195.

(38) HIS, "Subject: Meeting of Sheiks in Beersheba", 1 Dec. 1947, HA 105/194.

(39) HIS, "Subject: The Arab Institutions in Jerusalem Today, Organization and Leadership (A survey up to 25.1.48, IDFA/500/48//60.

(40) Porath, "Palestinian Arab" ص. 76.

(41) Shimoni, "Arabs" ص. 376 - 377.

(42) Nazal "Exodus" ص. 30 - 31، 34 - 40، 46. وتجـدر الإشـارة إلى أن الأرقام المشـار إليها اسـتندت إلى تجميع تم بعد مـرور عقود على الأحداث.

(43) Gelber, "Palestine"، ص. 40.

(44) من أجل نظرة شـاملة على الاستعدادات العسكرية الفلسطينية لحرب 1948 انظر: Levenberg, "Military Preparation"

(45) اُقتبست هذه العبارة في "Barak" to HIS - AD, 22 Mar. 1948, IDFA 900/52/40

(46) Unsigned HIS report, 31 Dec. 1947, IDFA 500/48//60

(47) Mordechai Abir, "The Local Arab Factor in the War of Independence (the Jerusalem area)", undated but from mid - 1950s, IDFA 1064/70//185.

(48) HIS "Subject: Ahmad Abu Khattab and Muhammad Taha Najar", 29 Dec. 1947, unsigned, HA 105/23.

(49) STH, III, part 2, 1362.

(50) HIS-AD, "The Arab Public's Reaction to the Internal Arab Terror (a Summary for the Period 1.11.46- 20.4.47)", 16 May 1947, HA 105/102..

(51) من سجلات 22 ديسمبر 1947 DBG-YHI, P. 63.

(52) من سجلات 21 يناير 1948
DBG - YHI, 169, and Gelber "Palestine" P. 54.

(53) HC to Secretary of State, "Weekly Intelligence Report", 3 Jan. 1948, SAMECA CP III/1/3..

(54) Pir'im, "The Feeling Among Palestine's Arabs", 29 Oct. 1947, CZA S25-3300.

(55) A.L, «A Conversation with Zaáfer Dajani, Chairman of the Jaffa Chamber of Commerce», 26 Nov. 1947, CZA S25 - 3300.

(56) مذكرة من دون عنوان مكونة من 7 صفحات تتناول القوة العسكرية لكل من اليهود والعرب، وموقع عليها من عقيد برئاسة أركان الجيش البريطاني بتاريخ 10 يوليو 1947، انظر SAMECA CP IV/4 /65 وقد علق عليها اللواء مكميلان بقوله فأنا «أعتقد أنك ستود رؤية ذلك. اتفق مع التحليل والنتائج».

(57) Behind the Screen, 66 - 67 تقرير الجنرال إسماعيل صفوت الأول من قبل اللجنة العسكرية الذي عرض على مجلس جامعة الدول العربية في 9 أكتوبر 1947. وص 71 (صفوت لرئيس الأركان العراقي في 27 نوفمبر 1947).

(58) ISA, «People's Administration, 67 (protocol of meeting of 12 May 1948).

الفصل الثاني

(1) Bevin to Kirkbride, 24 July 1948, PRO FO 816\139.

(2) Bevin to chargé d'affaires, Amman, 28 July 1948, PRO FO 816\139.

(3) BMEO to FO, 3 August 1948, PRO FO 816\139.

(4) Burdett (Jerusalem) to Secretary of State, 5 Feb. 1949, PRO FO 371-7520.

(5) Morris, Righteous Victims, 42.

(6) في هذا السـياق قد يكون من الجديـر ملاحظة أنه في نهاية حرب العام 1948 ضم سـكان إسرائيل ما يقرب من 750 ألـف يهودي و150 ألف عـربي، وفي عام 2002 كانت الأقليـة العربية في إسرائيل لا تزال تمثل 20 في المائة من سـكان البلاد (ما يزيد بقليل على مليون بالمقارنة بما يقرب من خمسـة ملايين يهـودي)- وهذا على الرغم من حقيقـة أن الزيادة الطبيعيـة في إسرائيل كانت قد ارتفعت على مدار خمسـين عاما نتيجة لوصول ما يقرب من مليونين ونصف المليون من المهاجرين الجدد!

(7) Herzel, The Complete Diaries of Theodor Herzel, I, 88.

(8) Morris, Righteous Victims, 140.

(9) Morris, "Righteous Victims", 140. اشـتكى الأمير فيصل - الحاكم الفعلي في دمشق - من الرأي القائل «بنقل السكان العرب من فلسطين عن طريق هجرة جماعية بالجمال»، انظر:

Morris, "Righteous Victims", 141

(10) Segev, "One Palestine", Complete, 98-99.

(11) انظر: Joseph Schechtman, "Transfers in Asia", 1 -50 ويستعرض المؤلـف عمليـة تبادل السـكان بين الهند وباكسـتان كجزء مـن الأدلة الجدليـة التي يقدمها ص 84-141، والمقصـود بذلك نقل أو طرد العرب الفلسطينيين عام 1948.

(12) Kisch to Weizmann, 20 May 1930, Kisch Papers. تجـدر الإشـارة إلى أنه حتى قبل اضطرابات عام 1929 كان كيش من المؤيدين المتحمسـين للترانسفير، وقد كتب في سبتمبر 1928 عن لقائه مدير إدارة الأراضي في الإدارة العراقية؛ حيث أوضح الأخير «الحاجة المتزايدة للعراق إلى الفلاحين من أجـل تطوير وتنمية الزراعة»، وعلق الكاتب على ذلك بقولـه: «ذلك هو ما انتظرته وأملت فيـه طويلا؛ حيث قمت قبل ذلك بالتعبـير عن رأيـي في هذا الخصوص والقاضي بأن مشـكلة ري وزراعة المحاصيل في العراق سيوجد حل لها في المشكلة العنصرية في فلسطين»، وأضاف الكاتب: «أن الدعاية للهجرة العربية إلى العراق لا يمكن أن نقوم بهـا، إلا عـبر الأدوات والطرق غير المباشرة، لكـن إذا ما كانت الحكومة العراقيـة تفعل ذلك فإن الأمر مدهش ويصب في مصلحة كلا البلدين»،

انظر:

Kisch to Weizmann, 21 Sep. 1928, Kisch Press temporarily in author's keeping.

(13) Weizmann (London), 'Awaiting the Shaw Report', 6 Mar. 1930, Letters of Chaim Weizmann, Series B, 591-592.

(14) Segev, "One Palestine", Complete, 329.

(15) Masalha, "Expulsion", 32.

(16) Teveth, 'The Evolution of "Transfer", ... ', 16-21.

(17) Jabotinsky, 'Round Table with the Arabs', Ktavim, 245.
أود في هذا الخصوص أن أشكر الأستاذ الدكتور يورام ميتال لتوجيهي إلى هذا المرجع.

(18) Katz, Jabo, 982, Jabotinsky testified on 11 Feb. 1937 in London.

(19) 'Note of Conversation between Mr D. Ben-Gurion and Mr. Shertok and His Excellency the High Commissioner on July 9th, 1936 at Government Offices', HA, Yitzhak Ben-Zevi Papers, file 27.
ويبدو بشكل واضح أن آراء بن غوريون كانت قد تغيرت، فخلال الحرب العالمية الأولى والفترة التي أعقبتها مباشرة كان معارضا للترانسفير أو النقل؛ وفي هذا الصدد ذكر: «أنه من غير المقبول أو الممكن ترحيل السكان الحاليين للبلاد»، انظر: Simons, International Proposals, 16-17.

(20) Protocol of the Meeting of the Jewish Agency Executive, 1 Nov. 1936, CZA S100\20B.

(21) Palestine Royal Commission Report, Cmd 5479 (London, July 1937), 389-91.

(22) D. Ben-Gurion to Amos Ben-Gurion, 5 Oct. 1937, DBG Correspondence, IDFA.

انظر أيضا:

Shapira, "Land and Power", 271.

(23) Entry for 12 July 1937, David Ben-Gurion Diary, DBG, Emphasis in original.

(24) Texts of speeches by Ben-Gurion, Ussishkin, Ruppin, etc. in CZA S5 - 1543.

يُشـــار إلى أن وايزمان ألقى بدوره خطابا مؤيدا للترانســفير أو النقل كما قــدم مقترحا محددا في هذا الخصوص (بيــد أن نص خطابه غير متوافر في الملف، وتمت الإشــارة إليه في خطب أخرى) وفي أعقاب المؤتمر نشرت المنظمة الصهيونية نسخة منقحة من الخطب التي أُلقيت حُذفت منها أغلب الإشارات إلى الترانسفير، انظر:

Twentieth Zionist Congress.

وفي أعقــاب اطلاعه على نســخة من تقريــر لجنة بيل التقــى وايزمان سرا وزير المســتعمرات (ويليام أورمبسي غــور) في 19 يوليو 1937 وأقر التوصيــة الخاصة بالترانســفير أو النقل، وأوضح وايزمــان أنه قال: «إن نجــاح مشروع التقســيم بالكامــل يتوقف على مــا إذا كانت الحكومة ســتنفذ هذه التوصية»، وقد وافق غــور على أنه «فور إعطاء «الجليل» لليهود ... فإن الموقف ســيكون صعبا للغاية إذا ما لم يتم الترانســفير أو النقل»، انظر:

Weizmann, Summary of Note of Interview with Mr. Ormsby Gore, Colonial Office, "International Proposals", 1923-.

(25) بشكل مثير للاهتمام استمر جابوتنسكي في العلن في رفض ضرورة إجراء «الترانســفير» إن لم يكن قد رفض أو أدان الفكرة: «لم أحلم على الإطلاق بــأن نطلب من العرب (الذين يعيشــون) في بلد يهــودي الهجرة منها، فإن ذلك يمكن أن يشكل سابقة خطيرة ستكون مضرة بمصالح اليهود في المهجر... فإن ذلك الموضــوع المتصل باقتلاع تكتلات من الناس ليس إلا ضربا من الجنون»، انظر:

Katz, Jabo, 1001, quoting Jabotinsky on 7 July 1937.

(26) انظر: الوثائق، بما في ذلك بروتوكولات مداولات لجنة الترانسفير في:

CZA S 25 - 247 and Katz, "The Deliberations of the Jewish Agency Committee,12 June 1938, CZA S100.

(27) Protocol of the Meeting of the JAE, 7 June 1938, CZA S100-24B.

(28) Protocol of the Meeting of the JAE and the Political Committee of the Zionist Actions Committee, 12 June 1938, CZA S100-24B.

(29) Entry for 10 Dec. 1938, Ben-Gurion Diary, BGA; and protocol of JAE meeting of 11 Dec. 1938, CZA S100\25b.

انظر أيضا:

Simons, 'Supplement No. 1', 9.

(30) انظر:

Ehrlich, "Lebanon", 73 and 75 - 76.

لم يكن سلطان الأطرش الشخص العربي الوحيد الذي اهتم بفكرة نقل العرب من مكان إلى آخر، ففي أغسطس 1941 ذكر إلياس ساسون (رئيس القسم العربي في الإدارة السياسية للوكالة اليهودية) أن أحد الأعيان المسلمين في جنوب لبنان يُدعى محمد حاج عبدالله التقاه مقترحا أن يقوم ببيع أراضي جبل عامل (الواقعة إجمالا في المنطقة بين نهر الليطاني والحدود الفلسطينية-اللبنانية) ونقل سكانها من الشيعة إلى العراق، كما ذكر ساسون أيضا أن الرئيس اللبناني، بشارة الخوري، كان يفكر في أن شيعة جبل عامل يلزم طردهم وإحلال المارونيين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية مكانهم، وفضلا عن ذلك فإن ريمون أده (مسؤول لبناني كبير) اقترح على وايزمان وضع مدينتي صور وصيدا تحت سيطرة اليشوف ونقل سكانهما المسلمين البالغ عددهم 100 ألف نسمة. انظر:

Ehrlich, "Lebanon", 118.

(31) David Ben-Gurion, 'Outlines of Zionist Policy', 15 Oct. 1941, CZA Z414632-.

يلاحظ أنه هنا أيضا حرص بن غوريون على موازنة تفكيره الظاهر المؤيد للترانسفير بمقولات تتصل بالمساواة الليبرالية فيما يتعلق بوضع الأقلية العربية في الدولة اليهودية المزمعة إقامتها.

(32) للاطلاع على ملخص جيد للخطة انظر:

Porath, "In Search of Arab" Unity, 80 - 106.

(33) "Short Minutes of Meeting held on Thursday, January 30th, 1941, at 77 Great Russell Street, London WC.1", unsigned, Weismann Archive, 2271.

(34) 'Meeting: I.M. Maiskii-Ch, Weizmann (London, 3 February 1941)', in Documents on Israeli-Soviet Relations, 1941-1953, 3-5.

(35) Sharett, Political Diary, V, 234-235. خـلال عام 1941 يبدو أن شـاريت أخبر غالبية من تحـدث معهم حول احتمالات الترانسـفير أو النقل. (على سبيل المثال انظر حديثه مع الصحافي المصري محمد عزمي في Shertok, Political Diary, V, 246 -247.

(36) Entry for 20 Dec. 1940, Weitz, My Diary, II, 181.

وقد كان ويتز عضوا بارزا في لجنة الترانسفير التابعة للوكالة اليهودية في الفترة من 1937 حتى 1938.

(37) اقتُبست هذه الفقرة في Simons, "International Proposals", 185 - 207 وقـد ناقشـت كذلك صياغـة القـرار، وأيضـا وإن كان بشـكل جزئي في Schechtman, "Population Transfers", 118.

واقترح القرار أيضا توسيع منطقة فلسطين حتى يمكنها استيعاب تدفق اليهود المتوقع «بالاتفاق مع مصر وسورية وشرق الأردن»، انظر أيضا:

Gorny, British Labour Movement, 178 -79.

(38) Protocol of the JAE Meeting of 7 May 1944, CZA S100-42B.

(39) Protocol of the JAE Meeting of 20 June 1944, CZA S100-43B.

(40) Duke of Devonshire to Secretary of State [for the Colonies], 27 Jan. 1943, PRO CO 733\443\10.

تجدر الإشارة إلى أنه خلال الخمسينيات سعت إسرائيل سرا إلى تخطيط هجرة (يجري التعويض عنها) لجزء من العرب فيها إلى ليبيا.

(41) Glubb, 'A Note on Partition as a Solution of the Palestine Problem', July 1946, PRO WO 216\207.

(42) Glubb, 'A Further Note on Partition as a Solution of the Palestine Problem', undated, PRO CO-537 1856.

(43) Glubb, 'A Note on the Exact Siting of the Frontier in the Event of the Adoption of Partition', undated but with covering note Glubb to Kikbride, 16 Jan. 1947, PRO FO 816\86.

(44) 'Note on Conversation with General Nuri Sa'id, the Iraqi Prime Minister and the Iraqi Minister of Foreign Affairs in Baghdad on 5th and 6th December, 1944, illegible signature, 18 Dec. 1944, PRO FO 921\149.

يُذكــر أن حمدي الباجه جي (رئيس الوزراء العراقي) تبنى خطا مختلفا طبقا لما ورد في التقرير؛ حيث ذكر أن التقســيم في فلسطين سيؤدي إلى «اضطراب حاد» في العراق.

(45) Kirkbride to Mac Michael, 28 Nov. 1944, PRO FO 921\149.

(46) Moyne to Foreign Secretary Eden, 1 Mar. 1944, PRO FO 921\148.

ويمكــن للبعض أن يرفض خطابات وتصريحات مــن قبيل تلك التي ألقاها نوري الســعيد باعتبارها تمثل حالة من حالات القادة العرب الذين يخبرون مســؤولي حليفهم البريطاني بما اعتقدوا أن البريطانيين يرغبون في ســماعه، وانطباعــي أن هــؤلاء القادة اعتقدوا حقا أن التقســيم أمــر مرجح إن لم يكــن متعذرا تجنبه، كما أنه من أجل نجاح التســوية يلزم أن يكون هناك ترانسفير للسكان أيضا.

(47) Note by Oliver Stanley, Colonial Secretary, and appended letter Mac Michael to Stanley, 16 Jan. 1944, PRO FO 921\148.

(48) Kirkbride to T. Wikeley, Eastern Department, FO, 29 July 1946, PRO FO 816\85.

(49) Kirkbride to FO, 23 Aug. 1946 (No. 1387) and Kirkbride to FO 23 Aug. 1946 (No. 1364), both in PRO FO 816\85.

لم يوضح كيركبرايد إلى أي مكان كان عبدالله وهاشـم يتوقعان أن يُنقل العرب الفلسطينيون: شرق الأردن أم العراق أم مكان آخر.

(50) Masalha, "Expulsion", 175; and Finkelstein, 'Myths ...', 67 et al.

(51) انظر:

Shapira, "Land", 285-286; and Teveth, 'The Evolution of "Transfer" in Zionist Thinking', 47-48 and 54-57.

(52) Protocol of Israel Cabinet meeting of 12 Sep. 1948, ISA.

الفصل الثالث

(1) تقليديـا، أشـار المؤرخـون الصهيونيـون إلى هذه الهجـمات باعتبارها المشاهد الأولى للعنف الفلسطيني ضد قرار التقسيم، ولكن من المحتمل ألا تكون مرتبطة بشـكل مبـاشر بالقرار، وإنما كانـت نتاجا إما للرغبة لسرقة اليهود، انظر:

HIS-AD, «The Attack on the Buses Near Petah Tikva on 30/11», 3 Dec. 1947, and «The attack on the Two Buses on 30.11.47», unsigned, 4 Dec. 1947, IDFA 48\49\\62

أو دائـرة من الأعـمال الانتقامية التي بدأت مع الغـارة البريطانية على موقع تدريب للهسـتدروت (بعد قيام شـخص عربي بإبلاغهم عنه) مما أسفر عن وقوع العديد من القتلى في صفوف اليهود، انظر:

to HIS-AD, 2 Dec. 1947, IDFA 481\29\\62\.

وقد ردت الهستدروت بإعدام خمسة من أفراد عشيرة الشوبكي البدوية بالقرب من هرتسليا.

Tiroshi, Subject: the Murder of 5 Members of the Shubaki" (family) Near Ra'anana", 20 Nov. 1947, HA 105\358.

وفي 20 نوفمبر قام من 6-7 يهود مسلحين يرتدون زي الجيش البريطاني بالدخول إلى عرب الشـوبكي بالقرب من هرتسليا، وأخرج جميع الذكور البالغين من خيامهم، ونُودي على أسـماء خمسـة أشـخاص اُقتيدوا إلى

مركز اعتقال، وفي أعقاب إطلاق سراح الآخرين فُتحت النار على الخمسة وقتلوهم)، وتُلي ذلـك قيام العرب بالانتقام من خلال مهاجمة حافلات في 30 نوفمبر، انظر:

HIS, «Tene Information Circular», 30 Nov. 1947, IDFA 900\52\\58.

(2) «Tene|Ayin» (HIS-AD), «Summary of a Conversation with Barkai, Nazareth District Officer (Afula), 11.47», undated, HA 105|195

يُذكر أن Tene كان الاسم الرمزي لجهاز استخبارات الهاغاناه، و Ayin الاسم الرمزي للإدارة العربية بها.

(3) HIS-AD to "Hillel" (Israel Galili), 30 Nov. 1947, HA 73\98.

(4) «Ibrahim to Haganah General Staff (HGS), Report of «Shahar» Reconnaissance in Jaffa, 1.12.47, undated, HA 73\21, and «HIS Information Circular», 1 Dec. 1947, IDFA 900\52\56.

يُذكر أن Shahar هو الاسم الرمزي للقسم العربي في البالماخ، أو ما يطلق عليه استخبارات الكشافة التي تشبه العرب في الشكل.

(5) Page of an unidentified Haganah Logbook covering, 2 Dec. 1947, HA 73\98.

(6) HIS-AD to «Dan an Galili», 1 Dec. 1947, HA 73\98.

(7) تقرير غير مُوقع ومن دون تاريخ وعلى الأرجح صادر عن حي القدس:

"Report on the Situation in the Old City from 5\12 until 14.12.1947", IDFA 500\48\61.

وقـد ذكـر التقرير أن ما يقارب 1500 شـخص من الحـي اليهودي تم إجلاؤهم أيضا من المدينة القديمة وانتقلوا إلى القدس الغربية، وتحولت عملية الإجلاء الفردي إلى "هروب جماعي منظم".

(8) "HIS Information Circular", 9 Dec. 1947, HA 105\61.

(9) Entry for 11 Dec. 1947. DBGY-YH I, 37-38.

(10) Ben-Gurion (TA) to Moshe Shertok (NY), 14 Dec. 1947, ISA\CZA, Political and Diplomatic Documents, 60; and protocol of meeting of Mapai Centre, statement by Ben-Gurion, 8 Jan. 1948, LPA 23 aleph 48.

Evacuation», 25 Jan. 1948, IDFA 959\49\202.

(34) "To the Arabs of the District of Gaza and Beersheba, to the Sheikhs and Notables", 19 Dec. 1947, CZA S25-4148; and Yadin to Allon, 24 Dec. 1947, IDFA 481\49\\35.

(35) Yadin to Palmah, etc., 4 Jan. 1948, IDFA 481\49\\35. The new leaflets, from the Haganah to «the Arab of Palestine», dated 29 Dec. 1947.

ونقرأ فيها: «اسـمع وافهم... الشر لا يفـضي إلى خير، القتل لا يفضي إلى الأمن والسـلام... تذكر أولئك الذين قتلـوا والجرحى واليتامى والأرامل، تذكـر اللاجئين الذيـن انتزعت أملاكهـم... تذكر العاطلـين عن العمل والجائعـين ... تذكر التدمير والتخريب في المدن والقرى العربية ... تذكر النساء والرضع وكبار السـن والذعر والرعب والخوف ... تذكر كل ذلك وأعلم أننا أعلنا، أكثر من مرة، نيتنا الخالصة في السـلام والمصالحة ... لا تجبرنا على القيام بأشـياء صعبة وتطبيق إجراءات قاسـية حتى نتمكن من الدفاع عن حياتنا وحماية كياننا وما نقوم به من اسـتمرار في البناء والرفاهية». (CZA S 25 - 9051).

(36) «Hashmonai» to general (distribution), «Subject: Relations with the Neighbouring Villages», 24 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.

(37) «To our Members, Daily Information Circular No. 10», unsigned but by an Haganah HQ, 18 Dec. HA 105\61.

في ليلة التاسع من شـهر ديسمبر 1947 فُجِّر منزل فى كرتيا، وبعد مرور ليلتين فُجِّر منزل في وادي رشـميا فضلا عن إطلاق نار في بلد الشـيخ ما أسـفر عن مقتل عدد مـن العرب؛ وفي الثاني عشر من ديسـمبر قامت قـوات البالمـاخ بتدمير ثماني حافـلات كبيرة كانت مصطفـة في موقف حافلتين وسيارة في الرملة، انظر:

(Reprisals', a long sheet, unsigned, unsigned ,undated, IDFA 6127\49\\93).

(38) High Commissioner to Secretary of State, «Weekly Intelligence Appreciation», 13 Dec. 1947, SAMECA CP II\3\147; and High

Commissioner to Secretary of State, 15 Dec. 1947, SAMECA CP II\3\148. In DBG-YH 1, 61, there is a list of Haganah, IZL and LHI operations up to 20 Dec. 1947.

(39) Texty of "Tochnit May", STH III, 1939-43.

(40) «To our Members», No. 21, 2 Jan. 1948, HA 105\61. Emphasis in original.

(41) Galili to Allon, 5 Jan. 1948; and Yadin to Allon (handwritten note), undated – both in to Allon, 5 Jan. 1948; and Yadin to Allon (handwritten note), undated – both in IDEA 922\75\\1206.

(42) HIS, «The Murder of the Eleven in Abu Suwayrith (near Yavne)», 11 Jan. 1948, DbG Archive; and «Na›im to HIS-AD, 14 Jan. 1948. IDFA 481\49\\23.

(43) "Itai" to Yadin, 21 Jan. 1948, IDFA 481\49\23.

(44) "Uri" to sub-commanders, 20 Jan. 1948, IDFA 1041\49\\9.

(45) «Report on Operation 11», unsigned, 25 Jan. 1948, IDFA 481\49\\23; and «000007» to HIS-AD, 26 Jan. 1948, HA\105\32.

(46) "0127" to HID-AD, 30 Jan. 1948, HA 105\357.

(47) «Na'im (Eitzur)», to HID-AD, 31 Mar. 1948, HA 105\357.
DBG-Yh, I, 102, footnote 16; and «Protocol of the Meeting on Arab Affairs, 1-2 Jan.

(48) 1948, KMA, Israel Galili Papers.

(49) HGS\Operations (Yadin) to brigades, etc., 18 Jan. 1948, IDFA 1196\52\\1.
وُزّع نـص مختلف من قبل القيادة العامة للهاغاناه على اللجان الوطنية في المدن في التاسـع والعشرين من يناير أو التاسع والعشرين من فبراير 1948، أكد مهاجمة وسائل النقل العربية والقوات التي تعمل ضد النقل

اليهودي، انظر:

"Instructions for Planning Initiated Operations", 29 Jan. 1948 (or 29 Feb. 1948), IDFA 922\75\\1211.

(50) Entries for 2 and 3 Jan. 1948, DBG-YH, I, 106 and 108.

(51) Galili to brigade and city OCs, 20 Jan. 1948, IDFA 1196\52\\1.

(52) In IDFA 1196\52\\1.

(53) «Oded», Alexandroni, to sub-district OCs and battailion of OCs battalions,? Mar. 1948; and «oded» to sub-district Ocs, 15 Mar. 1948, both in IDFA 2506\49\\91.

يلاحظ أنه خلال الأشــهر التالية اشتكى المستشارون من أن نصائحهم لم تكن تؤخذ في الاعتبار من قبل القادة الميدانيين.

(54) Entry for 25 Dec. 1947, DBG-YH I, 97.

(55) Danin to Sasson, 23 Dec. 1947, CZA S25-4057. See also STH III, 1415 and 1798 and Book to Palmah, II, 123-124.

(56) Protocol of meeting of Defence Committee, 25 Dec. 1947, CZA S25-9344.

(57) Dan to Levanoni, 19 Dec. 1947, 612\49\\93.

(58) Pinhas to Ali, «Report on the Khisas Operation», IDFA 922\75\\1224; HM Minister, Amman, 16 Jan. 1948, PRO FO 816\115; (58) and «Magi» (i.e. Moshe Dayan) to Dan, 30 Dec. 1947, IDFA 481\49\\23.

(59) Gelber, "Palestine", 62.

(60) Untitled, unsigned HIS report from 28 Dec. 1947, HA 105\358.

(61) Alexandroni to battalions, 19 Dec. 1947, IDFA 2687\49\\35.

(62) Statement by Ben-Gurion, Protocol of meeting of Mapai Central Committee, 8 Jan. 1948, LPA 23 aleph 48.

(63) To Alexandroni, "Subject: Report on Situation in Petah Tikva", 11 Feb. 1948, IDFA 6400\49\\66.

(64) HIS-AD, "HIS Information", 25 Feb, 1948, IDFA 922\75\\1205.

(65) «Tzadik» to «Hashmonai», is Feb. 1948, IDFA 500\48\61.

(66) «Asaf» to OC Second Battalion, Alexandroni Brigade, 13 Jan. 1948; OC Second Battalion to OC Alexandroni Brigade, 14 Jan. 1948; OC Alexandroni to «Menahem», 18 Jan. 1948; and «Asher» to «Menahem», 1 Feb. 1948 – all in IDFA 922\75\\9409.

(67) «Yavne» to HIS-AD, 25 Feb. 1948, HA 105\32.

(68) "Shimon", "Copy", undated but with covering note "Menahem" to "Moshe", 30 Jan, 1948, IDFA 922\745\\1211.

(69) Protocol of meeting of Defence Committee, 3 Feb. 1948, CZA S25-9346. 75\\1207.

(70) Palmah HQ to Galili, 6 Feb. 1948, IDFA 922.

(71) Untitled, unsigned segment of memorandum outlining ‹irregularities› in Haganah behavior, including «cases of execution of Arabs by security squads. Recently an Arab was executed near Rishon (Lezion)», IDFA\922\75\\1207.

يُذكر أن جزءا من المستند قد حُجب بمعرفة الرقابة الرسمية.

(72) Galili to OCs brigades, 16 Feb. 1948, IDGA 922\75\\1207; and ‹Naftali› to staff officers etc., 27 Feb. 1948, IDFA 4663\49\\84.

(73) STH III, part 2, 1362.

(74) Statement by Ben-Gurion, protocol of meeting of Mapai Central Committee, 8 Jan. 1948, LPA 23\48.

(75) Statement by Galili, protocol of meeting of Mapam Political Committee, 5 Feb. 1948. HHA 66.90 (1).

(76) Weitz, 'The Negev These Days', undated but probably form the end of March 1948, JNF files, 501-4.

(77) Sarig, ‹Instructions for Searches on the Roads, in Homes, and Grazing flocks», with appended detailed instructions for each type of search and treatment of shepherds, 12 Feb. 1948, IDFA 6809\49\\9.

(78) 'Ephraim (Nishri), to 'Menahem', undated but probably from early January 1948, 'Report on Arab Labour in the Sub-District, in Connection with the Security Situation', IDFA 410\54\\237; and 'Ephraim' to 'Menahem', 5 Jan. 1948 (mistakenly '5.1.47'), IDFA 410\54\\47.

(79) 'Yahuda' in the name of 'Ephraim' to the 'Areas', 15 Jan. 1948, IDFA 410\54\\273.

(80) ‹Ephraim› to areas, ‹These are the Orders of «Hillel» Concerning Arab Work in the Groves›, 23 Jan. 1948. IDFA 410\54\\273.

(81) 'Ephraim' to areas, 23. Jan. 1848, IDFA 410\54\\237.

(82) ‹Naftali› to ‹Menahelei Anafrim›, 2 Jan 1948, IDFA 4663\49\\84.

(83) ‹Naftali› to ‹Oded›, 28 Apr. 1948; and ‹D›, ‹Arab Labour›, undated, both in IDFA 4663\49\\84.

(84) «Hashmonai› to Shadmi, Dormi, etc., 5 Jan 1948, IDFA 2644\49\\402.

(85) ‹Hashmonai› to Shadmi, Dormi, Hetz, 23 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.

(86) ‹Oded› to ‹Mafanim›, 2 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84.

(87) انظر:

"Hadari" to "Mahazim", 23 Mar. 1948., IDFA 244\51\\81 ; "Nafali" to heads of municipalities and settlement mukhtars, 30 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84; and Alexandroni to battalions, etc., Mar 1948, IDFA 922\75\\1211.

(88) 'Galili to Mechnes, Danin and Gwirtz, 26 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50, and Galili to brigade OCs, 29 Mar. 1948\49\\50.

(89) ? to Alexandroni, 1 Mar. 1948, and Alexandroni to 2nd Battalion, undated, both in IDFA 2687\49\\45; Galili to Mechnes, 3 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50; and Galili to Yadin, 4 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.

(90) 'A Member of Shfavim Says', 14 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.

(91) ‹Aphraim› to areas, 24 Mar. 1948, enclosing an HIS guideline, IDFA 410\54\99.

(92) Alexandroni to OCs 2nd and 3rd Battalions, and the 'Asher' and 'Ayin' sub-district OCs, 14 Mar. 1948, both in IDFA 2323\49\\5.

(93) Galili to Machnes, 3 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1219; and Galili to Mechnes and Danin, 26 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.

(94) Galili to brigade OCs, 24 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1219; and Galili to Mechnes and Danin, 26 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.

(95) Shemi (in the name of the OC), Alexandroni, to Haganah CGS, 25 Mar. 1948, IDFA 6127\49\\93.

(96) Entry for 19 Feb. 1948, DBG-YHI, 253-35. Note especially Danin›s statement.

قدم أهـــارون كوهين (رئيـــس الإدارة العربية بحزب مابـــاي) الملاحظة نفســـها، وقد سعى إلى إقناع قيادة الحزب للتأثير في بن غوريون لتعديل تكتيكات الهاغاناه بشكل يمكن من أن تصيب الضربات الانتقامية فقط المجتمعات «المذنبة»، انظر:

Cohen to Leib (Lova) Leivte and Riftin, 13 Mar. 1948, HHA-ACP, 10.95.11 (21).

(97) Protocol of meeting of Mapai Secretariat, 20 Mar. 1948, LPA\24\48.

(98) Protocol of meeting of Defence Committee, 3 Feb. 1948, CZA S25-9346.

(99) Protocol of meeting of Defence Committee, 24 Feb. 1948, CZA 25-9346.

(100) ‹Azaya› to Allon, apparently 3 Mar. 1948, IDFA 922\75\1218.

(101) Protocol of meeting on Arab Affairs, 1-2 January 1948, KMA, Galili Papers.

(102) Danin to Sasson, 13 Jan. 1948, CZA S25-9007.

(103) HIS-AD to Galili, 4 Dec. 1947, HA 73\98.

(104) Arab Division, 'In the Arab Camp', 7 Dec. 1947, CZA S25-9051.

(105) على سبيل المثال:

HIS-AD, 'Monthly Survey, November 1947' concerning the Arabs of 'The Galilee, South and Negev', 2 Dec. 1947, HA .105\228

(106) 'Tzuri' to HIS-AD, 30 Apr. 1948, HA 105\226.

(107) Safwat's report of 23 Mar. 1948 to chairman of the Arab League Palestine Committee, in Segev, Behind the Screen, 93, 100-101.

(108) Protocol of meeting on Arab Affairs on 9 March 1948, unsigned, 9 Mar. 1948, IDFA 8275\49\\126; and unsigned 'The Responsibility of the Arab Higher Executive (i.e. Committee) for the Disturbances', 16 Dec. 1947, CZA S25-4148.

(109) Untitled, unsigned report, HIS, 31 Dec. 1947, HA 105\123.

(110) على سبيل المثال:

"Tiroshi", "Khirbet Azzun". 23 Dec. 1947, HA 105\23; and Hashmonai, ‹Information Circular›, 4 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(111) "Yavne", "Subject: Dr. Khalidi's state of mind", 4 Jan. 1948, HA 105\23.

وقد اشـتكى الخالدي كذلك من هروب طبقة القيادة: «كان من الأفضل أن يعـود جميع النشـطاء العرب إلى البلاد ويسـاعدوا في العمل هناك، فوجودهم خارج البلاد لم تكن له فائدة...».

(112) Cunningham to Secretary of State, 3 Jan, 1948, PRO FO 816\115.

(113) Arab Division, "In the Arab Camp", 14 Dec. 1947, CZA S25-9051.

(114) Arab Division, "In the Arab Camp", 28 Dec. 1947, CZA S25-9051.

(115) Arab Division, "In the Arab Camp", 7 Dec. 1947, and Arab Division, "In the Arab Public", 21 Dec. 1947, both in CZA S25-9051.

(116) "To Our Members", 21 Dec. 1947, HA 105\61.

(117) Unsigned, "Subject: A Meeting of Husseini Supporters with Hassan Salame, Miscellaneous", 19 Dec. 1947, HA 105\23.

(118) "01217" to HIS-AD, 4 Feb. 1948, HA 105\72.

(119) "01203" to HIS-AD, 19 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(120) "Yavne", Untitled, 4 Feb. 1948, HA\105\72.

(121) "02203" to HIS-AD, 6 Feb. 1948, HA 1948, HA 105\23 bet.

(122) Entry for 19 Jan. 1948, DBG-YHI, 163.

(123) "31317" to HIS-AD, 2 Feb. 1948, IDFA 900\52\\25.

(124) "Tiroshi" to HIS-AD, 19 Feb. 1948, HA 105\251 aleph.

(125) "Tiroshi› to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\54 aleph.

(126) HIS-AD, "Moshe H. Says", 11 Mar. 1948, HA 105\257.

(127) Haifa NC "Communiqué No. 7", 22 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.

(128) Unsigned, "Subject: Meeting of Jews and Arabs in Samaria", 5 Sept. 1947, HA 105\54.

(129) Circular of the Settlement Bloc Committee of Samaria, 1 Nov. 1947, LA 235 IV, 2092.

(130) Circular of the Settlement Bloc Committee of Samaria, 4 Jan. 1948, LA 235 IV, 2092.

(131) Hafer Valley Regional Council Circular, 24 Dec. 1947, LA 235 IV, 2093; and Settlement Bloc Committee of Samaria Circular, 4 Jan. 1948, CZA S25-7089.

(132) Danio to Sasson, 23 Dec. 1947, CZA S25-3569.

(133) Text of Poster, 21 Jan. 1948, CZA S25-9189.

(134) HIS 'Subject: Conditions of the Agreement Between Deir Yassin and Giv'at Shaul', 20 Jan. 1948, HA 105\72.

(135) Report by A.H. Cohen, 11 Feb. 1948, HHA-ACP 10.95.11 (4).

(136) STH III, part 2, 1375; entry for 10 Mar. 1948, DBG-YHI, 291; and interview with Yehoshua Plamon, 1984.

(137) "The Arab Workers in the Tel-Asher Grove" to the head of the Haganah, Tel Aviv, 16 Jan. 1948, HA 105\72.

(138) "01104" to HIS-AD, 23 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.

(139) "Tiroshi" to HIS-AD, ‹Subject: Local Arab Approaches for Peace with the Jews›, 18 Dec. 1947, HA 107\72.

(140) "Tiroshi" to HIS-AD, "Subject: Local Arab Approaches for Peace with the Jews", 18 Dec. 1947, HA 105\72.

(141) "Tiroshi" to HIS-AD, 22 Dec. 1947, HA 105\72.

(142) Untitled, undated (but from the first months of civil war), unsigned segment of a report, IDFA 500\48\\60.

(143) "01123" to HIS-AD, 14 Jan. 1948, HA 105\72.

(144) "01011" to HIS, 22 Jan. 1948, HA 105\72.

(145) "01112" to HIS-AD, 25 Jan. 1948, HA 105\72.

(146) Unsigned, untitled segment of Haganah report, from Jan. 1948, HA 105\72.

(147) "01103" to HIS-AD, 7 Jan. 1948, HA 105\54 aleph.

(148) "HIS Information", 19 March 1948, IDFA 922\75\1205.

(149) "01207" to HIS-AD, 16 Jan. 1948, HA 105\72.

(150) "01207" to HIS-AD, 4 Feb. 1948, HA 105\72.

(151) "Hashmonai" to general distribution, 22 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.

(152) Unsigned, "Subject: Meeting with the Arab Mukhtars", 18 Jan. 1948, IDFA 2644\49\352.

(153) "Yitzhar" to "Hashmonai", 5 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(154) "Tiroshi" to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\54 aleph.

(155) "Summary of Information (Reaching) Alexandroni Brigade (11.5.48)", No. 8, IDFA 2506\49\\80.

(156) Unsigned, "Summary of the Meeting of Arab Affairs Advisers in Dora camp 6.4.48", IDFA 2506\49\91.

يُذكر أنه لم يتوصل إلى اتفاق، أو على الأقل، لم يلتزم به. ففي الثامن من شـــهر مايو نقل أحد الضباط وقوع إطلاق نار من قاقون باتجاه مزارعي هماعبيل، انظر:

Alexandroni, "Brigade Bulletin", 8 May 1948, IDFA 922\75\\1205.

(157) "Tzuri" to HIS-AD, "Subject: The Village of Argibat (i.e., Nuqeib) Near ‹Ein-Gev", 10 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(158) "Hiran" to HIS-AD, "Subject: The Beduin Tribes around Genigar", 16 May 1948, HA 105\54 aleph.

(159) Segment of Haganah Report fron Upper Galilee, unsigned, undated but from c. 20 May 1948, HA 105\54 aleph.

(160) Hiram to HIS-AD, "Subject: Events in the Ramat Yohanan Area", 1 Apr. 1948, HA 105\195.

(161) "Tiroshi" to HIS-AD, "Subject: The Inhabitants of Kheiriya", 6 May 1948, HA 105\54 aleph.

(162) "Tiroshi" to HIS-AD, "Subject: Echoes from the Villages Sindiyana, Sabarin and Fureidis", 6 May 1948, HA 105\54 aleph; and "Tiroshi" to HIS-AD, ‹Subject: Sindiyana Wants Peace", 11 May 1948, HA 105\54 aleph.

(163) "Hiram", to HIS-AD, 5 May 1948, HA 105\54 aleph.

(164) HIS report from 11 May 1948, HA 105\54 aleph.

(165) HIS report, 2 May 1948, HA 105\54 aleph.

(166) Segment of HIS report, 10 May 1948, HA 105\54 aleph.

(167) "Tiroshi" to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\54 aleph.

(168) Alexandroni to battalions, etc., 8 May 1948, IDFA 922\75\\1205.

فيما يتصل بالخيرية انظر أيضا:

"Turisgu" to HIS-AD, 'Subject: Inhabitants of Kheiriya", 6 May 1948, HA 105\54 aleph.

(169) "Summary of Information (Reaching) Alexandroni Brigade, (11.5.48), No. 8", IDFA 2506\49\\80.

(170) "Hiram", to HIS-AD, 23 May 1948, HA 105\54 aleph.

(171) Segment of Haganah report from upper Galilee, unsigned, undated but from around 20 May 1948, HA 105\54\aleph.

(172) IDF General Staff\Operations logbook, entry for 9 June 1948, IDFA 922\75\\1176.

(173) 'Tiroshi' to HIS-AD, 'Subject: Among the Turkemans', 11 Dec. 1947, HA 105\195.

(174) '02122' to HIS-AD, 16 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.

(175) 'Hiram' to HIS-AD, 23 Dec. 1947, HA 105\72.

(176) "02104", to HIS-AD, 23 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.

(177) A segment of an HIS-AD report from Jan. 1948, HA 105\72.

(178) "Tzadik" to "Mat'hen" and "Hashmonai", "Report for 11.1.48, IDFA 500\48\\61.

(179) "Tzadik" to "Mat"hen" and "Hashmonai", "Report for 28.1.1948", 28 Jan. 1948. IDFA 500\48\\61; and "02104" to HIS-AD, "Subject: Refusal to Give volunteers to the Gangs", 1 Feb. 1948, HA 105\72.

(180) "02104" to HIS-AD, "Subject: Attitude of the AHC to the Connection between the Jews and Deir Yassin", 1 Feb. 1948, HA 105\72.

(181) "Yavne" to HIS-AD, "Subject: Conflicts in Deir Yassin", 29 Feb. 1948. HA 105\72.

(182) "Hashmonai" to "Yarkoni", etc., 23 Mar. 1948, IDFA 5254\49\\372. See also: unsigned. "Appendix to Letter 22941\6 from 11.9.52 Relating to Deir Yassin Trial", IDFA 500\48\\29.

(183) "Yavne" to area OC, "Urgent Arab Information Circular from 7.4.48", 2 April 1948, IDFA 500\48\\29.

(184) '02112' to HIS-AD, 'Subject: Recruiting Arabs', 25 Jan. 1948 (misdated 25.12.48), HA 105\72.

(185) "Hiram" to HIS-AD, 15 Apr, 1948, HA 105\257.

(186) "Tiroshi" to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\54 aleph.

(187) Alexandroni Brigade, "Brigade Bulletin", 10 May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(188) Galilee District Commissioner, "Fortnightly Report for the Period Ended the 15th January 1948', 19 Jan. 1948, PRO CO 5373853-.

(189) Protocol of meeting of Histadrut Arab Workers' Department, 26 March 1948, HHA-ACP 10.95.11 (4); and Protocol of the Histadrut Arab Workers' Department, 30 March 1948, CZA S25 -2968.

(190) Protocol of meeting of JA-PD, 25 March 1948, CZA S25-426.

(191) 317 Field Security Section, 6th Airborne Division, 'Report No. 57 for the Week Ending 10 December 1947', PRO WO 27579-; and 6th Airborne Division Logbook, entry 4 Dec. 1947, PRO WO 27552-.

(192) "HIS Information", 10 Dec. 1947, HA 105\61.

(193) "Hiram" to HIS, "Subject: Threats to Arabs by IZL Men", 18 Dec, 1947, HA 105\358

ويتحدث عن العائلات المسيحية في شارعي حسن شكري وهانيفعيم والذين رُوعوا في أثناء القتال، انظر كذلك:

'Report on the Situation in the Country', Danin to Sasson, 23 Dec. 1947, CZA S25 - 4057.

وقد أوضح دانين أن اللاجئين اليهود من المناطق المجاورة لحيفا قاموا بشكل مخالف بوضوح لتعليمات الهستدروت والإرغون بمهاجمة المدنيين العرب الذين كانت منازلهم تقع بين منازل اليهود... وأجبروهم على الخروج من منازلهم بالقوة والضرب مرسليهم إلى أشقائهم مثيري الشغب»، وخلال اقتباسه لمشاعر شخص عربي كتب دانين: «إذا كانت تلك هي طريقة تصرفكم [اليهود] في بداية القتال، فكيف ستكون طريقتكم عندما تسيطرون على السلطة؟» وفضلا عن ذلك تحدث تقرير بريطاني صادر من يافا في ذلك الوقت عن قيام اليهود بترهيب العائلات العربية حتى تتخلي عن ديارها. انظر:

S.P. Entry to the Bishop of Jerusalem, 13 Dec. 1947, SAMECA-JEM LXXI\2).

(194) Untitled, unsigned HIS report, 23 Dec. 1947, HA 105\358

ويشار إلى أن الرقم ما بين «15 و20» ألفا يبدو أنه مبالغ فيه بشكل كبير في ذلك الوقت المبكر من الحرب الأهلية.

(195) "Ibrahim to Husseini", 27 May 1947, HA 105\252.

(196) "01101" to HIS-AD, "Subject: Haifa's Arabs during December 1947", 4 January 1948, HA 105\67.

في الحادي والثلاثين من ديسمبر ذكرت نشرة الهاغاناه الصادرة في حيفا: «ان تدفق الأشخاص الذين يتم إجلاؤهم يستمر»، وطبقا للمحطة الإذاعية «الشرق الأدنى» وصلت 200 عائلة من فلسطين إلى لبنان، كما

أنــه وفقا لوكالة الأنباء الفرنســية بلغ هذا العــدد 2000 عائلة (بيد أن الرقم الأول يبدو أكثر مصداقية)، انظر:

Haifa Haganah HQ, "Lehavereinu", 31 Dec. 1947, HA 105\61.

(197) "01101" to HIS-AD, "Subject: Haifa"s Arabs ...", 4 Jan. 1948, HA 105\67.

(198) انظر: 177 ,'...Goren, 'Why.

(199) انظر:

IDF History Branch, 'The ALA 31.12.47- 23.9.55', undated but from late 1950, IDFA 1046\70\\182, 7; and Goren, .'Why...', 178

(200) انظر: 177 ,"...Goren, "Why.

(201) Tuvia Arazi to Sasson, 31 Dec. 1947, CZA S25 -7721.

(202) '01101', to HIS-AD, 'Subject: The Murder in the Refinery', 1 Jan 1948, HA 195\23; and 'Report by the Yishuv Investigation Committee Concerning the Disaster in the Haifa Oil Refinery on Tuesday... 30.12.47', 25 Jan. 1948, CZA S25 - 4037.

(203) Palmah logbook of operations, entry for 5 Jan. 1948, IDFA 661\69\\36.

(204) "01011" to HIS-AD 6 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.

(205) "00001" to HIS-AD, "Subject: The Attacks on Balad al Sheikh and Hawassa", 9 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.

نقل أحد التقارير:

('01011' to HIS-AD, 'Subject: Balad al Sheikh', 6 Jan. 1948, HA 105\32 aleph).

نقل عن أحد المرشـــدين قوله: «دُمرت منـــازل العائلات كافة... وذكر العرب أن ذلك أفرز حالة من الذعر لا يمكن وصفها، وجرى القرويون في كل الاتجاهـــات للفرار من القرية، كما فر الجرحى في اتجاه الجبل وعُثر عليهم مـــوتى...» ولم تقم الهاغاناه بالتعدي على مخيمات البدو في القرية أو بالقرب منها، ولم يكن لها أي دور في المذبحة.

(206) "Hiram" to HIS-AD, "Subject: Balad al Sheikh", 7 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.

(207) Protocol of meeting of Defence Committee, 1 Jan. 1948, CZA S259345-.

(208) "01101" to HIS-AD, "Subject: Detailed Report on the Meetings of the Security Committee of the Arab and Jewish Employees of the Municipality, Law Courts and Government (officers)", 7 Jan. 1948, HA 105\23.

(209) Unsigned but HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on Wednesday 7.1.48", 8 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(210) "00001" to HIS-AD, 9 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(211) "01101" to HIS-AD, 18 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23

وقد حصلت الهاغاناه، قبيل الهجوم، على موافقة بريطانية ووعد بعدم التدخل، انظر:

'Hiram' to HIS, 19 Jan. 1948, IDFA 481\49\\62.

(212) "HIS Information", 18 Jan. 1948, IDFA 900\52\\58.

(213) Entry for 5 Jan. 1948, DBG-YH I, 114.

(214) Entry for 22 Jan. 1948, DBG-YH I, 177.

(215) In Enemy Eyes, 12.

(216) IDF History Branch, "ALA 31/12/47-23/9/55", undated but from late 1950s, IDFA 1046\70\\182; Arazi to Sasson, undated but from 20 or 21 Jan. 1948, CZA S257721-; unsigned report (possibly by Arazi), 18 Jan. 1948, CZA S25 - 7721.

(217) Eshel, "Haifa", 326.

(218) Entry for 22 Jan. 1948, DBC-YH I, 177, and Haifa District Commissioner, "Report for the Period 1623- January 1948", 3 Feb, 1948, PRO CO 537 - 3853.

(219) Arazi to Sasson, undated but from 20 or 21 Jan. 1948, CZA S25 - 7721.

وفقـا لجهاز اسـتخبارات الهاغاناه كان الوفد ينوي أن يطلب اسـتبعاد العناصر غير النظامية غير المحلية من المدينة، وإلا فإن اللجنة ستستقيل وسيتم إجلاء حيفا، انظر:

'Hadad' to Sasson, 17 Jan. 1948, CZA S25-3569; and entries for 22 Jan. 1948, DBG-YH I, 171 and 177.

(220) Unsigned HIS report, 21 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.

كانت فكرة الهجرة الجماعية من «حيفا» ذائعة الانتشار، وقد أشار إليها بعـض قادة المدينة؛ حيث ذكر أحد أعيان المدينة («كمال عبدالرحمن» نائب رئيـس الغرفة التجارية) لمصدر لجهاز اسـتخبارات الهاغاناه كان على صلة به أنه إذا ما فشـل المفتي في أن يأخذ الوضع الخاص للمدينة بعـين الاعتبار فإنه لن يمر وقت طويل حتى تصبح حيفا وكرا للعصابات بعد أن يهجرها سكانها. انظر:

HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on Friday 23.1.48", 25 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(221) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA S25-7721.

(222) "Information from the Nagid" to HIS-AD, 9 Feb. 1948, ISA FM 2568\4.

(223) "Behind the Screen", 50.

(224) أوضح فرانســيس هاسو أن مخاوف العرب من أن يقوم اليهود باغتصاب نسائهم أسهمت في الهجرة الجماعية خلال العام 1948، انظر:

Modernity and Gender... Defeats", 492.

(225) Goren, "Why...", 180.

(226) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA S25-7721.

(227) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA S25-7721.

(228) Arazi to Sasson, 31 Jan. 1948, CZA S257721-; and "01101" to HIS-AD, "Subject: Report on Events among Haifa"s Arabs During January 1948", 2 Feb. 1948, HA 105\67. See also Gelber, Palestine, 2122-.

(229) Unsigned HIS report, "Subject: Report on Events in Haifa on Thursday 29.1.48", IDFA 5942\49\\23.

(230) "01101" to HIS-AD, "Subject: Report on Events Among Haifa"s Arabs During January 1948", 2 Feb. 1948, HA 105\67.

(231) "Summary of Hiram information", 10 Feb. 1948, IDFA 7249\49\\152.

(232) HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on Monday 9.2", 11 Feb. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(233) "Harim" to HIS-AD, 7 Feb. 1948, HA 105\193 bet.

مثل المسيحيون ربع سكان حيفا أو أكثر.

(234) "Hiram" to HIS-AD, 11 Mar. 1948, HA 105\195.

(235) "Summary of Hiram Information", 10 Feb. 1048, IDFA 7249\49\\152.

(236) Goren, "Why...", 182.

(237) "HIS Information", 28 Mar. 1948, IDFA 900\52\\58; "Hiram" to HIS-AD, "Transfer of Children to Beirut", 14 Mar. 1948, HA 105257; and excerpt from JA-PD Arab Division Report, 16 Mar. 1948, HA 105\257.

(238) Excerpt from HIS report, 17 Mar. 1948, HA 105\257.

(239) "Hiram" to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\257; and unsigned Palmah Arab Platoon report, "Report on Shahar Reconnaissance in Haifa", 10 Apr. 1948, HA 105\257.

(240) "Hiram" to HIS-AD, "Evacuation of Children", 8 Apr. 1948, HA 105\257; and "Hiram" to HIS-Ad, 12 Apr. 1948, HA 105\257.

(241) بدت حيفا كما لو أنها المدينة الوحيدة التي جرت فيها عملية ترحيل منظم للأطفال.

(242) Goren, "Why...", 181.

(243) Gelber, "Palestine", 81.

(244) Carmeli to HGS, "Subject: Report for the Period 14.2 - 12.3", 21 Mar. 1948, IDFA 6680\49\\3.

(245) وفقا لمصادر الهاغاناه فإنه خلال الفترة من 14 فبراير حتى 12 مارس قُتل 85 وجُــرح 95 من العرب في حيفا، في حــين كان هناك 21 قتيلا من الجانب اليهودي (5 منهم من الهاغاناه) و 63 جريحا (أربعة من الهاغاناه) كما قُتل أيضا ستة من الجنود البريطانيين، انظر:

Carmeli to HGS, "Subject: Report for the Period 14.2 -12.3" 21 Mar. 1948, IDFA 6680\49\\3).

(246) A.J. Bidmead, Haifa CID, to Inspector General, 6 Mar. 1948, IDFA 900\52\\25.

يُذكر أن تقريرا للهاغاناه صادرا في اليوم نفسه تضمن أن التفجير لم يُنفذ بواسطة «الهاغاناه»، انظر:

'Subject: Events in Haifa on 6.3', 7 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(247) HIS, "Subject: Report on Events in Haifa on 21.2", 23 Feb. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(248) HIS, 'Subject: Report on Events in Haifa on Friday 27.2', 29 Feb. 1948, IDFA 5942\49\23.

(249) "Hiram" to HIS-AD, 2 Mar. 1948, HA 105\102.

(250) A.N. Law, Haifa District Commissioner, to Ibrahim, 4 Mar. 1948, HA 105\380.

(251) "Hiram" to HIS-AD, 18 Mar. 1948, HA 105\195.

(252) Moatza to Knesset (Palmah HQ to HGS), "Daily Report", 28 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(253) 'Yona' to 'Giora', 'Subject: Raid on Wadi Nisnas', 5 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\10.

(254) 'Ehud' to Carmel, 'Report on Attack on Arms and Arab Commanders Convoy on 17.3,1948', 19 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\10.

(255) Carmeli to HGS, 'Weekly Report on the Events in the Area between 2.3 and 26.3', 31 Mar. 1948, IDFA 7353\49\\46.

(256) Unsigned, 'Subject: Report on Events in Haifa on Tuesday 23.3', 24 Mar. 1948, IDFA, 5942\49\\23.

(257) Safwat to OC Haifa area, 28 Mar. 1948, HA 105\127 aleph.

(258) Entries for 10 and 30 Mar. 1948, DBG-YH I, 290 and 362.

(259) انظر:

Committee for Economic Defence, "Information on the Arab Economy, Bulletin No. 6", 1719- Apr. 1948, HA 105\146.

(260) انظر:

'Avner' to HIS-AD, 12 Apr, 1948, HA 105\257; and 'HIS Information 13.4.48', IDFA 7357\49\\7.

(261) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 1', 11 Apr. 1948, HA 105\146.

(262) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 3', 13 Apr. 1948, HA 105\146.

(263) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 5', 1416- Apr. 1948, HA 105\146.

(264) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 8, Summary of Information form 5 to 20 Apr.', 26 Apr. 1948, HA 105\146.

(265) In Enemy Eyes, 18.

(266) In Enemy Eyes, 12, 1718-, and 20.

(267) Krischer (Haifa) to Arab Department, Mapam, 10 Feb. 1948, HHA-ACP 10.95.10 (6).

(268) Arab Department, "Bulletin No. 2 (Information About Developments in the Arab Camp – from Our Special Sources"), 1 Mar. 1948, HHA-ACP 10.95.10 (6).

(269) The Haifa NC communiqués – nos. 1 -10 and no. 12- are reproduced verbatim, in Hebrew, in "In Enemy Eyes", 55 - 66. يذهب الخالدي في كتابه "سـقوط يافا" (32-22) إلى أن اللجنة الوطنية سعت بشكل قوي ومستمر إلى إيقاف الهجرة الجماعية، بيد أن الدلائل لا تبدو مؤيدة لذلك وتظل غامضة.

(270) "Hiram", 'Daily Information Circular', 1 Apr. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(271) "Hiram" to HIS-AD, undated but c.5 Apr. 1948, HA 105\257.

(272) Committee for Economic Defence, "Information on the Arab Economy, Bulletin No. 3", 13 Apr. 1948, HA 105\146.

(273) "Hiram" to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\379.

(274) Eshel, "Battles", 342.

(275) Gelber, "Palestine", 82.

(276) Giv'ati Brigade HQ 'Operations logbook', 1.12.47115.48-', HA 73\98.

(277) 'Ibrahim' to Palmah HQ, 'Report of Shahar Reconnaissance in Jaffa 1.12.74', HA 73\21; and 'HIS Information', 1 Dec. 1947, IDFA 900\52\\56.

(278) "Ibrahim" to Palmah HQ, "Subject: Report on Reconnaissance in Jaffa on 5.12.47", HA 73\98.

(279) HIS reports from 2 Dec. 1947, KMA-PA 10147 ,46 ,45- and 50; and 6th Airborne Division Logbook, entry for 3 Dec. 1947, PRO WO 275 - 52.

(280 انظر: «تسلسل الأحداث...»:

«Schedule of events appended by V. Fox-Strangways, Chief Secretary's" Office, Government of Palestine, to Jewish Agency, 8 Dec. 1947, CZA S25 - 4148; and sheet from Haganah logbook, c.8 Dec. 1947, HA\73\\98.

(281) Undated, unsigned Haganah intelligence logsheet, from around 11 Dec. 1947, HA 73\98.

(282) "HIS Information", 15 Dec. 1947, HA 105\61.

(283) على سبيل المثال:

Untitled logbook entry from c.4 Dec. 1947, HA 73\98

(284) Golan, "Transformation", 78-79.

(285) 'HIS Information', 9 Dec. 1947, IDFA 900\52\\58.

(286) HIS, 'Subject: Jaffa', 25 Dec. 1947, HA 105\72.

(287) Untitled, unsigned report, 17 Dec. 1947, CZA S259208-; and Arab Division, 'In the Arab Camp', 28 Dec. 1947, CZA S25 - 9051.

(288) "01203", to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(289) Arab Division, "In the Arab Camp", 28 Dec. 1947, CZA S25-9051; and Golan, Transformation, 79.

(290) 'Information from Jafa... 23.12.47', 5 Jan. 1948, HA 105\215 aleph.

(291) 'In the Arab Camp', 1 Feb. 1948, IDFA 128\51\\71.

(292) Golan, Transformation, 7677-.

(293) 'Zarhi Says', 9 Dec. 1947, IDFA 481\49\\62.

(294) "HIS Information", 10 Dec. 1947, IDFA 900\52\\58.

(295) "Arye", "The Situation in Jaffa", 11 Dec. 1947, CZA S25-4011.

(296) "01203" to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(297) '01203', to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(298) 'Arye', 11 Dec. 1947, CZA S25 - 4011.

(299) Entry for 10 Dec. 1947, DBG-YHI, 35.

(300) Arab Division JA-PD, "In the Arab Camp", 14 Dec. 1947, CZA S259046-; and "Peh" to Sasson, 18 Jan. 1948, CZA S25 - 9046.

(301) HIS, "Subject: Meeting of Bat-Yam Representatives with Arab Representatives to Agree on Peace", 19 Dec. 1947, HA 105\72.

(302) 'Shiloni' to chief of HNS, 4 Jan. 1948, HA 80\105\1 (Moshe Svirsky Papers).

(303) 'Protocol of the Third Meeting on Arab Affairs on 23.3.48', IDFA 8275\49\\126.

(304) ذكر أحد تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه: «الوضع الاقتصادي سيئ، فأسعار الخضراوات والفواكه منخفضة كما أن البيض والدواجن رخيصة الأسعار لأن يافا تتلقى المنتجات كافة بمجرد بيعها إلى تل أبيب»، انظر:

"Hiram" to HIS-AD, "Meetings in Transjordan", 26 Feb. 1948, HA 105\23 gimel).

(305) HIS, 'Subject: In Jaffa', 25 Dec. 1947, HA 105\72; and Committee for Economic Defence, 'Information of the Arab Economy, Bulletin No. 8, Summary of Information from 5 to 20 April', 26 April 1948, HA 105\146.

(306) "Hiram" to HIS-AD, 26 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.

(307) Arab Division, "In the Arab Public", 2 Mar. 1948, HA 105\100.

(308) Committee of Economic Defence, "Information about the Arab Economy, Bulletin No. 1", 11 April 1948, HA 105\146.

(309) Committee for Economic Defence, 'Information about the Arab Economy, Bulletin No. 4', 1013- April 1948, HA 105\146.

(310) 'Zarhi says', 9 Dec. 1947, IDFA 841\49\\62; and 'From the Yogev', 5 Jan. 1948, CZA S25 - 9051.

(311) HIS-AD, "From the Yogev", 5 Jan. 1948, CZA S259051-.

(312) "Zarhi says", 9 Dec. 1947, IDFA 481\49\\62. Petrol prices soared.

(313) "HIS Information", 10 Dec. 1947, IDFA 900\52\\58.

(314) '01203' to HIS-AD, 2 Jan. 1948, HA 105\23 aleph. See also 'Shiloni' to chief of HNS, 4 Jan. 1958, HA 80\105\1 (Moshe Svirsky Papers).

(315) Gelber, "Palestine", 80.

(316) قال بن غوريون تعليقا على عمليات من هذا النوع: «لا أستطيع أن أنسى أننا كنا البادئين (بالتفجيرات)... كان اليهود السباقين إلى القيام بمثل هذا الفعل»، انظر:

Protocol of Meeting of Defence Committee, Ben-Gurion's statement, 24 Feb. 1948, CZA S25 - 9346.

(317) "Hapo'el Ha'aravi" to the Arab Division, JA-PD, 2 Feb. 1948, CZA S25 - 4066.

(318) Unsigned but HIS, "Information from Jaffa 16.1.48", HA 105\32 aleph.

(319) "01203" to HIS-AD, 16 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(320) "01203" to HIS-AD, 16 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(321) "Albert, 18.1.48", CZA S25 - 9007.

(322) "Peh" to Sasson, 18 Jan. 1948, CZA S253569-.

(323) تفريغ لمحادثات تلفونية من يافا، انظر:

JI IZL Papers, kaf-4, 8\9.

(324) انظر:

'Dafna' to 'Dormi-Tzuriel', 'Subject: A Pithy Survey of the Arab Camp in Our Area', 15 Mar. 1948, IDFA 8275\49\\136.

ويُقـدم عرضـا مختصرا لتطور المليشـيات في يافـا والعلاقات التي سادت بينها.

(325) 'Avner' to HIS-AD, 28 Mar. 1948, HA 105\257; and IDF History Branch, 'The ALA', 85, IDFA 1046\70\\182.

(326) "HIS Information", 8 Feb. 1948, IDFA 900\52\\58; and Hassan Salame, "To Jaffa"s kind inhabitants", 10 Feb. 1948, HA 105\23 bet.

(327) "Hashmonai" to "Dromi", 2 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(328)"Protocol of Meeting on Arab Affairs, 12- January 1948", 38, 40, etc, KMA, Israel Galili Papers.

(329) Entry for 7 Jan. 1948, DBG-YH I, 121; and Political and Diplomatic Documents, 333, Ben-Gurion to Shertok (New York), 12 Feb. 1948.

(330) "In Enemy Eyes", 32 - 33.

(331) Arab Division, 'In the Arab Camp', 14 Dec. 1947, CZA S25 - 9046.

(332) Entry for 9 Dec. 1947, DBG-YH I, 29.

(333) 'Protocol of Meeting on Arab Affairs, 12- January 1948', KMA-IGP; and entry for 2 Jan. 1948, DBG-YH I 104; See also Ya'akobson (Ben-Avi) to Ben-Gurion ('Amitai'), 'Siege of Jaffa', 4 Jan, 1948, DBGA.

(334) Entry for 25 Jan. 1948, DBG-YH 18485.

يلاحظ أن غاليلي أنكر معرفته بالأحداث التي يصفها جاكوبسون.

(335) Protocol of Meeting of Defence Committee, 27 Jan. 1948, CZA S25 - 9345. See also Galili to Kiryati, 5 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.

(336) "Avram" to HIS-AD 15 Feb. 1948, HA 105\23 bet; and "Information from Jaffa ... 16.2.48", 2 Mar. 1948, HA 105\32.

(337) 'Report on the Operation of the "centre", 13.3.48', IDFA 8275\49\\114.

(338) 'Avner' to HIS-AD, 'The Attack on Abu Kabir and its Effect', 28 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.

(339) 'Na'im' to HIS-AD, 25 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.

(340) "Avner" to HIS-AD, 28 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.

(341) "Selection from Letters", 25 Apr. 1948, IDFA 500\48\\29.
يلاحظ أن أسماء المرسل والمستقبل فضلا عن التاريخ غير متاحة، وإنما فقط الملخص الذي قدمه ضابط جهاز استخبارات الهاغاناه عن أجزاء من الخطاب.

(342) 'Avner' to HIS-AD, 29 Mar. 1948, IDFA 8275\49\\126.

(343) 'Kiryati-Dafna' to 'Dromi-Tzuriel', 15 Apr. 1948, IDFA 8275\49\\136; and 'Protocol of Arab Division Meeting on Thursday 22.4.48', CZA S259664-.

(344) 'Kiryati-Dafna' to 'Dromi-Tzuriel', 15 Apr. 1948, IDFA 8275\49\\136.

(345) انظر:

Golan, "Transformation", 22.

(346) Entry for 12 Jan. 1948. DBG-YHI, 141.

(347) HIS, 'Subject: Doings in the Old City', 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60; and 'Hashmonai' to 'Dromi', 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\\5.

(348) Unsigned, 'Subject: The Economic Situation in a Number of Arab Neighborhoods', 15 Jan,. 1948, IDFA 500\48\\60; and 'Hashmonai', 15 Jan. 1948, IDFA\500\48\\5.

(349) Unsigned, 'Subject: The Feeling Among the Arabs', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(350) 'Hashomai', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\5; and Unsigned, 'Subject: Food Suppliers in the Arab Sector', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(351) Unsigned, "Subject: Shortage of Bread among the Arabs", 20 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(352) "Hashmonai" to "Dromi", 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\60.

(353) "Hashmonai" to "Aka" and "Levanon", 31 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(354) Unsigned, "Subject: The Situation in the Old City", 1 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(355) Unsigned, 'Subject: Convention between Khalidi and the High Commissioner', IDFA 500\48\\60.

وعلى سبيل المثال على التقرير عن نهب قطار عربي انظر:

'Tiroshi', 'Subject: Train Robbery Between Taibe and Farun', 25 Dec. 1947, HA 105\23 and '02122' to HIS-AD, 'Subject: Train Robberies', 31 Dec. 1947, HA 105\23.

(356) Unsigned, 'Subject: letter of Complaint to the Inspector of Foods about Bread.

(357) Unsigned, 'Well-founded Information (from 7.2.48)', IDFA 500\48\\60.

(358) Unsigned, "Subject: in the Greek Colony', 1 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(359) Unsigned, 'Subject: Groups of Thieves Inside the "National Guard"', 4 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(360) Unsigned, 'Well founded Information from 13.2.48', IDFA 500\48\\60.

(361) Unsigned, 'HIS-AD Information 4.3.48', IDFA 922\75\\1205.

(362) Unsigned, 'The Situation in the Arab Neighborhoods in the Southern Parts of the City (Summary of Information from 21.3.48)', IDFA 5254\49\\75.

(363) Pages from an HIS summary of the Arab Économy during Nov. 1947-May 1948, HA 119\105.

(364) Committee of Economic Defence, 'Transport, Bulletin No. 2', HA 105\146.

(365) Committee of Economic Defence, 'Information about the Arab Economy, Bulletin No.', HA 105\146.

(366) HIS-AD, 'On the Situation in the City and its Environs', 30 Nov. 1947, HA 73\98.

(367) 'Yamami' to 'Yehoshua', 1 Dec. 1947, CZA S259210-.

(368) '00004' to HIS-AD, 'Subject: Arab Preparations', 30. Nov. 1947, HA 73\98.

(369) Unsigned, 'Schedule', undated, CZA S259210-; and 'The Jerusalem Information Bureau', (i.e. Haganah HQ Jerusalem) to Jerusalem Haganah members, 10 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

(370) Haganah logbook, entry for 2 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

(371) 'To the Members in the Bases', 3 Dec. 1947, CZA S259210-.

(372) Haganah logbook entry for 3 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

(373) 'To Our Members in the Bases', 3 Dec. 1947, CZA S25 -9210.

(374) Haganah logbook entries for 4 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

(375) Haganah logbook, entry for 4 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

(376) Jerusalem Haganah, 'Summary of Information for 4.12.47', CZA S25 - 9210.

(377) Unsigned, 'Report on the Situation in the Old City from 5 - 14.12.1947', IDFA 481\49\\23.

(378) على سبيل المثال:

"Hashmonai", "Subject: Report for 28-29.12.47", IDFA 500\48\\56.

(379) Haganah Jerusalem District, "Bulletin No. 15", 10 Dec. 1947, CZA S259210-; and Haganah Jerusalem District, "Bulletin No. 16", 11 Dec. 1947, HA 105\61.

(380) "Bulletin No. 17", 11 Dec. 1947, HA 105\61.

(381) على سبيل المثال:

"Zohar" to "Yitzhak", "Subject: Combat Patrol to Lifta", 16 Dec. 1947, IDFA 553\50\\100.

(382) على سبيل المثال:

"Tzadik", to "Hashmonai", 30 Dec. 1947, IDFA 500\48\\61; and "Hashmonai" to "Ben-Ydhuda", "Subject: Report 29 -3.47" undated, IDFA 500\48\\56.

(383) 'Following is Report as Given by Gavriel', 29 Dec. HA 105\23.

(384) "0004" to HIS-AD, 2 Jan 1948, IDFA 500\48\\60.

(385) 'o2204', to HIS-AD, 31 Dec. 1947, IDFA 500\48\\60.

(386) HIS-AD, 'Arab Emigration from December to End of February', undated, HA 105\102.

(387) 'Tzadik' to HIS-AD, 'Subject: Doings in Lifta', 15 Jan. 1948, HA 105\23.

(388) Lisser to District OC, 22 Jan. 1948, IDFA 2644\49\\402.

(389) "Tzadik" to "Hashmonai", 22 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

(390) "Tzadik", to "Ma"then", and "Hashmonai", "Report for 30.1.48, IDFA 500\48\\61.

(391) "02204" to HIS-AD, "Subject: The Position of Lifta"s Men", 9 Feb. 1948, HA 105\32 aleph.

(392) 'Shadmi' to 'Hashmonai', 24 Dec. 1947, IDFA 500\48\\61; and 'Hashmonai' to 'Ben-Yehuda', 'Subject: Report for 23-24.12.47', IDFA 500\48\\56.

(393) 'Shadmi' to 'Hashmonai', 27 Dec. 1947, IDFA 500\48\\61.

(394) 'Tzadik', to 'Hashmonai', 28 Dec. 1947, IDFA 500\48\61; and 'Hashmonai' to 'Ben-Yehuda', 'Subject: Report on 27-28.12.47', IDFAF 500\48\\56.

(395) 'Shadmi' to 'Hashmonai', 14 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

(396) 'Hashmonai', 'Information', 2 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60; and HIS-AD, 'Emigration from December Until the End of February', HA 105\102.

(397) 'Subject: Romema', unsigned, 23 Jan. 1948, IDFA 26605\49\\5; and 'Tzadik' to 'Hashonmai', 'Report for 4.2.48', 4 Feb. 1948, IDFA 500\48\\62.

(398) انظر:

Golan, "transformation", 24.

(399) Entry for 20 Jan. 1948, DBG-YHI, 165.

(400) British Army HQ, 'Fortnightly Intelligence Newsletter', 16 Jan. 1948, PROWO 27564-; 'CID Summary of Events', 18 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60. 'Tzadik' to 'Hashmonai', 'Addition to the Daily Report ...', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61 hints at this.

(401) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

(402) 'Tzadik' to 'Hashomnia', 19 Jan. 1948, IDFA 500\48\61.

(403) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 17 Jan. 1948; 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 'Addtion to Daily Report...', 17 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61; 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 18 Jan. 1948; 'Tzadik' to 'Hashmonai', 19 Jan. 1948; and 'Tzadik' to 'Hashmonai', 20 Jan. 1948 – all in IDFA 500\48\\61.

(404) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 19 Jan. 1948, and 'Tzadik' to 'Hashmonai', 20 Jan. 1948 –both in IDFA 500\48\\61.

(405) 'Tzadik' to 'Hashmonai', 21 Jan. 198, IDFA 500\48\\61.

(406) 'Falastin', 28 Jan. 1948, CZA S25 - 9271.

(407) 'Hashomonai', untitled, 3 Jan. 1948, IDFA 2605\49\\3.

(408) 'Tzadik' to 'Hashmonai', 'Information', 20 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

(409) Unsigned, 'Subject: The Atmosphere and Events Among the Christian Arabs', 9 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(410) Entry for 20 Jan. 1948, DBG-YH I, 165.

(411) HIS, 'Well-founded Information from 10.2.48', undated, IDFA 500\48\\60; and Milstein War, III, 152.

(412) 'Tzadik', to 'Hashmonai', 'Report for 10.2.48, IDFA 500\48\\61.

(413) HIS, 'Well-founded Information from 13.2.48, and '90004' to 'Alula', 'Well-founded Information from 11 Feb. 1948', undated – both in IDFA 500\48\\60.
تحـــدث تقريـــر بريطـــاني لاحق عن ســـيارة بمكبر صـــوت كانت تجوب الطالبية في الثاني عشر من فبراير، على إثر مقتل امرأة يهودية بالرصاص في المناطق المجاورة، انظر:
British Army HQ, "Fortnightly Intelligence Newsletter", 27 Feb. 1948, PRO WO 275 - 64.

(414) HIS, "Well-founded Information fron 13.2.48", IDFA 500\48\\60; and HIS, "Well-founded Information (from 12.2.48), IDFA 500\48\5.

(415) HIS, 'Well-founded Arab Information from 21,2.48' IDFA 500\48\\5.

(416) 'Hashmonai' to 'Dromi', 22 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(417) HIS, 'Well-founded Arab Information from 19.2.48' IDFA 500\48\\5.

(418) 'Tzadik' to 'Hashmonai' and 'Moriah', 26 April. 1948, IDFA 533\50\\25.

(419) 'Hashmonai', 'Information', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\5.

(420) Jerusalem Haganah, 'Bulletin No. 16', 11 Dec. 1948, HA 105\61; and unsigned, 'Subject: Houses Evacuated for Purpose of Sniping', 9 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(421) Unsigned, 'Subject: Evaluation of Arab Houses Next to Talpiypot', 4 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(422) 'Well-founded Information from 13.2.48', and 'Hashmonai' to 'Dromi', 22 Feb. 1948 – both in IDFA 500\48\\60.

(423) 'Well-founded Arab Information from 16.2.48', IDFA 500\48\\5.

(424) 'Mashmonai', 'Information', 2 Jan. 1948, IDFA 500\48\60; HIS-AD Information 6.1.84', HA 105\23; and 'Hashmonai', 'Information', 12 Jan. 1948, IDFA 500\48\50.

(425) 'Hashomonai' report, 2 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60; and 'HIS Information 6.1.48', HA 105\23.

(426) 'Shadmi' to 'Zohar', 'Operational Order', 12 Jan. 1948, and 'Zahor' to 'Shadmi', 'Report on Execution', 13 Jan. 1948 – both in IDFA 500\48\\4.

(427) 'Tzadik' to 'Hashmonai', 15 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

(428) 'Shadmi' to 'Hashomai', 14 Jan. 1948, and 'Tzadik' to 'Hashmonai', 16 Jan. 1948 – both in IDFA 500\48\\61.

(429) 'Hashmonai' 12 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(430) 'Tzadik' to 'Mat'hen' and 'Hashmonai', 30 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

(431) 'Tzadik' to 'Hasmonai', 30 Jan. 1948, IDFA 500\48\61. See also 'Hasmonai' to 'Dormi', 'Subject: Arab Reinforcement for the Southern Parts of the City', undated but c. 21 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(432) 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Annexes to Information Summary No. 1311 2.4.48', IDFA 2605\49\2.

(433) 'Hamami' to 'Yahoshua', 1 Dec. 1947, CZA S25;9210-00004" to HIS-AD, 'Subject: The [Arab] Registering of the Jewish Inhabitants of Qatamon', 2 Dec. 1947, CZA S25-9210; and Haganah logbook entry for 15 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

(434) Jerusalem Haganah HQ, 'Bulletin No. 15', 10 Dec. 1947, CZA S25 - 9210.

(435) Unsigned, untitled report (in English) 4 Jan. 1948, CZA S254147-; and 'HIS Information', 4 Jan. 1948, IDFA 900\52\\58.

(436) 'Tzadik' to 'Hashmonai' etc., 'Report on the Demolition of the Semiramis Hotel ...', 5 Jan. 1948, IDFA 500\48\\61.

بعد مضي وقت ذكر شاهام الذي قام بالعملية أن هدفه تمثل، جزئيا، في إيقاف الهجرة اليهودية من مناطق الجوار المشـترك بين العرب واليهود وأن يُعجل بهروب العرب منها. انظر:

Milstein War, III, 77.

(437) "Tzadik" to "Hashmonai", "Subject: Hotel Semiramis", 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60; and Milstein War III, 73 - 78.

(438) Public Information Office, 'Press Release No. 8', 6 Jan. 1948, CZA S25 - 4013.

(439) Cunningham to Secretary of State, 7 Jan. 1948, PRO FO 816\115.

(440) 'Statement by the Jewish Agency for Palestine', 6 Jan. 1948, CZA S25 - 4013.

(441) Ben-Gurion to Cunningham, 8 Jan. 1948, CZA S25 - 4013.

(442) Unsigned, 'Subject: The Feelings in Qatamon After the Explosion', 7 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(443) Untitled, unsigned HIS report, 5 Jan. 1948, IDFA 2605\49\\3. See also 'Through Yosef, deputy CO Area 4 ...', Hebrew translation of what seems to be a British intelligence report, 5 Jan. 1948, IDFA 2605\49\\3.

(444) Arab Division, 'Summary of Information about Hotel Semiramis ...', 8 Jan. 1948, CZA, S25 - 4013.

(445) 'HIS Information', 7 Jan. 1948, IDFA 900\52\\58.

(446) HIS, 'The Situation in the Arab Neighborhoods in the Southern Part of Town (Summary of Information from 21.3.48)', IDFA 5254\49\\75.

(447) Quoted in Krystall, 'The Fall of the New City 1947100 ,'1950-.

(448) 'Survey of the Arab Neighborhoods of Southern Jerusalem', 29 Feb. 1948, IDFA 2605\49\\3.

(449) Unsigned, 'The Qatamon Affair', undated, IDFA 500\48\\54.

(450) 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Annexes to Information Summary No. 131, 2.4.48', IDFA 2605\49\\2; and 'The Situation of the Arab Neighborhoods o Southern Part of the City (Summary of Information from 21.3.48)', IDFA 5254\49\\75.

(451) Sakakini, "Diary", 231.

(452) Sakakini, "Diary", 23132-.

(453) Sakakini, "Diary", 235.

(454) Unsigned, 'The Situation in the Arab Neighbourhoods in the Southern Part of the City (Summary of Information from 21.3.48)', undated but from late Feb. 1948, IDFA 5345\49\\75.

في كتابه «سقوط المدينة الجديدة»: 1947-1950) لا يذكر كريستال أي شيء عن هذه الانقسامات الداخلية كعامل مهم في الهجرة من القدس.

(455) "Na'im" to HIS-AD, 29 Dec. 1947, HA 105\215 aleph

من المفيد التذكير بأن القرى المختلفة التي أشارت إليها تقارير الهاغاناه باعتبارها مهجورة خلال الفترة من شهر ديسمبر 1947 حتى مارس 1948 أضحت بعد ذلك إما مسكونة بشكل كامل أو جزئي ولم تُهجر نهائيا إلا في تاريخ لاحق.

(456) '01227' to HIS-AD, 'Subject: Reprisal Against the Village of Qazaza', 22 Dec. 1947, IDFA 481\49\\62; and Qazaza village file, HA\136.

(457) IDF-GS\Operations Logbook, entry for 16 July 1948, IDFA 922\75\\1176.

(458) '01122' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Information', 2 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.

(459) 'Ben-Ari' to 'Kiryati', 'From the Logbook – Court 4', undated, HA 73\98.

(460) 'Tiroshi' to HIS-AD, 'Subject: Khirbet 'Azzun', 23 Dec. 1947, HA 105\23.

(461) 'Khirbet 'Azzun-Tabsar', 18 Dec. 1941, HA 8\195.

(462) '01112' to HIS-AD, 27 Jan. 1948, IDFA 6400\49\\66; and 'Tiroshi (Etian)' to HIS-AD, 19 Feb. 1948, HA 105\72.

(463) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(464) '01122' to HIS-AD, 'Subject: Arab al Balawina', 16 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66; and HIS-AD 'Arab al Balawina', summer 1943, IDFA 1627\94\\231.

(465) '0122' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Information', 2 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.

(466) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-AC 10.95.13 (1).

(467) HIS-AD to Galili, 1 Dec. 1947, HA 73\98.
كانت القرية مكونة من جزأين: الجماسين الغربية والجماسين الشرقية.

(468) 'Avram', 9 Jan. 1948, HA 105\23.

(469) Reconnaissance squad to Third Battalion, 2 Jan. 1948, IDFA 6647\49\\13.

(470) "Avram", 8 Jan. 1948, HA 105\23.

(471) 'Avram', 9 Jan. 1948, HA 105\23.

(472) 'Tiroshi' to HIS-AD, 17 Mar. 1948, HA 105\257.

(473) 'Kiryati' to 'the Engineer', 15 Jan. 1947, IDFA 8275\49\\126.

(474) HIS-AD to 'Dan', 'Hillel', 1 Dec. 1948, HA 105\61.

(475) 'HIS-AD Information 25 ,'4.1.48-3- Jan. 1948, HA 105\61.

(476) 'Tsfoni', to 'Kiryati', 10 Feb. 1948, IDFA 8275\49\\138; and 'Tsfoni' to 'Kiryati', 23 Feb. 1948, HA 105\72.

(477) 'Avram' to HIS-AD, 11 Feb. 1948, HA 105\72; and 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 29 Feb. 1948, HA 105\72.

(478) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\257.

(479) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\257.

(480) Alexandroni HQ to first and second battalions, 10 Mar. 1948, IDFA 2687\49\\35.

(481) Alexandroni HQ to OCs second and third battalions, et., 14 March 1948. IDFA 2323\49\\5.

(482) Uriah Shavit and Jalal Bana, 'The Palestinian Dream, the Israeli Nightmare', Haaretz magazine, 6 July 2001.

(483) تم تضمين ذلك في:

Alexandroni to Haganah CGS, 25 Mar. 1948, IDFA 6127\49\\93

(484) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(485) Tel Aviv Haganah intelligence logsheet, 22 March 1948, HA 105\62.

(486) 'Protocol of Meeting No. 3 on Arab Affairs on 23.3.48', IDFA 8275\49\\126.

(487) HGS to brigade OCs, etc., 24 Mar. 1948, IDFA 922\75\1219. See also Galili, 'Meeting of HNS', 22 Mar. 1948, IDFA 481\49\\64.

وقد نُصّ فيه بشكل صريح على «حماية الشيخ مونس».

(488) 'Gur' to 'Etzioni', 7 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\148.

(489) Galili, 'Meeting of HNS', 29 Mar. 1948, IDFA 481\49\64.

(490) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 31 Mar. 1948, HA 105\257.

(491) 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 'Subject: The Evacuation of 'Arab Abu Kishk by its Inhabitants', 31 Mar. 1948, HA 105\257.

(492) Protocol of Meeting of Defence Committee, 1 Apr. 1948, CZA S259348-.

(493) 'Tiroshi' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257. See also Kan'ane and Abd al Haid, 'Abu Kishk'.

(494) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(495) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 1 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Tiroshi (Aran), to HIS-AD, 31 Mar. 1948, HA 105\257.

(496) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\257.

(497) 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 11 Apr. 1848, HA 105\257.

(498) فيما يتصل بقبائل شارون البدوية انظر:
"On Beduin Tribes of the Sharon Sub-District', 1 Mar. 1948, IDFA 1627\94\\231; and '1113' to HIS-AD, 'Subject: Comments on the List of Beduin Tribes in the Sharon Sub-District from 1.3.44', 10 Apr. 1944, HA 8\206.

(499) "01122" to HIS-AD, 16 Dec. 1947.

(500) HIS-AD, "Migration from December to the End of February", undated, HA 105\102.

(501) HIS-AD, 'Migration from December to the End of February, HA 105\102.

(502) HIS-AD, 'Migration from December to the End of February', HA 105\1902.

(503) '01112', to HIS-AD, 9 Feb. 1948, IDFA 6400\49\\66.

(504) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHH-ACP 1-,95.13 (1).

(505) 'Tiroshi (Aran)', to HIS-AD, 19 Mar. 1948, HA 105\257
يذكر المرجع أعضاء قبائل «السواركة» و«الحجازي».

(506) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(507) 'Testimony of Arye Bachar', interviewed 24 July 1957, JI IZL Papers, kaf-4. 7\7.

(508) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 30 Mar. 1948, IDFA 6400\49\\66; and Rafael Ruppin, letter to the editor, Haaretz, 11 Apr. 1999.

(509) 'Tiroshi (Dror), to HIA-AD, 18 Feb. 1948, IDFA 6400\49\\66.

(510) Tiroshi (Dror)', to HIS-AD, 24 Mar. 1948, IDFA 2506\49\\85
اشتكى لواء إسكندروني من أن الهجوم الذي شنته البالماخ كان «مخالفا للخطوط العامة التي اتبعناها كأساس لعلاقاتنا مع العرب» انظر:
Alexandroni to CGS, 25 Mar. 1948, IDFA 6127\49\\93.

(511) "Palestine Post", 28 Mar. 1948.

(512) 'Yavne' to HIS-AD, 8 Apr. 1948, HA 105\257.

(513) 'Summary of Meeting of Arab Affairs Advisers in Netanya 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.

(514) HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(515) HIS-AD, 'Migration from December Until the end of February', undated, HA 105\102.

(516) 'Tiroshi' (Aran), to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.

(517) HIS-AD, "The Migratory Movement...", 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(518) Danin to Sasson, 13 Jan. 1948, CZA S25 - 9007.

(519) '01112' to HIS-AD, 12 Jan. 1948, HA 105\23 aleph.

(520) '02112' to HIS-AD, 1 Feb. 1948, HA 105\358.

(521) Palmah HQ to 'Boaz', 3 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1025; and Galili statement, Protocol of Meeting of Mapapm Political Committee, 5 Feb. 1948, 66.90 (1).

(522) 'Amon' to Palmah HQ, 10 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1211.

(523) Palmah HQ to HGS, 20 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1214.

(524) Wagman, Mukhtar Sdot-Yam, to 'Reuven', undated, IDFA 2687\49\\35.

(525) Cohen to Levite and Riftin, 13 Mar. 1948, HHA 10.95.11 (21).

(526) '01112', to HIS-AD, 22 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.

(527) HIS-AD, 'Migration from December until the end of February', undated, HA 105\102; and HIS-AD, 'The Migratory Movement ...', 30 June 1948, HHH-ACP 10.95.13 91).

(528) 'Tiroshi (Eitan)', to HIS-AD, 6 Mar. 1948, HA 105\257.

(529) HIS-AD, 'Qumya', early 1942, HA 105\225.

(530) Weitz to Granovsky, 31 Mar. 1948, CZA A202 - 217 (Avraham Granott Papers).

(531) 'Binyamin' to 'Golani', 31 Mar. 1948, IDFA 128\51\\71. See also Yani, Toldot Ein Hard, I, 281.

(532) Weitz to Granovsky, 31 Mar. 1948, CZA A202 - 217.

(533) Entry for 11 Jan. 1948, Weitz, Diary, III, 223.

(534) Entry for 20 Feb. 1948, Weitz, Diary, III, 239 - 40.

(535) Entry for 26 Mar. 1948, Weitz Diary, III, 25657-; and interview with Eliezer Be'eri (Baurer), Kibbutz Hazore'a, Apr. 1984.

(536) Entry for 26 Mar. 1948, Weitz, Diary, III, 25657-. See also Morris, 'Yosef Weitz and the Transfer Committees, 1948-1949'.

(537) Entries for 31 Mar. and 2 Apr. 1948, Weitz, Diary, III. 260 - 261.

(538) Entry for 26 Mar. 1948, Weitz, Diary III, 256 - 57.

رحل سكان الطيرة في الخامس عشر من أبريل بعد تلقيهم «نصيحة يهودية صديقة»، انظر:

HIS- AD, 'Migratory Movement ...'. 30 June 1948, HHA 10.95.13 (1).

(539) Palmah HQ to HGS, 'News', 18 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1066; Palmah HQ to HGS, 'News', 19 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1066; and 'Eitan' to 'Ali', 'Report on the Mansurat al Kheit Operation', 19 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1224.

(540) Allon to HGS, 'Daily Report', 13 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1066; and Allon to HGS, 'Daily Report', 17 Mar. 1948, HA 105\62.

(541) MacMillan to Eliezer Kaplan, 22 Mar. 1948, CZA S25-7721; and entry for 22 Mar. 1948, YND.

(542) 'Mitzpa' to HIS-AD, 29 Mar. 1948, HA 105\257.

(543) HIS-AD, 'The Migratory Movement...', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(544) 'Yavne' to HIS-AD, 4 Jan. 1948, HA 105\215 aleph; and 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Concentration of Information No. 104', 7 Mar. 1948, IDFA 2605\49\\2; HIS, 'Annexes to Information Concentration No. 125', 29 Mar. 1948, IDFA 2605\49\\2; and HIS-Ad, 'The Migratory Movement ...', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95 - 13 (1).

(545) 'Hashmonai' to 'Dromi', 15 Feb. 1948, IDFA 500\48\\60.

(546) 'On Events in the Negev', 22 March 1948, CZA S25 -3569. The report is signed 'RA, 7 Mar. 1948'.

(547) H.L. Gurney, chief secretary, Government of Palestine, to Ben-Gurion, 15 Dec. 1947; and Ben-Gurion to Gurney, 23 Dec. 1947, both in CZA S25 - 4148.

(548) 'Yoske' to Sarig, 30 July 1948, IDFA 1676\51\\12

يُذكر أن فقرة رئيسية من التقرير حذفت من قبل رقابة المسؤولين الرسميين بوزارة الدفاع الإسرائيلية.

(549) Gelber, "Palestine", 7; and Gabbay, Political Study, 66.

يُوضح غاباي أنه خلال الحرب العالمية الأولى كان «عدة آلاف» من الفلسطينيين قد هربوا إلى سورية للفرار من التجنيد من قبل العثمانيين، وكان الهرب من قبيل التقاليد.

(550) Behind the Screen, 50.

(551) قُدمت إشارة إلى ذلك في تقرير (ربما يكون صحيحا) نشرته صحيفة «الأيام» السورية بتاريخ 21 ديسمبر 1947، تضمن أن كلا من دمشق وبيروت طلبتا إلى اللجنة العربية العليا ممارسة نفوذها على الفلسطينيين على طول الحدود حتى لا يفروا إلى سورية ولبنان، وأن يلزموا أماكنهم ويحاربوا. انظر:

Arab Division, "Information on the Arab Military Preparations", 9 Jan. 1948, CZA S25 - 3999.

(552) Gabbay, Political Study, 92; and Nimrod, "Hamahapach", Al Hamishmar (Hotam), 5 Apr. 1985.

(553) Gelber, "Palestine", 77.

(554) Arab Division Report, 24 March 1948, citing the Arab newspapers Al-Masri and Al-Ahram, HA 105\257
اقتباس من الصحف العربية مثل «المصري» و«الأهرام».

(555) Unsigned but HIS, "Subject: Report on What Happened on Tuesday 23.3", 24 Mar. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(556) 'Na'im', 'Subject: Details from a Talk with Dr. Dajani', 24 Dec. 1947, HA 105\215 aleph.

(557) '02204' to HIS-AD. 'Subject: A Tendency by the Arabs to Leave the Country', 15 Jan. 1948, HA 105\215 aleph. See also '02104' to HIS-AD, 14 Jan. 1948, HA 105\215 aleph.

(558) British Military HQ, Palestine, 'Fortnightly Intelligence Newsletter', 30 Jan. 1948, PRO WO 275 - 64.

(559) '00004' to HIS-AD, 'In the Arab Public', 29 Jan. 1948, HA 105\23 bet.
استمرت مثل هذه النشرات من قبل الهاغاناه؛ حيث وجدنا في نهاية مارس رئيس الإدارة العربية بالهستدروت (أغاسي) يشتكي منها: "إن إذاعاتنا تتمادى في ازدراء العرب الذين فروا كما لو كنا مهتمين ببقائهم في البلاد وقيامهم بمحاربتنا!"

(560) HIS, "Information Circular", c.21 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(561) "Elkana" to Ben-Gurion, ("Amital"), 19 Feb. 1948, DBG Archive.

(562) Gelber, "Palestine", 77.

(563) 'Hasmonai', 'Subject: Doing Among the Arabs', 12 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(564) 'Hashmonai', 'Subject: Demographic Changes in Jerusalem', 25 Jan. 1948, IDFA 500\48\\60.

(565) Unsigned, 'The Situation in the Arab Neighbourhoods in Southern Part of the City (Summary of Information from 21 March 1948)', IDFA 5254\49\\75.

(566) 'Yavne', 23 March 1948, HA 105\257.

(567) HIS, 'Reliable Information from 13.2.48', IDFA 500\48\\5.

(568) HIS, 'Reliable Information from 21.2.48', IDFA 500\48\5.

(569) 'Hashmonai', 'Information', 22 Feb. 1948, IDFA 500\48\\5.

(570) IDF History Branch, 'The Arab Liberation Army, 31.12.1947 -23.9.1955', IDFA 1046\70\\182.

(571) HIS-AD, 'Subject: Report on Events in Haifa on Friday 23.1.48', 25 Jan. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(572) 'HIS-AD Information 9.2.1948', IDFA 922\75\\1205.

(573) 'Na'im' to HIS-AD, 3 Mar. 1948, HA 105\257.

(574) HIS-AD translation of Tulkarm NC Communique of 27 Feb. 1948, HA 105\102.

ترجمة الإدارة العربية لجهاز استخبارات الهاغاناه للبيان الصادر في السابع والعشرين من فبراير عن اللجنة الوطنية في طولكرم.

(575) Alexandroni HQ, "Sparks, General Survey", 11 Mar. 1948, IDFA 6400\49\\66.

يذكر التقرير أن اللجنة الوطنية رتبت مرتين لإعادة الخيل التي قام العرب المحليون بسرقتها الأسابيع السابقة إلى ملاكها من اليهود، وكان ذلك منتصف الحرب بين الجماعتين!

(576) "Tiroshi" to HIS-AD, 14 Mar. 1948, IDFA 661\69\\36.

(577) Unsigned, "Subject: The Anger of the Inhabitants of Biet Safafa Concerning the Entry into their Village and Attacks on Mokor-Hayim by the Gangs", 28 Jan. 1948, IDFA 500\48\\5; and part of untitled report, "Yavne", 9 Mar. 1948, HA 105\257.

(578) "01122", to HIS-AD, 2 Dec. 1947, IDFA 6400\49\\66.

(579) "021122" to HIS-AD, 9 Feb. 1948m IDFA 6400\49\\66.

(580) "02122", to HIS-AD, 10 Dec. 1947, IDFA 6400\49\66.

(581) "Naim" to HIS-AD, 22 Feb. 1948, HA 105\72.

(582) Husseini to NC of Tiberias, undated but from Mar. 1948, HA 105\257.

(583) 'Yavne' to HIS-AD, 18 Mar. 1948

يقـدم عرضا للنقاط الرئيسـية التي تضمنها التقريـر، الذي فرض عليه البريطانيون رقابة، ويتناول خطابا أرسـله الحسيني من القاهرة بتاريخ 8 مارس 1948 إلى اللجنة الوطنية للقدس، وقد حصل جهاز استخبارات الهاغاناه على نسـخة من التقرير لكن ليس مـن الخطاب الرئيسي، ولم أجد نسخة من الخطاب ذاته، انظر:

"Avner" to HIS-AD, 29 Mar. 1948, and excerpt from report by "Yavne", 21 Mar. 1948- both in HA 105\257.

(584) 'Mitzpa' to HIS-AD, 29 Mar. 1848, and two reports by 'Yavne', 30 March 1948, all in HA 105\257.

أوضـح أحد تقارير يافن أن النسـاء في القدس أيضـا كانت مضطرة إلى التقدم بطلبات للحصول على تصريح خروج.

(585) 'Hiram' to HIS-AD, 29 Mar. 1948, HA 105\257.

(586) تقريـر مختصر عـلى الأرجح صادر من جهاز اسـتخبارات الهاغاناه بتاريخ 28 مارس 1948، انظر: HA\ 105\257.

(587) HIS, “In the Arab Camp’, 5 Apr. 1948, IDFA 661\69\\36.

(588) اُقتبس ذلك في 66 ,Gabby, “Political Study”.

(589) HID-AD, “The Migratory Movement ...’, 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

الفصل الرابع

(1) Khalidi, ‘Plan Dalet . . .’; Pappe, Making, 54–55, 89–94; and Masalha, ‘The Historical Roots . . .’, 43–44 – argue the opposite, to my mind contrary to the evidence.
تذهب هذه الدراسات إلى مسـاندة الرأي المعاكس، وبالنسبة إلي فإنها تخالف الدلائل والبراهين.

(2) HGS, ‘Tochnit Dalet’, 10 Mar. 1948, IDFA 922\75\\949, IDFA 922\75\\595 and IDFA 2687\49\\35.

(3) HGS, ‘Tochnit Dalet’, 10 Mar. 1948, IDFA 922\75\\595 and 922\75\\949, for Giv‘ati and Alexandroni brigades.

(4) انظر:

Operations Officer, Alexandroni, to battalions 31, 32, 33 and 34,? April 1948 (apparently 5\6 April), IDFA 2687\49\\35.

(5) Entries for 22 and 23 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 272.

(6) Protocol of Cabinet meeting, 19 May 1948, ISA. See also Sharett’s statement of ‘surprise’ in protocol of Cabinet meeting, 20 June 1948, ISA.

(7) Protocol of Cabinet meeting, 8 Jun. 1948, ISA.
يلاحـظ أنه بعد مرور أسـبوع أكد بن غوريـون أن «هروب العرب» لم يشكل بالنسبة إليه مفاجأة، انظر:

Protocol of Cabinet meeting, 16 June 1948, ISA.

(8) IDF GS\intelligence to "Conrad", "Summary of Information from Northen Front", 3 June 1948, IDFA 922\75\\1044.

(9) 'Summary of the Meeting of the Advisers on Arab Affairs in Camp Dora 31.3.48', IDFA 4663\49\\125.

(10) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Dora Camp 6.4.48', IDFA 4663\49\\125.

(11) 'Naftali' to zone OCs, 18 Apr. 1948, IDFA 4663\49\\46.

(12) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Dora Camp 13.4.48', IDFA 4663\49\\125.

(13) 'Tiroshi (Dror)' to HIS-AD, 16 Apr. 1948, HA 105\257.

(14) Galili, 'Meeting of HNS, 5.4.', IDFA 481\49\\64.

(15) Galili to Yadin, 15 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

(16) Allon to HGS\Operations, 18 Apr. 1948, IDFA 196\71\\83.
يلاحظ أنه بدءا من شــهر أبريل اســتخدمت الهاغانــاه «قوات الدفاع الإسرائيلية» عادة كلمة «لاجئين» كمرادف للسكان العرب.

(17) HGS to brigades, 13 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1219.

(18) 'Summary of a Meeting with "Amitai", 6 May 1948', DBGA.

(19) Ben-Gurion, "As Israel Fights", 100.
يلاحظ أن رواية مختلفة قليلا ظهرت في DBG-YH II, 387.

(20) Unsigned, 'Hebrew Translation of Record-Posters in Arabic [Nos.] 1–6', undated, IDFA 1196\52\\1.

(21) HGS\Operations\5 to brigades, 16 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1206.

(22) Unsigned, 'Assumptions [i.e., Guidelines? Concerning] Behaviour Toward Surrendering Villages', 22 Apr. 1948, HA 80\774\7 (Zvi Aurbach Papers).
وصلت هذه الوثيقة إلى مستشــاري الشــؤون العربية للهاغاناه، وتمت الإشارة إليها في:

'Summary: Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91.

(23) Shitrit, 'Memorandum of the Ministry for Minority Affairs', 10 May 1948, ISA, Labour Ministry, 6178\2924.
بشكل واضح تم إعداد المذكرة بناء على اقتراح بن غوريون بعد أن زاره ماكنس مشتكيا من سلوك الهاغاناه في المناطق المحتلة، انظر:
(entry for 6May 1948, Ben-Gurion Diary).

(24) Unsigned, 'Definition of the [Requisite] Behaviour in Managing Arab Towns and Villages to be Conquered by the Military', undated but stamped 'received 16 May 1948', IDFA 6127\49\\109.

(25) HGS\Operations, 'Chapter 1. – General', 11 May 1948, IDFA 2384\50\\9.

(26) Chief of HGS to Alexandroni, 23 Mar. 1948, IDFA 481\49\\50.

(27) Alexandroni to sub-district OCs (mafanim), 2 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84; Alexandroni to sub-district OCs, 15 Mar. 1948, IDFA 2506\49\\91; Alexandroni to battalions, etc., 28 Mar. 1948, IDFA 922\75\\1211; Naftali to heads of councils and headmen, 30 Mar. 1948, IDFA 4663\49\\84; and Hadari to district OCs, 23 Mar. 1948, IDFA 244\51\\81.

(28) Protocol of meeting of Defence Committee, 16 Mar. 1948, CZA S25-9347.

(29) Galili to Gwirtz, Danin, Machnes, 26 Mar. 1948, and HGS to brigades, 29 Mar. 1948, both in IDFA 481\49\\50.

(30) Gwirtz to ?, 1 Apr. 1948, IDFA 2506\49\\91.

(31) Gwirtz to ?, 1 April 1948, 'Subject: Sdot Tvuah', IDFA 2506\49\\91.

(32) 'Yaakobi' to Giv'ati, 28 Apr. 1948, IDFA 1041\49\\7.

(33) 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora 31.3.48'; 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora 6.4.48; and 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora 13.4.48', – all in IDFA 4663\49\\125; 'Summary, Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91; and 'Summary of Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.

(34) Galili to brigades, 13 Apr. 1948, HA 73\169.

(35) See Morris, 'The Harvest of 1948 . . .'; and OC Kinneret sub-district to 'Reuven', 30 May 1948, IDFA 1096\49\\51.

(36) Horowitz to Ben-Gurion, 2 May 1948, IDFA 6127\49\\109.

(37) Ben-Gurion, As Israel Fights, 87–88, text of Ben-Gurion's speech to Zionist Actions Committee, 6 Apr. 1948.

(38) 'Yavne', 'Arab Information from 17.4.48', IDFA 500\48\\55.

(39) Tahsin Kamal, Defence and Security Dept., NC, Jerusalem, to secretaries of neighbourhood committees, 22 Apr. 1948, ISA FM2570\11.

(40) 'Hashmonai', 'Arab Information from 5 April 1948', IDFA 500\48\\55.

(41) 'Hashmonai' to 'Moriah', 'Annexes to Information Summary No. 182', c. 19 Apr. 1948, IDFA 2605\49\\2.

(42) Unsigned, untitled segment of HIS report, 22 Apr. 1948, HA 105\257.

(43) Entry for 4 May 1948, CZA A246–13, 2373.

(44) 'Tzuri' (Levi Avrahami, OC HIS Northern Front) to HIS-AD, 'Miscellaneous Intelligence', 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(45) HIS, 'Daily Summary', 3 May 1948, IDFA 900\52\\58.

(46) 'Peretz' to 'Hashmonai', 'Subject: Information from the Motza Area', 30 Mar. 1948, IDFA 500\48\\29; and unsigned, 'Qastal', 3 Apr. 1948, IDFA 5545\49\\114.

(47) 'Yavne to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.

(48) 'Hashmonai' to 'Michmash', 'Annexes to Information Summary No. 143', 8 Apr. 1948, IDFA 4944\49\\499.

(49) 'Yavne' to HIS-AD, 10 Apr. 1948, HA 105\257.

(50) 'Arab Intelligence from 28.4.48', IDFA 500\48\\55.

(51) 'Yavne' to HIS-AD, 11 Apr. 1948, HA 105\257.

(52) Unsigned, 'Shu'fat', 29 Apr. 1948, IDFA 196\71\\83; and 'Hashmonai' to 'Michmash', 'Summary of Intelligence No. 205, 29.4.48', IDFA 4944\49\\499.

(53) 'Yavne' to HIS-AD, 15 Apr. 1948, HA 105\257; and unsigned, 'Arab Intelligence from 20.4.48', IDFA 500\48\\55.

(54) Untitled, unsigned intelligence report, 18 Apr. 1948, IDFA 5545\49\\114.

(55) 'Yavne' to HIS-AD, 19 Apr. 1948, HA 105\257.

(56) 'Summary of Intelligence for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80; and 'HIS Intelligence, Daily Summary', 7 May 1948, HA 105\94.

(57) 'Yavne to District OC, 'Urgent Arab Intelligence from 20.4.48', IDFA 500\48\\55.

(58) 'Na'im (Na'aman)' to HIS-AD, 8 Apr. 1948, HA 105\257.

(59) 'Summary of Information for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80.

(60) 'Tzuri (Shaanan)' to HIS-AD, 7 May 1948, HA 105\92.

(61) 'Oded' to Golani, 20 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.

(62) Unsigned, 'Carmeli Brigade Summary of Intelligence No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\2.

(63) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 2 May 1948, HA 105\217.

(64) 'Hiram', untitled, 22 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\257; and Alexandroni, 'Bulletin No. 34', 9 Jun. 1948, IDFA 2323\49\\6.

(65) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, HA 105\257.

(66) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257.

(67) 'Summary of Intelligence for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80.

(68) HIS, 'Intelligence, Daily Summary', 7 May 1948, HA 105\94.

(69) 'Yiftah' to HGS, Yadin, etc., 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.

(70) 'Yovev', untitled, 8 May 1948, HA 105\217.

(71) HIS-AD, Qastina village file, entry for 19 May 1948, HA 105\134.

(72) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 26 June 1948, HA 105\127 aleph; and 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Journey of the Wife of Ma'luli to Beirut', 4 July 1948, HA 105\127 aleph.

(73) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 7 July 1948, IDFA 7249\49\\138.

(74) 'Hiram' to IDF Intelligence Service, 3 Aug. 1948, IDFA 7249\49\\138.

(75) Golani\Intelligence, 'Intelligence', 27 Jun. 1948, IDFA 1096\49\\64.

(76) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 11 July 1948, HA 105\127 aleph.

(77) 'Tzuri (Leshem)' to HIS-AD, 7 July 1948, IDFA 7249\49\\138.

(78) 'Tzuri (Shaanan)' to HIS-AD, 11 July 1948, IDFA 7249\49\\138.

(79) 'Giora' to 'Utz', 17 Aug. 1948, IDFA 7249\49\\138.

(80) 'Tzuri (Yosef)' to IDF Intelligence Service, 19 Sept. 1948, IDFA 7249\49\\138.

(81) Intelligence officer, 6th Battalion, 'page No. 387, No. 576', undated but late Aug. 1948, IDFA 1046\70\\417.

(82) Yiftah intelligence logbook, entry for 31 Oct. 1948, IDFA 922\75\\1230.

(83) 54th Battalion to Giv'ati, 'Subject: Summary for 29.4.48', 30 Apr. 1948, IDFA 1041\49\\18.

(84) 'Hiram' to HIS, 30 Apr. 1948, HA 105\257.

(85) Alexandroni, 'Bulletin No.12', 18 May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(86) 'Yeruham' to HIS-AD, 13 May 1948, HA 105\217.

(87) Unsigned, 'Arab Intelligence from 13.5.48', IDFA 5254\49\\75.

(88) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13(1).

(89) 'Mitzpa' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.

(90) 'Yiftah' to HGS, etc., 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.

(91) 'Tzuri' to HIS-AD, 10 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(92) 'Tzuri' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Information from Samakh and the Area', 27 Apr. 1948, HA 105\92 bet.

(93) Unsigned, 'Ein-Gev. [Testimony] Taken from Ezra Klopfeny, 9.10.48', IDFA1235\52\\1. See also 'Ein Gev in the War, 35.

(94) Unsigned, 'Ein-Gev, [Testimony] Taken 4.7.48, from Zili Diter, OC "Persian" Sector', IDFA 1235\52\\1; 'Ein Gev in the War, 34 and 71; and Yitah, MAM, to Military Governor, Western Galilee, 26 Oct. 1948, and Hassan Zickrallah to OC Acre, 20 Oct. 1948, both in IDFA 922\52\\564.

(95) كتب رئيس الوزراء السـوري السابق خالد العظم في مذكراته («مذكرات خالد العظـم») ص. 386: «لقد جلبنا الخراب عـلى ما يقرب من مليون لاجئ عـربي بمطالبتهم ومناشـدتهم بشـكل متكرر أن يتركـوا أراضيهم وديارهـم ومصانعهـم». (أدين بالشـكر للدكتور غيدعـون ويغرات من القـدس الذي أفادنا بهذا المصـدر)، إلا أنني لم أجد أي دليل معاصر على مثل هذه الدعوة الشـاملة «الرسـمية» من قبـل أي حكومة عربية. كما أنني لم أعثر على أي دليل على أن الفلسطينيين أو أي مجموعة ذات ثقل غـادرت لأنها تلقت مثل هذه «الدعوات» أو الأوامر من القادة العرب في الخارج، والاستثناء الوحيد الضئيل لذلك يتمثل في الآثار (التي تمت الإشارة إليها) للأمر - الذي أصدره بشكل واضح السوريون - لبعض سكان الجليل الشرقي بالمغادرة قبل أيام من - وفي إطار الاستعدادات للغزو في 15 - 16 مايـو. إن مثل هـذا الأمر أثر في الأكثر على عدة آلاف من الفلسـطينيين، ولا يمكن بأي حال من الأحـوال ربطه وتركيبه مع جهود الهاغاناه لإبعاد الفلسطينيين عن تلك المنطقة (انظر الجزء المتصل بعملية يفتاح).

من الممكن أن يكون العظم يشـير إلى هذا القرار، أو - وهو الأكثر ترجيحا- أنه أقحم هذه الفقرة لتسـجيل بعض النقاط في سياق عمليات الجدل بين العرب أنفسـهم (على سبيل المثال نقد أقرانه من القادة العرب فيما يتصل بالنزوح الجماعي).

إذا كانـت هناك أوامر شـاملة تدعو إلى الرحيل صـدرت عن قادة عرب بالخارج - بمن في ذلك القادة الفلسـطينيون في المنفى - سـواء كان ذلك عـن طريق الإذاعات أو أي طريقة علنية أخرى، فمن المؤكد أن آثار ذلك كان يجب أن تظهر في الأرشـيف المعاصر الذي قدمته المؤسسات المدنية والعسكرية في اليشوف، أو حكومة الانتداب، أو المؤسسات الديبلوماسية البريطانية والأمريكية الموجودة في المنطقة آنذاك. إن أجهزة اسـتخبارات اليشـوف - الهاغانـاه ثـم عقب ذلك جهاز اسـتخبارات قـوات الدفاع الإسرائيلية، والقسـم العربي بالإدارة السياسية للوكالة اليهودية والأجهزة

التي حلت محلــه فيما بعد، وإدارة الشرق الأوســط؛ والبحوث؛ والإدارة السياســية بوزارة الخارجيــة الإسرائيلية- فضلا عن أجهزة الاســتخبارات الغربيــة؛ كلها تابعت الإذاعــات العربية والبيانات الصــادرة عن القادة العــرب، وعلى الرغم من ذلك فإنــه لا يوجد أي تقرير يهودي أو بريطاني أو أمريكي صدر في تلك الفترة الحاســمة (ديســمبر 1947 - يوليو 1948) يتضمن اقتباسا أو حتى يشير إلى مثل هذه الأوامر.

لقد تابعت هيئــة الإذاعة البريطانية على مدار أعوام الإذاعات العربية، وفي مطلع الســبعينيات بحث جون زميرمــان في تقارير المتابعة عما إذا كانت قد أشــارت إلى أوامر عربية أذيعت تدعو إلى الإجلاء، وفي 1973 - 1974 نشر كتابه بعنوان: «الدعاية عن طريق المذياع في الحرب العربية- الإسرائيلية عام 1948»، والــذي أوضح فيه أنه لم يجد إعلانات من هذا القبيل أذيعت، واقتصر الأمــر على وصف التقارير لما تضمنته الإذاعات عن إجلاء النساء والأطفال من حفنة من المواقع.

في مقاله بعنوان: «المؤرخون الجدد» اقتبس شاباتي تيبث من تقرير عن الإدارة السياسية لجهاز استخبارات الهاغاناه بتاريخ 27 أبريل 1948 ما يلي: «تنتشر شائعات عن صدور أمر من اللجنة العربية العليا في القدس بإجلاء الســكان العرب من العديد مــن المواقع في البلاد؛ حيث ترغب الحكومــات العربية في إرســال قوات قوية من المدرعــات والطائرات لقصف كل مــدن البلاد، وعدم رغبتها في إيذاء الســكان العرب. إنهم ينصحون السكان العرب بالهروب من البلاد بأسرع وقت ممكن قائلين إنهم ســيعودون منتصرين إثر استيلاء العرب على البلاد». بالنسبة إلي فإنني لم أر على الإطلاق هذا المســتند، ومع ذلك فإنه إذا كان بالفعل موجودا ويتضمن ما تم اقتباســه فإنه سيكون المستند المعاصر الوحيد الذي برز إلى السطح ويشير بطريقة ما إلى أمر عربي عام بالإجلاء؛ ومع ذلك لم يشر جهاز اســتخبارات الهاغاناه مجددا في أي من مســتنداته إلى تلــك «الأوامر» التي تناولتها الشــائعات والتــي كان يلزم التحقق منهــا، كما أنه كان من المنطقي أن يقوم المتحدثون الرســميون باســم اليشــوف باســتخدام مثل هذا «الأمر» أو «الأوامر» لدحض الاتهامات العربيــة – في الأمم المتحدة وغيرها من المنابر- أن اليشــوف كان يتبع سياسة الطرد تجاه الفلسطينيين. وحقيقة الأمر أنه إذا ما كان في حوزة جهاز استخبارات الهاغاناه أو أي جهاز آخر تابع لليشوف نص أمر عربي

بالإجلاء الشامل أو مصادر يعتد بها حول هذا الأمر، فإنه لا جدال في أنه كان سيتم إذاعته ونقله إلى جميع المستويات، ولكن اليشوف لم يفعل أي شيء من ذلك.

كذلك فإنه من الجدير بالملاحظة أن المستند الذي تم الاقتباس منه يشير بشكل واضح إلى «شائعات» ويتحدث عن اللجنة العربية العليا في القدس – وليس عن مركز الثقل الحقيقي للجنة في فيلا الحسيني بضواحي القاهرة؛ فضلا عن أنه يشير إلى الإجلاء من «مواقع عديدة» وليس إلى أمر إجلاء شامل لـ «عرب فلسطين»، غير أنه – كما هي الحال بالنسبة إلى أغلب الشائعات - فإن هناك ذرة من الحقيقة في هذا؛ حيث كان هناك موقع واحد كانت اللجنة العربية العليا تضغط للاستمرار في إجلاء المدنيين منه ألا وهو حيفا، وقد أشارت مصادر عديدة - بما في ذلك الاستخبارات البريطانية - في نهاية شهر أبريل إلى تقارير و«شائعات» عن أوامر من اللجنة العربية العليا لعرب حيفا تحضهم على الاستمرار في عملية الإجلاء؛ حيث إنه كان من المنتظر استهدافها بقاذفات القنابل العربية يوم الغزو (انظر ما يلي). إن تلك الشائعات التي بدأت في حيفا كانت على الأرجح هي التي استند إليها تقرير جهاز استخبارات الهاغاناه في 27 أبريل.

(96) 'Hashmonai' to ?, 'Intelligence Summary No. 184, 25.4.48', IDFA 5254\49\\75.

(97) 'Daily Monitoring Report, No. 20', undated but referring to 25–26 Apr. 1948, IDFA 4944\49\\617.

(98) 'Yavne' to HIS-AD, 19 Apr. 1948, HA 105\257.

(99) 'Arab Intelligence from 18.5.48', 19 May 1948, IDFA 500\48\\55.

(100) 'Hiram' to HIS-AD, 5 Apr. 1948, HA 105\102.

(101) The Committee for Economic Defence, 'Information About the Arab Economy, Bulletin No. 3', 13 Apr. 1948, HA 105\146.

(102) 'Avner' to HIS-AD, 18 Apr. 1948, HA 105\257.

(103) 'Tzefa' (Tuvia Lishansky, senior HIS officer), untitled, 6 Apr. 1948, HA 105\257.

(104) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey for Months of March, April 1948', 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(105) 'Tzuri', untitled, 29 Apr. 1948, HA 105\257.

(106) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey for Months of March, April 1948', 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(107) 'Hashmonai' to 'Michmash', 'Annexes to Summary of Intelligence No. 143, 8.4.48', IDFA 4944\49\\499.

(108) 'Yovev' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\128.

(109) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 28 Apr. 1948, HA 105\257.

(110) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257.

(111) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\102.

(112) 'HIS Intelligence 12.5.48', IDFA 922\75\\1205.

(113) 'Hiram' to HIS-AD, 5 May 1948, HA 105\217.

(114) 'Summary of Carmeli Brigade Intelligence No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.

(115) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(116) Alexandroni, 'Bulletin No. 6',? May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(117) 'Summary of Carmeli Brigade Intelligence No. 5 for 24.5.48', IDFA128\51\\71.

(118) IDFA-GS Logbook, entry for 16 June 1948, IDFA 922\75\\1176.

(119) HIS radio interception, Majd al Kurum to Tarshiha and Lubya (Qawuqji to 'Omar Fasil al Rami), 16 June 1948, HA 105\217.

(120) 'Tzuri (Uri)' to HIS-AD, 22 July 1948, IDFA 7249\49\\138.

(121) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 31 Mar. 1948, HA 105-257.

(122) 'Tiroshi (Allon)' to HIS-AD, 4 May 1948, HA 105\127.

(123) Alexandroni, 'Bulletin No. 12', 18 May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(124) Entry for 26 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 273.

(125) Unsigned, untitled, undated HIS report, HA 105\217; and Alexandroni, 'Bulletin No. 1', 7 May 1948, IDFA 2323\49\\5.

(126) Text of broadcast of Kol Hamagen Ha'ivri (Haganah Radio), Jerusalem, 5 May 1948, CZA S25-8918; 'Information about the Arabs of Palestine (According to Arab Radio Transmissions, 6-7 May 1948)', CZA S259045-; and 'Daily Monitoring Report No. 28', 6 May 1948, DBGA.

(127) Text of broadcast by Kol Hamagen Ha'ivri, 6 May 1948, CZA S258918-.

(128) Aharon Cohen, 'Our Arab Policy in the Middle of the War', 10 May 1948, HHA-ACP 10.95.10 (4); Aharon Cohen, 'In Face of the Arab Evacuation', summer 1948, HHA-ACP 10.95.11 (8); 'HIS Information', 13 May 1948, KMA-PA 100\MemVavDalet\3158-; and 'Information about the Arabs of Palestine (from Arab Broadcasts, 10-11 May)', and 'Information about the Arabs of Palestine (from Arab Broadcasts, 14-15 May)', both in CZA S25- 9045.

(129) 'Arab Broadcasts', 6-7 June 1948, CZA S259047-; and Israel Foreign Ministry, 'In the Arab Public', 26 May 1948,

KMA-PA 100\Mem Vav Dalet\15-. See also Zagorsky to Harzfeld, 2 June 1948, LA 235 IV, 2251 bet, on Arab pressures on evacuees from the Beisan Valley to return.

(130) جرى اقتباس إعادة تأكيد اللجنة على سياستها في هذا الخصوص في:

Gelber, "Palestine", 258.

(131) على سبيل المثال انظر:

Israel Foreign Ministry, 'In the Arab Public', 11 June 1948, regarding Syria and the Arabs of the Hula Valley; or Tree and Sword, 228, on the Arabs of Lubya.

(132) Gelber, "Palestine", 265.

(133) HIS, 'The Tabari Family,' undated but stamped 'received 29 Apr. 1941', HA 105\222.
يُذكر أن نايف قد قاد بنجاح مجموعة من العناصر غير النظامية العربية خلال تمرد 1936 - 1939.

(134) 'Tzefa' to HIS-AD, 9 Dec. 1947, HA 105\72.

(135) 'Tzefa' to HIS-AD, 'Subject: Arab Families leaving their Apartments', 22 Dec. 1947, HA 105\215 aleph; and 'Tzefa' to HIS-AD, 9 Dec. 1947, HA 105\195.

(136) 'The Committee of the Jewish Residents of the Old City of Tiberias to the Defence Committee', Tiberias, 8 Feb. 1948, CZA S254147-. See also Entry for 10 Feb. 1948, DBG-YH I, 227.

(137) 'HIS Intelligence, Daily Summary', 23 Dec. 1947, HA 105\61.

(138) 'Tzefa' to HIS-AD, 29 Dec. 1947, HA 105\23; and Major Ben-Zion and Y. Ben-Arye, IDF History Branch, 'Testimony of Major Schusterman', 22 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.

(139) Entry for 4 Feb. 1948, YND; and Nahmani to Yosef Weitz, 10 Feb. 1948, CZA S257721-.

(140) Nahmani to Weitz, 10 Feb. 1948, CZA S2507721-; and 'Mitzpa (Hava)' to HIS-ASD, 16 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.

(141) 'Hiram' to HIS-AD, 22 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.

(142) Tree and Sword, 109; and YND, entry for 14 Mar. 1948. See also Sami Khalil al Tabari, Tiberias NC, to head of the Division for National Guidance, AHC, Cairo, undated but from c. 17 Mar. 1948, HA 105\32 aleph.

(143) M. Hildsheimer and Yael Avital, 'Interview with Moshe Weiss (Tzahar)', head of the Tiberias Jews' Situation Committee in 1948, 18 Jan. 1982, Tiberias Municipal Archive. See also Tzahar, 'Historians . . .', 204, for a later, different version of the meeting with Galili.

(نسخة لاحقة مختلفة عن اللقاء مع غاليلي).

(144) Stefan to Yadin, 14 Mar. 1948, and HGS\Operations to Golani, 17 Mar. 1948, both in IDFA 67\51\\677.

(145) 'Mitzpa (Hava)' to HIS-AD, 23 Mar. 1948, HA 105\257.

(146) 'Tzuri' to Golani, 3 May 1948, 'General Survey for the Months of March, April 1948', IDFA 1196\52\\1.

(147) 'Optik' to Golani, 'No. 2', 10 Apr. 1948, and Optik to Golani, 10 Apr. 1948, both in IDFA 128\51\\18.

(148) 'Kna'ani', 'Report on the Nasir a Din Operation', 12 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1025.

(149) HIS Intelligence, Daily Summary', 18 Apr. 1948, IDFA 900\52\\58. 'Deir Yassin' meant massacre.

(150) In Ben-Zion and Ben-Aryeh, IDF History Branch, 'Testimony Taken from Amos Mukadi (Brandstetter) about His Activities in the Golani Brigade during the War of Independence', 22 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.

تذكر موكادي أن بعض أعضاء الجماعات المسلحة حاولوا الهروب من الموقع من خلال الاختباء وراء النســاء الفارات: «لم يعرف رجالي ماذا يفعلون... وعندئذ أصدرت أمرا بإطلاق النار على كل شــخص يحاول الهروب حتى وإن ترتب على ذلك إصابة النســاء؛ حيث لم تكن هناك طريقة أخــرى للقضاء على أعضاء تلك الجماعــات، وكان من نتيجة ذلك أن قتل عدد من النســاء... وفي تلك الليلة أعلن راديو دمشق أن اليهود كرروا ما ســبق القيام به في دير ياسين، وأعتقد أن ذلك كان - بشــكل عرضي - من بين العوامل التي حطمت العرب في طبريا؛ حيث إن العرب أنفسهم سارعوا بنشر وتضخيم القصة المتعلقة بنصر الدين مما أدى إلى هروب العرب من طبريا».

(151) Divisional Logbook, 6th Airborne Division, entry for 12 Apr. 1948, PROWO 27554-; and Nazzal, Exodus, 29 (who misdates the attack '10 April 1948'). The AHC misdated the attack '14 April 1948' (see AHC memorandum, 26 July 1948, PRO CO 7332\487-).

(152) Entry for 12 Apr. 1948, YND.

(153) 'Oded' to Golani, Palmah, 13 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1208.

(154) 'Written Testimony of David Khidra, A Resident of Tiberias', undated, Tiberias Municipal Archive; Tiberias to ?, 17 April 1948, 22:45 hours, IDFA 128\51\\50; and entry for 17 Apr. 1948, YND.

(155) MILPAL to ?, 19 April, IDFA 900\52\\43; and Ben-Zion and Ben-Aryeh, 'Testimony of Major Schusterman', 22 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.

نُقل عن شيسترمان الذى قاد الوحدة «ج» بالفرقة 12 في طبريا خلال شهر أبريل عام 1948 قوله: «شعر المرشدون البريطانيون بأن عملية إجلاء المدينة قد بدأت، واقترح القائد البريطاني على العرب أن يخلوا المدينة». غير أن إسحاق بروشي (قائد آخر في الهاغاناه كان نائبا لقائد الفرقة 12) يتذكر الأمور بطريقة مختلفة قائلا: «جاء القائد البريطاني مُعلنا أن العرب يطلبون إخلاء المدينة... وقد عرض البريطانيون في نهاية الأمر مساعدتهم في عملية الإجلاء...». انظر:

Ben-Zion, Y. Ben-Aryeh and Avigdor Kirchner, 'Summary of Meeting with Yitzhak Broshi, deputy OC 12th Battalion in War of Independence', 13 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943.

(156) Tiberias to ?, 17 April, 1948, IDFA 128\51\\50; 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Tzuri' to HIS-AD, 24 Apr. 1948, HA 105\92 bet.

(157) Nazzal, Exodus, 29–30; Moshe Tzahar interview, Tiberias Municipal Archive; and Divisional Logbook, 6th Airborne Division, entry for 18 Apr. 1948, PRO WO 275 - 54.

أوضح تزاهار أن خبر إجلاء العرب كان بالنسبة إليه «صدمة» وأنه قام بالاحتجاج على ذلك لدى أندرسون، غير أن الأخير «لم يلن»، وعندئذ طلب تزاهار من أندرسون استدعاء القادة العرب لمحاولة إقناعهم بإعادة النظر في قرارهم، فأجاب الأخير بأنه «لم يعد هناك قادة عرب فقد فروا جميعا». يذكر أن ما رواه تزاهار:

(Tzahar interview, Tiberias Municipal Archive and in Tzahar, 'Historians . . .', 207–208)

لا يتماشى مع أي مستند معاصر آخر، ويفتقر إلى المصداقية، فقد أشار غولان إلى أنه خلال شهر أبريل اتبع البريطانيون سياسة «تشجيع إجلاء القطاعات الإثنية الحبيسة». ومن جانبي فإنني لم أر أي دليل قوي على أن مثل هذه «السياسة» قد جرى تبنيها على الإطلاق، على الرغم من وجود ما يثبت أن مثل هذا التفكير كان موجودا في خلفية قرارات بعض القادة العسكريين في مناطق محددة

وأوقــات معينة (من الممكــن أن يكون ذلك في حالــة طبريا، وأيضا تجاه كيبوتس مشــمار هعيمك في أوائل شــهر أبريل «انظر أدناه». ويذهــب ما يقوله تزاهار إلى أن قرار العــرب بالتخلي عن طبريا قد اتخذ من قبل القيادة المحلية إما بالتشــاور مع السلطات البريطانية أو بنــاء على اقتراح من الأخيرة، بيد أن التقارير المعاصرة لذلك تدفع إلى الاعتقــاد أن العرب في المدينة تلقوا أمرا من الخارج - من اللجنة العربيــة العليا؟ من اللجنة الوطنية في الناصرة؟ من الجامعة العربية في دمشــق؟ - بالرحيل، وقد نص أحد تقاريــر الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه على ما يلي: «من مصادر عسكرية عديدة عربية وبريطانية، أصبح من المعروف جيدا أن العرب في الموقع تلقوا أوامر بأن يغادروا طبريا». انظر:

Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Reports on the Evacuation of Tiberias', 21 Apr. 1948, HA 105\257.

ويشير التقرير إلى أن أمر الإجلاء جاء من «سلطة عليا».

(158) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 'Subject: Miscellaneous Reports from Tiberias', 21 Apr. 1948, HA 105\257.

(159) 'Tzuri' to HIS-AD, 24 Apr. 1948, HA 105\92 bet. 'Tzuri' ('Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 21 Apr. 1948, HA 105\257).

وقد نقل أيضا أن أغلب العائلات وصلت إلى شمالي الأردن (الموقع الأصلي للطبريين)؛ حيث زودتهم الحكومة بخيام، وكان هناك مُناد يطوف أرجاء إربــد مُعلنا أن اليهود في طبريا قد «اغتصبوا امرأة عربية... وسرت حملة دعايــة ارتكــزت على أحداث الاغتصــاب لإثارة الجماهــير التي صدقت (التقاريــر)». (مــن جانبي لم أجــد أي دليل آخر عــلى الاغتصاب في أي مســتند يتعلق بطبريا). كذلك نقل تــزوري أن صدقي الطبري حوكم في دمشــق في اتهامــات بأخذ رشــوة (3 آلاف جنيه إســترليني) من اليهود للموافقة على «الهدنة» (في منتصف شــهر مارس ؟)؛ وقد سرت شائعات حول هذه الرشــوة المزعومــة، وأيضا حول تلقي كل مــن نايف الطبري ورشــيد الطبري رشــاوى في طبريا قبل المعركة النهائية، وادعى البعض أن ســكان طبريا علمــوا بذلك الأمر مما دفع إلى فــرار الطبريين قبل الثامن عشر من أبريل.

(160) 12th Battalion\Intelligence to Golani Brigade\Intelligence,? April 1948, IDFA 128\51\\18.

في الرابع من سبتمبر 1955 نشرت صحيفة «فلسطين» اليومية تقريرا مبالغا في الخيال حول «سـقوط طبريا» أشـار إلى أنه من بين أسباب ذلـك: حيل من قبل قوات الانتـداب، واندفعت فتيات يهوديات إلى داخل معسـكراتهم (المقصود المليشيات العربية) حيث قاموا بقضاء «ليـال حمراء». أما فيما يتصـل بإجلاء العرب، فلم يتهـم المقال أيا من البريطانيين أو اليهود وإنما عزا ذلك إلى أن السـكان هربوا بمحض إرادتهم. انظر:

IDFA 922\75\\695.

(161) Entry for 18 Apr. 1948, YND.

(162) Palmah HQ to HGS, 18 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(163) 'Shimon' to Golani, 18 Apr. 1948, 18:15 hours, IDFA 128\51\\50.

(164) Entry for 18 Apr. 1948, YND.

(165) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.

(166) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 25 Apr. 1948, HA 105\92 bet.

(167) Entries for 21 and 22 Apr. 1948, YND. Tzahar, 'Historians . . .', 211,

وقد نصت على: «جرى اسـتنفار قوة الشرطـة التابعة للحكومة العبرية بالكامل فقط من أجل حماية الممتلكات العربية، ومن الممكن أن يكون قـد حدث خلال اليومين الأولين [بعـد الانتصار اليهودي] بعض الأعمال المنعزلة للسرقة [المقصود السـلب]، ولكن هذا بعيد للغاية عن هجوم جماعـي على الممتلكات العربية». وحقيقة الأمـر أن مذكراته تذخر في أماكن مبعثرة بمثل تلك التبريرات الخاطئة.

(168) 'Tzuri (Hava)' to HIS-AD, 25 Apr. 1948, HA 105\92 bet.

(169) Presidium of the Community Committee, Temporary Situation Committee, untitled proclamation, 19 Apr. 1948, Tiberias Municipal Archive.

(170) Colonial Secretary (New York) to Cunningham, 24 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\23; and Tree and Sword, 9.

(171) E.N. Koussa, letter to editor, The Palestine Post, 6 Feb. 1949.

(172) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1),
وتشرح باختصار أسباب النزوح الجماعي من طبريا كما يلي: «ان عملياتنا [المقصود هجمات الهاغاناه] لم تجد قيادات في المواقع؛ حيث فر الأغنياء قبل ذلك».

(173) 12th Battalion to Golani, 19 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50; and 'Tzuri (Khokh)' to HIS-AD, 21 Apr. 1948, HA 105\257.
في خطاب إلى المحرر (ها ارتيز 11 أبريل 1999)، أشار ديفيد أرون إلى تذكره أن شيخ القبيلة دياب آل إبراهيم أخبر جيرانه اليهود بأنه تلقى أمرا صادرا من اللجنة العربية العليا بإخلاء الموقع مما أسرع من عملية الإجلاء، وعلى العكس من ذلك فإن نائب القائد العسكري للفرقة 12 بروشي كان قد ذكر سابقا أنه «تم إجلاء عرب القادش تحت ضغط الهاغاناه». انظر:
Ben-Zion, Kirschner, and Ben-Aryeh, 'Summary of Meeting with Yitzhak Broshi . . .', 13 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943).

(174) 'Tzuri (Khoch)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, HA 105\257.

(175) Golani Brigade Logbook, entry for 24 Apr. 1948, IDFA 665\51\\1. See also 'The Fall of Tiberias', Falastin, 4 Sept. 1955, in IDFA 922\75\\ 695.

(176) 'Tzuri (Fawzi)' to HIS-AD, 21 Apr. 1948, HA 105\257; and Golani Brigade Logbook, entry for 22 Apr. 1948, IDFA 665\51\\1.

(177) Golani Brigade Logbook, entry for 22 Apr. 1948, IDFA 665\51\\1; and 'Tzuri' to HIS-AD, 23 Apr. 1948, HA 105\257.

كان مـــن الواضـــح أن ما قام به رئيس غينوســـار كان بناء على أوامر من مركز قيادة الفرقة 12، انظر:

(Ben-Zion, Kirschner and Ben-Aryeh, 'Summary of Meeting with Yitzhak Broshi . . .', 13 Mar. 1957, IDFA 922\75\\943).

(178) 'Tzuri (Kochva)' to HIS-AD, 'Subject: Ghuweir Abu Shusha', 24 June 1948, HA 105\226.

(179) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(180) Committee for Economic Defence, 'Information from the Arab Economy, Bulletin No. 4', 10–13 Apr. 1948, HA 105\146.

(181) 'Hiram' to 'Jeremiah', 1 Apr. 1948, IDFA 5942\49\\23; and 'Hiram' to HISAD, 4 Apr. 1948, HA 105\257.

(182) Unsigned, 'Report on "Shahar" Patrol', 10 Apr. 1948, HA 105\257.

(183) 'Hiram' to HIS-AD. 19 Apr. 1948, HA 105\257. Goren, 'Haifa', 183, misdates his departure '17 Apr. 1948.'

(184) 'Hiram' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.

(185) Stockwell, 'Report by GOC North Sector Major General H.C. Stockwell CB, CBE, DSO, Leading Up to, and After, the Arab-Jewish Clashes in Haifa on 21–22 April 1948', (henceforward 'Stockwell Report'), 24 April 1948, SAMECA CP V/4102/. See also Cyril Marriott (Haifa) to Bevin, 26 Apr. 1948,

وهـــو عبارة عن تقرير مـــن 17 صفحة تعيد إنتاج تقرير ســـتوكويل، انظر كذلك:

Cunningham to Secretary of State, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III/415/, and Henry Gurney, 'Palestine Postscript', the

Chief Secretary's unpublished diary, 73–74 (SAMECA, Gurney Papers).

ويتطابق مضمونها مع وجهة نظر كل من ستوكويل وماريوت عن الأسباب التي أدت إلى الإسراع في هجوم الهاغاناه؛ حيث كتب غورني (وهو ليس صديقا للصهيونية): «لقد أصبح من الواضح اليوم أن الهجوم اليهودي على حيفا قد شُن كنتيجة مباشرة لأربعة أيام متتالية من الهجمات العربية المستمرة، الأمر الذي كان في مصلحة اليهود».

(186) 'Segal' to all divisions, 'Summary of Intelligence in the District from Friday 16.4.48 14:00 hours Until Sunday 18.4.48 08:00 Hours', IDFA 7353\49\\46.

(187) Unsigned but Carmeli, 'Addition to Daily Report 20.4.48 14:00 Hours for 21.4.48 08:00', and Carmeli to HGS\Operations, 'Report for 21.4.48', both in IDFA 7353\49\\46.

(188) Pa'il, Haganah, 310–11; and HGS\Operations, 'Plan D', IDFA 933\75\\ 949 (see especially sub-clause 3 ('Definition of Functions') gimel ('Consolidation in the Big Cities') 3).

(189) Harry Beilin to JA-PD, 1 April 1948, CZA S2510555-.

(190) Beilin to JA-PD, 1 Apr. 1948, CZA S2510555-.

(191) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S2510584-.

(192) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102.

(193) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S2510584-.

(194) In Enemy Eyes, 21.

(195) NorthSec [i.e., GOC North Sector] to 1st Guards Brigade, CRAFORCE, etc., 21 Apr. 1948, 18:45 hours, PRO WO 275–62.

(196) Eshel, Battles, 347–49; and Carmel, Battles, 86–87.

(197) Unsigned, 'Addition to Daily Report 21.4 14:00 hours, Summary of Information Up to 22.4 08:00', IDFA 7353\49\\46.

(198) 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', HA 80\54\1,

وتضمن ملخصا جيدا للمعركة أعده ضابط بمركز قيادة لواء كارميلي بعد انتهائها بأيام قليلة. وفيما يتصل بقصف قذائف الهاون انظر:
Mandate Government Press Office communiqu ′ e, 22 Apr. 1948, 12:45 hours, CZA S257721-; and protocol of 'Meeting of Mista'arabim' in Giv'at Hashlosha, '10 Apr. 1969.
والــذي ينقل عن تقرير من «هفكوك» جرى تحريره في 23 أبريل 1948 حول الطريقة التي أحس بهــا العرب بالقذف والهجوم الأرضي من قبل الهاغاناه، في HA 25\12.

(199) Protocol of 'Meeting of Mista'arabim', quoting from 'Havakuk' report, HA 25\12.

(200) In Enemy Eyes, 23–24.

(201) Tactical HQ, 1st Battalion, Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep', 22 Apr. 1948, 16:30 hours, PRO WO 261297-.
يُذكر أن قائد اللواء قد أصيب لاحقا في ذراعه بطلقة من قناص يهودي في وقت كان يقود فيه رتلا من سيارات الإسعاف لالتقاط الجرحى العرب.

(202) Unsigned but Carmeli, 'Summary of Information on the Enemy 22.4.48', undated but from afternoon of 22 Apr. 1948', IDFA7353\49\\46; and 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', HA 80\54\1.

(203) Haganah HQ, Haifa District, '(poster) 'Haganah OC Announcement No. 2', 22 Apr. 1948, HA 105\92.

(204) 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', HA 80\54\1; and The Times (London), 22 Apr. 1948.

(205) Carmel, Battles, 104; and Eshel, Battles, 375.

(206) Eshel, Battles, 356.

(207) '257 and 317 Field Security SectionWeekly Report No. 2 forWeek Ending 21 April 1949', PRO WO 275-79.

(208) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102.

(209) Carmeli HQ, 'Addition to Daily Report 21.4 14:00 Hours, Summary of Information Up to 22.4 08:00 Hours', IDFA 7353\49\\46; and 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Yunis Nafa'a', 28 Apr. 1948, HA 105\257.

بحلول مطلع شــهر مايو كان العرب في حيفـا يقولون إن نافعة تلقى رشــوة قيمتها 100 ألف جنيه إســترليني «من اليهود لتســليم مدينة حيفا» انظر:

'Hiram' to HIS-AD, 5 May 1948, HA 105\92.

وذكــر أحد ضبــاط جهاز اســتخبارات الهاغاناه أن العــرب اعتقدوا أن قادتهــم قد «خانوهم» وفروا مثــل «الجرذان»، وكانوا يرون أنه إذا كان القادة قد بقوا فإنهم كانوا سيصمدون. انظر:

'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Feelings', 25 Apr. 1948, HA 105\257.

(210) يذهب الخالدي في كتابه «سقوط حيفا» إلى أن رحيل قادة المليشيات لم يؤثــر في المعنويات العامة للعرب كما أنه ظل غير معلوم من ســكان المدينــة، إلا أن ذلك يبــدو مخالفا للمنطق، ففي الثــاني والعشرين من أبريــل رددت إذاعة الهاغاناه: «لمــاذا أخذ نافعة أسرته معه إلى بيروت؟ هل تعلمون أنه استأجر شقة هناك ...؟». انظر:

Eshel, 'Battles', 375.

(211) '257 and 317 Field Security Section Weekly Report No. 3 for the Week Ending 28 April 1948', PRO WO 275-79.

(212) Cunningham to Creech-Jones, 26 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\71.

(213) British Army HQ, Palestine, 'Fortnightly Intelligence Newsletter No. 67', 6 May 1948, PRO WO 275-64.

في تقاريرهما وصف كل من ستوكويل وماريوت هروب القادة بأنه «ذو مغزى» في تفســير الانهيار العربي السريع، ومن جانبه أوضح الخالدي في كتابه «ســقوط حيفا» أن عز الدين أراد فقط أن يشرح بنفســه الموقف

(ومن المفترض أنه طلب تعزيزات) غادر قبل بدء إطلاق النار، وأنه كان متهما بـ «سوء التقدير» وليس بـ «الجبن»، ومع ذلك فقد اتضح أن «عز الدين غادر المدينة في الساعة الواحدة ظهرا يوم 21 أبريل في وقت كان إطـلاق النار قد بدأ فعلا - وأنه عنـد مغادرته كان قد أدرك أن المعركة الحاسمة قد بدأت.

(214) Lippincott (Haifa) to Secretary of State, 23 Apr. 1948 (two cables), NA RG 84, Haifa Consulate Classified Records 1948, 800 – Political Affairs.

(215) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and '[Mandate Government] Haifa District Summary of Battle Headquarters Dated 22.4.48', IDFA 900\52\\24.

(216) Cunningham to Secretary of State, 23 Apr. 1948, 11:00 hours, SAMECA CP III\4\15; and 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102.

(217) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and Carmel, Battles, 104–105.

طوال عملية التفاوض كانت الهاغاناه تشـير إلى «شروط الاستسلام»، في حين أشـار كل مـن البريطانيين والعـرب إلى «شروط الهدنة»، وقد كان الجميع يعني ويعرف أنه يتحدث عن الشيء نفسه.

(218) Khalidi, 'Fall'; 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and Goren, 'Haifa', 187.

(219) Khalidi, 'Fall'; and Goren, 'Haifa', 187–88.

(220) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and Goren, 'Haifa', 187–88.

(221) Khalidi, 'Fall'; Goren, 'Haifa', 188; and Assaf, History, 331–32.

(ويقـدم الأخير نص خطـاب موجها من كوسـا إلى «جـوش أوبزرفر» و«مجلة الشرق الأوسط» في 1 سبتمبر 1959).

(222) Broadmead to FO, 22 Apr. 1948, 11:58 hours, PRO CO 537–3901.

(223) Broadmead to FO, 22 Apr. 1948, 15:14 hours, PRO CO 537-3901.

في الوقت نفسه اشتكى عزام باشا - الذي كان قد أُطْلع على صورة من رسائل القنصل إلى السفير البريطاني بالقاهرة روي كامبيل من «المذابح» اليهودية المستمرة لـ «السكان العرب، بمن في ذلك النساء والأطفال». (وكان يكذب حيث لم تكن هناك «مذابح»)، وهدد عزام باشا بتدخل الجيوش العربية. انظر:

Campbell to FO, 22 Apr. 1948, 21:07 hours, PRO CO 537-3901.

(224) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102.

ويحتوي على النص الأصلي لشروط الهاغاناه والنسخة المنقحة بواسطة ستوكويل.

(225) Carmel, Battles, 105-106.

(226) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; and 'Marriott Report', PRO FO 371 - 68505.

(227) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S25 10584.

(228) 'Marriott Report', PRO FO 37168505-; and 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102. See also Marriott to FO, 23 Apr. 1948, PRO FO 371 - 68544.

(229) 'Stockwell Report', SAMECA CP V\4\102; Marriott Report', PRO FO 371-68505; and Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S25 - 10584.

(230) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S 2510584-; and Carmel, Battles, 107.

يلاحظ أن أيا من ستوكويل أو ماريوت لم يذكر أي شيء عن مناشدة ليفي.

(231) Carmel, "Battles", 107.

(232) Salomon to Political Department, Foreign Ministry, 1 Apr. 1949, ISA FM 2401\11.

يذكر سولومون أن «مكلف» سعى أيضا إلى طمأنة العرب إلى أنهم يمكنهم البقاء في حيفا، إلا أن ذلك لا يوجد ما يؤيده في أي مكان آخر، كما أنه يتناقض ضمنيا مع مذكرات كارميل. ومن جانب آخر قامت إذاعة الوكالة اليهودية في ذلك الوقت بطمأنة عرب حيفا إلى أن اليهود ليس لديهم نية لطردهم، وركزت على أن المصلحة المثلى للمدينة تكمن في التعايش السلمي، ومع ذلك لم تكن هناك دعوة صريحة إلى العرب بالبقاء أو - في حالة مغادرتهم لها - العودة إليها. انظر:
Gelber, "Palestine", 107.

(233) Carmel, "Battles", 107.
يلاحظ أن النسخة الأولى لشرح «أوامر اللجنة العربية العليا» للإجلاء من حيفا ضُمّنت في بيان المتحدث الرسمي باسم الوكالة اليهودية في 23 أبريل، والتي تتحدث عن أن النزوح الجماعي «نُفذ بشكل عمدي من قبل العرب لتشويه سمعة اليهود، و التأثير في الحكومات العربية لإرسال المزيد من الدعم، فضلا عن إعداد الميدان لهجوم من قبل القوات النظامية العربية لاحقا». وقد اقتبس البيان في صحيفة «التايمز» اللندنية بتاريخ 24 أبريل 1948، وقد تصادف أن عبر مراسل الصحيفة عن عدم موافقته على المضمون معلقا بأن «التفسير الأكثر بساطة وإنسانية يذهب إلى أن العرب قد هربوا نتيجة حالة من الفوضى التامة».
من جانبه، فإن تقرير لجنة الطوارئ العربية لعرب حيفا بتاريخ 30 أبريل 1948 - 4\940\437 69-ISA - لا يشير على الإطلاق إلى أي أوامر وصلت إلى اللجنة من الخارج خلال مشاوراتهم في «منزل خياط»؛ أما غورين فيتمسك - في كتابه حيفا ص 189 بأنه أثناء فترة توقف المناقشات في قاعة المدينة قام الأعيان - بعد تلقيهم تعليمات من دمشق- بالاتصال ببيروت؛ حيث يبدو أنهم تحدثوا إلى المفتي أو مندوب رفيع المستوى عنه وتلقوا أمرا واضحا بمغادرة المدينة؛ وقد استند غورين في ذلك إلى نصوص مقابلات جرت بداية السبعينيات مع إفرايم آلروي وأهرون كريمر – وهما ضابطان متخصصان في التنصت بجهاز استخبارات الهاغاناه ادعيا أنهما استمعا وسجلا المحادثة التلفونية، لكنهما لم يستطيعا القول - وهو ما يقر به غورين - من كان المتحدث في كلا الجانبين من الخط التلفوني. وفقا لما أورده غورين توجه آلروي إلى قاعة المدينة لإخطار سولومون ونفتالي ليفشيتز

(مستشار الشؤون العربية بالهاغاناه عن مدينة حيفا) بتلك المحادثة؛ وعلى الرغم من ذلك فإنه لا توجد أي وثائق معاصرة للواقعة تدعم هذه الرواية، كما أنه لا توجد إشارة في أي وثيقة عن أمر صادر من بيروت في 22 أبريل بإجلاء حيفا أو عن حديث دار بين آلروي وسولومون أو ليفشيتز. فضلا عن ذلك فإنه خلال مقابلات لاحقة تمت مع كل من سولومون وليفشتيز لم يشر أي منهما إلى مثل هذا الأمر أو تلك المحادثة (وكان من المؤكد أن يقوما بذلك إذا ما كان الأمر قد حدث بالفعل). وعلى العكس من ذلك تحدث خطاب سولومون في 1 أبريل 1948 عن أنه أخطر في 22 أبريل 1948 من قبل أعضاء الوفد العربي - بعد انفضاض اجتماع مبنى البلدية - أنهم «لديهم تعليمات بألا يوقعوا على هدنة... حيث إن ذلك يعني الموت المؤكد على أيدي شعبهم... وأنه كان من الواضح أنه لا يمكن لأي مسيحي أن يقدم على فعل أي شيء يضايق المسلمين؛ وفي حين أنهم سيبقون في المدينة - لاعتقادهم أن ذلك سيكون أفضل لمصالحهم الخاصة - فإنهم سينصحون العرب (السكان) بالمغادرة»؛ ويبدو أن ذلك يعني أن الأعضاء المسيحيين بالوفد تم تخويفهم أصدرت التعليمات لهم من قبل الأعضاء المسلمين - الذين تغيبوا عن الجزء الثاني من الاجتماع - بألا يوقعوا على هدنة وأن ينصحوا سكان المدينة بالمغادرة (انظر: ISA FM 2401\11)، وقد عرض ديفيد أريل في مذكرته بعنوان: «الدول العربية ومشكلة اللاجئين» (Notebook A, 7 Oct. 1951,) ISA FM 2566\13) الخطاب الصادر عن لجنة الطوارئ (خياط، سعد، كوسا، نصر، معمر) والموجه إلى ستوكويل في الثالث والعشرين من أبريل 1948، والذين يؤكدون فيه أن «نقل السكان العرب من المدينة طوعي وجاء بناء على طلبنا»، وقد أبلغ خياط لاحقا أحد ضباط (أو مرشدي) جهاز استخبارات الهاغاناه ما يلي: «هناك شائعات أن المفتي، واللجنة العربية العليا، أمروا العرب بمغادرة المدينة، غير أن تلك الشائعات لا أساس لها من الحقيقة». انظر:

'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Flight of the Arabs from Haifa', 28 May 1948, HA 105\257.

(234) Entries for 22 and 23 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 272; Levin, Jerusalem, 90, entry for 23 Apr. 1948.

وورد بهــا: «هناك شيء غريــب في الطريقة التي يهــرب بها العرب...».
انظر كذلك:

Efraim Harari (ed.), The Tel of the Winds, Ilana to Levavi and Elah, Passover, 1948.

وقــد تضمنــت «إن الأمــر مشــكوك فيــه إلى حد مــا - كما لــو كانوا [البريطانيون] يقومون بعمل قذر».

(235) Sasson to Shertok, 23 Apr. 1948, Political and Diplomatic Documents, 670.

(236) من المفيد الإشارة إلى أن أيا من ستوكويل أو ماريوت في تقاريرهما لم يلمحا إلى أن الوفد في مبنى البلدية كان تحت تأثير تعليمات قادمة من دمشــق أو اللجنة العربية العليا، وفضلا عن ذلك فإن جهاز استخبارات الهاغاناه في تقريره بعنوان:

The Migratory Movement . . .', 30 June 1948 (HHA ACP 95.10.13 (1)).

قد نســب عملية الفرار إلى انقضاض واســتيلاء الهاغاناه على حيفا، ولم يلمح على الإطلاق إلى أوامر واردة من الخارج.

(237) Lippincott to Secretary of State, 25 Apr. 1948, and Lippincott to Secretary of State, 26 Apr. 1948, both in NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 - Political Affairs.

(238) Cunningham to Secretary of State, 25 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\52; Secretary of State (London) to Kirkbride, 27 Apr. 1948, PRO FO 816\118;6th Airborne Division Logbook, entry for 4 May 1948, PRO WO 275-54;and British Military HQ Middle East to certain British Cabinet Ministers,'Extract from ME Daily Sitrep No. 147', 4 May 1948, PRO CO 537 - 3875.

(239) '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 3, for Week Ending 28 April 1948', PRO WO 275-79.

(240) 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 20', 29 Apr. 1948, PRO WO 261–297; Lippincott to Secretary of State, 26 Apr. 1948, and Lippincott to Secretary of State, 29 Apr. 1948, both in NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 – Political Affairs.

(241) Annex by Farid Sa'ad and Elias Koussa to Haifa Arab Emergency Committee report of 30 April 1948, in Ariel, 'The Arab States . . .', ISA FM 2566\13.

(242) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Order of the AHC to the Arabs of Haifa', 28 Apr. 1948, HA 105\257.

(243) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Question of the Evacuation of Haifa's Arabs', 28 Apr. 1948, HA 105\257.
يلاحظ أن التقريرين – أخذا بعين الاعتبار تاريخهما، والسياق، والصياغة - يشيران إلى أمر أصدر ليس في 21 - 22 أبريل لكن بعد ذلك بعدة أيام، وخلال عملية الإجلاء.

(244) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Arabs Returning to Haifa', 28 Apr. 1948, HA 105\257.

(245) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The State of the Arabs in Abbas Street', 25 Apr. 1948, HA 105\257.
يلاحـظ أن أحمد بيك خليل كتب لاحقا إلى سـولومون بأنه «لا يمكنني أبدا أن أسـامح أولئك الذين نصحوا السـكان بترك حيفا، فقد كان يلزم بقاؤهـم هناك. ولسـوء الحظ لم يكن رشـيد (الحاج إبراهيـم) أو أنا موجودا للوقوف ضد هذا التوجه» من خليـل (عمان) إلى سـولومون، 9 يونيو 1948 في HA 105\127 aleph

(246) Eshel, Battles, 365.

(247) Sa'ad and Koussa, appendix to committee report of 30 Apr. 1948, ISA 437\940\469-.

(248) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 18', 26 Apr. 1948, PRO WO 261–297; and '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 3, for Week Ending 28 Apr. 1948', PRO WO 275–79.

(249) 'Hiram' to Jeremiah, 11 May 1948, IDFA 5942\49\\23.

(250) 'Hiram' to ?, 16 May 1948, IDFA 7249\49\\152.

(251) Beilin, 'Operation Haifa', 25 Apr. 1948, CZA S25–10584.

(252) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The State of the Arabs in Abbas St', 25 Apr. 1948, HA 105\257.
يلاحظ أن الوثيقة تشـير إلى أن ذلك حدث بعد ظهر يوم 22 أبريل - إلا أن ذلك غير مرجح بشكل كبير.

(253) Salomon to JA-PD, 1 Apr. 1949, ISA FM 2401\11.

(254) Eshel, Battles, 376–77.

(255) 'Daily Monitoring Page, No. 20, (including summary of world radio station broadcasts in the 48 hours ending at 09:00 on 26.4.48)', IDFA 4944\49\\617.

(256) A.J. Bidmead, superintendent, CID, Haifa, 28 Apr. 1948, IDFA 900\52\\25.

(257) '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 4, for Week Ending 5 May 1948', PRO WO 275–79.
يبدو أن هذا التقرير يشـير إلى الأيام التالية مباشرة لـ 22 أبريل. بحلول 4 - 5 مايو لم تكن الهاغاناه وكذلك السلطات المدنية مهتمة ببقاء العرب أو عودتهم إلى حيفا.

(258) Lippincott to Secretary of State, 29 Apr. 1948, NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 – Political Affairs.

(259) Report datelined 'Haifa, 25 April', The Times (London), 26 Apr. 1948.

(260) 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\257; and 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Attitude of the Nuns to the Arab Exodus', 27 Apr. 1948, HA 105\193 bet.

(261) High Commissioner to Secretary of State, 25 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\52.

(262) Lippincott to Department, 25 Apr. 1948, NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records, 1948, 800 – Political Affairs.

(263) Lippincott to Department, 26 Apr. 1948, NA RG 84, Haifa Consulate, Classified Records 1948, 800 – Political Affairs.

(264) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 18', 27 Apr. 1948, PRO WO 261–297.

(265) Haganah Haifa District OC, 'Announcement of the Commander of the Haganah, No. 2', 22 Apr. 1948, HA 105\92.

(266) 'Hiram' to HIS-AD, 25 Apr. 1948, HA 105\31, quoted in Gelber, Palestine, 105.

(267) Carmel, "Battles", 107.

في أعقاب النزوح الجماعي للعرب من حيفا وجّه كل من العرب والقادة اليهود اليساريون الانتقادات إلى البريطانيين في هذا الخصوص. ومن جانبهم، فإن الدول العربية واللجنة العربية العليا وقادة المجتمع العربي في حيفا وجهوا أصابع الاتهام، مشيرين إلى أن قرار ستوكويل بتسريع انسحاب القوات البريطانية من خطوط المواجهة اليهودية - العربية، فضلا عن رفضه التدخل ضد الهاغاناه ومنعه دخول التعزيزات العربية، كلها عوامل «أجبرت» العرب على أن يقرروا الهروب. وقد ذهب أهارون كوهين إلى أبعد من ذلك: «لقد كان البريطانيون هم من نصحوا العرب بترك (حيفا)»، مضيفا أنه خلال المعركة «وخلال تهدئة عناصر الهاغاناه للعرب... نصحهم البريطانيون بالهرب إلى الميناء؛ حيث يمكن للجيش البريطاني حمايتهم»، كما ركز كوهين على «النشاط الذى صاحب تزويد البريطانيين للأشخاص الذين جرى إجلاؤهم بوسائل النقل والحراسة». انظر:

Cohen, 'Our Arab Policy in the Midst of the War', 10 May 1948, HHA ACP 10.95.10 (4); and Cohen to Prof. Ernst Simon, 25 Apr. 1948, HHA ACP 10.95.10 (4).

غــير أنني لم أجد أي دليل آخر يســاند هذا الــرأى المتصل بـ «النصيحة البريطانية»، بل إن ســتوكويل قد نصــح بالعكس في 22 أبريل، وبالفعل ســمحت القــوات البريطانية للعــرب - المندفعــين باتجــاه البوابات- بالدخول إلى منطقة الميناء، لكن كان ذلك لحمايتهم وتمكينهم من الفرار عن طريق البحر إذا ما رغبوا في ذلك.

(268) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 18', 25 Apr. 1948, PRO WO 261–297; and 'Marriott Report', PRO FO 371- 68505.

ألمــح ماريوت إلى أنه خلال لقــاء بين القادة العرب واليهود في 25 أبريل، لجــأ اليهود إلى اســتخدام «التهديدات»، لكنه قــال في الوقت ذاته «إن القادة العرب استمروا في التأكيد على أن الإجلاء كان طوعيا».

(269) Protocol of meeting of Mapam Political Committee, statement by P. Alonim, 26 May 1948, HHA 66.90 (1).

(270) Carmeli\Operations to 'Bar-Kochba' and 'Hadari', 23 April 1948, IDFA 6680\49\\4.

(271) Jewish Chamber of Commerce and Industry, Haifa, to Situation Committee, Haifa, 18 May 1948, ISA FM 2564\9.

(272) Unsigned but Carmeli, 'Report for 26.4.48', IDFA 7353\49\\46.

(273) 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\92.

(274) 'Protocol of the Meeting of 25 April 1948', HMA 1374.

(275) 'Hiram' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\92.

(276) Eshel, Battles, 379.

(277) 'Protocol of Meeting of 23 April 1948', HMA 1374.

(278) 'Protocol of the Meeting of 25 April 1948', HMA 1374.

(279) Emergency Committee (signed Khayyat, Sa'ad, Koussa, Mu'ammar and Nasr) to GOC North Sector, 25 Apr. 1948, HMA 1374.

(280) 'Summary of Carmeli Brigade Information No.4, 17.5.48', IDFA128\51\\ 71.

(281) Cohen to Secretariat of Mapam Centre, 28 Apr. 1948, HHA-ACP 10.95.10 (4).

(282) 'An Appeal by the Haifa Workers Council', 28 Apr. 1948, IDFA 481\49\\62.

(283) Bidmead, CID, Haifa, 28 Apr. 1948, IDFA 900\52\\25.

من المثير للسخرية أن بيدميد نقل أيضا قبض البحرية الملكية على مركبين تابعين للهاغاناه على متنهما مهاجرون يهود غير شرعيين، ووصولهم إلى حيفا؛ حيث نقلوا إلى استراحات لنقلهم بعد ذلك في اليوم ذاته بحرا إلى معسكرات اعتقال في قبرص، وكان وصول ورحيل المهاجرين اليهود غير الشرعيين أو اللاجئين؛ واللاجئين العرب المبحرين إلى الخارج - من المرفأ نفسه وفي اليوم ذاته - شيئا غريبا ومثيرا للسخرية.

(284) A. Hoter-Yishai, 'Summary of Things Said . . . (On 2.5.48)', and Hoter- Yishai, 'Protocol No. 1 of the Committee for the Affairs of Haifa's Arabs', undated, both in CZA S259193-.

(285) 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 1, from 1.5 to 5.5', 5 May 1948, IDFA 273\52\\5.

(286) 'Hiram' to HIS-AD, 28 Apr. 1948, 'Subject: Arabs Leaving and Returning', HA 105\257; 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 1, from 1.5 to 5.5', 5 May 1948, IDFA 273\52\\5; and High Commissioner to Secretary of State, 5 May 1948, PRO FO 8126\119.

وبشكل خاطئ نقل كانينغهام ما يلي: «إن اليهود في حيفا قلقون من أن يعود العرب الآن... ففي طبريا سيرحب اليهود بالعرب العائدين...».

(287) ICP, 'The Situation in Haifa Two Weeks after the Conquest of the Arab Parts of the City by the Haganah', 10 May 1948, and Cisling to Cabinet, 20 May 1948, both in ISA AM 20 aleph.

(288) Tactical HQ, 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 19', 27 Apr. 1948, PRO WO 261-297.
نقلت الوحدة أنها التقطت منشـــورا موقعا من قبل «رئيس الهاغاناه» - باللغة العربية - يتضمن: «على كل أولئك الذين غادروا وادي النســناس ووادي صليـــب العودة فورا إلى ديارهم، وفتح محالهم والبدء في مزاولة أعمالهم، وسنقوم من جانبنا بضمان سلامتهم».

(289) Entries for 22-24 Apr. 1948, CZA A24665-2364 ,13-.

(290) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Balad al Sheikh', 7 Jan. 1948, HA 105\32 aleph.

(291) 'Hiram' to HIS-AD, undated but probably from 5 Apr. 1948, HA 105\257.

(292) 'HIS-AD Intelligence 5.4.48', IDFA 922\75\\1205.

(293) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Evacuation from Yajur', 18 Apr. 1948, HA 105\257.

(294) Entry for 22 Apr. 1948, 6th Airborne Division Logbook, PRO WO 27554-.

(295) 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: The Request of the Arabs of Balad al Sheikh', 27 Apr. 1948, HA 105\54.

(296) 'Hiram (Kafri)' to HIS-AD, 'Subject: Report on the Evacuation of Hawassa and Balad al Sheikh on Sabbath 24.4.48', 27 Apr. 1948, HA 105\257.

(297) 'Yosef', 'The Conquest of Haifa', undated but from late April 1948, HA 80\54\1 (Moshe Gat papers).

(298) 'Hiram (Kafri)' to HIS-AD, 'Subject: Report on the Evacuation . . .', 27 Apr. 1948, HA 105\257.

(299) 'Hiram (Kafri)' to HIS-AD, 'Subject: Report on the Evacuation . . ', 27 Apr. 1948, HA 105\257.

(300) 'Hiram' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257.

(301) 'Summary of [British] Battle Headquarters Diary for 23rd [sic] April, 1948', IDFA 900\52\\24; entry for 24 Apr. 1948, 6th Airborne Division Logbook, PROWO 2756 ;54-th Airborne Division, North Sector Sitrep, 24 Apr. 1948, PRO WO 275-257' ;66 and 317 FS Section, Weekly Report for Week Ending 28 Apr. 1948', PRO WO 27579-; and HIS-AD, 'The Migratory Movement . . ', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

أكـد إبراهام كوهـين لاحقا أن القرويـين قد أجلوا «بنـاء على نصيحة البريطانيين» وعلى «العكس من نصيحة الهاغاناه» انظر:

Cohen, 'Our Arab Policy in the Midst of the War', 10 May 1948, HHA-ACP 10.95.10 (4).

ويؤكد تقرير معاصر للإدارة السياسـية لجهاز اسـتخبارات الهاغاناه التأكيـد الأول من جانـب كوهين؛ حيث ورد بـه: «في 24 أبريل بين السـاعة الحادية عشرة والواحدة ظهـرا باشر الجيش البريطاني حملة دعاية شـاملة هدفت إلى الإسراع من عمليـة إجلاء العرب من... بلد الشيخ... الحواسة... ياجور... وقد أشارت الحملة إلى عمليات السرقة الضخمـة التي يمكن أن ينفذهـا اليهود»، ومن الممكـن أن الضباط البريطانيـين في بلد الشـيخ قد اعتقدوا - في ذلـك الصباح - أن إجلاء عربيـا على نموذج ما هو جـار في حيفا يمثل الحـل الأفضل، وهو ما نقلوه إلى القرويين، انظر:

"Hiram" to HIS-AD, 'Subject: British Propaganda to Increase the Arab Evacuation', 25 Apr. 1948, HA 105\257.

إلا أنني لم أجد مصدرا آخر ادعى أن الهاغاناه نصحت بعدم الإجلاء، وعلى الأرجح سـادت آنـذاك حالة تناغـم بين رغبـات البريطانيين واليهود والعرب - كل منهم لأسـباب مختلفة - في الإسراع من عملية الإجلاء للعرب.

(302) Unsigned, '[Mandate Government] Haifa District Summary of Battle Headquarters Dated 22.4.48', IDFA900\52\\24.

(303) Unsigned but Carmeli Brigade, 'Addition to Daily Report 21.4 14:00 hours, Summary of Information Up to 22.4 08:00 hours', IDFA 7353\49\\46.

(304) 'Summary of [British] Battle Headquarters Diary Dated 25th April, 1948', IDFA 900\52\\24.

(305) Unsigned but Carmeli, 'Report for 26.4.48', IDFA 7353\49\\46; 'Hiram' to HIS-AD, 'Subject: Events in Haifa on Monday 26.4', 27 Apr. 1948, HA 105\257; and Mobile Garrison Battalion\ Intelligence Officer to battalion CO, 28 Apr. 1948, IDFA 7249\49\\130.
يلاحظ أن جزءا من المستند الأخير (مذكرات مكتوبة بخط يد ماكسي قائد الكتيبة بتاريخ 29 أبريل - قد حجب من قبل أجهزة رقابة قوات الدفاع الإسرائيلية، وعلى الأرجح تضمن ذلك الجزء توصية ماكسي بطرد السكان.

(306) North Sector to MILPAL, 1st Guards Brigade, etc., 5 May 1948, PRO WO 275 - 62.

(307) Unsigned but Carmeli, 'Report for 26.4.48', IDFA 7353\49\\46; and 'Summary of [British] Battle Headquarters Diary Dated 25th April, 1948', IDFA 900\52\\24.

(308) 'Summary of Carmeli Brigade Information No.3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.

(309) 1st Battalion Coldstream Guards, 'Battalion Sitrep No. 20', 29 Apr 1948, PRO WO 261–297.

(310) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\31.

(311) 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.

(312) JA-PD Arab Division, 'In the Arab Public', 5 May 1948, HA 105\100.

(313) Carmel to Carmeli Brigade, 28 Jun. 1948, IDFA 260\51\\4.

(314) OC Haifa District to area OCs, IDFA 244\51\\104.

(315) City Intelligence Officer to OC City, 2 July 1948, IDFA 5492\49\\3.

(316) City Intelligence Officer to OC City, 3 July 1948, IDFA 5492\49\\3.

(317) OC Carmeli to IDF GS\Operations, 3 July 1948, IDFA 2315\50\\15.

(318) Sommerville to Marriott, 20 July 1948, and Marriott to Sommerville, 20 July 1948, both in HA 105\193 bet.

(319) 'Hiram' to IDF IS, 15 July 1948, HA 105\260. For more on the concentration, see Morris, 1948 and After, rev. ed., 215–37.

(320) Unsigned, 'Memorandum on Urgent ImprovementWorks in Haifa', undated but with covering letter from Friedland (Shilon) to Ben-Gurion, 11 June 1948, IDFA 782\65\\1186.
يُذكر أن الخطاب مدون عليه بخط يد بن غوريون تأشيرة موجزة: «يلزم على مؤسسات حيفا التأكد من أنها لن تضيع هذه الفرصة».

(321) Entry for 16 June 1948, DBG-YH, 522.
وقد انسحبت آخر القوات البريطانية في فلسطين - من منطقة حيفا - في 30 يونيو 1948.

(322) IDF\OC Planning Division to ?, 16 Jun. 1948, IDFA 260\51\\54.

(323) Khayyat to Minority Affairs Minister, 25 July 1948, ISA MAM 298\82; and Koussa to S. Levy, 21 July 1948, HMA 556.

(324) 'Decisions of the Provisional Government', 1 Sep. 1948, KMA-ACP 9.9.1.

ذهب الجنرال إليمالخ أفنر إلى القول إن: «حيفا لم تكن أرضا محتلة، ولم يكن بن غوريون – بوصفه وزيرا للدفاع - مسؤولا بأي حال من الأحوال عن الحكومة العسكرية في الأراضي المحتلة».

(325) Levy to Gruenbaum, 8 Sept. 1948, HMA 556.

(326) IDF GS\OC Planning Division to Lublini ('Hadari'), 13 Aug. 1948, IDFA 260\51\\54; and IDF GS\Operations to ?, 27 Sept. 1948, andOCNorthern Front to IDF GS\Planning Division, 30 Sept. 1948, both in IDFA 260\51\\3. For further information on 'Shikmona', see Morris, 1948 and After, rev. ed., 230–37.

(327) Gurney, 'Palestine', 84.

(328) في 22 أبريـــل ذكر ياكوف شـــيموني (من الإدارة السياســـية في الوكالة اليهودية) أن «يافا كانت نصف خالية»، بيد أن ذلك لم يكن سوى مجرد تخمين. انظر:

'Protocol of Meeting of the Arab Division on Thursday 22.4.48,' CZA S25 - 9664.

(329) Unsigned Haganah or HIS Jaffa area 'Logbook', 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.

(330) STH III, part 2, 1474–75.

(331) 'HIS Information, Daily Summary', 29 Apr. 1948, IDFA 900\52\\58.

(332) 'Avner' to HIS-AD, 'On Events in Jaffa from the Attack on Her. A General Survey', 6 May 1948, HA 105\92 aleph.

(333) انظر على سبيل المثال:

'Avner' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\31.

والذي يتناول عملية قصف يافا بقذائف الهاون في 23 أبريل مما أســفر عن اصابة الاتصالات التلفونية ومنطقة مركز البريد الرئيسي، كما أنه كان له أثر كبير في تفاقم حالة الفوضى في يافا مما شجع على الهروب منها.

(334) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 4', 10–13 Apr. 1948, HA 105\146.

(335) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab

Economy, Bulleting No. 7', 18–20 Apr. 19048, HA 105\146.

(336) 'Avner' to HIS-AD, 'Events in Jaffa from the Attack on Her. A General Survey', 6May 1948,HA105\92 aleph. See also pages from a summary report produced probably by the Committee for Economic Defence, undated but probably from May 1948, HA 105\119.

(337) Haganah, 'Logbook' for Jaffa area, 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.

(338) 'Avner' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\31.

(339) In Enemy Eyes, 33–34.

(340) Begin, 'The Conquest of Jaffa', a 46-page report, written in May or June 1948, 24, JI, IZL, kaf-4, 8\1.

(341) Lazar, Conquest, 124 and 126.

(342) Cunningham to Secretary of State, 3 May 1948, SAMECA CP III\5\43.

يذكـر أن نمر الخطيب ذهب في كتابه (In Enemy Eyes, 33 - 34) إلى أنه خلال ثلاثة أيام وقعت 2000 قذيفة هاون على يافا.

(343) Haganah 'Logbook' for Jaffa area, 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.

(344) Quoted in Gabbay, Political Study, 90.

(345) Unsigned, 'Summary of the Interrogation of the Manshiya PoWs from 28 April 1948', JI, IZL, kaf-8, 8\8; and 'Miscellaneous (Events in Jaffa, from Prisoner Interrogations by "Ham")', 28 Apr. 1948, IDFA 8275\49\\136.

(346) Begin, 'The Conquest of Jaffa', 25, JI, IZL, kaf-4, 8\1.

(347) 'Kiryati-Dafna' to fronts, 'Summary for Night of 29,'30.4.48-30 Apr. 1948; 'Kiryati-Dafna' to fronts, 'Summary: 291100-30 ,'291720 Apr. 1948; and 'Kiryati-Dafna' to fronts, 'Summary

. . . 300800–300915', all in IDFA 8275\49\\130; and unsigned, 'Feelings 30.4.48, Jaffa', HA 73\98.

(348) 'Avner' to HIS-AD, 'Events in Jaffa 18:45, 7.5.48 – 10:00, 8.5.48', IDFA 8275\49\\162.

(349) انظر على سبيل المثال:

unsigned, 'Movement from Jaffa', 1 May 1948, IDFA 8275\49\\162; Kiryati, intelligence officer, to 'Prat', 'Daily Summary from 30\1800 until 1\1800', HA 105\94; and unsigned, 'Movement from Jaffa', 3 May 1948, IDFA 8275\49\\162. (350) Gurney, ‹Palestine›, 84.

(350) Gurney, 'Palestine', 84.

(351) HC to Secretary of State, 26 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\71.

(352) WO to PS to Prime Minister, etc., 'Extract from Middle East Special Situation Report 29 April 1948', 29. Apr. 1948, PRO CO 537 - 3875.

(353) Shertok speech to UN General Assembly, undated but probably 27 Apr. 1948, ISA FM 2451\13.

كان شيرتوك يعتمد في حديثه - على الأقل في جزء منه - على برقية واردة من ساسون في 23 أبريل أشير إليها عاليه. بعد مرور عام واستنادا إلى محادثات جرت مع لاجئين من يافا، الرملة، واللد في غزة، أخبر مندوبو وكالة الكويكرز الأمريكية لغوث اللاجئين – لجنة خدمات الأصدقاء الأمريكيين- ضابط استخبارات أمريكيا أن جزءا من اللاجئين - على الأقل - فروا «من دون رغبة في ذلك لأن قادتهم أخبروهم أن عليهم القيام بذلك وإلا فسيعتبرون خونة، وأنهم إذا ما فروا الآن فإنه يمكنهم العودة خلال أشهر قليلة». انظر:

Col. B.C. Anirus, 'Intelligence Report', 1 May 1949, NA RG 84, Tel Aviv Embassy, Classified Records 1949, 571 – Palestine Refugee Relief.

ومع ذلك فإنني لم أجد أي مرجع يتماشى مع هذا الشرح فيما يتصل بيافا، ومن الممكن أن يكون بعض ضباط المليشيات فيها قد أوصوا

أو أمــروا بالهروب؛ غــير أنه لا يوجد دليل على وجــود أمر عام في هذا الخصوص سواء من داخل أو خارج المدينة.

(354) Lazar, "Conquest", 138.

(355) Unsigned, 'Operation of Conquest', undated, four-page IZL military report, and Begin, 'The Conquest of Jaffa', undated, both in JI, IZL, kaf-4, 8\1.

(356) 'Fortnightly Intelligence Newsletter No. 67 Issued by HQ British Troops Palestine', 6 May 1948, PRO WO 275 - 64.

ويقتبــس قول وزير عراقي أن بريطانيــا «قد خططت متعمدة، لهيمنة اليهود على حيفا كجزء لا يتجزأ من برنامجها في فلسطين». انظر أيضا:

and 317 FS Section Weekly Report No. 3, for Week Ending 28 April 1948', PRO WO 27579-; Secretary of State to High Commissioner, 22 Apr. 1948, SAMECA CP III\3\136; Secretary of State to High Commissioner, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\6; Secretary of State to High Commissioner, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\7; and Secretary of State to High Commissioner, 23 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\23.

(357) WO to PS of PM, PS of Foreign Secretary, etc., 'Extract from Middle East Special Situation Report 29 April 1948', 29 Apr. 1948, PRO CO 5373875-.

(358) Montgomery, "Memoirs", 473–74.

(359) 'Note of a Meeting Held at 10 Downing Street at 5:15 p.m. on Friday 7th May 1948,' 7 May 1948, PRO CAB 127–341.

(360) المرجع السابق، وكذلك:

Montgomery, Memoirs, 474; and minutes attached to PRO FO 371- 68544 E5102\4\31G.

(361) Minute by W.A.C. Mathieson, 4 May 1948, PRO CO 537- 3870.

وحقيقـــة الأمر أن كانينغهام كان قد تصرف قبل أن يتلقى كلمة أو أوامـــر من بيفن، على النحو الذي أوضحه في برقيته الغاضبة بتاريخ 30 أبريل، انظر:

Cunningham to Secretary of State, etc., PRO CO 537 - 3870.

(362) Montgomery, Memoirs, 473; STH III, part 2, 1552; and Haganah 'Logbook', 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.

في الوثيقـــة الأخيرة تـــم اقتباس قول ضابط بريطـــاني لأحد ضباط جهاز اســـتخبارات «الهاغاناه» (أفـــنر) إن البريطانيين ســـيحمون يافا ضد أي هجوم يهـــودي «لما يقرب من ثلاثة أســـابيع»، وفيما بعد ذلك ســـيترك الجيش المدينة وعندئذ «لن يكون الأمر موضع اهتمام اللواء».

(363) 'Kiryati – Intelligence' to 'Prat', 'Daily Summary from 30\1800 until 1\1800', 2 May 1948, HA 105\94.

(364) 'Kiryati-Dafna' to 'fronts', 4 May 1948, IDFA 8275\49\\136.

(365) Begin, 'The Conquest of Jaffa', JI, IZL kaf 4, 8\1; and Lazar, Conquest, 138.

(366) HGS\Operations to Alexandroni, etc., 'Orders for Operation "Hametz"', 26 Apr. 1948, IDFA 6647\49\\15.

(367) Operation Hametz HQ to Giv'ati, etc., 27 Apr. 1948, 14:00 hours, IDFA 67\51\\677. See also Alexandroni to battalions, 27 Apr. 1948, IDFA 922\75\\949.

(368) Alexandroni to brigades, etc., 8 May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(369) 'Tiroshi' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\127.

(370) B Company to OC 32nd Battalion, 29 Apr. 1948, IDFA 6647\49\\15; and 'Tiroshi' to HIS-AD, 2 May 1948, HA 105\54 aleph.

(371) 'Tiroshi' to HIS-AD, 2 April 1948, HA 105\54 aleph.

(372) Entry for 30 Apr. 1948, DBG-YH II, 377.

(373) Unsigned logbook entry, '2.5.48,' HA 105\94.

(374) HGS\Operations, 'Summary of Hametz Operations', 2 May 1948, IDFA 2687\49\\35.

(375) Unsigned, 'Latest Reports from the Front', 28 Apr. 1948, 12:00 hours, HA 48\3,
وقـد أوضح التقرير أنـه «توجد حالة ذعر كبيرة في يافا... بسـبب عملية حاميتز».

(376) STH III, part 2, 1553 and 1574–75.

(377) HGS\Operations, 'Summary of Operation Hametz', 2 May 1948, IDFA 922\75\\949.

(378) 'Avner' to HIS-AD, 8 May 1948, IDFA 8275\49\162.

(379) Kiryati\Intelligence, 'Daily Summary from 30\18:00 until 1\18:00', HA 105\94.

(380) HC to Secretary of State, 1 May 1948, SAMECA CP III\5\26.

(381) HC to Secretary of State, 3 May 1948, SAMECA CP III\5\43.

(382) 'Tiroshi' to HIS-AD, 11 May 1948, IDFA 6400\49\\66.

(383) Unsigned but Kiryati\intelligence, 'Events in Jaffa in the Week Ending on 9.5.48', IDFA 8275\49\\136.

(384) Kiryati\Intelligence Officer, to 'Dromi' (?), 'Daily Summary from 03\1800 until 04\18:00,' 4 May 1948, HA 73\98.

(385) HC to Secretary of State, 5 May 1948, SAMECA CP III\5\92; and Gurney, 'Palestine', 94.

(386) In Enemy Eyes, 34.

(387) HC to Secretary of State, 5 May 1948, PRO FO 816\119.

(388) Heikal to Kirkbride, 11 May 1948, PRO FO 816\119.

(389) Kiryati\Operations, 'Preparatory Order for Operation Dror', 10 May 1948, IDFA 321\48\\100.

(390) 'Protocol of Meeting Between the Commander of the Haganah in Tel Aviv and his Aides and Representatives of the Inhabitants of Jaffa, in Tel Aviv, on 12 May 1948', IDFA 321\48\\97.

(391) 'Second Meeting Between the Haganah OC in Tel Aviv and the Representatives of the Jaffa Emergency Committee in Tel Aviv on 13 May 1948, at 10:45 hours', IDFA 321\48\\97.

(392) Texts of 'Agreement' and 'Instructions . . .', HA 55\31.

(393) 'Operational Order for Operation Dror', 13 May 1948; and Kiryati, 'The Organisation of the Identification Detention Compounds and the Prisoner Holding Spaces', 13 May 1948, both in IDFA 321\48\\100.

(394) Kiryati, 'Special Order of the Day with Jaffa's Capture', 14 May 1948, IDFA 321\48\\97.

(395) Entry for 18 May 1948, DBG-YH II, 438.

(396) Chizik to Shitrit, 1 June 1948, and Y. Harkabi, 'Summary of Memorandum Regarding Mr. Chizik's Meeting with Mr. de Reynier and Mr. Gouy of the Red Cross on 22.6.1948', both in ISA FM 2564\9.

(397) Nicola Saba, Jaffa Emergency Committee, 'Note', 27 May 1948; Dr. M. Mishalany, Dr. G. Ayoub and Dr. H. Pharaon, 'Report on the Bodies that were found Dead [sic] on Jabalieh Area of Jaffa on 25.5.48 and Examined by Us on 27.5.48'; 'Second Memorandum Submitted by the Emergency Committee of Jaffa Protesting Against the Irregular Activities of the Jewish Forces in Jaffa Area', 28

May 1948 – all in ISA FM 2406\2; and Chizik, 'Minutes of a Meeting Held on the 31.5.48 between the Military Governor of Jaffa and Mr. Robert Gee [sic] of the International Red Cross', ISA FM 2564\9.

يُذكر أنه في منتصف شهر يوليو ادعت لجنة الطوارئ أنه تم قتل 20 من العرب بواسطة الإسرائيليين منذ بدء الاحتلال، انظر:

Gelber, "Independence and Nakba", Chap. 15.

(398) Military Governor's Office, Jaffa, 'Summary, 15.5.48', IDFA 321\48\\97.

ويلاحظ أن هناك العديد من الحالات الإضافية التي لم يتم تسجيلها.

(399) Emergency Committee to representative of Commander Tel Aviv District, 22 May 1948 (Ref. No. 7); Emergency Committee to representative of commander Haganah Tel Aviv District, 22 May 1948 (Ref. No. 5); Emergency Committee to representative Haganah Tel Aviv District OC, 22 May 1948 (Ref. No. 6); and Emergency Committee to representative of the 'International Red Cross Organisation', Tel Aviv, 21 May 1948 – all in ISA FM 2564\9; and illegible signature, 'Report on Actions to Prevent Thefts from Manshiya', 20 May 1948, IDFA 8275\49\\136.

ويصـف التقرير الأخير الذى أعده ضابـط بالهاغاناه عمليات النهب فى المنشية في 18 مايو من قبل «جماعات من النساء والأطفال والرجال (من تل أبيب)... حيث تم سلب المقاعد والدواليب وغيرها من قطع الأثاث، فضلا عن أدوات المطابـخ، والملايات والمخدات وأغطية الأسرة وغيرها»، وقد قامت السريـة التي قادها موقع التقريـر بإيقاف عمليات النهب ومصادرة ما تم سـلبه، مطلقة أعيرة النيران في الهواء وقنابل الدخان من وقت لآخر، وقد أكد شـريك ذلك لاحقا: «من المؤسف لي أن أقول... إن معظم ما تتضمنه شكاوى العرب حقيقي»، انظر:

Chizik to Shitrit, 1 June 1948, ISA FM 2564\9.

(400) Ben-Gurion to Chizik, 22 May 1948, IDFA 121\50\\183; and Ben-Gurion to OC IZL troops, Jaffa, 22 May 1948, IDFA 321\48\\97.

(401) 'Shiloni' to Kiryati, 23 May 1948, HA 80\774\7.

(402) Y. Gefen to minister of police and Arab affairs, 25 May 1948, ISA MAM 306\77.

(403) Chizik to Shitrit, 1 June 1948, ISA FM 2564\9.

(404) CGS to Kiryati, 23 June 1948, IDFA 481\49\\143.

(405) Kiryati to CGS, 25 May 1948, IDFA 6127\49\\161.

(406) Chizik to OC Military Forces Jaffa, 21 June 1948, IDFA 6127\49\\161.

(407) OC Military Forces Jaffa to Kiryati Brigade HQ, 28 July 1948, IDFA 6127\49\\161.

(408) CGS to Navy (Gershon Zak), 2 Aug. 1948; and minute, dated 13 Aug., about undated letter from security officer to OC military forces Jaffa, both in IDFA 6127\49\\161.

(409) Military Governor Jaffa, 'Weekly Report on the Activities of the Jaffa Military Governor from 25 July until 5 August 1948', (sic) 4 Aug. 1948, IDFA 580\56\\252.

(410) Allon to Yadin and Galili, 22 Apr. 1948, KMA-PA 170-44.

(411) For Safad, see HIS-AD, 'Safad Questionnaire', 30 Oct. 1941, HA 8\193.
وتركـز الصفحات التالية على صفد، أما عملية يفتاح فإنه سـيتم تناولها فيما بعد.

(412) 'Abasi, 'Safad . . .', 313-321.

(413) 'Ibrahim' to PS, 2 Dec.1947, HA 73\98.

(414) 'Abasi, 'Safad . . .', 328.

(415) Palmah, 'Logbook of Operations', undated, entry for 3 Jan. 1948, IDFA 661\69\\36.

(416) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey for Months of March, April 1948', 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(417) 'Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222; and 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 July 1948, HA 105\127 aleph.

(418) 'Abasi, 'Safad . . .', 346.

(419) 'Abasi, 'Safad . . .', 347.

(420) HIS-AD, 'Biriya', 1942, HA 105\226.

(421) HIS-AD, 'Ein Zeitun', 9 Aug. 1942, HA 105\226.

(422) 'Itamar' to 'Ali', 'Report on the Attack on 'Ein Zeitun', 21 Jan. 1948, IDFA 922\75\\1224.

(423) Unsigned, 'Information, Third Battalion', 08:00, 1 May [1948], IDFA 922\75\\1224; Book of the Palmah, II, 303–304; and Peled, 'Conquest of Safad', 24 Apr. 1949, HA Peh-222\2, 68.

يلاحـظ أن الوثيقة الأولى تطرح كلا من رقم 30 و100 كعدد للمعتقلين الذين تم أخذهم.

(424) Nazzal, "Exodus", 35–36.

(425) 'Yiftah' to HGS, Yadin, etc., 2 May 1948, 21:00 hours, IDFA 128\51\\50; Nazzal, Exodus, 36–37; and Book of the Palmah, II, 304.

(426) 'Yiftah', 'Daily Report Continuation', undated but from 1 or 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.

(427) Ben-Yehuda, Ropes, 243–48. Nazzal, Exodus, 36.

ويتضمـــن اقتباســا لحديث لاجئين من عين الزيتون جــرى في لبنان وفي مطلع السبعينيات، بما يتضمنه ذلك من أن 37 من صغار السن بالقرية قــضي عليهم بطريقة وحشــية. أما رواية بن يهودا فإنها تصف بشــكل تصويــري مقدمــات المذبحة وما تبعها - على الرغم من أنها لم تشــاهد ذلــك بنفســها - والتي قضى فيها مــا قد يصل إلى 70 شــخصا. طبقا لما أوردته الرواية رفض كل قادة حملة كيلمان تصفية الســجناء أو السماح لرجالهم بالقيام بذلك. وفي النهاية وجد كيلمان عربيين مصابين بكسور، ولم ينتميا إلى تشــكيلات المحاربين، وادعيا أنهما قد ســبق لهما المعاناة عــلى أيدي العرب حتى يقومــوا بعملية القتل، وعقــب ذلك كلف بن يهــودا بتجميع أيادي الموتى حيث كانت هنــاك زيارة متوقعة للصليب الأحمر للمنطقة. وفور الاســتيلاء على القرية في 1 مايو قُتل العديد من القرويين في عين الزيتون رميا بالرصاص من قبل عناصر البالماخ، كما وجه السوريون: اتهاما بأن سيدة تم «اغتصابها» انظر:

Broadmead (Damascus) to Kirkbride (Amman), 4 May 1948, PRO FO 816\119.

وربمــا كانت المذبحة في الوادي وعمليات القتل في القرية هو ما اســتند إليه اتهام اللجنة العربية العليا (الخاطئ) والذي تم رفعه للأمم المتحدة في يوليــو والمتمثل في أنه عقب ســقوط القرية قامت قــوات الهاغاناه بتجميع «النساء والأطفال» في مسجد القرية ثم تدميره، انظر:

AHC Memorandum on Jewish Atrocities', 26 July 1948, PRO CO 733 - 487\2.

وعــلى الرغم من كل ذلــك فقد حدثت بالفعل مذبحــة، وطبقا لعمانويل فريدمــان (مانــو) - ممثل وزارة شــؤون الأقليات الإسرائيليــة في الجليل - قامت القــوات بقتل «40 شــخصا فى الطريق الرئيــسي المتجه إلى صفد»، ويفترض أن يكون هؤلاء هم الرجال الذين تم قتلهم في الوادي، انظر:

unsigned, 'Visit of the Minority Affairs and Police Minister in Kfar Giladi, 29.7.48', HA 105\260.

(428) Book of the Palmah, II, 279 and 304; 'Information, 3rd Battalion', IDFA 922\75\\1224; and Broadmead to Kirkbride, 4 May 1948, PRO FO 816\119.

(429) Peled, 'The Conquest of Safad', HA Peh-222\2.

(430) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 Jul. 1948, HA 105\127 aleph.

(431) Book of the Palmah, II, 324; and 'Yiftah' to HGS, Yadin, etc., 2 May 1948, 21:00 hours, IDFA 128\51\\50.

(432) Kol Hamagen Ha'ivri broadcast, in English, 2 May 1948, CZA S258918-; and 'Fortnightly Intelligence Newsletter No. 67 Issued by HQ British Troops in Palestine (for the Period . . . 19 April - 3 May 1948)', 6 May 1948, PRO WO 275–64.

(433) Book of the Palmah, II, 283–284 and 304–306; and 'Yiftah' to Palmah HQ, Golani, etc. 6 May 1948, 15:45 hours, IDFA 128\51\\50.

(434) 'Abasi, 'Safad', 353.

(435) Broadmead to HC, 5 May 1948, SAMECA CP III\5\102.

(436) Broadmead to FO, 6 May 1948, PRO FO 371 - 68548.

(437) Creech-Jones to HC, 6 May 1948, SAMECA CP III\5\119.

(438) Nazzal, Exodus, 44.

(439) 'Yiftah' to Golani, 10 May 1948, 13:20 hours, IDFA 128\51\\50.

(440) 'Tzuri' to HIS-AD, 'Subject: Events in Safad After its Conquest', 1 June 1948, HA 105\222.

(441) نقل عباسي عن كيلمان قوله إن القصف كان يهدف إلى «إحداث الذعر بين السكان»، انظر:

'Abasi', 'Safad...', 359.

(442) Yiftah HQ to Palmah HQ, 'Report on Operation', 10 May 1948, IDFA 922\75\\1066; and 'Yiftah' to Golani, 10 May 1948, 13:20 hrs, and 'Yiftah' to Palmah HQ, etc., 10 May 1948, 22:30 hrs, both in IDFA 128\51\\50.

(443) 'Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222.

(444) Book of the Palmah, II, 285.

(445) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 July 1948, HA 105\127 aleph.

(446) 'Abasi, 'Safad . . .', 360, quoting Kelman.

(447) 'Yiftah HQ, 'Daily Report', 11 May 1948, 20:00 hrs., IDFA 922\75\\1082.

(448) Peled, 'The Conquest of Safad', HA 222\2.

(449) 'Report of Patrol in Syria and Lebanon – 7–12.5.48 – by Two "Shahar" Men', IDFA 922\75\\1082.

(450) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 2 Jul. 1948, HA 105\127 aleph.

(451) In Enemy Eyes, 37; Nazzal, Exodus, 16 and 41; and 'Tzuri (Dori)' to HISAD, 2 July 1948, HA 105\127 aleph.

أورد تـزوري أن لاجئـي صفد كانوا يرددون أن فنيـش تلقى أموالا من الصهاينة وأنه قام بشكل متعمد بتوجيه الأمور نحو الهزيمة.

(452) 'A Meeting in Safad', 29 July 1948, ISA MAM 310\33; entry for 7 June 1948, DBG-YH II, 494; and 'Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222.

وفقا لما أورده تزوري تم السماح لمسلم واحد فقط بالبقاء في صفد، ويدعى مصطفى دلاسي - مالك أرض من بيريا - والذي تمتع بمزايا خاصة.

(453) George Nuni to Safad Area OC, 17 May 1948, HA 105\222.

(454) 'Tzuri' to HIS-AD, 1 June 1948, HA 105\222.

(455) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 11 June 1948, HA 105\260.

(456) Carmel to IDF\GS, 14 Aug. 1948, IDFA 260\51\\4.

(457) Avraham Ye'eli to Shabtai Levy, 11 June 1948, HMA 13784; Foreign Ministry to IDF-GS, 11 July 1948, ISA FM 2402\29; Harkabi to IDF\Operations, 18 Aug. 1948, ISA FM 2464\10; and Moshe Yitah to Levy, 9 Aug. 1948, HMA 1374.

(458) Weitz to Ben-Gurion, 11 Sep. 1948, in Weitz, Diary, III, 340; and Marriott to Foreign Secretary, 23 April 1949, PRO FO 37175198- E5810.

(459) 'Tzuri (Dori)' to HIS-AD, 12 May 1948, HA 105\127.

(460) Entry for 4 May 1948, CZA A2462373 ,13-.

(461) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 17 Feb. 1948, IDFA922\75\\1066.

(462) IDF History Branch, 'ALA,' IDFA 1046\70\\182.

(463) Al Jayusi (?) to OC ALA, 14 Apr. 1948, HA 105\127 aleph.

(464) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey . . .', 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(465) Golani to HGS, etc., 28 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.

(466) 'Tzuri' to HIS-AD, 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(467) 'Tzuri' to Golani, 'General Survey . . .', 3 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(468) 'Tzuri' to Golani, 10 May 1948, HA 105\237.

(469) 'Giora' to 'Utz', 19 May 1948, HA 105\92 bet.

(470) 'Tzuri' to HIS-AD, 'Subject: The Battle for Beisan', 14 May 1948, HA 105\92 bet.

(471) Unsigned, 'Events on 12.5.48', HA 105\94.

(472) "Tree and Sword", 144–46; and Nazzal, "Exodus", 49.

(473) Golani to Yadin, 12 May 1948, IDFA 922\75\\1025; and Golani Brigade Logbook, entry for 12 May 1948, IDFA 665\51\\1.

(474) Entry for 12 May 1948, CZA A2462385 ,13-.

(475) Unsigned, 'Events on 12.5.48', HA 105\94.

(476) Golani to Yadin, 12 May 1948, IDFA 922\75\\1025; and 'Tektz', 'In Occupied Beisan', 2 July 1948, Tsror Michtavim, KMA.

(477) Tree and Sword, 146; and Nazzal, Exodus, 49.

(478) Dalia Karpel, 'I am Ready to Run After a Picture a Great Distance', Haaretz, 28 October 1994.

انظر كذلك ذكريات جندي آخر شارك في عملية الطرد في:

Yitzhak (Izzi) Goldstein, 'The Partisan Sinyatovsky', Al Hamishmar, 15 October 1978.

(479) 'Giora' to 'Utz', 19 May 1948, HA 105\92 bet.

(480) Shitrit to Defence Minister and Foreign Minister, 16 Sep. 1948, ISA FM 2564\18; and 'Tektz', 'In Occupied Beisan', Tsror Michtavim, KMA.

(481) 'Tzipori' to Golani and Carmeli, 10 June 1948, IDFA 128\51\\32.

(482) Golani OC to IDF GS, 7 July 1948, IDFA 922\75\\1025; and 'Tzuri (Paltiel)' to IDF Intelligence Service, 1 Aug. 1948, HA 105\260.

(483) Intelligence Officer, 13th Battalion, to Golani\Intelligence, 25 July 1948, IDFA128\51\\71; and Committee for Abandoned Property, Gilbo'a Area, to Sub-District OC, 29 July 1948, IDFA 6127\49\\109.

(484) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(485) 'Mitzpa' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.

(486) Tree and Sword, 146.

(487) 'Hiram (Nahari)' to HIS-AD, 28 Dec. 1947, HA 105\23; and '01011' to HIS-AD, 26 Jan. 1948, HA 105\72.

(488) '01011' to HIS-AD, 26 Jan. 948, HA 105\72.

(489) Unsigned but HIS-AD, 'Report on Events in Haifa on Saturday 7.2.48', 9 Feb. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(490) 'Hiram' to HIS-AD, 12 Feb. 1948, HA 105\23 bet.

(491) 'HIS Information, Daily Summary', 7 Apr. 1948, HA 105\62.

(492) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 1', 11 Apr. 1948, HA 105\146; and Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 5', 14–16 Apr. 1948, HA 105\146.

(493) Carmeli HQ to HGS\Operations, 'Weekly Report on Events in the Area between [sic] 20.3–26.3', 31 March 1948, IDFA 7353\49\\46.

(494) Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 9', 28 Apr. 1948, HA 105\146.

(495) Divisional Police HQ, to Harry [Beilin?], 26 Apr. 1948, HA 105\92 bet.

(496) ? to Munir Effendi Nur, 16 Apr. 1948, HA 105\252.

(497) 'Hiram' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\31; and 'HIS Information', 28 Apr. 1948, KMA-PA 100\MemVavDalet\2–102; and HIS Information, Daily Summary', 28 Apr. 1948, HA 105\62. يُذكر أن جهاز استخبارات الهاغاناه نقل أن اللبنانيين كانوا يمنعون اللاجئين من الوصول إلى بيروت ويوقفونهم في صور وصيدا.

(498) 'Hiram' to HIS-AD, 'From Ma'aluli who Returned from Acre and Shafa-'Amr on 30.4.48', HA 105\127.

(499) Carmel, Battles, 151–53.

(500) 'Hiram' to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\237.

(501) 'Hiram' to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\237.

(502) 'Hiram', 7 May 1948, HA 105\237.

(503) '257 and 317 FS Section Weekly Report No. 3 for Week Ending 28 April 1948', PRO WO 275-79.

(504) HC to Secretary of State, 5 May 1948, SAMECA CP III\5\92; 'North Sector Sitrep', 5May 1948,PROWO261-297; and 'Extract from Middle East Daily Situation Report No. 153', 7 May 1948, PRO CO 537-3875.
وحتـى اللجنة العربية العليا كانت قلقة بشـأن ذلك الوضع، وأصدرت الأوامر لأولئك الذين غادروا بالعودة إلى عكا، انظر:
Committee for Economic Defence, 'Information on the Arab Economy, Bulletin No. 11', 11 May 1948, HA 105\146.

(505) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(506) 'Hiram' to HIS-AD, 11 May 1948, HA 105\54.

(507) 'Hiram' to HIS-AD, 6 May 1948, HA 105\237; and 'Hiram', 7 May 1948, HA 105\237.

(508) In Enemy Eyes, 41-42; and 'Hiram', 11 May 1948, HA 105\237.

(509) IDF History Branch, 'The ALA,' IDFA 1046\70\\182; and 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.

(510) 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.

(511) 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.

(512) Carmeli to HGS\Operations, 17 May 1948, IDFA 922\75\\1025.

(513) Carmel, 'To the Notables of Acre', 17 May 1948, IDFA 922\75\\1025.

(514) Untitled terms of surrender, signed by Haganah officer and Albert Rock, Ahmad Effendi Abdu, Mitkal Zreir, Ahmad Adlumi, etc., 18 May 1948, 01:40 hrs., and covering note Carmel to HGS, 19 May 1948, both in 922\75\\1022.

(515) Carmel to HGS\Operations, 18 May 1948, IDFA 922\75\\1022.

(516) 'Hiram' to HIS-AD, 21 May 1948, HA 105\92 bet.

(517) 'Hiram' to HIS-AD, 9 June 1948, HA 105\92 bet.

(518) Marie Syrkin, 'Preliminary Report on Holy Places', undated but from Sep. 1948, IDFA 922\52\\563.

(519) ? to Prime Minister, 2 Dec. 1948, and General Avissar, president, Military Supreme Court, to CGS, 20 Dec. 1948, both in IDFA 121\50\\165.

(520) Carmel, "Battles", 151–62.

(521) 'Hiram' to HIS-AD, 25 May 1948, HA 105\252.

(522) 'Hiram' to HIS-AD, 30 May 1948, HA 105\252.

(523) 'Hiram' to HIS-AD, 31 May 1948, conveying report from 'Giora', HA 105\252.

(524) Comit'e International de la Croix Rouge, 'Rapport No. 9', 6 June 1948, HA 105\260.

(525) 'Hiram' to HIS-AD, 9 June 1948, HA 105\92 bet.

(526) Unsigned, 'State of Affairs in Acre', 25 Oct. 1948, IDFA 922\52\\563.

(527) Shimoni to Shitrit, 13 July 1948, ISA MAM 307\10.

(528) Shitrit to Shimoni, 19 July 1948, ISA MAM 307\10.

(529) Kaplan to Shitrit, 20 July 1948, ISA MAM 307\10.

(530) Entry for 2 May 1948, Weitz, Diary, III, 275–76.

(531) Haim Solomon to Bernard Joseph, JA, 29 Mar. 1948, IDFA 500\48\\54.

(532) Haim Laskov, 'Operations of the 7th Brigade, 22.3.48–22.7.48', undated but from late 1950s, 35, IDFA 1046\70\\56.

(533) Unsigned, 'Operational Order for Operation Nahshon', 2 Apr. 1948, IDFA 47\53\\2.

ربما تعلق الأمر فقط بمسودة لم تُوزع.

(534) Nahshon Corps HQ to battalions A, B, C, 'Operational Orders', ? Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233.

(535) Book of the Palmah, II, 189.

(536) Galili, 'Meeting of National Staff 5\4', 5 Apr. 1948, IDFA 481\49\\64.

(537) Unsigned, 'The Meeting of Heads of [HGS] Divisions, 4.4.48', IDFA 481\49\\18.

(538) Galili to Yadin, ? Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

على الرغم من أن تاريخ المستند يبدو كما لو أنه 5، فإن 15 أبريل هو الأرجح، كما يلاحظ أن عبارة «وخوفت» هي على الأرجح اختزال لعبارة «خوفت لدفع سكانها إلى الفرار»، وهذه العبارة أضيفت بخط اليد، ومن المؤكد أنه ما أن خُوِّف تخويف السكان مما دفعهم للهرب فإن التوجه الرئيسي الأول للخطة كان قد تحقق.

(539) Haganah logbook of cables, for 30 March-3 Apr. 1948, IDFA 500\48\\54.

(540) Unsigned, 'The Conquest of the Qastal 3.4.48', IDFA 661\69\\45.

(541) Ben-Ari, 'Report on Reinforcing the Qastal', 7 [sic, should be 8] Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

يلاحظ أن التاريخ هو على الأرجح 8 بدلا من 7 أبريل.

(542) تم وصف موت عبدالقادر في

Logbook of Haganah cables, entry for 8 Apr. 1948, IDFA 500\48\\54.

أما بالنسبة لـ :

'Nimrod', Etzioni Brigade, 'Report on the Battles of the Qastal,' 25 Apr. 1948.

فإنه يقدم رأي اتزيوني (الصهيوني) في المعارك والذي ينتقد بشدة البالماخ؛ حيث كتب نمرود أن هدفها في 2 - 3 أبريل كان «تدمير القلعة» في حين كان اللواء يرغب في احتلال القرية.

(543) Unsigned, 'The Second Conquest of the Qastal 9.4.48', IDFA 922\75\\1233.

(544) Unsigned, 'Report on the Capture of Qaluniya', 11 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233.

يذكر التقرير أنه أثناء تدمير احد المنازل سُمعت صرخات تطلب «المساعدة» باللغة الإنجليزية من الداخل، انظر كذلك:

HC to Secretary of State, 17 April 1948, SAMECA CP III\3\91.

(545) Levin, "Jerusalem", 66–67.

(546) Nahshon CorpsHQto Battalions 1, 2, 3, 'Operational Orders', 10 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233,

وقد تضمنت الأوامر «تصفية» قريتين وحملت العمليتان المسمى الرمزي «ميلانو» و«شيفيلد»، ربما كانت هاتان القريتان هما بيت جيز وخربة دير عمرو. انظر كذلك:

Nahshon to Battalion 2, ? Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

(547) Nahshon Corps HQ, 'Framework for Corps' Operations', 14 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

انظر كذلك:

Nahshon to Battalions 1,2,3, intelligence, 14 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

ويظهر الأمر كذلك في IDFA 661\69\\45 غير أن رقابة قوات الدفاع الإسرائيلية حذفت الكلمات التالية: «بهدف الإهلاك والتدمير والمحو».

(549) Nahshon HQ to Battalion 1, IDFA 236\53\\1.

(550) Nahshon Corps HQ to Battalion 3, 15 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

يلاحظ أن رقابة قوات الدفاع الإسرائيلية حذفت كلمات رئيسية - غير أنها تظهر في مستند آخر يتصل بالخطة المُعدة ضد سجد. انظر:

Nahshon HQ to 52nd Battalion, 15 Apr. 1948, IDFA 236\53\\1, relating to the planned operation against Sajad.

(551) Major ?, [British Army, Palestine] General Staff, 'SouthPal' to List 'D', undated, IDFA 900\52\\43; and Etzioni to HGS, Yadin, 16 Apr. 1948, IDFA 196\71\\83.

(552) ? to 'Yevussi', 'Operation Yevussi Stage A', undated, IDFA 922\75\\1233; and Yadin to Yevussi and Harel and Etzioni brigade HQs, 'Document', 19 Apr. 1948, IDFA 661\69\\45.

(553) Harel Corps HQ to Battalions 1, 2, etc., 22 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1233.

(554) Palmah HQ to HGS, 23 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(555) Palmah HQ to HGS, 25 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(556) District OC to 'Yitzhak' etc., 7 Apr. 1948, IDFA 500\48\\29.

(557) D Company OC, 4th Battalion, to Jerusalem District OC, 11 Apr. 1948, IDFA 4944\49\\584.

(558) Niv, "Battles", VI, 83.

(559) Niv, "Battles", VI, 83–86.

(560) Milstein, "History", IV, 380–81.

ويتضمن ذكريات أحد عناصر الإرغون الذين شاركوا في الحدث.

(561) 'Yavne' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.

(562) 'Yavne' to HIS, 13 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.

(563) 'Eliezer' to 'Tzadik', etc., 'Report on the Conquest of Deir Yassin', 10 Apr. 1948, IDFA 500\48\\56.

انظر أيضا:

Kanane and Zeitawi, 'The Village of Deir Yassin', 53–57

والتي تستند إلى مقابلات مع لاجئي دير ياسين، ويلاحظ أنه في كثير من الوقائع تدعم المقابلات التي جرت خلال الثمانينيات ما سبق أن أظهرته مستندات الهاغاناه المعاصرة للأحداث.

(564) 'Avraham' (Pa'il) to Jerusalem District OC, 10 Apr. 1948, in HGS\ Operations\Intelligence to Haganah corps, 'Lessons from the Dissidents' Operation in Deir Yassin', '12.2.48'

ومــن المرجح أن يكون الأصح هو 1948/5/12 أو 1948/6/12 كما يبدو أن الأمر يتعلق بنســخة مختصرة من التقريــر الأصلي الذي أعده بائيل والــذي ترفض وزارة الدفاع الإسرائيلية إتاحته للباحثين، وفضلا عن ذلك فإن ميلســتاين يذهب إلى أن بائيل لم يكن موجودا في دير ياســين في 9 أبريل انظر:

Milstein, "History", IV, 366 and 378, and interview with author, 18 Aug. 2001

كــما يدافع ميلســتاين عن مقولة أنــه لم تكن هناك مذابح منظمة واســعة النطاق في دير ياسين، وأن الكثير من تقارير جهاز استخبارات الهاغاناه صيغت من قبــل كاتبيها بطريقة هدفت إلى تضخيم المذابح لتشــويه صورة واســم المنظمات الانفصالية في ساحة الصراع على المسرح السياسي الإسرائيلي انظر:

see Milstein, History, IV, 382–88.

وعــلى الرغم من ذلك يقر ميلســتاين بأنه أثناء القتال تم اطلاق النيران لقتــل عائلات بأكملها. تجدر الإشــارة إلى أن جزءا مــن تقرير بائيل تم تعزيــزه بتقرير آخــر صدر عن طبيبين يهوديــين وتضمن عثورهما على خمس جثث لرجال فلسطينيين في منزل بالقرية، انظر:

Dr Z. Avigdori and Dr A. Druyan, 'Report on Visit to Deir Yassin on 12.4.1948', 18 Apr. 1948, IDFA 500\48\\54.

(565) 'Yavne' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.

(566) 'Yavne', 'Urgent Arab Information, 10.4.48', 11 Apr. 1948, IDFA 5254\ 49\\75.

يذكر أن المســؤولين في الهاغاناه والبريطانيين والعــرب أذاعوا أن 254 مــن العرب قضوا خلال الأحــداث، وقام كل منهــم بالمبالغة في الرقم لأســبابه الخاصة. ويبــدو أن المصدر الأولي لهذا الرقــم كان موردخاي

رعنان (قائد قوات الإرغون في القدس) الذي أخبر المراسلين صباح يوم 10 أبريل - بشكل غير صحيح - أنه «حتى تاريخه تم حصر 254 جثة لعرب»، انظر:

Milstein, "History", IV, 369 and 376.

وفي الثمانينيات قام شريف كناعنة (الباحث الفلسطيني المتخصص في الأنثروبولوجيا) بالبحث حول هذه النقطة وخرج علينا بحصر لما يتراوح بين 110 و120 قتيلا خلال القتال وعمليات الإعدام التي تلته، انظر:

Yizhar Beer, 'The Hidden Villages', Kol Ha'ir, Jerusalem, 25 Nov.1988

(567) 'Yavne' to District OC, 'Urgent Arab Information from 9.4.48', 9 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\75; Dr. S. Shereshevsky to the 'HQ', Jerusalem, 11 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372; and Levine, Jerusalem, 57, entry for 9 Apr. 1948.

(568) Haganah HQ, 'Statement on Deir Yassin,' Haaretz and Davar, 12 Apr. 1948.

(569) Isaac Herzog and Ben-Zion Uziel, chief rabbis of Palestine, 12 Apr. 1948, CZA S25–4147.

(570) Jewish Agency to King Abdullah, 12 Apr. 1948, ISA, Political and Diplomatic Documents, 625–626.

(571) For example, extract of Haganah or JA monitoring report of articles in Falastin, 10–11 Apr. 1948, HA 105\31.

(572) HC to Secretary of State, 17 Apr. 1948, SAMECA CP III\3\91; HC to Kirkbride, 25 Apr. 1948, SAMECA CP III\4\48; and US Legation (Damascus) to Secretary of State, 3May 1948, NA RG84, Jerusalem Consulate, Classified Records 1948, 800-Syria. See also Larry Collins Papers, Georgetown University Library, LC interview with Hazem Nusseibi, May 1968.

ويتذكر حازم البيان الذي أصدره مع كل من حسين الخالدي وثابت الخالدي متضمنا ما يلي: «لقد وقعنا في مصيدتهم (الصهاينة)، ولم نكن متأكدين من أن الجيوش العربية - على الرغم من حديثها الكثير - سوف تتدخل حقا، وسعينا إلى أن نصدم شعوب الدول العربية لتوليد ضغوط على حكوماتها، وعلى الرغم من أننا نجحنا في ذلك فإننا في الوقت نفسه - وللأسف - أثرنا مخاوف شعبنا، مما كان له أثر صدمة، وارتكبنا بذلك خطأ فادحا وعبدنا المسرح لبروز مشكلة اللاجئين».

(573) IZL, 'Announcement on the Deir Yassin Affair', c. 12 Apr. 1948, IDFA 5254\49\\372.

(574) Text of Kol Zion Halohemet broadcast, 14 Apr.1948, JI, IZL, kaf-4, 8\13.

(575) LHI, 'Daily Press Bulletin No. 33', Tel Aviv, 30 Aug. 1948.

(576) Begin, "Revolt", 164.

(577) 'HIS Information', 14 Apr. 1948, KMA-PA 100\MemVavDalet\3-126.

(578) 'Hiram' to 'Jeremiah', 15 Apr. 1948, IDFA 5942\49\\23.

(579) 'Yavne' to HIS-AD, 15 Apr. 1948, HA 105\257.

(580) Unsigned, untitled report, 16 Apr. 1948, IDFA 2504\49\\4.

(581) 'Yovev' to HIS-AD, 17 Apr. 1948, and 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 19 Apr. 1948, both in HA 105\54 aleph.

(582) 'Hiram' to HIS-AD, 18 Apr. 1948, HA 105\257.

(583) Entry for 1 May 1948, DBG-YH II, 378.

(584) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.

(585) British Army HQ Palestine, 'Fortnightly Intelligence Newsletter, 21 April 1948', PRO WO 275-64.

(586) Cohen, 'In Face of the Arab Evacuation', 20 May 1948, HHA-ACP 10.95.11 (8); statement by Hazan, protocol of meeting of Mapam Political Committee, 26 May 1948, HHA 66.90 (1); and statement by Cohen, protocol of meeting of Mapam Political Committee, 15 June 1948, HHA 66.90 (1). 587. HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(588) 'Report on the Negotiations over the Mishmar Ha'emek Fighting by Lt. Col. A. Peel, Commanding 3rd The King's Own Hussars', 12 Apr. 1948, PRO WO 275–48.

(589) 'Tzuri' to HIS-AD, 'The Battle of Mishmar Ha'emek', 8 May 1948, HA 105\127; and Mishmar Ha'emek in the War, 15–16.

(590) Logbook, 6th Airborne Division, entry for 7 Apr. 1948, PRO WO 275–54; and 'Report on the Negotiations . . .', 12 Apr. 1948, PRO WO 275–48; and Golani to Galili, etc., 8 Apr. 1948, 17:45 hrs., IDFA 128\51\\50.

(591) Golani to Galili, 8 Apr. 1948, 17:45 hrs., IDFA 128\51\\50; and Yehuda (Lovka) Ivzori, 'Mishmar Ha'emeq Sits Next to the Road from Haifa to Jenin', undated, Mishmar Ha'emek Archive 3.64\24.

(592) Golani to Galili, 8 Apr. 1948, 21:30 hrs, IDFA 128\51\\50.

(593) Protocol of meeting of Mapai Centre, 24 July 1948, LPA 23 aleph\48.

ومن المحتمل أن كلا من ياكوف هزن وموردخاي بينتوف كانا أعضاء في «الوفـد»، وكلاهما كان في تل أبيب في الفـترة من 8 إلى 10 أبريل لحضـور لقاء للجنة العمل اليهودية - بمشـاركة بن غوريون - ووفقا لأسوأ تقاليد المؤرخين الصهاينة أغفل زيف تزاهور الإشارة إلى المسألة، وقام عوضا عن ذلك بكتابة أن أعضاء مشمار هعيمك كانوا «مرتبكين» إزاء هجـوم الهاغانـاه على جيرانهم الذين كانـت لهم علاقة صداقة

معهم في أبو شوشـة ولم يقوموا «بضبط النفـس لمنع الطرد». انظر: 185-Hazan, 184 إلا أنه وفقا لهزن فإنهم «تجاهلوا طرد جيرانهم». وفي واقع الأمر تمت الإشارة إلى عملية الطرد في المناطق المحيطة بمشمار هعيمك خلال الجدل الذى دار في أوسـاط كل من ماباي - مابام خلال الشـهور التي أعقبت ذلك، وعلى سـبيل المثال ذكـرت حركة كيبوتس مـكابي هاتزائير المنضمـة إلى ماباي في نشرة غيميل رقـم 3 بتاريخ 17 سبتمبر، انظر:

Ihud Hakibbutzim Archive, 111\2.

أن «كيبوتـس مشـمار هعيمـك كان الأول الذي يطلـب تدمير القرى العربيـة المحيطة بـه»، وخلال اجتماع للجنة العمـل الصهيونية في 23 أغسطس 1948 طرح بنحاس لوبيانكر (زعيم منظمة الشباب الصهيوني) الأمر بشـكل مختلف؛ حيث ذكـر أنه «عندما طرد السـكان العرب في المناطـق المحيطة بالكيبوتـس الذى يقطنه (خلدة) ومشـمار هعيمك لأسـباب أمنية، لم يعترض أي من سكان الكيبوتسين، لأنهم كانوا يعلمون أنـه إذا مـا تم تركهم خلال الحرب مُحاطين بثـلاث أو أربع قرى عربية فإنهم لن يكونوا في أمان». انظر:

protocol of meeting of Zionist Actions Committee, 23 Aug. 1948, CZA S25-323.

(594) HGS\Operations to Golani, 5 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1025.

(595) Yadin to Golani, 10 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.

(596) 'Tzuri' to HIS-AD, 'The Battle of Mishmar Ha'emek', 8 May 1948, HA 105\127.

(597) 'Tiroshi (Yosef)' to HIS-AD, 16 Apr. 1948, HA 105\257.

(598) Golani to Carmeli and Golani HQ, 9 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50; and Palmah HQ to HGS, 'Daily Report,' 10 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(599) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 9 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066; and Golani to Golani HQ, undated, IDFA 128\51\\50.

(600) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 12 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1214.

(601) Golani to HGS, etc., 12 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.

(602) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 15 Apr. 19048, IDFA 922\75\\1066.

(603) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 13 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(604) Palmah to HGS, 'Daily Report', 15 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(605) 'Logbook of the battle', entry for 15 Apr. 1948, IDFA 1058\52\\1.
تتحدث السـجلات عن أنه تم العثور عـلى بنتين مختبئتين في أبو زريق وتم اصطحابهما إلى هازوريعا لتلقي العلاج.

(606) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 'Subject: The Interrogation of Ali al Bahut – Mansi Village', 27 Apr. 1948, HA 105\54 aleph.
سرت بين اللاجئين شـائعات بأن قوات روسية يتراوح قوامها بين 15 ألفا و40 ألفا تحارب إلى جانب اليهود.

(607) 'Tzuri', 19 Apr. 1948, HA 105\31.

(608) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 16 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1214.

(609) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 19 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1214.

(610) Bauer to Galili, Moshe Mann, Baruch Rabinov, and Ya'akov Riftin, 14 Apr. 1948, Eliezer Bauer (Be'eri) Papers.

(611) Protocols of kibbutz meetings, 18 and 20 April 1948, Kibbutz Hazore'a Archive; and Ofek, 'The Relations Between Hazore'a and the Villages of Qira and Abu Zureiq during the years 1936–1948'.

(612) Weitz to Rema, 21 Apr. 1948, Weitz, Diary, III, 271.

(613) انظر على سبيل المثال فيما يتصل بالبريكة:
HIS-AD Information 29.4.48', IDFA 922\75\\1205, regarding Burayka.

(614) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 9 May 1948, IDFA 1196\52\\1.

(615) 'Hiram' to HIS-AD, 2 May 1948, HA 105\217; 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 14 March 1948, IDFA 6400\49\\66; and Alexandroni HQ, 'Bulletin No. 7', 13 May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(616) Alexandroni HQ, 'Alexandroni Brigade Bulletin No. 9 – 15.5.48', IDFA 922\75\\949.

(617) 'Testimony of Moshe Nesher (Wagner)', an IZL officer, JI IZLP, kaf-4, 7\8. Niv, Battles, VI, 131–32.
ويذكر أنه تم السماح لسكان السنديانة بالرحيل في اتجاه الشرق.

(618) 'HIS-AD Information 29.4.48', IDFA 922\75\\1205.

(619) 'Summary of Carmeli Brigade Information No. 3 for 7.5.48', IDFA 273\52\\5.

(620) Entry for 15 May 1948, HGS\Operations Logbook, IDFA 922\75\\1176.

(621) 'Tzuri (Barkan)' to HIS-AD, 4 June 1948, HA 105\92 bet.

(622) OC A Company, 'Shlosnitzki', 5 Aug. 1948, IDFA 128\51\\32.

(623) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 29 Apr. 1948, HA 105\257; and 'HIS-AD Information 29.4.48', IDFA 922\75\\1205.

(624) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 3 May 1948, IDFA 6400\49\\66; and Logbook, entry for 9 May 1948, IDFA 665\51\\1.

(625) Shakib Wahab to ALA HQ ? (probably 16) Apr. 1948, HA 105\127.

(626) Shakib Wahab to OC ALA, 17 Apr. 1948, HA 105\127; and Carmeli to HGS\Operations, 'Daily Report 22.4.48'; Carmeli to HGS\Operations, 'Daily Report 19.4.48'; and unsigned but probably Carmeli HQ, 'Report on the Battle of Ramat Yohanan', undated, all three in IDFA 7353\49\\46.

(627) 'Segal' to all Divisions, 'Summary of Information Concerning the Area from Friday 16.4.48 14:00 hrs. until Sunday 18.4.48 08:00', IDFA 7353\49\\46.

(628) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Dora Camp 6.4.48', IDFA 4663\49\\125.

(629) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers, Camp Dora, 13.4.48', IDFA 4663\49\\125; and 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.
لقد أخبرت الهاغاناه القرويين بأن عليهم الرحيل؛ حيث إنها لا يمكنها ضمان «أن تحدث دير ياسين أخرى هنا أيضا».

(630) 'Tiroshi (Dror)' to HIS-AD, 9 Apr. 1948, HA 105\257.

(631) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(632) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers, Camp Dora, 13.4.48', IDFA 4663\49\\125.

(633) Alexandroni HQ, 'Sarkas', 11 Mar. 1948, IDFA 6400\49\\66.

(634) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1); and 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, and 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, both in IDFA 6400\49\\66.

(635) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1); and interview with Aharon Braverman (Bar-On), 10 Nov. 1985, 'Ein Hahoresh.

(636) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers Dora Camp 13.4.48', IDFA 4663\49\\125; and 'Tiroshi (Dror)' to HIS-AD, 16 Apr. 1948, HA 105\257.

(637) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Camp Dora, 6.4.48', IDFA 4663\49\\125.

(638) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\257; 'Summary, Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91; and page from logbook, perhaps of Ramat Hakovesh's security officer, IDFA 922\75\\949.

انظر أيضا:

Hativat Alexandroni, 102–104, and Kanane and al Ka'abi, 'Al Miska'.

(639) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 9 Mar. 1948, HA 105\54 aleph.

(640) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 2 Apr. 1948, HA 105\257.

(641) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 6 Apr. 1948, HA 105\257.

(642) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 12 Apr. 1948, HA 105\257.

(643) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 20 Apr. 1948, HA 105\257.

(644) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 7 Apr. 1948, HA 105\54 aleph.

(645) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 'Subject: The Village of Fajja was Evacuated by its Inhabitants', 14 Apr. 1948, HA 105\257.

(646) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 8 Apr. 1948, HA 105\257.

(647) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 'Subject: The Mukhtar of Fajja', 14 Apr. 1948, HA 105\257.

(648) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 15 Apr. 1948, HA105\257.

(649) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\92 aleph.

(650) 'Summary, Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya 25.4.48', IDFA 2506\49\\91; and 'Summary of the Meeting of Arab Affairs Advisers in Netanya, 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.

(651) 'Tiroshi (Aran)' to HIS-AD, 12 May 1948, HA 105\217.

(652) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(653) 'Summary of the Meeting of the Arab Affairs Advisers in Netanya, 9.5.48', IDFA 6127\49\\109.

(654) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 11 May 1948, HA 105\127.

(655) Alexandroni Intelligence Officer, 'Information, the Attak on Arab Kafr Saba on 13.5', IDFA 922\75\\949. See also Kanane and Ka'abi, 'Kafr Saba', 56–59.

(656) 'Tiroshi (Alon)' to HIS-AD, 17May 1948,HA105\54 aleph. See also Hativat Alexandroni, 194–207.

(657) Alexandroni, [sic] 42nd Battalion [should be 32nd], 'Brigade Bulletin', 21 June 1948, IDFA 922\75\\949.

يلاحظ أن رقم الكتيبة يجب أن يكون 32 بدلا من 42.

(658) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 'Tantura', and 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 'Subject: The Village of Tantura', 6 May 1948, both in HA 105\54 aleph; and Alexandroni HQ, 'Bulletin No. 6',? May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(659) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 'The Village of Tantura', 6May 1948, HA 105\54 aleph; and 'Tiroshi' to Alexandroni, 10 May 1948, IDFA 922\75\\949.

(660) Unsigned, 'Brigade Bulletin', 7 May 1948, IDFA 922\75\\949.

(661) Unsigned, 'Summary of Information for Alexandroni Brigade (18.5.48)', IDFA 2506\49\\85.

(662) Alexandroni HQ, 'Information Circular: The preparations for Attack in the Villages of Tantura, 'Ein Ghazal, Ijzim and Jab'a', 22 May 1948, IDFA 922\75\\949.

(663) Alexandroni CO, 'Operational Order', 22 May 1948, IDFA 922\75\\949.

(664) Unsigned, 'Short Report on Tantura Operation' undated, IDFA 922\75\\949; and 'Ya'akov B.', in the name of deputy OC 'A' Company, 'Report on Operation Namal', 26 May 1948, IDFA 6647\49\\13. See also Hativat Alexandroni, 31–32 and 220–230.

وتذهب إلى أنه قد تم منح سكان الطنطورة خيار الاستسلام والبقاء.

(665) Sub-sub-district (hevel) 1 OC, Zikhron Ya'akov, to sub-district (nafa) OC, 29 May 1948, IDFA 4663\49\\46.

(666) IDF CGS to Alexandroni, 1 June 1948, IDFA 481\49\\143.

يذكر أن رئاسة الأركان استخدمت مصطلح Khabala وهو ما يعني «تخريب»، وتضمنت إجابة لواء إسكندروني بأن ذلك كان نابعا من «الحماسة الناجمة عن الانتصار» انظر:

Alexandroni to IDF GS\Operations, 2 June 1948, IDFA 2687\49\\35.

(667) Sub-sub-district 1 OC to sub-district OC, 31 May and 1 June 1948, both in IDFA 4663\49\\46.

(668) Shitrit to Ben-Gurion, 31 May 1948, ISA MAM 302\48.

(669) 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 7 (?) May 1948, HA 105\260.

(670) A. Goldfarb, Alexandroni Adjutant, to Alexandroni\Operations, 16 June 1948, IDFA 2506\49\\91; 'Tiroshi (Eitan)' to HIS-AD, 22 June 1948, HA 105\260; and Courvoisier, Red Cross, Tel Aviv, to Red Cross Delegate, Nablus, undated but from 16 or 17 June 1948, HA 105\260.

(671) في شــهر مارس 1998 أجازت جامعة حيفا رســالة ماجستير مقدمة من طالب إسرائيلي يُدعى تيــودور (تيدي) كاتز بتقدير ممتاز (97%) تحت عنــوان «النزوح الجماعي العــربي من قرى جنوب الكرمــل الجنوبي عام 1948»، وقــد تناولت الرســالة حالة قريتين هما الطنطــورة وأم الزينات وذهبت إلى أن عشرات - ربما يصل الإجمالي إلى 250 - من سكان الطنطورة قضوا في مذبحة على أيدي قوات لواء إسكندروني في أعقاب استيلائها على القرية، وقد اســتندت النتائج التي توصل إليها كاتز إلى مقابلات أجريت خلال التسعينيات مع سكان سابقين للقرية، فضلا عن لقاءات مع قدامى المقاتلين في لواء إســكندروني. وفي الحادي والعشرين من شهر يناير 2000 نشرت صحيفة «معاريف» مقالا تحت عنوان: «مذبحة الطنطورة» بقلم أمير غيلات انطلق من رسالة كاتز فضلا عن مقابلات مستقلة مع كل من ســكان القرية الســابقين وقدامى مقاتلي لواء إسكندروني، ومجددا ادعى الســكان وقوع مذبحة، في حين نفى مقاتلو اللواء ذلك. وقد كشــف كاتز عن عدم وجود أي مســتند خاص بالهاغاناه أو قــوات الدفاع الإسرائيلية يشــير إلى وقوع مذبحة، كــما أنه لا توجد أي وثائــق عربية أو غربية في هذا الصدد، وقد اســتندت الاتهامات بوقوع بمذبحة فقط إلى الشهادات الشــفوية، كما أن قدامى مقاتــلي اللواء الذين أقروا بوقــوع المذبحة أو ألمحوا إلى ارتكاب فظائع قاموا بعد ذلك بنفي أقوالهم ذلك.

قامت مجموعة من قدامى محاربي الكتيبة 33 بلواء إســكندروني بملاحقة كاتز قضائيا أمام محكمة حي تل أبيب بتهمة القذف والتشهير، (صحيفة «هآرتس» بتاريــخ 30 أبريل 2000)، وبعد قيــام محامي الادعاء بإثبات عدم دقة بعض التفريغات لمضمون التسجيلات، وافق كاتز على أن يتقدم بالاعتذار، على أنه لم يكن هناك أســاس للاتهام بوقوع مذبحة. وقد أقرت المحكمة قيام كاتز بالاعتذار علنا عن ذلك في حكمها. (صحيفة «هآرتس» 22 ديســمبر 2000). قام كاتز بالرجوع عن اعتذاره وســحبه واســتأنف الحكم أمام المحكمة الإسرائيلية العليا، وكانت هذه القضية موضع اهتمام المؤرخين؛ حيث نشر إيلان بابي في 2001-2002 عدة مقالات، انظر:

The Tantura Case in Israel: The Katz Research and Trial' Journal of Palestine Studies, Vol. 30\3, Spring 2001, 19-39. and 'The Katz Affair and Tantura: History, Historiography, Law and Academia' (Tei'oriya U'vikoret 20, spring 2002, 191-217).

للدفاع عن دراسة كاتز، وفي تلك الأثناء سحبت جامعة حيفا موافقتها على الرسـالة وطلبت إلى كاتز مراجعتها وإعادة التقدم بها، وبالفعل قدم الأخير رسـالة مكونة من 500 صفحـة قامت الجامعة بتعيين لجنة من خمسـة أشـخاص غير معروفين لدراسـتها وانتهـوا إلى رفضها (أعطـي ثلاثة منهم درجات رسـوب في حين أعطى الاثنان الآخران درجات قبول)، وقد سـعت الجامعة للتوصل إلى تسـوية وسـط من خلال منحها درجة الماجستير (من الدرجة الثانية من دون بحث) للباحث، إلا أن قسم دراسات الشرق الأوسط بالجامعـة قام بالطعن على هذا القـرار، وأيا كانت نتيجة هذا الطعن فإن حالة كاتز تبرز بوضوح الضعف المؤكد للتأريخ استنادا إلى شهادات شفوية.

في ضـوء الدلائل المتاحة فإن واقعة المذبحـة في الطنطورة من الموضوعات المشـكوك فيهـا، وقد قام كاتـز بجمع عدد كبير من المقابـلات و البيانات المكتوبـة من لاجئـي الطنطورة الذين ادعوا- بعد مـرور ما يقرب من 50 عامـا على الحدث- أن مذبحة وقعت في القرية، وعلى سـبيل المثال وصف عدنان عقاب يحيى (عام 2000) كيف قامت القوات اليهودية - بعد انتهاء المعركة- باختيار 40 من الشباب صغار السن واصطحابهم إلى المقبرة حيث أجبروهم عـلى حفر قبور ثم بعد ذلك أعدموا 24 منهم، وقد وردت رواية مماثلة على لسان نمر الخطيب في كتابه «كارثة» Disaster, 204-205.

إلا أن حقيقـة اسـتعداد قدامـى المحاربين للذهاب بشـكل موحد إلى المحكمة لتنظيف أسـمائهم من تلك الاتهامـات يتضمن بالتأكيد أنه لم تحـدث أي مذبحة (أو على الأقل شـبه تأكيد على أنه لا يتوافر شـاهد يمكن الاعتداد به يمكن أن يظهر في المسـتقبل للشـهادة بعكس ذلك)، ومع ذلك وبشكل أكثر قوة وتعبيرا شكت إحدى لاجئات الطنطورة عقب وصولها إلى الضفة الغربية من أن «اليهود قاموا باغتصاب نساء بالإضافة إلى ارتكابهـم أعمال سرقة ونهب وإحراق للمباني بشـكل متعمد»، وقد تمت إذاعة هذا التصريح في راديو القدس الشرقية ورام الله انظر:

unsigned, 'Palestine in Arab Radio Broadcasts, 21–22.6.48', HA 105\88; and extract from radio monitoring report, unsigned, 'Jerusalem 16:00', 21 June 1948, HA 105\92 aleph.

إلا أن هناك العديد من التسـاؤلات تظل قائمـة: إذا كانت هناك مذبحة قد وقعت ألم تكن المرأة التي اشـتكت مـن عمليات الاغتصاب والسرقة والحرق المتعمد قد أدانتها كذلك؟ ألم يكن من المنطقي أن تنقل المحطات

الإذاعيـــة أخبـــارا عن تلك المذبحـــة؟ في صيـــف 1948 كان اللاجئون من فلســـطين مولعين بقص روايات عن الأعمال الشريرة لليهود (لمجرد تبرير فرارهـــم المتهور) في حين كان رجال الدعاية العرب على كامل الاســـتعداد لتلقـــف مثل تلك الروايات وإذاعتهـــا، وبالتأكيد فإن التقارير عن مذبحة على نطاق واســـع (إذا ما كانت هناك مذبحة) كان ســـيتم نشرها بشكل كبـــير. إلا أنه خلال عـــام 1948 لم يكن هناك إلا تقريـــر واحد عن أعمال وحشية تتصل بالطنطورة ظهر إلى السطح وهو التقرير الذي تمت الإشارة إليـــه عاليه والمتصل بعمليات الاغتصاب (والسرقة والإحراق المتعمد)، ولا توجد كلمة واحدة عن مذبحة أو سلســـلة مـــن المذابح. من جانب آخر، هناك أدلة على أن قوات لواء إسكندروني قاموا ذلك اليوم - هنا أو هناك - بإعدام عناصر من المتطوعين الفلســـطينيين. وفضلا عن ذلك، فإن رئاسة الأركان كتبت إلى رئاسة لواء إسكندروني تشتكي من أعمال «تخريب» بعد الاستيلاء على القرية وقد يكون تعبيرا لطيفا يشير إلى مذبحة.

بعد أيام قليلة على احتلال الطنطورة، قام ياكوف إبســـتاين (أحد رجال زخرون ياكوف، وهو رجل وزارة شؤون الأقليات في الموشافا الذي كانت له صـــلات قوية بقرية الطنطورة) بإعداد تقرير عن الموقف؛ فقد وصل إلى القرية بعد دقائق أو ســـاعات من اكتمال عملية احتلالها صباح يوم 23 مايو، وتضمن التقرير مشـــاهدته لجثـــث في كل مكان («في أطراف القرية؛ في الطرق، في الممرات؛ وفي منازل القرية») وأنه ســـاعد في عملية تنظيم دفنهم، إلا أنه لم يورد أي إشارة إلى مذبحة من أي نوع تمت أخيرا أو كانـــت جارية آنذاك. وعلى العكس من ذلك فقد رأى نســـاء وأطفال ورجال جالســـين على الشاطئ وقام بالتجول بينهم - بناء على طلب من الهاغاناه - للتحقق من عدم وجود غرباء بينهم، كما أنه طلب من قائد اللواء أن ينظر في نقلهم من الموقع وعدم السماح ببقائهم فيه خوفا من قيام قوات الهاغاناه الراغبة في الانتقام بمهاجمتهم. إلا أنه لم يذكر شـــيئا عن مذبحة أو ادعاءات عن وقوع مذبحة انظر:

handwritten draft and typed reports by Epstein, probably written respectively in May and late June, Zikhron Ya'akov Archive.

وأخيرا قام محمد اليحيى (أحـــد لاجئي الطنطورة) بنشر كتاب في العام 1998 (في دمشـــق) عـــن قريته تحـــت عنوان «الطنطـــورة» وصف فيه المعركة وأعطى أســـماء قتلى القرية (52 شـــخصا) منذ شهر مايو 1948

(انظـر صفحات 117-126 و143-146)، ولم يتضمن الكتاب أي إشـارة إلى مذبحة خلال المعركة، ويتضح من ذلك أن هناك فارقا شاسـعا بين ما تضمنه الكتاب وعشرات بل مئات «الشهود» العرب الذين استمع إليهم كاتز والذين ادعوا وقوع مذبحة.

في غياب دليل وثائقي يثبت العكس، فإن إحجام اللاجئة التي اشـتكت لدى وصولها الضفة الغربية في يونيو 1948، فضلا عن سـكوت إبستاين (في شـهر مايو ويونيو 1948) وكذلك اليحيى، عن ذكر مذبحة واسـعة النطاق يجب أن يكون محل دهشـة المؤرخ باعتباره أمرا بالغ الشـذوذ إذا ما كانت مذبحة قد وقعت بالفعل.

(672) Unsigned, 'Precis of Information for Alexandroni Brigade (11.5.48), No. 8', IDFA 2506\49\\80.

(673) Intellligence Officer, mobile garrison battalion, to 'Baruch', 17 May 1948, IDFA 244\51\\38.

(674) B Company to OC Mobile Garrison Battalion, 'Report on Al Mazar Operation, 17.5.48', IDFA 5942\49\\32.

(675) 'Carmeli Brigade Information No. 5 for 24.5.48', IDFA 128\51\\71.

(676) Alexandroni, 'Operational order for Operation Kipa', 3 June 1948, IDFA 922\75\\949.

وقد سـبق ذلـك إصـدار عمليـات رئاسـة أركان الهاغاناه أمـرا للواء إسـكندروني يتضمن الاسـتيلاء عـلى وتدمير قاقـون (إلى جانب الطيرة وقلنسوة) إلا أن ذلك الأمر لم يتم تنفيذه، انظر:

HGS\Operations to Alexandroni, 12 May 1948, IDFA 922\75\\949).

(677) 'Abd al Rahim 'Abd al Madur, 'The Village of Qaqun', 94–95.

(678) Unsigned, 'The course of Operation Kipa', IDFA 922\75\\949; and 'Report on Operation Kipa (from the Combat HQ)', undated, IDFA 922\75\\949.

(679) HGS\Operations\1 to Allon, 'Operation Yiftah Order', 25 Apr. 1948, IDFA 67\51\\677.

(680) Allon to Yadin and Galili, 22 Apr. 1948, KMA-PA 170–44.

(681) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 29 Apr. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(682) 'Yiftah' to Galili, etc., 29 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.

(683) 'Oded' to Golani, 20 Apr. 1948, IDFA 128\51\\50.

(684) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1); and 'HIS Information, Daily Summary', 25 Apr. 1948, IDFA 900\52\\58.
يذكر أن سـكان الكرادين قد عـادوا إلى إسرائيـل في نهاية الحرب وتم طردهم فقط، على الأرجح إلى سورية، في العام 1956.

(685) 'Yiftah' to HGS, etc., 2 May 1948, IDFA 128\51\\50.

(686) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(687) Yiftah to HGS, etc., 2 May 1948, 21:00 hrs., IDFA 128\51\\50.

(688) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 8 May 1948, IDFA 922\75\\1066.

(689) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 23 May 1948, IDFA 922\75\\1066.

(690) Shitrit to Ben-Gurion and Sharett, 13 Aug. 1948, ISA FM 2564\9.

(691) 'Visit of the Minority Affairs and Police Minister in Kfar Gil'adi 29.7.48', HA 105\260.

(692) Foreign Ministry, Middle East Dept., 'Clashes on the Lebanese Border', 15 Sept. 1948, and Foreign Ministry,

Middle East Dept., 'Village of Hunin', 21 Sep. 1948, both in ISA FM2564\9; and Ehrlich, Lebanon, 277–83.

(693) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 2 May 1948, IDFA 922\75\\1044; and Yiftah HQ to HGS\Operations 3, 1 May 1948, IDFA 922\75\\1082.

(694) Allon to Galili and Yadin, 22 Apr. 1948, KMA-PA 170–44.

(695) Beineinu, no. 13, 9 May 1948, KMA 2–20\aleph; and Yosef Ulitzky, 'Operation Yiftah for the Liberation of the Galilee', HHA 5.18 (2).

(696) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 4 May 1948, 19:30 hrs., IDFA 922\75\\1066; and Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 4 May 1948, 20:00 hrs., IDFA 922\75\\1082.

(697) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 6 May 1948, IDFA 922\75\\1066.

(698) 'Tzuri (Cochba)' to HIS, 'A Letter Sent by the Priest Boniface . . .', 4 June 1948, HA 105\92.

(699) Broadmead to FO, 4May 1948, PROFO816\119.

يُذكر أن بعضا من الزنغرية عادوا لاحقا وطردوا مجددا، انظر:

unsigned, untitled, undated report, probably by GSS in 1949 or early 1950s, IDFA 1627\94\\231.

(700) Broadmead to Kirkbride, 5 May 1948, PRO FO 816\119.

(701) Book of the Palmah, II, 281.

(702) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(703) في 29/28 مايو أغارت قوات الهاغاناه على القرية مما أسـفر عن فرار مؤقت للسكان على الأقل، انظر:

First Platoon, 'A' Company, to 'A' Company, 29 May 1948, IDFA 128\51\\32.

(704) Book of the Palmah, II, 286. See also Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 15 May 1948, IDFA 922\75\\1066; Beineinu, no. 15, 20 May 1948, KMA-PA 2-20\aleph; and interview with Mula Cohen in 'Al Nakba', a documentary produced and directed by Benny Brunner.

(705) ترجمة عبرية لنشرة بتاريخ 14 مايو 1948 وخطاب مرافق لها، انظر:
'Tzuri (Drori)' to HIS-AD, 16 May 1948, HA 105\54 aleph. See also Alexandroni HQ, 'Bulletin No. 17', 23 May 1948, IDFA 2323\49\\6.

(706) Unsigned, untitled, undated report on Haganah deployment in Galilee in first half of May, KMA-PA 109\gimel 1-4.

(707) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1). Allon's account (Book of the Palmah, II, 286).
ويشير إلى أن حملة الشائعات تم العمل بها فورا في 15 مايو أو قبل ذلك (وهو ما يذهب إليه أيضا:
Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 15 May 1948, IDFA 128\51\\50.
في حين أن تقريرا آخر صادر عن الإدارة العربية بجهاز استخبارات الهاغاناه يصنف الهروب نتيجة الحرب النفسية بين 19 و25 مايو، وعلى الأرجح فإن التواريخ المقدمة من هذا المصدر يمكن الاستناد إليها بشكل كبير، إلا أنه من الممكن أن تكون حملة الشائعات أطلقت في الفترة بين 11 و15 مايو.

(708) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(709) 'Daniel', 11th Battalion, 'Report on Zawiya Operation 19.5.48', IDFA 128\51\\32.

(710) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 23 May 1948, IDFA 922\75\\1066.

(711) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.113 (1); and (relating to Qadas) Yiftah HQ to HGS, 15 May 1948, IDFA 922\75\\1066.

(712) 9th Brigade Logbook, part 3, 14.5.48–31.5.48', entries for 18 and 25 May and 8 June 1948, IDFA1046\70\\9; unsigned to 'Tzuri', 'Yiftah' and 'Oded', 25 May 1948, 922\75\\1082; and Yiftah HQ, 'Daily Report', 22 May 1948, IDFA 922\75\\1082.

(713) Palmah HQ to HGS, 'Daily Report', 24 May 1948, IDFA 922\75\\1066; and HGS\Operations\Intelligence, 'Daily Report on the North-Eastern Front 25 [May], 20:00', IDFA 922\75\\1044.

(714) 'Tzuri (Drori)' to HIS-AD, 21 June 1948, HA 105\127.

(715) 'Zmiri', 'Report on my Visit to Northern Front', 14 May 1948, IDFA 2384\50\\9. The conquest of Acre itself, of course, was the linchpin of the operation (see above).

كان الاستيلاء على عكا نفسها هو الأساس في العملية (انظر ما يلي).

(716) 'Levanoni' to battalions, 'Report on Events in the Brigade's Area during the Month 11.1.48–13.2.48', IDFA 128\51\\71; and Palmah HQ to HGS, 1 Feb. 1948, IDFA 922\75\\1066.

(717) 'Hiram (Amikam)' to HIS-AD, 17 Feb. 1948, HA 105\23 bet.

(718) Unsigned, 'Conversation with Abu Muhammad (Rabah)', 4 Feb. 1948, CZA S25–4000.

(719) Carmeli, 'Operation Ehud' ? Apr. 1948, IDFA 5942\49\\53.

(720) 'HIS Information, Daily Summary', 9 May 1948, IDFA 900\52\\58; and 'Hiram' to HIS-AD, 'The Strangers, their Location and Strength in the Acre- Nahariya Area', date indecipherable but mid-May 1948, HA 105\127.

(721) Eshel, Carmeli, 166; Nazzal, Exodus, 52–54; and Carmel, Battles, 120–47.

(722) Carmeli, 'Operation Ben-Ami', 15 May 1948, IDFA 2687\49\\35; and ? to HIS-AD, 'Arab Cables from 16.5', 17 May 1948, HA 105\252.

(723) Eshel, Carmeli, 167; and Nazzal, Exodus, 55–57.

(724) Nazzal, Exodus, 58.

725. 'Hiram' to HIS-AD, 19 May 1948, HA 105\92 aleph.

(726) Eshel, Carmeli, 168–69; Nazzal, Exodus, 47–59; 'Protocol of the Meeting of the Ministerial Committee for Abandoned Property', 31 Dec. 1948, ISA FM 2401\21 aleph; and Nahariya district officer, 'Notes on a Tour of the Village of al Mazra'a', undated, ISA MAM 302\93.

(727) Carmeli to 'Eitan', etc. 'Operation Ben-'Ami – Stage 2', 19 May 1948, IDFA 6680\49\\5.

(728) Carmeli HQ to HGS\Operations, 20 May 1948, IDFA 6680\49\\5.

(729) Eshel, Carmeli, 173; entry for 22 May 1948, Weitz, Diary, III, 290; and LPA, protocol of meeting of Mapai Bureau, 1 June 1948, statement by M. Yaffe.

(730) Nazzal, Exodus, 62.

(731) Al Hamishmar, 30 Jan., and 5 and 6, and 21 Feb. 1950, articles by Yirmiyahu Shmueli.

(732) Judgements of the High Court of Justice, IX, 692; and Moshe Perlman, letter to the editor, and response by Yirmiyahu Shmueli, Al Hamishmar, 22 Feb. 1950.

(733) Ayalon, War of Independence, 485.

(734) 'Na'im' to HIS-AD, 9 Feb. 1948, HA 105\54 aleph.

(735) HIS, 'Aqir village file, entries for 16 Dec. 1947, 4 and 23 Jan. 1948 and 10 Feb. 1948 and 14 Mar. 1948, HA 105\134.

(736) Excerpt from unsigned HIS report, 18 Apr. 1948, HA 105\257.

(737) 'Doron (Naaman)' to HIS-AD, 22 Apr. 1948, HA 105\54 aleph.

(738) 'Doron' to HIS-AD, 'Operation Helem', 6 May 1948, HA 105\92 aleph; 'Doron (Shevah)' to HIS-AD, 'From the 'Aqir Operations', 9 May 1948, HA 105\92 aleph; and HIS, 'Aqir village file, entry for 6May 1948, HA 105\134.

(739) 'Doron' to HIS-AD, 'Assessment of Operation Helem', 7 May 1948, HA 105\92 aleph.

(740) Muhammad Mustafa Mussa, 'Letter of Commitment', 5 May 1948 and 'Doron' to HIS-AD, 'Aqir', 9 May 1948, both in HA 105\54 aleph.

(741) 52nd Battalion, 'Daily Report from 10:00 hours 4.5 until 10:00 hours 5.5', and 52nd Battalion, 'Daily Report from 10:00 hours 5.5 to 10:00 hours 6.5', both in IDFA 1041\49\\12; and Ayalon, War of Independence, 523–24.

(742) 52nd Battalion, 'Daily Report from 10:00 hours, 6.5 until 10:00, 7.5', IDFA 1041\49\\12.

(743) Protocol of meeting of Mapam's Political Committee, 15 June 1948, HHA 66.90 (1); and statement by Erem at meeting of Mapam defence activists, 26 July 1948, HHA 10.18.

(744) 'Doron' to HIS, 'The Village of Qatra', 9 May 1948, HA 105\92 aleph; and 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Conquest of Qatra', 12 May 1948, HA 105\92 aleph.

(745) HIS-AD, 'The MigratoryMovement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP, 10.95.13 (1).

(746) 'Doron' to HIS, 'Assessment of Operation Helem', 7 May 1948, HA105\92 aleph.

(747) Ayalon, "War of Independence", 526.

ويبدو أن واحدا أو أكثر من أولئك الذين ماتوا في عاقر قد قُتل.

(748) Doron (Shevah) to HIS-AD, 27 Apr. 1948, HA 105\54 aleph; and HIS, 'Arab al Satariyya village file, HA 105\134.

(749) 54th Battalion to Giv'ati HQ, 'Daily Summary for 29.4.48', 30 Apr. 1948, IDFA 1041\49\\18.

(750) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(751) Giv'ati HQ, 'Operation "Barak" – General Instructions', ? May 1948, IDFA 7011\49\\5.

(752) Giv'ati HQ to battalions 51, 52, etc., 10 May 1948, IDFA 7011\49\\5.

(753) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Beit Daras Operation', 25 Apr. 1948, HA 105\92 aleph; and HIS, Beit Daras village file, HA 105\243.

(754) Giv'ati HQ to HGS\Operations, 11 May 1948, IDFA 922\75\\1017; 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 13 May 1948, HA 105\92 aleph; and entry for 12 May 1948, DBG-YH, I, 411.

(755) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Beit Daras Operation', 18 May 1948, HA 105\31.

(756) Giv'ati to HGS\Operations, 11 May 1948, IDFA 922\75\\1017.

(757) 'Ephraim' Sub-district to 'Ya'akov', 'Report on Harassment Operation in "Rubin"', 13 May 1948, IDFA 1041\49\\7.

(758) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'Batani Sharqi', 13 May 1948, HA 105\92 aleph; and HIS, Batani al Sharqi village file, entries for 12 and 13 May 1948, HA 105\243.

(759) Ayalon, Egyptian Invader, 82. HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1) says '13 May 1948.'

(760) Ayalon, War of Independence, 459–60.

(761) 'Doron' to HIS-AD, 'Tapping Legion Radios', 20 May 1948, and 'Doron (Maoz)' to HIS-AD, 'The Operation in the Village of Abu Shusha', 20 May 1948, both in HA 105\92 aleph.

تشير الرواية الرسـمية للواء غيفعاتي بشكل غير قاطع إلى أنه تم إحلال وحدات اللواء مباشرة بعد الاسـتيلاء على القرية بمليشيات من كيبوتس غيـزر، الذين تم احلالهم كذلك بقـوات من لواء كرياتي، وكان المضمون هـو أنه إذا كانت هناك مذبحة ارتكبـت فإنها لم تكن على أيدي قوات لواء غيفعاتي. انظر:

Ayalon, "War of Independence", 460.

(762) Ramle police station to Red Cross delegation, 21 May 1948, apparently the text of a HIS radio intercept, HA 105\31.

(763) 'Doron (Maoz)' to HIS-AD, 'The Interrogation of Women Prisoners in the Village of Abu Shusha', 24 Jun. 1948, HA 105\92 aleph.

(764) 'Doron (Maoz)' to HIS-AD, 'Weapons and Ammunition from the Village of Abu Shusha, and Prisoners', 21 May 1948, HA 105\92 aleph.

(765) Ayalon, War of Independence, 460.

(766) HIS, Na'na village file, entries for 14 and 17 May 1948, HA 105\134.

(767) Shaul Fogel, 'Report on the Attack on Gezer on 10.6.48', 13 Jun. 1948, IDFA 7011\49\\1.

(768) Mahmud al Rifai, Lydda, to 'Ramallah', 16 June 1948, a radio intercept, HA 105\92 aleph.

(769) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 June 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(770) Giv'ati, 'The Brigade's Operations', a list, IDFA 922\75\\900.

غادر الإسرائيليون الموقع وأعيد احتلاله من قبل العناصر غير النظامية إلى أن استولى عليه لواء يفتاح مرة أخرى في 6/5 يونيو 1948، وأوردت البالماخ أنه «قُتل أربعة عرب بالسكاكين» وألقي القبض على 20 آخرين، انظر:

Palmah HQ, 'Daily Report', 6 June 1948, IDFA 922\75\\1215.

(771) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 'The Conquest of Mughar', 18 May 1948, IDFA 922\75\\1025; and Ayalon, Egyptian Invader, 82.

(772) 51st Battalion HQ to 'C' Company, 'Operational Order "Medina" ', 17 May 1948, IDFA 170\51\\49.

(773) 'Doron' to HIS-AD, 'The Conquest of the Sawafirs', 19 May 1948, HA 105\92 aleph.

(774) HIS, Sawafir al Gharbiyya village file, entry for 23 June 1948, and HIS, Sawafir al Sharqiyya village file, entry for 23 June 1948, both in HA 105\134.

(775) 'Doron (Elitzur)' to HIS-AD, 23 May 1948, HA 105\31.

(776) 'Report on Eavesdropping on Arab Transmissions on 18.5.48', HA 105\92 aleph.

(777) Giv'ati, Desert and Fire, 45–47; and Rami Rosen, 'Col. G. Speaks Out', Haaretz, 16 September 1994.

وقام موشي غيفعاتي بتقديم وصف لمعركة أعقبتها مذبحة، أما بالنسبة إلى روزن فقد أجرى مقابلات مع عدد من قدامى منتسبي الهاغاناه؛ حيث عارضو جميعا كلمة «مذبحة» في حين أقروا بعمليات «قتل»، أو كما ذكر سمحا شيلوني (وهو أحد منتسبيها): «لا أعتقد أنه يمكن وصف ما حدث هناك بأنه «مذبحة»... لكنه كان في حقيقة الأمر تصفية لبعض الذكور البالغين الذين تم القبض عليهم وفي حوزتهم أسلحة».

(778) 'Ephraim' to Sarig, 'Summary for 14.5.48', IDFA 922\75\\1220; and HGS\Operations Logbook, entry for 14 May 1948, IDFA 922\75\\1176.

(779) 'Yisrael', 'Report of the Search through Burayr and Sumsum', 2 Jun. 1948, IDFA 2090\50\\10; unsigned, 'Daily Report for 31.5.48', IDFA 922\75\\1220; and HGS Logbook, entry for 1 June 1948, IDFA 922\75\\1176.

(780) Unsigned, 'Daily Summary – 11.6.48', IDFA 922\75\\1220.

(781) HIS-AD, 'The Migratory Movement . . .', 30 Jun. 1948, HHA-ACP 10.95.13 (1).

(782) Palmah HQ, 'Daily Report', 28 May 1948, IDFA 922\75\\1066; Sergei to Palmah HQ, 28 May 1948, KMA-PA 105 – 123; and Kan'ane and Almadani, 'Kaufakha', 42–44.

(783) Arye Farda, Ya'akov Gavri, and Eliezer Frisch, the headmen of Dorot, Nir-Am and Ruhama, to Ben-Gurion, 4 Aug. 1948, ISA FM 2564\9.

(784) Palmah HQ, 'Daily Report', 31 May 1948, IDFA 922\75\\1066.
أعيد الاستيلاء على القرية - التي كانت قد وقعت بشكل مؤقت في أيدي الجيش المصري - في 18 أكتوبر 1948، انظر:
IDF GS\Operations Logbook, entry for 18 Oct. 1948, IDFA 922\75\\1176.

(785) 6th Airborne Division Logbook, entry for 15 Dec. 1947, PRO WO 275–52.

(786) Palmah HQ, 'Daily Report', 31 May 1948, IDFA 922\75\\1214; 'Oded' to Palmah HQ, 1 Jun. 1948, KMA-PA 105–122; and Farda, Gavri and Frisch to Ben-Gurion, 4 Aug. 1948, ISA FM 2564\9.
يلاحظ أن رؤساء الكيبوتسات الثلاثة اشتكوا من طريقة المعاملة التي حظيت بها قرية هوغ، وقد رد بن غوريون على ذلك بقوله: «آمل

أن تقـوم القيادة العامة بإيلاء اهتـمام لما ذكرتموه وتتجنب مثل هذه التصرفات غير العادلة وغير المبررة في المستقبل، وأن تقوم بتصحيح تلك الأشـياء التى تمت في الماضي بقدر الإمكان»، إلا أن بن غوريون تجنب إصـدار إدانة لعملية الطرد كما أنه لم يصـدر تعليمات لقوات الدفاع الإسرائيلية بالسماح للقرويين بالعودة أو بحماية ممتلكاتهم. انظر:

Ben-Gurion to headmen of Dorot, Nir-Am and Ruhama, 29 Aug. 1948, DBG Archive, Correspondence.

(787) 'Na'im (Naaman)' to HIS-AD, 'Report on Zarnuqa', 30 Mar. 1948, HA 105\228.

(788) HIS, Zarnuqa village file, entry for 4 Dec. 1947, HA 105\243.

(789) HIS, Zarnuqa village file, entry for 10 May 1948, HA 105\243; and 'Doron (Shevah)' to HIS-AD, 10 May 1948, HA 105\217.

(790) Ayalon, War of Independence, 595–97.

(791) 'S.K.' to the editors, Al Hamishmar, undated but from early June, HHA-ACP 10.95.10 (4).

وقـد أوضح المحرر أن الخطاب ليس للنشر وإنمـا موجه إلى قادة مابام المعنيـين للقيـام بعمل شيء ما، فقـد كانت الهاغاناه تقـوم بتصرفاتها بتحويل العرب الأصدقاء إلى أعداء، انظر كذلك:

Cisling's statement at Cabinet meeting, 20 June 1948, KMA-ACP 9.9.1.

(792) HIS, Zarnuqa village file, entries for 26 and 30 May 1948, HA 105\243; and 'Doron' to HIS-AD, 30 May 1948, HA 105\92 aleph.

(793) 'S.K.' to editors of Al Hamishmar, undated, HHA-ACP 10.95.10 (4); and Cisling statement in Cabinet meeting 20 June 1948, KMA-ACP 9.9.1.

(794) HIS, Yibna village file, entry for 9 Sep. 1947, HA 105\134; and Ayalon, War of Independence, 598.

(795) HIS, Yibna village file, entries for 15 March and 4 April 1948, HA 105\134; and 'Na'im (Elitzur)' to HIS-AD, 1 Apr. 1948, HA 105\92 aleph.

(796) 'Doron (Naaman)' to HIS-AD, 3 May 1948, HA 105\217.

(797) Ayalon, Egyptian Invader, 143.

(798) Unsigned, 'The Interrogation of Mahmud Ruzi (interrogated on 31.5)', and covering note 'Doron' to HIS-AD, 2 June 1948, HA 105\217.

(799) Ayalon, Egyptian Invader, 143–47; and 'Testimony of Yosef Zekzer ('Yeshurun')', JI, IZL, kaf-4, 7\12.

(800) Unsigned, 'Report on Observations and Information for 5.6.48', IDFA 2323\49\\6.

(801) Giv'ati, 'The Southern Front - Assessment, Conclusions and Proposals', 2 August 1948, IDFA 957\51\\16.

(802) IDF GS\Operations to Giv'ati and Sarig, 9 June 1948, IDFA 957\51\\16.

(803) 'Dror' to Golani HQ, 17 May 1948, IDFA 128\51\\50; and Assaf Leshem to author, 22 May 1998.

(804) Unsigned, 'Report on Search\Patrol Operation in the Villages', undated, IDFA 128\51\\32; and IDF GS Operations Logbook, entry for 8 June 1948, IDFA 922\75\\1176.

(805) 'Barak' Intelligence Officer, 'Report on Search\Patrol Operation in the Villages: Ma'dhar, Hadatha, 'Ulam, Sirin', 3 [sic, should be 4?] June 1948, IDFA 128\51\\32.

(806) 'Oved, 'The Evacuation\Eviction from Villages in Ramat Yavniel' Kokhav Hatzafon, 21 Nov. 1997.

كـما أن هناك تقريرا آخر بتاريخ 5 يونيو يصف العملية ويتضمن النص على: طرد السـكان المتبقين باسـتخدام الذخيرة الحيـة، وحرق مخازن الحبـوب وتفجير عشرات المنازل... والدفع بالسـكان إلى وادي بيره (إلى الجنوب من سيرين)، انظر:

'Barak' to Golani, 5 June 1948, IDFA 128\51\\50.

وقد تم إفراغ تلك القرى (مدهر، حداثة، علم، سيرين) من سكانها خلال صيف هذا العام.

(807) 'Barak' Intelligence Officer to Golani Intelligence Officer, 'Report on Search\Patrol [srika] in the Villages: Danna, al Bira, Kafra, Jabbul, Yubla, Murassas', 8 June 1948, IDFA 128\51\\32.

(808) IDF GS operations logbook, entry for 8 June 1948, IDFA 922\75\\1176.

(809) 'Tzipori' to Golani HQ, 11 Jun. 1948, IDFA 128\51\\32.

(810) 'Dror', 'Report on the Lubiya-Sejera Operation', undated, IDFA 665\51\\2.

(811) OC 'B' Company, Mobile Battalion ('Naftali'), 'Report on Acre [Area] Operations on Night of 5\6.6.48', IDFA 5942\49\\10.

(812) Protocol of meeting of Mapam Centre, 11 May 1948, HHA 68.90 (1).

بيني موريس

■ هاجر والداه إلى فلسطين في العام 1947، وولد في 8 ديسمبر 1948.

■ عُيِّن والده ديبلوماسيا في نيويورك العام 1957، حيث استقر فيها مع عائلته مدة أربع سنوات، ثم قضى فيها سنتين بدءا من 1963.

■ لدى إنهائه المرحلة الثانوية التحق بالجيش لأداء الخدمة العسكرية وانضم إلى وحدة المظليين، وأنهى تجنيده قبل بدء حرب العام 1967 بقليل، وأُرسلت وحدته إلى الجولان لكنها لم تشارك في عمليات القتال.

■ درس التاريخ في الجامعة العبرية في القدس وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة كمبريدج في العلاقات البريطانية - الألمانية.

■ عند عودته إلى القدس، عمل لمدة اثني عشر عاما بجريدة «جيروزاليم بوست».

■ بعد عدة أبحاث، أصدر أول مؤلفاته عن نشوء مشكلة اللاجئين الذي نشرته جامعة «كمبريدج» العام 1988، وحظي بعده بشهرة كبيرة.

■ في العام 1988 زاد صيته لرفضه الالتحاق بالقوات الاحتياطية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فسجن ثلاثة أسابيع وأصبح الرافض الإسرائيلي (روفزنيك) رقم 39، وكان قد شارك قبل ذلك «مرغما» في حرب لبنان (1982)، ومع الجيش الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية عام 1986 قبل بدء الانتفاضة الأولى.

■ لدى خروجه من السجن أطلق مصطلح «المؤرخون الجدد» على المؤرخين الذين أعادوا كتابة التاريخ الإسرائيلي.

■ عمل أستاذا في قسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة «بن غوريون» بالنقب.

■ درّس عام 2005 في جامعة «ميريلاند» في الولايات المتحدة.

المترجم في سطور

أ. د. عماد عواد

- ■ ديبلوماسي سابق في وزارة الخارجية المصرية.
- ■ موظف دولي سابق بمنظمة الوحدة الأفريقية (الإدارة السياسية وحدتي تسوية المنازعات واللاجئين).
- ■ مستشار حقوق الإنسان لرئيس مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية (لندن).
- ■ حاصل على الدكتوراه من جامعة «باريس 2» بفرنسا، في العام 1990، حول موضوع «التسوية السلمية للصراع العربي - الإسرائيلي» بتقدير امتياز.
- ■ حاصل على درجة أهلية الإشراف على الأبحاث العلمية (أستاذ) من الجامعة نفسها العام 1994.
- ■ نشر العديد من المقالات في صحف ودوريات عربية وأجنبية من أبرزها مجلة الدفاع الوطني الفرنسية منذ العام 1985.
- ■ نشر عددا من الكتب بلغات مختلفة أبرزها: «أي عملية سلام في الشرق الأوسط؟ دراسة في المقترب الإسرائيلي» (باللغة الفرنسية، باريس، 1988)، «الخطوط الحمراء: مفهوم السلام الإسرائيلي» (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2000)، «الشرق الأوسط وتحديات النظام الدولي الجديد» (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2004)، «المواطنة والأمن»، القاهرة، 2009.
- ■ أستاذ منتدب للعلوم السياسية بكل من جامعة القاهرة، وجامعة المستقبل، والجامعة البريطانية (جمهورية مصر العربية).

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978 .

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة . ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة :

1 - الدراسات الإنسانية : تاريخ ـ فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار .

2 - العلوم الاجتماعية : اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبليات .

3 - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة .

4 - الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية .

5 - الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء ، كيمياء ، علم الحياة ، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم) ، والدراسات التكنولوجية .

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية ، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي .

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر .

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين ، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط ، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته . وفي حالة الترجمة ترسل نسخة مصورة

هذا الكتاب...

أثـار هذا الكتـاب، وقت صـدوره، ضجة كبـيرة داخل إسرائيل، لمـا تضمنه مـن حقائق صدمت الكثيرين، في إطـار كتابات «المؤرخين الجـدد» الذين قدموا روايـات تختلف - بشـكل جوهري - عـما دأب المؤرخون والساسـة اليهود على ترديـده. تتضمن هذه النسـخة المنقحة للكتاب العديد مـن العناصر من أبرزها وأهمهـا تتبُّعها جذور فكرة التهجير القسري للفلسـطينيين، مـن مدنهم وقراهم، في الأيديولوجيـة الصهيونيـة؛ وما توصلت إليه من نتيجـة مفادها أنه على الرغم مـن عدم وجود خطة مُمنهجة لتحقيق هـذا الهدف فإن الفكرة كانت حاضرة في أذهان القيادتين السياسية والعسكرية على السواء، ويؤكد ذلك بقاء المسؤولين من التشـكيلات اليهودية العسـكرية المتعددة الذين أقدموا على ارتكاب فظائع بحق الفلسطينيين بعيدا عن طائلة العقاب الرادع، مما عكس درجة من درجات الموافقة الضمنيـة على ما اقـترُف بهدف الوصول إلى تحقيق هـدف «الدولة اليهودية» أو الدولـة الإسرائيليـة التي تتضمن أقل عـدد من العرب الفلسـطينيين. وفضلا عن ذلك يكشـف الكتاب - من خلال الوثائـق - عن كيفية تعاطي كل من القيادتين، السياسية والعسـكرية، اليهوديتين مع ظاهرة النزوح الجماعي الفلسطيني، سواء من خلال تشـجيعها أو السـعي إلى التعجيل بحدوثها، باسـتخدام وسائل الضغط النفسي على المناطق المقرر اجتياحها.

عـلى الرغم من صفة التأريخ التي تغلب عليه، يُعتبر هذا الكتاب مرجعا على درجة عالية من الأهمية، ليس للقارئ العادي فقط ولكن للساسة أيضا، من حيث تناوله هذا الملف الشائك؛ انطلاقا من وثائق يهودية رُفع غطاء السرية عنها، وسعيه إلى تبديد الغموض الذي أحاط به، سـواء فيما يتعلق بنشـأة المشكلة، أو الخلاف حول أعداد اللاجئين الفلسـطينيين، أو محاولات استثمار المقترحات الأولية لتسوية قضيتهم لتحقيق مكاسب سياسية، ولعل في هذا ما يساعد الطرف العربي على دعم موقفه التفاوضي بالحجج القوية اليهودية المصدر، فضلا عن تجنب الوقوع في شرك تسويات قد تهدر حقوقه، وتقتصر على خدمة أهداف الطرف الآخر في الصراع.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 402 - 3
رقم الإيداع (2013/542)